

مِثْقَالُ الْمُسْتَوْنِ

وَفِي شَرْحِ رِسَالَةِ الزَّيْنِ زَيْدُونِ

مُخْلِيلُ بْنُ أَبِيكَ الصَّبْعِيِّ

تَحْقِيقُ

مُحَمَّدُ أَبُو الْفَضْلِ إِبْرَاهِيمُ

مَكْتَبَةُ الْبَحْرِ

صَيْدَا - بَيْرُوتَ

مَسَامُ الْمُسْتَوْنِ
فِي شَرْحِ رِسَالِ الزَّائِرِ زَيْدُونِ
نَحْلِيلُ بْنُ أَبِيكَ الصِّفْدِي

تَحْقِيقُ

مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ الْإِبْرَاهِيمِي

منشورات المكتبة العصرية

صكيد ١ - بيروت ص ٨٣٥٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تصدير

من الطرائق التي سلكها القدماء في التأليف والتصنيف، طريقة الشروح والخواشي والتعليق؛ يعمد المؤلف إلى نص نفيس سار ذكره، أو كتاب موجز اشتهر أمره، فيتناوله بالتفسير والشرح إن كان مبهماً، أو يبسطه بالإيضاح إن كان موجزاً، ويزيد فيه بما يتاح له من المعاني، وما وقع من الخبرات والمشاهدات؛ ثم يستطرد بما يتداعى إلى ذهنه من فنون الكلام، مما قرأ وحفظ، أو سمع وروى، فيكون النص أو الكتاب بفد ذلك شيئاً آخر حفيلاً بالفوائد، جامعاً لشميت المسائل.

وبهذا المنهج المفيد، حفظ كثير من أبواب العلوم والفصول في الآداب ومرويات الشعر وأطراف الفنون، ونقل إلينا ما أودع في بطون كتب وأسفار، ربما تكون قد ذهبت بها عوادي الأيام.

ونظرة إلى ماحوت مشروح نقائض جرير والفرزدق، والمفضليات، والمعلقات، وما أورده ابن أبي الحديد تمليقاً على كتاب نهج البلاغة وأبو العباس الشريشي على المقامات، وما اشتمل عليه كتاب خزانة الأدب للبغدادي، وما استطرد به ابن هشام في شرحه لقصيدة «بانت سعاد»، وما عقده العلماء من فصول وأبواب حول كتب الفقه والنحو والأصول، مما يدرس الآن في المعاهد والجامعات... كل هذا ومثله، مما زخرت به الآداب العربية؛ وأفاد منه الباحثون والدارسون على مر العصور.

ومن هذه الشروح النفيسة، هذا الكتاب الذي أسماه صاحبه «تمام للتون من شرح رسالة ابن زيدون»، وهي الرسالة المعروفة بالجدية.

وابن زيدون صاحب مذهب في الكتابة والإنشاء عرف به ونسب إليه ،
فقد كان إلى ما اشتمل عليه من اللفظ المحبّر ، والأسلوب الرشيق المنمق ،
والديباجة الصحيحة المصفاه ، يشتمل على كثير من ذكر الأحداث والإشارات
التاريخية والمعارف الأدبية ، ما يجعل ميدان الشرح واسعاً ، ومناسبات
الاستطراد والتعليق متنوعة . . .

وان كانت رسالته المعروفة بالرسالة الهزلية - وهي الرسالة التي كتبها
على لسان ولادة بنت المستكفي ، لإحدى الظرفيات من نساء بنات خلفاء الغرب
الأمويين إلى أحمد بن عبدوس - قد امتلأت بذكر الأعلام من رجالات الجاهلية
والإسلام ، ما مكن لشارحها جمال الدين بن نباته أن يورد في شرحها قدراً
وافياً من التراجم الأصلية ، والروايات التاريخية ، فإن هذه الرسالة التي
كتبها إلى أبي الوليد بن جهور مستمطفاً معتذراً قد حوت من بديع الاستعارات
ومحسن الكفانيات ، وضروب الأمثال ، والإشارة إلى كبريات الأحداث في
الجاهلية والإسلام ، والاستشهاد بفرر الشعر ومصطفى القصيد ، ما أتاح
لشارحها ، أن يورد حولها ما شاء من ذكر تاريخ هذه الأحداث والوقائع
وما دار فيها ، وأن يعمد إلى قدر كبير من الأمثال ، يذكر مواردها ومصادرها ،
وأن يروي من القصائد النادرة والخطب الجامعة ، والرسالة والمحبّة ، والقصص
والحكايات والأفكار والفوائد ، ما نضجت به القرائح في الجاهلية والإسلام ،
وحفلت به بطون الكتب والدواوين ، وما تنوّل في مجالس الأدب والشعر
على مرّ العصور ، ما جعل هذا الشرح حافلاً بأكرم الدخائر وأنفس الأعلاق .
بالإضافة إلى أنه جمع فيه المتشابه من معاني الشعراء الأقدمين والمحدثين من عصره في
مهر والمراق والشام ، وأضفى عليه من حسن المنحى واطراد التنسيق ما جعله
مراد النفس وراحة العقل ومتمعة القلب والخطاطر .

ومما زاد هذا السفر نفاسة وقبولاً تلك الرسالة الفريدة التي ذيل بها ،

للكاتب محي الدين بن عبد الظاهر ، أحد أسيخ الإنشاء في القرن السابع ، كتبها إلى الامام ناصر الدين حسن بن شاوور المعروف بابن النقيب ، هذا فيما حدو ابن زيدون ، وهي رسالة نادرة انفرد المؤلف بروايتها ، قصد بها الموازنة بين نثر ابن زيدون وبين من قلده من كتاب الإنشاء .

* * *

ومؤلف هذا الشرح هو صلاح الصفدي ، أحد الكوكبة من الأئمة المصنفين في الإسلام ؛ بل هو من أسبقهم في هذا الميدان ، جال في فنون الأدب والسير والتاريخ والتراجم ، ما بين مطول ومختصر ، ومنه ما أورده نثراً ، ومنه ما صاغه شعراً . وقد ترجم له الكثير من العلماء ، وأفردت لكتبه البحوث والمقالات ^(١) . وأورد من هذه التراجم نص الترجمة التي أوردها له المؤرخ ابن تقي بردي في كتابه المنهل الصافي ^(٢) فإنه استوفى أخباره وذكر كتبه ، كما أوردها فيها كثيراً من مختار شعره . وفيه نص رسالته لمعاصره جمال الدين بن نباته ، وإجازة ابن نباته له في ردّ رسالته ، وهي من النصوص المخطوطة التي لم تنشر بعد ؛ قال بن تقي بردي :

خليل بن أبيك الألبكي الشيخ الإمام البارع المفنّ صلاح الدين أبو الصفاء الصفدي الأصل الدمشقيّ الدار والوفاة ، الشاعر المشهور . مولده سنة ست وتسعين وستمائة ، وحفظ القرآن العزيز في صغره ، ثم طلب العلم ، وقرأ على علماء عصره إلى أن برع وساد في الرسائل والنظم والنثر ، وشارك في الفضائل ، وكتب

(١) انظر الأعلام للزركلي ٢: ٣٦٤ ، إيضاح المكنون ١: ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٥٥١/٢ : ٦٧ ، ٨٣ ، ٤٤١ ، ٦٧٨ ، البدر الطالع ١: ٧٤٣ ، ٧٤٤ ، البداية والنهاية ١٤ : ٣٠٣ ، تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ٣ : ١٦١ الدرر الكامنة ٧ : ٨٧ ، ٨٨ ، شذرات الذهب ٦ : ٢٠٠ ، ٢٠١ ، طبقات الشافعية ٦ : ٦٤ — ١٠٣ ، كشف الظنون ٣١ ، ٤٨ ، ١٢٨ ، ٣٨٨ ، ٤٨٨ ، ٥٩٣ ، ٦٠٦ ، ٦٦٧ ، ٧٧١ ، ٨٤١ ، ٩٠٤ ، ١٠٧٣ ، ١١٠٨ ، ١١٢٣ ، ١٢٧٤ ، ١٤٨٨ ، ١٥٣٧ ، ١٥٤٨ ، ١٥٨٦ ، ١٩٩٦ ، معجم المطبوعات ١٢١٠ ، معجم المؤلفين ٢ : ١١٤ ، ١١٥ ، مفتاح السعادة ١ : ٢١٥ ، النجوم الزاهرة ١١ ، ١٩ — ٢١ .

الخط المنسوب ، وقرأ الحديث ، وكتب وسمع بالقاهرة من الدبوسى وغيره ،
وبدمشق من أبى الحسن على بن البندنجى وغيره ، فى النحو واللغة والأدب
والإنشاء ، وولى كتابة المال بدمشق ، وكتابة الإنشاء بها وبالديار المصرية . ثم
ولى كتابة السر بحلب ، وباشر وظائف جليلة ، وكان بينه وبين علماء عصره
وأدبائه مكاتبات ومراسلات ، كالحافظ أبى الفتح ابن سيد الناس ، والبارع
جمال الدين بن نباته ، والشيخ زين الدين عمر بن الوردى ، وأبى عبد الله المقرئ ،
وغيرهم ، وجمع وصف التصانيف المفيدة .

وذكره الحافظ أبو عبد الله الذهبى فى معجمه المختص وأثنى عليه ، وكتب
من نظمه ونثره ، وقال : كان إماماً عالماً صادقاً ماهراً فى صناعة الإنشاء ، قدوة
فى فن الأدب ، حسن الأخلاق والمحاضرة ، رُحلة الطالبين ، كتب وصف التصانيف
الكثيرة ، وحدث . سمع أبا المعالى بن عسائر بحلب . وله نظم رائق ، ونثر فائق .
انتهى كلام الذهبى .

قلت : ومن مصنفاته كتاب جنان الجناس ، وفص الغتام عن التورية
والاستخدام ، والمجارة والمجازة مجلدان ، ونصرة التائر على النمل السائر ،
وحلوة المحاضرة فى جلوة المذاكرة ، وحسن التصريح فى مائة مايح ، والكشف
والتنبيه على التشبيه مجلدان ، ولذة السمع فى وصف الدمع ، وغرة الصبح فى
اللب بالرمح ، وجبر الذيل فى أوصاف الخيل ، والروض الباسم والعرف
الناسم ، مقاطيع ونظم . والمثنائى والثلاث مقاطيع ونظم أيضاً . وشرح لامية
المعجم فى أربع مجلدات . ونكت الهميان فى نكت الهميان فى مجلدان ، والشعور
بالعور ، وكشف الحال فى وصف الخال ، وألحان السواجم من البادى والراجع ،
فى أربع مجلدات ، وطرد السمع عن سرد السبع ، فى أربع مجلدات ، والمقترح فى
المصطلح ، وطراز الأنغاز ، وتوشيح التوشيح ، وزهر الخائل فى ذكر الأوائل ،
وتحرير التعريف وتصحيح التصحيح ، ونجم الدياجى فى نظم الأهاجى ، وحقيقة

الجزاز إلى الحجاز؛ نظم ونثر، صورة رحلته، والفصل اللئيف في المولد الشريف، وغوامض الصحاح، ونفوذ السهم فيما وقع للجوهري من الوم، وحلى النواهد على مافي الصحاح من الشواهد، في خمس مجلدات، ورسالة عبدة الاليب بمثرة الكتيب، ورسالة رشف الرحيق في وصف الحريق، ورسالة اختراع الخداع في مخالفة النقل والطباع، والوافي بالوفيات الكبير في اثنتين وستين مجلداً صفاراً، وأعيان العصر وأعوان النصر، ذكر فيه من مات في عصره من الأعيان في اثني عشر مجلداً لطيفاً، وله تصانيف غير ذلك .

ولما كان سنة نيفاً على ثلاثين سنة أرسل واستجاز الشيخ جمال الدين محمد ابن نبياته فقال : الحمد لله على نعمائه والصلاة والسلام على أنبيائه محمد وآله وصحبه .
المستول من إحسان سيدنا الشيخ الإمام العالم العلامة رُحلة أهل الأدب، قبله ذوى التحصين له في التحصيل والدأب، الذى تبيت شوارد المعاني صرعى نخوة لاطافة تخيله، وتُسمى الألفاظ العذبة طوع تحوله في التراكيب وتحيله، فأسمى وله النسب الذى يضحك من العباس في رفته، ويقيم صريع الفوانى إلى مقته بعد مقته، والفرل الذى يشيب له فود الوليد، ويسترق الحر من كلام عبيد، والتشبيه الذى لو علمه ابن المعتز لما نصب الهلال فخاً لصيد النجوم، ولو تماطاه حفيد جُريح لقيط له : ألم تسمع « ألم غلبت الروم » ، والمديح الذى لو بلغ زهيراً لقال : ما أنا من هذه الحدائق ، أو اتصل نبؤه بالمتنبى لاشتغل عن ذكر المذنب وبارق ، والرثاء الذى نقص عنده أبو تمام بعد أن رُفع له لواء الشرف والفخر ، وقال : هذه عذوبة الزلال لا ماتفجر من الخفساء على صخر ، والترسل الذى سقى الفاضل كأس الخوف ، لما شبهه الفمود بالكائم والسيوف بالأزهار ، وأذهله حتى صحت له قسمة التجفيس في الخيل والخيال بين المراقب المراقد ، وأخطات معه في المراجع والمساجد بين الأنواء والأنوار ، والكتابة التى تفرد

الطروس بها وكأنها برود محبرة أو سماء بالنجوم زاهرة ، إن لم ترض أن تكون في الأرض رياضاً مزهرة .

أدب على الحضري يعلو تاجه وله ابن بسم بكى ألوانا
وترسل سيجان من قد زاده منه وأعطى الفاضل النقصانا
وكتابة لعلوها في وضمها ليس ابن مقلة عندها إنسانا
فلكم أخى فضل رأت عيناه في الأوراق لابن نباتة بستانا

جمال الدين أبي عبد الله محمد بن الشيخ الحافظ شمس الدين محمد بن نباتة؛ جمع الله به شقات أهل الأدب في دوحة هذه الدولة ، ولم به شعث أبنائه الذين لاصون لهم ولاصوله ، وأقام به عماد أبيات الشعر التي لولاه لما عرفت دارمية من أطلال خولة ؛ بمنه وكرمه ... إجازة كاتب هذه الأحرف ، ماله - سمح الله له في مدته - من رواية المصنفات في الأحاديث النبوية والتأليفات الأدبية ، على اختلاف أوضاعها وتباين أجناسها وأنواعها ، بحسب ما تأدّى ذلك إليه ، واتصل به ؛ من قراءة أو سماع أو إجازة أو وصية أو وجادة من مشايخ العلم الذين أخذ عنهم ، وإجازة ماله - أحسن الله إليه - من مقول نظماً أو نثراً ، تأليفاً أو وضعاً ، إجازة خاصة ، وإثبات ماله من التصانيف إلى هذا التاريخ بخطه الكريم ، وإجازة ماله يقع له بعد ذلك إجازة ؛ عامة على أحد القولين في المسألة ، فإن الرياض لا ينقطع زهرها ، والبحار لا تنفد دررها ، وإثبات ما يحسن إثباته في هذه الإجازة ، من المقاطيع الرائقة ، والأبيات اللائقة ، وذكر نسبه ومولده ومكانه متفضلاً في ذلك . وكتبه خليل بن أبيبك بن عبد الله الألبكي بالقاهرة المحروسة في مستهل شعبان سنة تسع وعشرين وسبعمائة ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

فكتب الشيخ جمال الدين بحسباً لسؤاله بما صورته :
بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد حمد الله الذي إذا توجه إليه ذو السؤال فاز ،

وإذا استدعى دعا كرمه ذوو الطلب أجاب وأجاز ، والصلاة على سيدنا محمد
 كعبة القصد التي ليس بينها وبين النجح حجاز ، وعلى آله وصحبه الذين هم حقائق
 الفضل والفصل ومن بعدهم محاز . فلولزم في كل الأحوال تناسبُ المحاطبة ، وكان
 جواب السؤال بحسب ما بينهما من شرف المناسبة ، لما رضى سجعُ الحمام لمطارحته
 نوعاً من الأطياف ، ولا قبل فصحاء الأول مراجعة الصدى من الديار ، ولا قمع
 غمزُ حواجب الأحيّة برد القلوب المأعة في أودية الأفكار ؛ ولكن تقول الأكاير
 والأولياء تبذل من الأجوبة جهدها ، وتنفق عما عندها ، وتجرد الأمائل سيموف
 النطق ولا تعتمدى الأنباع من الطاعة حدها . ولما كفت أيها الراقم برود هذا
 الاستدعاء ببيانها ، وللنشيء روض هذا السؤال بآثار السحب من بنانه ، والسائل
 الذي بهرت الأفكار فضائله ، وسحرت أرباب العقول عقائده ، وأقام المسئول
 مقاماً ليس هو من أهله ، فليتيق الله سائله . فريد فن الأدب الذي لا يبارى ، وبحره
 الذي لا يهدى غائص قلبه الدر إلا كباراً ، وذا اليد البيضاء فيه الذي طالما
 آنس من جانب ذهنه الشريف نارا ، وخليله الذي أطلع على أسرارهِ الدقيقة ،
 ورئيسه الذي لو طارح ابن الممتز وتمت ولايته لكان خليل أمير المؤمنين
 على الحقيقة ، وناظمه الذي يسرى الطائيان تحت علمه المنثور ، وكتابه الذي
 يتجسج المبدان بالخول تحت رقه المأثور . طالما شافه منه العلم وجهاً جميلاً ، وقدرأ
 جليلاً ، ولاقي من لا يندم على صحبته فيقول : يا ليتني لم أتخذ فلاناً خايلاً .
 فهو الفرس الذي يقصر عن أمالي وصفه الشجرى ، ويفخر الدين والعلم بسخبه
 ولفظه ، فهذا يقول : غرسى وهذا يقول ثمرى . كم أغنى بمفرد شخصه عن فضلاء
 جيل ، وكم بدا للسمع والبصر من بنات فكره بُنيّة ومن وجهه جميل ، وكم
 تنزهت الأفكار من لفظه وخطه بين آس وورد ، لا بين إذخر وجميل ، وكم دام
 عهدهُ وودّه حتى كاد يبطل قول الأول : « دليل على الأيدوم خليل » . تود الشهب
 لو كانت حصباء غدیر طرسه ، وبقار الأفق إذا طرز برّاع درجه بالظالماء أردية
 شمسه ، وبقاسد النظم والنثر على ما تلتجج مقدمات منطقته من النتائج ، وينشده

كل منهما إذا حاول القول: خليل الصفا، هل أنت بالدار عائج! إن كعب أغضى
ابن مثله من الحسد على قذاه، وحمل ابن البواب لحجته عصا القلم قائلا:
ما ظلم من أشبه أباه، وإن نحا النحو لبهاء عشرأ، ولانت أعطاف الحروف
قسراً، وتشاجرت الأمثلة على لفظه، فلا غرو أن ضرب زيد عمرأ، يترجل
كلام الفارسي بين يديه، وبطير حفظ ابن عصفور حذراً من اللبازي المطلق عليه.
وإن شعر هامت الشعراء بذكره في كل واد، وخمل ذكرها في كل ناد، ونصبت
بيوت نظمه على يفاع الشرف كما تنصب بيوت الأجواد، طالما بلد لبيداً،
وولى منه شعر ابن مقبل شريداً، وقالت الآداب لبحترى لفظه: ألم نربك
فيما وليداً! وإن نرفا الدر اليتيم إلا تحت حجره، ولا الزهر النضير
إلا ما ارتضع من أخلاف قطره، ولا المترسلون إلا من تصرف في ولاية البلاغة
تحت نهيمه وأمره، وإن تكلم على فنون الأدب روى الظماء، وجلا معاني
الألفاظ كالدمى، وقالت الأعاريف له ولا بن أحمد: خليل هبّا بارك الله فيكما.

هذا وكم أثنى قديم علم الأوائل على فكره الحكيم، وشهدت رواية
الأحاديث النبوية بفضله، وما أغلى من شهر بفضله الحديث والقديم!

علت به درجات الفضل واتضحت دقائق من معاني لفظه البهيج
هذا وليل الشباب الجون منسدل فكيف حين بضئ الشيب بالمرج
يا حبذا أعين الأوصاف ساهرة بين الدقائق من عليها والدرج
بدأني أعزك الله من الوصف بما قل عنه مكاني، واضمحلت عياني، وكاد
من الخجل يضيق صدري ولا ينطلق لساني. وحملت كاهلي من المن ما لم يستطع،
وضربت للذكرى في الآفاق نوبة خلية لا تنقطع، وسألتني - مع ما عندك من
الحاسن التي لها طرب من نفسها، وثمر من غرسها - أن أجيبك وأجيزك،
وأوازن بمثقال كلمي الحديد إبريزك، وأقابل لسنك المطاق بلساني المحصور،
وأثبت استدعاءك الجليلي على بيت مال نطق الكسور، فتحيرت بين أمرين
أمرين، ووقع ذهني السقيم بين دائرتين مضرين، إن فعلت ما أمرت فما أنا من أرباب

هذا القدر العالي ، والصدر العالي ، ومن أنا من أبناء مصر حتى أتقدم لهذا
 الملك العزيز ، وكيف أطالب مع إقتار علمي وفهمي بأن أمدح وأجيز ، وأين
 لمقيّد خطوي هذه الوثبات . وأني يماثل قوة هذا الفرس ضَمف هذا النبات :
 وإن منمتُ فقد أسأت الأدب والمطلوب حسن الأدب مني ، وأهملت الطاعة
 التي أقرع بملها برمح القلم سني ، وفاتني شرف الذكر الذي امتلأ به حوض
 الأفق وقال قطني . ثم ترجّح عندي أن أجيب السؤال ، وأقابل بالامتثال ،
 صابراً على نهك سائلي ، معظماً قدرى كما قيل بتغافل ، منقاداً إلى جنة استدعائك
 من السطور بسلاسل . وأجزت لك أن تروى عنى ما يجوز لى روايته من مسموع
 وما نثور ، ومنظوم ومنثور ، وإجازة ومناولة ومطارحة ومراسلة ، ونقل وتصنيف ،
 وتنضيد وتنفويف ، وماض ومتردد ، وآت على رأى بعض الرواة ومتجدد ،
 وجميع ما تضمنه استدعاؤك ، فأجمع ما يسكون من لفظه المتفرّد ، كاتباً لك
 بذلك خطي ، مشترطاً عليك الشرط المعتبر ، فليكن قبولك يا عربى البيان جواباً
 شرطى ، ذاكرأ من كُمع خبرى ما أبطأتُ بذكره ، وأرجو أن أبطلأ ولا أخطئ .
 فأما مولدى فبمصر الحروسة ، سنة ست وثمانين وستائة ، بمنزلنا بزقاق
 القناديل . وأما شيوخ الحديث الذين رويت عنهم سماعاً وحضوراً ، فمن أئدهم
 الشيخ شهاب الدين أبو الهيثماء غازى بن أبى الفضل بن عبد الوهاب المعروف
 بابن الرداف ، والشيخ عز الدين أبو نصر عبد العزيز بن أبى الفرج الحمصرى
 البغدادى ، والشيخ شهاب الدين أحمد بن أبى محمد إسحاق الأبرقوهى . وأما
 ذوو الإجازات فى مصر وغيرها من الأمصار فكثير . وأما الفضلاء والأدباء
 الذين رويت عنهم ورأيت منهم ، فمنهم القاضى الفاضل محيى الدين أبو محمد عبد الله
 ابن الشيخ رشيد الدين عبد الظاهر بن نشوان الكاتب المصرى ، والشيخ الإمام
 بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن النحاس الحلبي النحوى ، والأمير
 الفاضل شمس الدين أبو عبد الله محمد بن صاحب شرف الدين إسماعيل القينى
 الأمدى ، اقترح علىّ - ولم أبلغ الحلم - نظاماً فى زيادة الفيل فقلت :

زادت أصابعُ نيلنا وَطَمَتْ فَأَكَدَتْ الأَعَادِي
وَأَتَتْ بِكُلِّ جَمِيلَةٍ مَا ذِي أَصَابِعُ ذِي أَيَادِي
والشيخ العالم الدين قيس بن سلطان الضرير من أهل منية بني خصيب ،
قرأت عليه كثيراً من الكتب الأدبيات ، وكان كثيراً ما يستعذني إلى إن
أنشدته قولي :

يا غائبين تملأننا لغيتهم بطيب عيش ولا والله لم يطب
ذكرت والكأس في كفي لياليكم فالكأس في راحة والقلب في تمب
فقال : أنعب والله جذعك القرّح .

والشيخ العالم شهاب الدين أحمد بن محمد المعروف بابن المفسر ،
أنشدني لنفسه :

لا أَرَى لِي فِي حَيَاتِي رَاحَةً ذَهَبَتْ لَذَّةُ عَيْشِي بِالسَّكْرِ
بَقِيَ الْمَوْتُ لِمَثَلِي سِتْرَةً يَا إِلَهِي أَنْتَ أَوْلَى مِنْ سِتْرِ
فأنشدته لي :

بَقَلْتُ وَجْهَةَ الْمَلِيحِ وَقَدْ وَلَّى زَمَانَ الصَّبَا الَّذِي كُنْتُ أَمَلِكُ
يَا عِذَارَ الْحَمِيمِ دَعْنِي فَإِنِّي لَسْتُ فِي ذَا الزَّمَانِ مِنْ خَلِّ بَقَلْتُكَ
والشيخ الأديب الفاضل سراج الدين عمر الوراق المصري ، سمعته ينشدني
لنفسه :

واخجلني وصحائف سوداً غداً وصحائف الأبرار في إشراق
وتوقمي لموبخ لي قائل : أ كذا تكون صحائف الوراق !
والأديب الفاضل نصير الدين الحامي ، أنشدني لنفسه :

أَحَبُّ مِنَ الدُّنْيَا إِلَيَّ وَمَا حَوَتْ غَزَالُ تَبَدَّى لِي بِكَأْسِ رَحِيقِ
وَقَدْ شَهِدْتُ لِي سَمَةَ اللَّهِ وَأَنْتِي أَحَبُّ مِنَ الصَّهْبَاءِ كُلِّ عَتِيقِ
فأنشدته لي :

إني إذا آنتُ هَمًّا طارقًا عَجَلتْ بالذات قطع طريقه
ودعوت ألقاظ المليح وكأصه فنعمت بين حديثه وعميقه
وجاعة يطول ذكرهم ، ويمر على ألا يحضرني الآن إلا شعرهم .
وأما مصنفاتي التي هي كالياسمين لا تساوي جمها ، ولولا جبر الخزان
الشريفة السلطانية الملكية لها ما استجزت نصبها ولا رفها ، فهي : كتاب
جمع الفرائد ، كتاب القطر النبائي ، كتاب شرح العميون في شرح رسالة ابن زيدون ،
ومنتخب الهدية من المدايح المؤيدية ، والفاصل من إنشاء الفاضل ، وزهر
المنثور ، وسجع المطوق ، وأبزار الأخبار ، وشعائر البيت التقوي ، لم يكل إلى
الآن ، والأرجوزة المسماة فرائد السلوك في مصايد الملوك . أجزت لك أعزك الله
روايتها غنى ، ورواية ما أدوته وأجمه بمد ذلك حسبما اقترحه استدعاؤك
ونقته ، ونسخه وحققه ، وتضمنه سؤالك الذي تصدقت به علي ، فمنك السؤال
ومنك الصدقة . والله تعالى يشكر عهدك الجميل ، وكلماتك الجزلة ، وكرمك
الجزيل ، ويمتدح فنون الفضائل المتبعة إلى ظل قلبك الظليل ، ولا يمدد
الأحباب والآداب من اسمك وسميتك خير صاحب و خليل . بمنه وكرمه .

قال ذلك وكتبه محمد بن محمد بن محمد بن الحسين بن الحسن بن صالح بن
علي بن يحيى بن طاهر بن محمد بن الخطيب أبي يحيى عبد الرحيم بن نباته الفارقي
ثم المصري الجذاعي ، عفا الله عنه . انتهى .

* * *

ومن نظم صاحب الترجمة رحمه الله ما أنشدنا ابن الفرات إجازة ، أنشدني
الشيخ صلاح الدين بن خليل لنفسه إجازة :

أفديه ساجي الجفون حين رنأ أصاب مني الحشا بسهمين
أعدمني الرشد في هواه ولا أفلح شيء يُصاب بالمين
وله :

سألتُ عن منام عيني وقد براه جفا وبين
والنوم قد غاب حين غبمت ولم يقع لي عليه عين

وله أيضاً :

المقالة السوداء أجفأها ترشق في وسط فؤادي نبال
وتقطع الطرق على سلوتي حتى حسبنا في الشؤيدا رجال
وله أيضاً :

إن لم يصدقني تصدق بالكري ليזורني فيه الخيال الزائل
وانظر إلى هجري لوصلك واغتم أجري وقل للدمع : قف يا سائل
وله أيضاً :

يقول وقد أنكرته قبله فصبتها في زورة اللطيف
هذا عذاري وجفوني فقم واحلف على للصحف والسيف
وله في معذرة :

محمياه له حسن بديع غدا روض الخلود به مزره
وعارضه رأى تلك الحواشي مذهبة فزمتكم وشمر
وله أيضاً :

أنفقت كنز مدائمي في ثغره وجمعت فيه كل معنى شارد
وطلبت منه جزاء ذلك قبله فأبى وراح تفرّلي في البارد
وله أيضاً :

كنوس المدام تحب الصفا فكن لتصاويرها مبهلا
ودعها سواذج من نقشها فأحسن ما ذهبت بالطلا
وله أيضاً :

أقول له ما كان خدك هكذا

ولا الصدغ حتى سال في الشفق الدجى
فن أن هذا الحسن والطرف قال لي : فتفتح وردي والعذار تخرجا

وله أيضاً :

يا من إذا ما أتاه أهلُ المودة أو لم
أنا محبُّك حقاً إن كنت في القوم أو لم

وله أيضاً :

بسمِ الحَظِّه رماني ودُبت من هجره وبينه
إن مت مالى سواء خصمٌ لأنه قاتلٍ بعميه

قلت : وشعر الشيخ صلاح الدين المذكور كثير ، وفضله غزير ، وهو شاعر مجيد ، على أن جيده بقل عن رديته ، ولولا أنه كان ضئيلاً بنفسه ، راضياً بشعره ، لكان بددر له الردي ، ويكثر منه الجيد ، فإنه كان غواصاً على المعاني ، مبتكراً للنكت البديعة ، عارفاً بفنون الأدب ، لكن رأيت من نظمه بخطه عندما يمارض بعض من تقدمه من مجيدي الشعراء في معنى من المعاني اللطيفة ، فيأخذ ذلك المعنى أو النكتة ، فينظمها في بيتين ، ويجيد فيهما بحسب الحال ؛ ثم ينظم أيضاً في ذلك المعنى بعميه بيتين آخرين ، ثم بيتين ثم بيتين ، ولا يزال ينظم في ذلك المعنى ، وهو يقول : قلت وقلت .. أنا إلى أن يملأ النظر ، وتسأمه النفس ، ويمجّه السمع ، فلو ترك ذلك وتحرّى في قريضه ، لكان من الشعراء المجيدين ، لما يظهر لي من قوة شعره ، وحسن اختراعه .

توفي الشيخ صلاح الدين المذكور بدمشق في ليلة الأحد عاشر شوال سنة أربع وستين وسبعمائة عفى الله عنه (١) .

* * *

وقد سبق لهذا الكتاب أن نشر في بغداد سنة ١٣٢٧هـ ، ولكنها كانت نشرة خلت من الأوصالة والتحقيق ، وشاع فيها الخطأ والتحريف . وحيثما عزمت على إخراجه على المنهج العلمي تهيأ لي الحصول على النسخ الآتية :

(١) التهل الصافي ، مخطوطة دار الكتب برقم ٦٣٠ - تاريخ .

١ — نسخة مخطوطة بدار الكتب رقم ٤٥٣٦ — أدب طلعت ، بخط محمد ابن محمود بن محمد بن خليل الشافعي تمت كتابته في « يوم الأحد المبارك الأول من شهر ربيع الأول من سنة ثمان وتسعين وتسائة » ، كتبت بقلم معتاد تغلب عليها الصحة ، وفيها بعض الضبط وخاصة في الشعر . تقع في ٣٥١ صفحة ، في كل صفحة ٢١ سطر ، في كل سطر عشر كلمات تقريباً ، وقد اتخذت هذه النسخة أصلاً في التحقيق .

٢ — نسخة مخطوطة بدار الكتب محفوظة برقم ٢٤٨ — أدب ، كتبت سنة ١٠٨٤ ، بخط نسخ ، خال من الضبط ، تقع في ١٧٤ ورقة ، وفي كل صفحة ٢١ سطر ، وفي كل سطر ١٣ كلمة تقريباً ، وقد رمزت بالحرف د .

٣ — نسخة مخطوطة محفوظة في دار الكتب برقم ١٩ م — أدب مخطوطة بقلم معتاد بدون تاريخ ، تقع في ١٥١ ورقة ، والشعر مضبوط ضبطاً تغلب عليه الصحة ، وفي كل صفحة ٢٥ سطر ، وفي كل سطر ١١ كلمة تقريباً ، وفي نهايتها ترجمة مختصرة للصفدي مؤلف الكتاب وقد رمزت لها بالحرف م كما أني رمزت للنسخة المطبوعة برقم ط .

هذا علما ما رجعت إليه من كتب التاريخ ومما جم اللغة ودواوين الشعر ، وكتب الأدب . وقد صنفت له الفهارس المتنوعة ، ما ييسر الانتفاع به إن شاء الله ، والله ولي التوفيق .

محمد أبو الفضل إبراهيم

١٨ ربيع الآخر سنة ١٣٨٩

٣ يولييه سنة ١٩٦٩

تَبَايُكُ الْمُسْتَوْنَ
فِي شَرْحِ رِسَالَةِ الْإِسْلَامِ
مُخْلِصٌ بِنِ أَيْبَاءِ الصِّفْدِي

تَحْقِيقُ
مُحَمَّدُ ابْنُ الْفَضْلِ اِبْرَاهِيمُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي شرح صدورنا بالإسلام ، وطرح عنا بالاستغفار أعباء
الآثام ، ومنح أصداف الأسماع درر الأدب الذي تقدفه الأقلام .
نحمده على نعمه التي أكلت العود والعون ، وأجملت الصلوات
والصنن ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة خيمت بين
سرادق العرش العظيم ، وتيمت قلوب أهل التوحيد حتى مشوا سويًا على
مراطم المسقيم ؛ وديمّت سحائبها على رياض الإيمان فأنبئت زهراً ناجماً
يُجَلِّجُ الدجوم الزهر في الليل البهيم . ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ، الذي
بعثه الله إلى البشر بشيراً ونذيراً ، وأصبح غنيّ البلاغة إلى فقره فقيراً ،
وأمسى الخاملُ باتباع أثره أثيراً ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين
لا تترتق شُرُفاتُ مجدٍ إلى مجدهم ^(١) ، ولا يقع دُرف طُرف ^(٢) على مثل تحفهم في
الفصاحة ولا طُرفهم ؛ ولا يرقم المادح أمانيه فيهم إلا سدّ فاه للداري سدّ فيهم ،
وصدّ فاه عن درر صدقهم ؛ صلاة غمام رِضوانها تفسّح ، وحمائمُ غفرانها
تصدّح ، وكماهم إحسانها تنفّح ؛ ما أطرب المترل ، وأعرب المتوسّل ،
وتعطّف المتوصل ؛ وتلطف المتفصل ، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

وبعد ، فإن رسالة ابن زيدون التي كتبها لابن جهور ، من الرسائل
الطنانة ، والنجائل التي لا يدوى زهرها وحمائم غصونها بالتفريد رنانة ،
والفضائل التي لا تزال محاسنها على من حاول معارضتها متنانة ، قد أبرزها
مُنشئها كالقمر ليلة تمامه ، وكالزهر المنخبوء في أكاميه ؛ أنعت من يجاريها
فما تشقّ الفراء لها غباراً ، ولا يبيت داحس ذا حصى في مباراتها فهو في

(١) ط : « شرفهم » .

(٢) الطرف ، بالكسر : الكرم الظرفين منا ، أو الكرم من الخيل .

أصله وفرعه يَتَمَادَى وَيَتَارَى ، ولا يملك البرقُ التماثلُ إذا سار على أثرها
إلا عثارا ؛ مشحونة بما فيها من الإشارات إلى الوقائع والأمثال ، وحلُّ الأبياتِ
الأبيات في الأنبياد على الرجال ؛ تَمَطَّق في الإنشاء غريب ، وحلاوة ألفاظ
ليس الضرب لها بصريِّب ، وطلاوة هبارة ما ريب ، إنها تحلُّ الأجياد
والتريب . لم ترفيها من البلاغة ترفيها ، ولم تجد فيها لفظة تحويها ؛ إلا وهي
تنطق بالبلاغة أو توحىها ، ولم تنظر معانيها إلا وهي تطوى المحاسن وتوطئها .

لَدَيْهَا رِياضٌ لَمْ تَحْكُمَا سَحَابَةٌ وَأَعْصَانُ دَوْحٍ لَمْ تُفْنِ حَمَامَةٌ (١)
وَفَوْقَ حَوَاشِي كُلِّ سَطْرٍ يَضُوءُهُ مِنْ الدَّرِّ سَمُطٌ لَمْ يُثَقِّبْهُ نَاطِقُهُ
تَذُلُّ بِمَا فِيهَا عَلَى أَنْ تَنْتَرَهَا لِأَبْلَجٍ لَا يَبْجَانُ إِلَّا عَمَامَةٌ
تُقَبِّلُ أَفْوَاهَ الشُّيُوخِ بَسَاطَةً وَيَكْبُرُ عَنْهَا كُتْلُهُ وَبَرَايَةُ
لَهُ عَشْكَرًا نَظْمٌ وَثَرٌ إِذَا رَمَى بِهَا عَسْكَرًا لَمْ يَبْقَ إِلَّا بَهَاجَةٌ
لَقَدْ مَلَّ خَوْفُهُ الطَّرْسَ مِمَّا يُفِيرُهُ وَمَلَّ سَوَادُ النَّفْسِ مِمَّا يَزَاحُهُ
وَمَلَّ قَفَا الْإِنْشَاءِ مِمَّا يَدُقُّهَا وَمَلَّ جَدِيدُ الشَّعْرِ مِمَّا يُبْلَاطُهُ
فَأَبْصَرْتُ بَدْرًا لَا يَرَى الْبَدْرُ مِثْلَهُ وَخَاطَبْتُ بَحْرًا لَا يَرَى الْبَحْرُ عَامَّةً

وما أوردتها على أحدٍ إلا رقصت أعطافه ، وحنى من غصونها ما استد
عطافه ، وملككت حبة قلبه بما فيها من اللطافة ، وأجتنق منها محاسن السوالم
وأجتنق لذة الشلافة ؛ وقال : هذا هو الأدب الذي ماشافه غيره (٢) أرشافه ،
وهذا هو الإنشاء الذي من ركب أعسافه نسافه (٣) ، وهذا هو النثر الذي
من حل ساحته قال : الضيافة الضيافة ! وهذا هو الترسل الذي من سَطَّ به
برحاله أنفل النوال بالتحف التحافه .

(١) المتنبي ، ديوانه ٣ : ٣٦٥ - ٣٤٢ مع تصرف كبير في الألفاظ والأساليب .

(٢) ط : د غير ه . (٣) ساقطة من ط .

فلا تُذَلِّه بِأَكْثَارٍ عَلَى الشَّوْقِ ^(١)
 فَلِذَلِكَ آثَرْتُ أَنْ أُمْلِيَ عَلَيْهَا شَرْحًا ، وَأُبْنَى عَلَى كَوَاكِبِ كَوَاعِيهَا
 صَرَحًا ، وَأَكْجَلَ جَفَوْنًا بَاتَتْ لِرَقَبَةٍ ^(٢) بَيَانَهَا قَرَحَى ، وَأَطْبَتْ فَلَوْ بَا أُمْسَتْ
 لِيُوصَلَ إِضَاحُهَا جَزَحَى ؛ وَإِنْ لَمْ أَكُنْ مِنْ خَيْلِ مَيْدَانِهَا ، وَلَا مَتْنِ يَمُدُّهُ
 الْأَبْطَالُ مِنْ فُرْسَانِهَا ؛ وَلَسَكُنْ جُهْدُ الْقَلِّ ، وَزَهْدُ الْخَلِّ ^(٣) ، وَشُهْدُ الْمَطْلِ ،
 وَشُهْدُ الْمَدْلِ ^(٤) ، وَعَهْدُ الْمَعْلِ .

قَدْ يُدْرِكُ الْحَدَّ الْفَتَى وَإِزَارُهُ خَلَقٌ ، وَجَيْبُ قَيْصِهِ مَرْقُوعٌ ^(٥)
 وَبِاللَّهِ أَعْتَصِمُ وَأَعْتَصِدُ ، وَمَنْ قَيْصُهُ أَصْتَمِلَ وَأَسْتَمِدَّ ؛ إِنَّهُ الرَّقِيبُ
 الْقَرِيبُ ، وَالسَّمِيعُ الْحَمِيبُ .

(١) السُّوقَةُ : الرِّعْبَةُ ، وَيَجْمَعُ عَلَى سَوَاقٍ ، كَصَرْدٍ .

(٢) ط : « لِرَقَبَةٍ » .

(٣) الْخَلُّ : الْفَقِيرُ الْمَدْمُومُ . وَفِي م : « وَفَد » .

(٤) ط : « لِلْمَدْلِ » .

(٥) لَا بِنَ هَرْمَةٍ ، الثَّمَرُ وَالشَّعْرَاءُ ٧٣٠ .

فصل

في ترجمة ابن زيدون - رحمه الله تعالى
ولما أراد شيء من شعره الذي رَقَّ وراق ، وشقَّ على غيره وشاق

فأقول : هو ذو الوزارتين ، الكاتبُ المجيدُ المفيد ، الناظمُ الدائر ، البليغُ
اللفوه اللين ، أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون
الحزوي الأندلسي القرطبي .

أُثْنِيَ عليه ابنُ بَسَّامٍ في « الذخيرة » ، وابنُ خاقانٍ في « قلائد المقيان » ^(١) .
وكان من أبناء وجوه الفقهاء بقرطبة ، برع ^(٢) أدبه ، وجاد شعره ، وعلا شأنه ،
وأطلق أسائه ، وحقق بَيَانُهُ . ثم إنه انتقل من قرطبة إلى المقنص بن عباد
صاحب إشبيلية ، سنة إحدى وأربعين وأربعمائة ، فجعله من خواصه ، يحالسه
في خلواته ، ويركن إلى إشاراته ؛ وكان معه في صورة وزير ، وكان أولاً قد
انقطع إلى ابن جهمر ، أحد ملوك الطوائف المتقلبين بالأندلس ، فخفف عليه ،
وتمسك منه ، وأعتد عليه في السفارة بينه وبين ملوك الأندلس ، فأعجب
القوم به ، وتمنوا مثله إليهم لبراعته ، وحسن سيرته ؛ فانفق أن تقوم ابنُ
جهمر على ابن زيدون فحبسه ، فاستعطفه ابنُ زيدون بهذه الرسالة وبأمثالها
من فنون النظم والنثر ، فما أجدى ذلك عليه شيئاً ، ففر من محبسه لما أعياه
الخطب ، وأصل بعد ذلك بابن عباد كما تقدم .

وكتب إلى بعض أصحابه - وهو الأديب أبو بكر بن مسلم - لما اختفى
بقرطبة بعد فراره ، رسالة يعتذر فيها عن فراره ، وهي في غاية الحسن ، ولولا

(١) الذخيرة جزء ١ : مجلد ١ ص ٢٨٩ وما بعدها ، والقلائد ٧٠ وما بعدها .

(٢) الذخيرة : « فرع أدبه » .

خَوْفُ التَّطْوِيلِ كَانَ لَا بَأْسَ بِذِكْرِهَا ، وَنَشْرَ نَشْرِهَا ، وَدَرَّ دَرَّهَا ، وَهَذِهِ فَلَذَّةٌ
مِنْهَا : ^(١) أبدأً أولاً بِشَرْحِ الضَّرُورَةِ الْخَافِزَةِ إِلَى مَا صَنَعْتَ ، إِذْ بَلَّغْنِي أَنْتَ أَحَدُ
الْأَثَمِينَ لِي عَلَيْهِ ، وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ : وَبَلَغْتُ لِلشَّجِيِّ مِنَ الْخَلَى ^(٢) ، وَهَانَ عَلَى
الْأَمْسِ مَا لَاقَى الدَّيْرَ ^(٣) . وَأَعَانِيكَ عَلَى انْفِصَالِكَ عَنِّي ، وَبِرَاءَتِكَ أَمَدَ الْمَحْنَةِ
مَنِّي ، عَسَى أَنْ تَقْلَقَ عَوْدًا مَا أَضْمَتَ بَدْءًا ، وَإِنْ كُنْتَ فِي ذَلِكَ كِدَابِفَةٍ
وَقَدْ حَلِمَ الْأَدِيمُ ^(٤) . فَمِنْقَمَةُ الْغَوْثِ قَبْلَ الْعَطَبِ ^(٥) ، وَفِي عِلْمِكَ أَلَّنِي سُجُنْتَ
مُغَالِبَةً بِالْمَوَى ، وَهُوَ أَخُو الْقَمَى ، وَقَدْ نَهَى عَنْهُ تَعَالَى فَقَالَ : ﴿ وَلَا تَذْبِغِ
الْمَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ^(٦) . وَشَهِدَ عَلَى فُلَانٍ النَّاشِرُ لِأَذْنِيهِ طَمَعًا ،
لِيَأْكُلَ بِيَدَيْهِ جَشَمًا ، وَقَالَ : فَكَانَ لِلْقَوْلِ مَا قَالَتْ حَذَامٌ ^(٧) .

وَأَيْتَنِي مَعَ قَبُولٍ مِنْ لَا تَحِلَّ شَهَادَتُهُ عَلَيَّ ، يُعَذِّرُ فِيهِ إِلَيَّ ، وَلَمْ يُقَرَّنِ الْحَشَفُ
بِسُوءِ الْكَيْلَةِ ^(٨) .

(١) الذخيرة ١ : ٣٠٥ .

(٢) الميداني ٢ : ٣٦٧ ؛ وذكر أن أول من قاله أكرم بن صفي .

(٣) الميداني ٢ : ٣٩٣ ؛ قال : بضرب في سوء اهتمام الرجل بصاحبه ، والأماس : الصحيح
الظهر ؛ والدبر : الذي أصابت رأسه الدبرة ؛ وهي الفرقة .

(٤) حلم الأديم ؛ فسد ، والأديم : الجلد ، ومعنى المثل : إنك في محاولة لإصلاح أمر
مثل من تدبغ الجلد وقد كاد يتمزق ، وأصله قول الوليد بن عقبة :

فَإِنَّكَ وَالْكَتَابَ إِلَى عَلِيٍّ كَدَابِفَةٍ وَقَدْ حَلِمَ الْأَدِيمُ

وانظر اللسان (حلم) .

(٥) عجز بيت للمتنبي ؛ ديوانه ١ : ١٠٢ ، وهو :

سَبَقَتْ إِلَيْهِمْ مَمَائِيَهُمْ وَمِنْقَمَةُ الْغَوْثِ قَبْلَ الْعَطَبِ

(٦) سورة ص ٣٨ .

(٧) إشارة إلى البيت :

إِذَا قَالَتْ حَذَامٌ فَصَدَّقُوهَا فَإِنَّ الْقَوْلَ مَا قَالَتْ حَذَامٌ

والبيت لبسم بن طارق ، أحد شعراء الجاهلية ؛ وانظر ابن عقيل ١ : ٩٤ .

(٨) الإعذار : قبول المنذر ؛ والحشف : أردأ التمر ؛ والمثل : « أحشأ وسوء كيلة » .

الميداني ١ : ٢٠٦ .

وكنفت في أول حبسِي بموضع جَرَّتِ العادةُ فيه بوضعِ مستورى الناسِ
وذوى الهيئاتِ منهم ؛ وفي الشرِّ خيارٌ ^(١) ، وبعضُهُ أهونُ من بعضٍ ^(٢) .

ثم نُفِلْتُ من بعدُ إلى حيثِ الجفأةُ الفسِدون ، واللصوصُ المقيدون ،
ومُنِعَ مِنِّي عَوَادِي ، فشكوتُ إلى الحاكمِ الخابِسِ لي ، فهِمَّ عَنِّي - « ولو
ذاتُ سِوارٍ لَطَمَنِي » ^(٣) .

وإنَّكَ لَمْ يَفْخَرْ عَلَيْكَ كَفَاخِرٍ ضَعِيفٍ ، وَلَمْ يَفْلَيْكَ مِثْلُ مُطْلَبٍ ^(٤)
فَلَمْ أَصْطَبِعْ صَبْرًا ، وَعَلِمْتُ أَنَّ الْعَاجِزَ مِنْ لَا يَسْتَبِيدُ ^(٥) ، « وَالْمَرْءُ يَمْجِزُ
لَا مَحَالَةَ » ^(٦) ، وَلَمْ أَسْتَجِزْ أَنْ أَكُونَ ثَالِثَ الْأَذَلَّانِ ؛ عَيْدُ الْحَيِّ
وَالْوَتْدِ ^(٧) .

(١) يشير إلى المثل : « إن في الشرِّ خيارًا » ، الميداني ١ : ٢٠٦ .

(٢) يشير إلى بيت نازقة :

أَبَا مُؤَنِّرٍ أَفْهَيْتَ فَاسْتَبَقِي بِمَضْمَا حَتَّى تَيْكَ بِمَضْمَا الشَّرَّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

(٣) المثل في الميداني ١ : ١٧ .

(٤) للأمريء القيس ، هيواته ٤٤ .

(٥) يشير إلى قول عمر بن أبي ربيعة في بيتيه :

لَيْتَ هِنْدًا أَنْجَزْنَا مَا تَعِدُ وَشَقْتُ أَنْفُسًا مِمَّا تَعِدُ
وَاسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبِيدُ

(٦) الميداني ٢ : ٣٠٩ ؛ والثلث من أبيات لجامعة بن مرارة الحنفي :

حَاوَلْتُ حِينَ صَرَمْتَنِي وَالْمَرْءُ يَمْجِزُ لَا مَحَالَةَ
وَالدَّهْرُ يَلْبَسُ بِالْفَتَى وَاللَّهْرُ أَرْوَعُ مِنْ ثَمَالَةَ
وَالْعَبْدُ يُفْرَعُ بِالْعَصَا وَالْحُرُّ تَكْفِيهِ الْمَقَالَةَ

(٧) يشير إلى بيتي النخس :

وَلَا يَقِيمُ عَلَى ذَلِكَ يَرَادُ بِهِ إِلَّا الْأَذَلَّانِ عَيْدُ الْحَيِّ وَالْوَتْدُ
هَذَا عَلَى الْخُسْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمَّتِهِ وَذَا يُشَجُّ فَلَا يَرِنِي لَهُ أَحَدُ

وذكرت أن الفرار من الظلم والهَرَبَ تمن لا يُطاقُ ، من سنن المرسلين ،
وقد قال تعالى على لسان موسى : ﴿ ففَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ ﴾ ^(١) .
فمنظرتُ في مفارقة الوطن ؛ إذ قد بَما ضاعَ الفاضلُ في وطنه ، وكسدَ العَلَقُ
الغَبِيظُ في مَقْدِنِهِ ، كما قال :

أَضِيعُ في مَقَشَرِي وكَم بَلَدِي يُعَدُّ عُودَ السِكْبَاءِ مِنْ حَطِيئِهِ ^(٢)
فَأَسْفَحْتُ اللَّهَ في إِنْفَازِ الْعَزْمِ ، وَأَنَا الْآنَ بِحَيْثُ أَمِنْتُ بِمَضَى الْأَمْنِ ،
إِلَّا أَنَّ السَّمَاءَ لَمْ يَرْتَفِعْ ، وَمَادَّةُ الْبَقْيِ لَمْ تَنْقَطِعْ .
وختمَ هذه الرسالة بقصيدة أولها :

شَحَطْنَا ، وَمَا بِاللَّارِ نَائِيٌّ وَلَا شَحَطُ وَشَطُّ بَيْنَ نَهْوَى الزَّارِ وَمَا شَطُّوا ^(٣)
وَمَا شَوْقُ مَقْتُولِ الْجَوَانِحِ بِالظَّمَا إِلَى نُظْفَةِ زَرْقَاءِ أَضْمَرَهَا وَقَطُ ^(٤)
بَأَرْحَ مِنْ شَوْقِي إِلَيْكُمْ ، وَدُونَ مَا أَدِيرُ الْمَنَى شَوْكُ الْقَتَادَةِ وَالْخَرْطُ ^(٥)

(١) سورة الشعراء ٢١ .

(٢) السكباء : من أعواد الطيب .

(٣) ديوانه ٢٨٥ ، وفيه : « وما للدار » وبمده :

أَحِبَابَنَا أَلَوْتُ بِحَادِثِ عَمْدِنَا حَوَادِثُ لَا عَقْدَ عَلَيْنَا وَلَا شَرْطُ
لِعَمْرِكُمْ إِنَّ الزَّمَانَ الَّذِي قَضَى بَشَتْ جَمِيعَ الشُّمْلِ مِنَّا أَمَشَتْ
وَأَمَّا السَّكْرَى مُذْ لَمْ أَرْزُكُمْ فَهَاجِرَةٌ زِيَارَتُهُ غَيْبٌ ، وَإِلْمَاءُهُ فَرَطُ

(٤) النطفة : الماء القليل الصافي . والوقط : حفرة في الصخور يجتمع فيها المطر .

(٥) القتادة : أشجار متشابهة الأغصان مليئة بالأشواك ، وخرط القتاد : جذب شوكة

بالأيدى ؛ وفي المثل : « دونه خرط القتاد » .

وفي الرَّبِّبِ الإنْسِيَّ أَخَوِي ، كِنَاسُهُ
 نَوَاحِي صَمِيرِي ، لَا السَّكِيثُ وَلَا السَّقَطُ^(١)
 عَلَيْكَ أَبَا بَكْرٍ بَكَرْتُ بِهَمَّةٍ لَهَا الْخَطَرُ الْعَالِي ، وَإِنْ نَالَهَا حَطُّ
 أَبِي بَعْدَمَا هِيلَ التَّرَابُ عَلَى أَبِي وَرَهْطِي فِدَاحِينَ لَمْ يَبْقَ لِي رَهْطُ
 وَلَوْلَاكَ لَمْ يَثْقُبْ زِنَادُ قَرِيحَتِي فَيَنْتَهَبِ الظَّلَاءُ مِنْ نَارِهَا سِقْطُ^(٢)
 هَرِمْتُ وَمَا لِلشَّيْبِ وَخُطُّ بِنَفَرٍ
 وَلَسَكُنْ لَشَيْبِ الْهَمِّ فِي كَيْدِي وَخُطُّ^(٣)
 وَقَدْ رَسَمُونِي بِالنِّسْبَةِ لَسْتُ أَهْلَهَا وَلَمْ يُرْ أَمْثَالِي بِأَمْثَالِهَا قَطُّ
 قَرَّرْتُ فَإِنْ قِيلَ الْفِرَارُ إِرَابَةٌ فَقَدْ فَرَّ مَوْسَى حِينَ هَمَّ بِهِ الْقَبْطُ^(٤)



وله الرسالة التي كتبها على لسانِ ولادة بنت المستكفي إلى الوزير
 أبي عامر بن عبدوس ، يتهكم به فيها ، فوجد فيها مكان القول ذا سمة ،
 وتلقب فيها بأطراف الكلام ، وأجاد فيها ماشاء^(٥) .

وكلُّ رسائله هكذا مشحونةٌ بفنون الأدب ، وأتمع التواريخ ، والأمثال
 الغريبة ؛ نثراً ونظماً ؛ وأنت سوف ترى نثره كيف يهزّ عطفك ، ويسحرك
 ويخدعك ، وإيس فيه سجعٌ تروّجه القوافي على النفوس ؛ ولكن هذا من
 القدرة على البلاغة .

(١) الربيب : سرب البقر الوحشي : أخوي : في شفته حمرة ضاربة للسواد . وكناس
 الطي : مأواه . والسكيب : الرمل المكس ، والسقط هنا : رقة الرمل حتى ينقطع .

(٢) السقط : الشرر ، وثقب : يتقد .

(٣) الوخط : انتشار الشيب .

(٤) الإرابة : الاتهام والشك .

(٥) هي الرسالة الهزلية ؛ شرحها ابن نباتة ؛ وقت بتحقيق هذا الشرح ، ونشر

في دار الفكر العربي .

وقال بعضُ الوزراءِ بِإِسْبِيلِيَّةٍ : عَمِدِي بَابِي الْوَلِيدِ بْنِ زَيْدُونَ قَاعًا عَلَى
جَنَازَةٍ بِمَضْ حُرْمِهِ ، وَالْفَاسُ يُعْرَوْنَهُ عَلَى اخْتِلَافِ طَبَقَاتِهِمْ ، فَمَا سَمِعْتُهُ يُجِيبُ
أَحَدًا بِمَا أَجَابَ بِهِ غَيْرُهُ ، لَسَعَةِ مَيِّدَانِهِ ، وَحُضُورِ جَنَانِهِ .

وله مع وَلَادَةِ هَذِهِ أَخْبَارُ تَطَرُّبِ الْقُلُوبِ ، وَتُسْنُفِ الْمَسَامِعِ ؛ لِأَنَّهُ خَلَعَ
فِيهَا عِذَارَهُ ، وَأَعْطَى هَوَاهُ فِيهَا فَضْلَ زِمَامِهِ . وَكَانَتْ وَلَادَةُ هَذِهِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ
الْخِلَافَةِ ، أُمِّهُ تَحْمَدُ الْمُسْتَسْكِنِي بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَهِيَ وَاحِدَةٌ زَمَانِهَا ، لِلشَّارِ إِلَيْهَا
فِي أَوَانِهَا ، حَسَنَةُ الْمُحَاضَرَةِ ، مُشْكُورَةُ الْمَذَاكِرَةِ . وَكَانَتْ مَشْهُورَةً بِالْهَيَاةِ
وَالْعَفَافِ ، كَتَبَتْ بِالذَّهَبِ عَلَى طِرَازِهَا الْيُمْنِ :

أَنَا وَاللَّهِ أَصْلَحُ لِلْمَقَالِي وَأُمَشِي مِشْيَتِي وَأَتِيهِ تَيْمَهَا
وَكَتَبْتُ عَلَى الطَّرَازِ الْيُمْنِ :

وَأُمْسِكِنْ عَائِقِي مِنْ صَخْنِ خَدِّي وَأَعْطِي قُبَاتِي مَنْ يَشْتَهِيهَا
وَكَانَ لَهَا جَارِيَةٌ سُودَاءُ بِدِيعةُ الْغَنَاءِ ، فَظَهَرَ لَوَلَادَةِ مِنْ ابْنِ زَيْدُونَ
مَيْلٌ إِلَى الْجَارِيَةِ ، فَكَتَبَتْ إِلَيْهِ :

لَوْ كُنْتُ تَنَصَّفُ فِي الْهَوَى مَا بَدَيْتُنَا لَمْ تَهَوْ جَارِبَتِي وَلَمْ تَتَخَيَّرِ
وَتَرَكْتَ غَضَنًا مُؤَمَّرًا بِجَمَالِهِ وَجَنَحْتَ لِلْفُضْنِ الَّذِي لَمْ يُبْمِرِ
وَلَقَدْ عَلِمْتَ بِأَنِّي بِدَرُ السَّمَاءِ لَسَكُنْ وَلِمْتَ لِشَقْوَتِي - بِالشُّتْرِي

وَكَانَتْ تَرْمِيهِ بِأُفْنَةٍ مَعَ فِتَاهِ عَلِيٍّ عَلَى حَالَةٍ ، فَقَالَتْ فِيهِ :

إِنَّ ابْنَ زَيْدُونَ عَلَى فَضْلِهِ يَفْتَابُنِي ظَلَمًا وَلَا ذَنْبَ لِي
يَلْحَظُنِي شَرًّا إِذَا جُمْتُه كَأَنَّمَا جِئْتُ لِأَخِي عَلَى

وَكَانَتْ تُلَقِّبُهُ الْمُسَدَّسَ ، وَتَقُولُ فِيهِ :

وَلَقَّبْتُ الْمُسَدَّسَ وَهُوَ نَعْتٌ تُفَارِقُكُ الْحَيَاةُ وَلَا يُفَارِقُ
فُلُوطِيٍّ وَمَأْبُونٌ وَزَانٍ وَدَبُوثٌ وَقَرْزَانٌ وَسَارِقٌ

وكانت فيه أيضاً:

إِنَّ ابْنَ زَيْدُونَ لَهُ قَفْحَةٌ تَمْشِقُ قَضْبَانَ السَّرَاوِيلِ
 لو أَبْصَرْتُ أَيْراً هَلَى نَخْلَةٍ صَارَتْ مِنَ الطَّيْرِ الْإِبَابِيلِ
 وَبَلَغَهُ أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْبَطْلَيْوْسِيَّ اتَّصَلَ بَوَلَادَةٍ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ قَصِيدَةً طَوِيلَةً ؛ أَوَّلُهَا :

أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْإِلَهَ اسْمُكَ وَخُذْ عِمْقَالَتِي أَوْ دَعْ^(١)
 وَأَقْصِرْ بَعْدَهَا أَوْ زِدْ وَطِرْ فِي إِثْرِهَا أَوْ قَعْ
 أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ الدَّهْرَ سَرَّ يُعْطِي بَعْدَ مَا يَنْعُ
 وَكَمْ ضَرَّ أَمْرًا أَمْرٌ تَوَقَّعَ أَنَّهُ يَنْفَعُ
 فَإِنَّ قُصَارَكَ الدَّهَائِبِ زُحَيْثٌ سِوَاكَ فِي الْمَضْجَعِ

وكانت ولادة أولادتهوى ابن زيدون ، ثم مالت عنه إلى الوزير ابن
 عبدوس ، وكان يلقب بالفار ، فقال ابن زيدون :

أَكْرَمَ بَوَلَادَةٍ عَلَقًا لِمُعْتَلِقٍ لو فَزَقْتَ بَيْنَ بَيْطَارٍ وَعَطَارٍ^(٢)
 قَالُوا أَبُو عَامِرٍ أَضْحَى يُلْتَمَسُ بِهَا قَلْتُ الْفَرَّاشَةُ قَدْ تَدْنُو مِنَ الْفَارِ
 عَيْتُمُونَا بِأَنَّ قَدْ صَارَ يَخْلِفُنَا فِيمَنْ نَحْبُ ، وَمَا فِي ذَلِكَ مِنْ عَارِ
 أَكَلِ شَيْءٍ أَصَدُّنَا مِنْ أَطَايِبِهِ بَعْضًا ، وَبَعْضًا صَفَحْنَا عَنْهُ لَلْفَارِ

وكانت قد طال عمرها وعمر أبي عامر المذكور ، حتى أُرْبِئَا على الثمانين ،
 ولم يدعَا المواصلَة ولا المراسلة .

وأما ابن زيدون فإنَّ غالبَ شِمْرِهِ وَأَغْزَالِهِ فِي وَلَادَةٍ ، وَمِنْ ذَلِكَ قَصِيدَتُهُ
 الثَّنَوِيَّةُ الَّتِي سَارَتْ فِي الْبِلَادِ ، وَطَارَتْ فِي الْعِبَادِ ، وَأَوَّلُهَا :

أَضْحَى التَّنَائِي بِدِيْلًا مِنْ تَدَا نَيْفًا وَنَابَ عَنْ طِيبِ أَقْيَانَا تَجَافِينَا^(٣)

وقد اشتهرت حتى صارت محذورة ، فيقال : إنه ما حفظها أحد إلا مات غريباً . وعارضها الناس في حياته وبعد موته ولم يقاربوها ، وأظن أن ابن زيدون عارض بها البحترى في قوله :

يَكادُ عاذِلُنَا فِي الْحُبِّ يَفَرِينَا فَا لَجَأُكَ فِي لَوْمِ الْحَيِّينَا
فُلَيْحَى عَلَى الْوَجْدِ مِنْ ظُلْمٍ قَدِيدُنَا وَجِدُّ نَعَانِيهِ أَوْلَا حِ يَمِينِنَا

وقد حمس الشيخ صفى الدين الحلي قصيدة ابن زيدون المذكورة ، وجمّلها مَرثيةً في اللآلئ المؤيد عماد الدين صاحب حماة ، فأحسن ما شاء . (١)

وقال بعض الأدباء : من لبس البياض ، وتحنّتم بالهقيق ، وقرأ لأبي عمرو ، وتفقه للشافعي ، وروى قصيدة ابن زيدون ، فقد استكمل الظرف .

وكنت وأنا في زمن الشبابة قد نظمت مَرثيةً في بعض الأصحاب الأعزّة بصفتي ، على وزن قصيدة ابن زيدون هذه ورويّها ، وهي :

تَحَكَّمَتْ بَعْدَكُمْ أَيْدِي النَّوَى فِينَا وَقَدْ أَقَامَتْ بِنَادِينَا تَنَادِينَا
وَجَرَعْتُنَا كَمْوَسَ الْحُزْنِ مَتَرَعَةً مِزَاجُهَا كَانَ زَقُومًا وَغَسَلِينَا
وَقَدْ أَنَاخَتْ بِنَا مِنْ بَعْدِكُمْ مَحَنٌ عَدَّتْ عَلَيْنَا بِمَا يُرْضَى أَعَادِينَا
وَالدَّمْعُ أَفْنَاهُ تَكَرَّرَ الْبُكَاءُ فَجَرَتْ نَفْسُنَا ذَائِبَاتٍ مِنْ أَمَاقِينَا
وَحَبَبْنَا حَالَةً فِيكُمْ مُبَدَّلَةً الَّذِ كَرَّ يَنْشُرُنَا وَالْحُزْنَ يَطْوِينَا

(١) ديوانه ٢٣٤ ، ومطالعها :

كَادَ الزَّمَانُ يَلْقِيَاكُمْ يُحْيِينَا وَحَادَثَ الدَّهْرُ بِالتَّفْرِيقِ يَشِينَا
فَمَعْدَمَا صَدَقَتْ فِيكُمْ أَمَانِينَا أَضْحَى التَّنَائِي بِدِيلَا مِنْ تَدَانِينَا

* وناب عن طيب لقيانا تجافينا *

أَضَحَّتْ عَلَيْنَا حَمَامُ الْأَيْكِ نَائِمَةً
وَكَمْ لَبِقِ الدُّجَى جَيْبٌ يُشَقِّقُهُ
وَكَمْ سَمِيرٍ مِنَ الذِّكْرِى يُطَارِحُنَا
يَا مَنْ تَحَكَّمْ فِي الْأَحْشَاءِ حُبُّهُمْ
وَمَنْ وَجَدْنَا عَلَى نَارِ الْفَرَامِ بِهِمْ
حَتَّى أَتَيْنَا فَاسْتَفْنَا وَصَالَمُ
فَمَا أَنْتُمْ لَنَا مِيقَاتِ قُرْبِهِمْ
فَكَمْ لَنَا صَعَقَةٌ خَرَّ الْفَوَادُ لَهَا
كَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِلْعُيُونِ سَنَا
مَا كَانَ ضَرْبُ لِيَالِي الْوَصْلِ لَوْ بَقِيَتْ
وَجَمَتْ شَمْلُنَا فَضْلًا وَتَكْرِمَةً
يَا دَهْرُنَا إِذْ دَعَا الدَّاعِي بِفُرْقَتِنَا
مَا كَانَ أَسْرَعَ حُكْمًا جَاءَنَا عَجَلًا
فَحُسْبُنَا يَا رِزَايَا الدَّهْرُ حَادِثُنَا
وَمَنْ تَحَقَّقْ مَا قَدْ حَلَّ مِنْهُ بِنَا
يَا بَدْرَ نَيْمٍ تَجَلَّى فِي دُجَى شَعَرٍ
وَيَا غَزَالَ النِّقَا جِيدًا وَمُلْتَفَقًا
بِاللَّهِ هَلْ ذَهَبَتْ تِلْكَ الْحَامِسُ أَوْ
وَهَلْ تَنَسَّكَرَ ذَاكَ الْفَدُ أَوْ سُلِبَتْ
وَهَلْ تَغَيَّرَ ذَاكَ الْوَجْهُ أَوْ ذَهَبَتْ
فَإِنْ شَمَمَتْ عَيْبَرًا فِي الْجِنَانِ لَأَنْدُ
وَإِنْ نَمْتَعَتْ فِي الْفَرْدَوْسِ يَأْسَكُنِي

حُزْنَا وَبَاتَتْ عِيُونَ الْعَيْنِثِ تَبْكِينَا
وَبَاطُمْ الرَّعْدُ خَدًّا حِينَ يَنْعِيفَا ^(١)
عَنْكُمْ أَحَادِيثُ أَشْوَاقٍ فَيُشْجِعِينَا
وَزَادَهُ اللَّهُ تَذْنِيبًا وَتَمْكِينَا
هُدًى وَمِنْ طُورِهِمْ فِي الْحُسْنِ نُودِينَا
وَبَاتَ لُطْفُهُمْ سِرًّا يُفَاجِعِينَا
رَبُّ قَضَى بِالَّذِي يَخْتَارُهُ فِينَا
رُغْبًا، وَبَاتَ كَلِمَ لَذَاتِ مَفْتُونَا
أَنْسَى وَلِلْأَنْفُسِ الْحَرَّى رِيَاحِينَا
وَأَرْغَمَتْ بَيْقَاكُمُ أَنْفَ وَاشِدِينَا
حَتَّى تَرَى مَا نَعَانِي مِنْ تَصَافِينَا
كَيْفَ انْخَدَعْتَ إِلَى أَنْ قُلْتَ آمِينَا !
فَسَلِّ لِدَاتِنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا
وَبَعْضُ مَا قَدْ جَرَى مِنْ ذَاكِ بَكْفِينَا
فَمَا يَزِيدُ عَلَى الدَّعْوَى بَرَاهِينَا
وَعُصْنُ بَانَ تَثْنَى فِي الرُّبَا لِينَا
وَجَنَّةُ الرُّوضِ تَفَاحًا وَنَسْرِينَا
حَالَتْ حُلَاكَ الَّتِي كَانَتْ أَمَانِينَا !
مِنْهُ الرِّشَاقَةُ لَمَّا رَاحَ مَذْفُونَا !
مَحَاسِنٌ عَنْ بَدْوَرِ التَّمِّ تُفَنِّدِينَا
فَكَيْسَ التَّعْجِيَاتِ فَادْكَرْنَا وَحَيِّدِينَا
بَطِيبِ عَيْشٍ فَلَنْ تُنْسَى لِيَا لِينَا

وكتب ابن زيدون إلى ولادة يوماً من الزهراء :

إني ذكرتُك بالزهراء مُشتاقاً والجوُّ طاقٌ ووجه الأرض قدراقاً^(١)
وللتسليم اعتلالٌ في أصائله كأنه رَقٌّ لي فاعنلٌ إشفاقاً
والروض عن مائه الفضيّ مبسّمٌ كما شَقَقَتْ عن اللبّات أطواقاً
يومٌ كأيّام لذاتٍ لنا انصرفت بعدما لها - حينَ نَمَ الدهرُ - سرّاقاً
نلهمو بما يستميلُ العينَ من زهرٍ جالَ الندى فيه حتى ملَ أعناقاً
كانَ أعينه إذ عابنتُ أرقى بكّت لما بي ، فجلَّ الدُّعُ رِقراقاً
لا أشكَن اللهُ قلباً عن نَدِّ كركمٍ ولمَ يَطرُ بحِجاجِ الشوق خفاقاً
لو شاءَ حملَ نسيمُ الريح حينَ هفاً وفاقاً كمُ بقى أضناه ما لاقى
فالآنَ أحمدُ ما كنّا لهديكمُ سلونمُ ، وبقينا نحنُ عشااقاً

ومن نظمه أيضاً :

أما مَنى نفسى فانتِ جيمهم - ياليتنى أصبحتُ بعضَ مُناكِ^(٢)
يُدنى مزارِكٍ حينَ شَطَّ به النوى وهمُ أكادُ به أَقبلُ فاكِ

ومن نظمه أيضاً :

ولقد شكوتُك بالضميرِ إلى الهوى

ودعوتُ من حَنَنِي عليكِ فأمناً^(٣)
مَنيتُ نفسى من وصالِكَ ضَلَّةً ولقد يُقرُّ المرءُ بِأرقَّةِ الدُّنَى

ومن قصيدة يمدح بها عبّادا في يوم عيد :

وآأ قضينا ما هنانا قضاؤه وكلُّ ما أوليتِ دأجَ نَمَلِجِ^(٤)
رأيناك في أعلى المصلّى ، كأنما تَطْلُعُ من محرابِ داودَ يوسفُ

(١) ديوانه ٣٤٥ ، ٣٤٦

(١) ديوانه ١٣٩ .

(٤) ديوانه ٤٩٥ .

(٣) ديوانه ١٩١ .

وَمِنْ نَظْمِهِ أَيْضًا :

بَيْتِي وَبَيْنَكَ مَا لَوْ شِئْتَ لَمْ يَضَعْ مِرَّةً إِذَا ذَاغَتِ الْأَسْرَارُ لَمْ يَذْغِ ^(١)
 يَا بَائِمًا حَظَّهُ مِنِّي وَلَوْ بُذِلَتْ لِي الْحَيَاةُ بِحَظِّي مِنْهُ لَمْ أَبْسَحْ
 بِكَفِّكَ أَنْكَ إِنْ تَحَلَّتْ قَلْبِي مَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ قُلُوبُ النَّاسِ يَسْتَطِيعُ
 تَهْ أَحْتَمِلُ ، وَأَسْتَطِيلُ أَضِيرُ ، وَعِزُّ أَهْنُ
 وَوَلَّ أَقْبِلُ ، وَقُلَّ أَتَمْنَعُ ، وَمُرُّ أَطْمَحْ

وَمِنْهُ :

أَلَمْ يَأْنِ أَنْ يَبْكِيَ الْغَامُ عَلَى مِثْلِي
 وَيَطْلُبَ نَأْرِي الْهَرَقَ مَنْصَلَتَ النَّهْلِ ^(٢)
 وَهَلَّا أَقَامَتْ أَجْمُ الزَّهْرِ مَا نَمَّا لَتَمْدُبَ فِي الْآفَاقِ مَاضِعٌ مِنْ تَبْلِي
 أَمَفْتُوَكَةَ الْأَجْفَانِ مَالِكٍ وَهَلَّا أَلَمْ تَرْكِ الْأَيَّامُ نَجْمًا هَوَى قَبْلِي
 وَلِلَّهِ فَيُنَا عِلْمٌ غَيْبٍ وَحَسْبُنَا بِهِ عِنْدَ جُورِ الدَّهْرِ مِنْ حَكْمٍ عَدْلٍ
 وَفِي أُمِّ مُوسَى عِبْرَةٌ إِذْ رَمَتْ بِهِ إِلَى الْيَمِّ فِي اللَّتَابُوتِ فَأَعْتَبِرِي وَأَعْلِي
 وَمِنْهُ مِنْ قَصِيدَةٍ كَتَبَتْ بِهَا مِنَ السَّجْنِ إِلَى ابْنِ جَهْوَر :

مَا جَالَ بَعْدَكَ لِحَظِّي فِي سَنَا الْقَمَرِ إِلَّا ذَكَرْتُكَ ذِكْرَ الْعَيْنِ بِالْأَثَرِ ^(٣)
 وَلَا أَسْتَطَلْتُ زِمَامَ اللَّيْلِ مِنْ أَسَفٍ إِلَّا عَلَى لَيْلَةٍ سَرَّتْ مَعَ الْقَصْرِ
 فِي نَشْوَةٍ مِنْ سِنَاتِ الْوَصْلِ مُوهِمَةٍ أَنْ لَا مَسَافَةَ بَيْنَ الْوَهْنِ وَالسَّحَرِ
 يَا لَيْتَ ذَلِكَ السَّوَادَ الْجُلُونَ مَتَّصِلٌ قَدْ اسْتَعَارَ سَوَادَ الْقَلْبِ وَالْبَصْرِ

(٢) ديوانه ٢٦٦ ، ٢٦٢ .

(١) ديوانه ١٦٩ .

(٣) ديوانه ٢٥٠ .

إِنَّ الْخَوَارَ لَمَفْهُومٌ مِنَ الْخَوَرِ
بَرَقَ الْمَشِيبُ اعْتَلَى فِي عَارِضِ الشَّمْرِ
وَالشَّيْبَةُ غَضَنٌ غَيْرُ مُهْتَصِرٍ
عَمْرًا فَمَا أَشْرَبَ الْمَكْرُوهَ بِالْقَمَرِ
أَنْ مَعْنَى الْأَمَانِي ضَائِعُ الْخَطَرِ
أَمْ الْكُسُوفُ لَعِبُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ
قَدْ يُودَعُ الْجَفْنُ حَدُّ الصَّارِمِ الذِّكْرِ
عَنْ كَشْفِ ضُرِّي فَلَا عَتَبَ عَلَى الْقَدَرِ
وَلَمْ أَبْتَ مِنْ تَجَنُّيهِ عَلَى حَدَرٍ
وَنَابَتِ اللَّامِحَةُ الْعَجَلَى عَنِ الْفِكَرِ
هُدُوءٌ عَيْنُ الْوَرَى فِي ذَلِكَ السَّهَرِ

فَهَمْتُ مَعْنَى الْهَوَى فِي لَحْظِ طَرَفِكَ لِي
لَمْ تَطَوُّ بُرْدَ شَبَابِي كَبِيرَةً ، وَارَى
قَبْلَ الثَّلَاثِينَ إِذْ عَهْدُ الصَّبَا كَتَبُ
يَا لَلرَّزَايَا لَقَدْ شَافَتْ مِنْهُمَا
لَا يَهْنَأُ الشَّامِتُ الْمُرْتَاخُ خَاطِرُهُ
هَلِ الرِّيحُ بِنَجْمِ الْأَرْضِ عَاصِمَةٌ
إِنْ طَالَ فِي السَّجْنِ إِبْدَاعِي فَلَا عَجَبُ
وَإِنْ يُنَبِّطُ أَبَا الْحَزْمِ الرِّضَا قَدَرُ
مَنْ لَمْ أَزَلْ مِنْ تَأْتِيهِ عَلَى رِقَّةٍ
أَغْنَتْ قَرْبَجَتَهُ مَعْنَى تَجَارِيهِ
كَمْ أَشْتَرَى بِكَرَى عَيْنَيْهِ مِنْ سَهَرٍ

ومنها :

عَرَأْسٌ مِنْ جَنَاهَا يَانِعُ الشَّرِ
رَدَّ الصَّبَاغِبِ إِشْفَاهُ عَلَى الْكَبِيرِ
جَذْلَانِ بِالْوَطَنِ الْمَالُوفِ وَالْوَطَرِ

أَحْيَيْنَ زُفَّتْ عَلَى الْآفَاقِ مِنْ أَدْبِي
لَا تَلُهُ عَنِّي فَلَمْ أَصَالِكَ مَعْتَسِنًا
وَأَشْفَعُ أَكُنْ مِثْلَ تَمْطُورٍ بِبَلَدِيهِ

وَمِنْ نَظْمِهِ فِي بَنِي جَهْوَرٍ :

مَنَاقِبُكُمْ فِي أَفْقِهَا أُنْجَمُ زُهْرُ
وَإِنْ تَبَسَّمَ الدُّنْيَا فَأَنْتُمْ هَا ثَمَرُ
حُسَامٌ عَلَيْهِ مِنْ طَلَاقَتِهِ بِشْرُ
وَمَذْهَبُكُمْ قَصْدٌ وَنَيْلُكُمْ غَمْرُ
وَحِلْمٌ وَلَا عَجْزٌ ، وَعِزٌّ وَلَا كِبَرُ

بَنِي جَهْوَرٍ أَنْتُمْ سَمَاءُ رِيَاسَةٍ
تَرَى الدَّهْرَ إِنْ يَبْطِشُ فَنُكْمٌ يَمِيشُهُ
لَكُمْ كُلُّ رَقْرَاقِ التَّمَاحِ كَأَنَّهُ
طَرِيقَتُكُمْ مِثْلِي وَهَذِي كُمُورُضًا
عَطَاءٌ وَلَا مَنٌ ، وَحُكْمٌ وَلَا هَوَى

وَمِنْ نَظْمِهِ فِيهِمْ بِمَدْحِهِ :

بَنِي جَهْوَرٍ أَحْرَقْتُمْ بِجَفَائِكُمْ جَنَانِي فَمَا بَالُ الْمَدَامِحِ تَصْبِقُ^(١) !
تَظَنُّونَنِي كَالْعَمْبَرِ الْوَزْدِ إِمَّا تَطِيبُ لَكُمْ أَنْفَاسُهُ حِينَ يَحْرَقُ

وَقَالَ يَخَاطَبُ أَبَا الْحَزْمِ بْنِ جَهْوَرٍ :

قُلْ لِلْوَزِيرِ وَقَدْ قَطَعْتُ بِمَدْحِهِ عُمرِي فَكَانَ السَّجْنُ مِنْهُ ثَوَابِي^(٢)
لَا تَخْشَى لَا أَمَّتِي بِمَا قَدْ جِئْتَهُ مِنْ ذَاكَ فِي وَلَا تَوَقَّ عِتَابِي
لَمْ تُخْطِ فِي أَمْرِي الصَّوَابَ مُوَفَّقًا هَذَا جَزَاءُ الشَّاعِرِ الْكَذَّابِ

قُلْتُ : وَمِنْ هَذِهِ الْمَادَّةِ قَوْلُ الْأَبْيُورْدِيِّ :

وَقَصَائِدُ تَحْكِي الرِّيَاضَ أَضْفَتْهَا فِي بَاخِلٍ ضَاعَتْ بِهِ الْأُخْسَابُ
وَإِذَا تَفَاشَدَهَا الرُّوَاهُ وَأَبْصَرُوا أَلْ مَمْدُوحٌ قَالُوا : شَاعِرٌ كَذَّابُ
وَقَوْلُ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي حَمْرَةَ^(٣) :

وَوَعَدْتَنِي فَظَنَنْتُ أَنَّكَ صَادِقٌ فَظَلَّاتُ مِنْ طَمَعِي أَجْبَهُ وَأَذْهَبُ
وَإِذَا اجْتَمَعْتُ أَنَا وَأَنْتَ بِمَجْلِسٍ قَالُوا : مُسْتَلِيمٌ وَهَذَا أَشَقُّ

وَقَوْلُ ابْنِ زَيْدُونَ : « لَمْ تَخْطِ فِي أَمْرِي الصَّوَابَ » ، يُشَبِّهُ قَوْلَ مُحَمَّدِ بْنِ
مَنْاذِرٍ فِي خَالِدِ بْنِ طَلِيقٍ^(٤) قَاضِي الْبَصْرَةِ :

قُلْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي مِنْ هَاشِمٍ فِي سِرِّهَا وَالْأَلْبَابِ^(٥)
إِنْ كُنْتَ لِلسَّخَطَةِ عَرْضْتَنَا بِخَالِدٍ فَهُوَ أَشَدُّ الْعِقَابِ
كَانَ قُضَاءُ النَّاسِ فِيمَا مَضَى مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَذَا مِنْ عَذَابِ

(١) ديوانه ٥٩٠ ، وَ الدخيرة ١ : ٣٠٤ .

(٢) ديوانه ٥٩١ .

(٣) ط : « فِي أَبِي حَمْرَةَ » .

(٤) وَ الْأَغَانِي ١٧ : ٢٤ (سأسى) : « كَانَ قَاضِي الْمَهْدِي » .

يَا عَجَبًا مِنْ خَالِدٍ كَيْفَ لَا يُخْطِئُ فِينَا ذَرَّةً بِالصَّوَابِ !
وَكَتَبَ إِلَى أَبِي حَفْصِ بْنِ بَرْدٍ السَّكَّانِبِ مِنَ السَّجْنِ أَيْضًا ، قِطْعَةً مِنْهَا :

مَا عَلَى ظَنِّي بِأَسُ يَجْرَحُ الدَّهْرُ وَيَأْوُ^(١)
رُبَّمَا أَشْرَفَ بِالْمَرِّ عَلَى الْأَمَالِ يَا سُ
وَلَقَدْ يُنْجِيكَ إِغْفَا لِي ، وَيُوْذِيكَ أَخْتِرَاسُ

ومنها :

يَا أَبَا حَفْصٍ وَمَا سَا وَالكَ فِي الْقَتَنِمْ لِيَا سُ
مِنْ سَنًا رَأَيْكَ لِي فِي غَسَقِ اللَّيْلِ أَفْتِيَهَاسُ

ومنها :

وِدَادِي لَكَ نَصٌّ لَمْ يُخَالِفْهُ قِيَّاسُ
يَلْبُدُ الْوَرْدُ السَّبْنَتِي وَلَهُ بَعْدُ أَفْتِرَاسُ^(٢)
إِنْ أَكُنْ أَصْبَحْتُ مُحِبُّو مَا فَلَفَيْتُ أَحْتِبَاسُ
فَتَأْتَلِي كَيْفَ يَفْشَى مُقَلَّةُ الْمَجْدِ النَّعَاسُ
وَيُفْتِ الْمِسْكُ فِي الثَّرَى بِ قِيُوطَا وَبُدَاسُ
لَا يَكُنْ عَنْهُدُكَ وَرَدَا إِنَّ عَهْدِي لَكَ آسُ
وَأِدِرْ ذِكْرِي كَأَسَا مَا أَمْتَنَّتْ كَفَّكَ كَاسُ

ومِنْ نَظْمِهِ :

أَمَا رِضَاكَ فَتَشَى مَالَهُ ثَمَنُ لَوْ كَانَ سَاعَتِي فِي مَالِكَ الزَّمَنُ^(٣)
تَبَسُّكِ فِرَاقَكَ عَيْنٌ أَنْتَ نَظَرُهَا قَدْ لَجَّ مِنْ هَجْرِهَا فِي هَجْرِكَ الْوَسَنُ

(١) ديوانه ٢٧٣ . (٢) يلبد : يقيم بمكانه ، والورد والسبني : من أسماء الأسد .

(٣) ديوانه ١٨٠ .

إِنَّ الزَّمَانَ الَّذِي عَهْدِي بِهِ حَسَنٌ
والله ما ضاعني أني خفيت ضئي
لو كان أمري في كتم الهوى بيدي
وقد حال مُذْغَاب عني وجهك الحسن
بل ساء لي أن سري في الهوى علن
ما كان يعلم ما في قلبي البدن
ومن نظمه أيضا :

لم أنس إذ بانَّت يدي ليلة
لم أشم البرق جهاماً ؛ ولم
بأمرشدي جهلاً إلى غيره
ذو باطن أنفيس نور الثقي
وشاحه الأَصق دون الوشاح^(١)
أقتدح النار بزئيد شحاح
أغنى عن المصباح ضوه الصباح
وظاهر أشرب ماء السحاح
ومنها :

لا طارَ بي حظٌّ إلى غايَةٍ
لم يذني عن أمل ماجري
وأشنع فلاشاع نغمي بما
إن سحاب الأفق منها الحيا
ما لم أكن منكم مريش الجفاح
قد رقع الخرق وتوسى الجراح
بنائه من عقد وثيق التواح
والحمد في تأييدها للرباح

ومن نظمه مهنثاً للمعتضد عباد بهزم أبنة إسماعيل لأن الأناس وقته
ولد إسحاق بن عبد الله :

وبُشْرَاكَ دُنْيَا غَضَّةَ الْعَمْدِ طَلْقَةً
دعوت فقال النضر لبيك مائلاً
وأحدث عقي الصبر في درك المني
وجدناك إن ألقحت سقيا نتجته
سل الخائن المفتر : كيف احتقابه
كما يتسم النوار عن أدمع الندى^(٢)
ولم تك كالداعي يجاوبه الصدى
كما بلغ الساري الصباح فأحمدا
وغيرك شاو حين انضج أرمدا
مع الدهر عاراً بالفرار مخلداً !

(١) ديوانه ٢٤٧ .

(٢) ديوانه ٤٦٧ .

رَأَى أَنَّهُ يُضْحِي هَزَبًا مَصَمًّا فَلَمْ يَعُدْ أَنْ أُنْسَى ظَلِيمًا مُشْرِدًا
 يَوْثُ إِذَا مَا جَنَّهُ اللَّيْلُ أَنَّهُ أَقَامَ عَلَيْهِ آخِرَ اللَّيْلِ سَرْمَدًا
 وَأَصْبَحَ يَكْفِيهِ الْمَصَابُ بِشَكْلِهِ بَكَاءَ كَيْمِيدٍ حِينَ فَارَقَ أَرْبَدًا
 وَهَذَا الْقَدَرُ يَكْفِي فِي إِيرَادِ نَظْمِ ابْنِ زَيْدُونَ .

ولما اتصل بعد فراره من سجن ابن جهور بالمعتضد بن عباد ، ولم يزل
 عنده وعند أبيه المعتمد قائم الجاه ، وافر الحرمة ، إلى أن توفى بإشبيلية ، سنة
 ثلاث وستين وأربعمائة ، كذا قال شيخنا شمس الدين الذهبي .^(١)

وقال ابن بشكوال : توفى سنة خمس وأربعمائة ، وكانت وفاته بأبيدة ،
 وسبق إلى قرطبة ودفن فيها . ومولده سنة أربع وخمسين وثلاثمائة .^(٢)

قلت : ولعل الذي قاله ابن بشكوال أقرب إلى الصواب ، على أن
 ابن بسام قال في « الذخيرة » : توفى سنة ثلاث وستين ، وكان يحضب
 بالسواد ، وكان له ولد يقال له : أبو بكر ، تولى وزارة المعتمد ، وقُتل يوم
 أخذ يوسف بن تاشفين قرطبة من ابن عباد ، رحمهم الله أجمعين .

(١) المعبر ٣ : ٢٥٣ .

(٢) لم أجده في الصلة .

رسالة ابن زيدون

وها أنا أورد الرسالة منقولة من خط الإمام علي بن ظافر ، رحمه الله تعالى ، وأئديها جمة ، ثم أعود بعد ذلك وأوردُها شيئاً فشيئاً ، من أولها إلى آخرها ، وكلما أوردت منها شيئاً أوضحتُ مُبهمه ، وفصلتُ مُجمله ، وأوردتُ ماله به علاقه ، مستعيناً في بلوغ المقصود بالله تعالى .

كتب أبو الوليد أحمد بن زيدون إلى ابن جهور :

يا مولاي وسيدي الذي ودادي له ، وأعمادي عليه ، وأعتدادي به . ومن أبقاه الله تعالى ماضى حدّ العزم ، وارى زند الأمل ، ثابت عهد النعمة . إن سلبتني أعزك الله لباس إنعامك ، وعطلتني من حلي إنباسك ، وأظمتني إلى برود إسعافك ، ونفخت بي كف حياطتك ، وغصصت عني طرف حمايتك ؛ بعد أن نظار الأنعي إلى تأملي لك ، وسمع الأصم ثنائى عليك ، وأحس الجماد بأمتحامدى إليك ؛ فلا غرو ، قد يقص بالماء شاربهُ ، ويقتل الدواء المستشفى به ، ويؤتى الخدر من مأمته ، وتكون منيّة الممتنى في أمنيته ، والحين قد يسبق حرص الحرير .

كل المصائب قد تمر على الفتى وتهون غير شمانة الأعداء وإني لأتجلد ؛ وأرى الشامتين أنى لرب الدهر لا أتضع ، فأقول : هل أنا إلا يد أذماها سوارها ، وجبين عض به إكليله ، ومشرق الصفة بالأرض صائله ، وشمس عرضه على النار مثقه ، وعبد ذهب به سيده مذهب الذى يقول :

فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً فليقس أحياناً على من يرخم
هذا القتب محمود عواقبه ، وهذه النبوة غمرة ثم تنجلي ، وهذه النكبة سحابة صيف عن قليل تقشع . وإن يربني من سيدي أن أبطأ سيده ،

أو تأخرَ غيرَ ضنين غناؤه ، فأبْطَأَ الدَّلاءَ فيضاً أملوها ، وأثْقَلَ السَّحابَ مشياً
أحفلها ، وأنْفَعُ الحيا ما صادفَ جَدْباً ، وألذُّ الشَّرابِ ما أصابَ غَلِيلاً ، ومع
اليومِ غَدٌ ، ولا كَلٌّ أَجَلَ كِتَابٍ ؛ له الحمدُ على أهْتِبالِه ، ولا عَقَبَ عليه في
إغْفالِه .

فإنْ يَكُنِ الفِعْلُ الَّذِي ساءَ واحداً فأفعاله اللّاتِي سَرَزْنَ أُلُوفُ

وأعود فأقول : ما هذا الذَّنْبُ الَّذِي لَمْ يَسْعَهُ عَفْوُكَ ، والجَهْلُ الَّذِي لَمْ يَأْتِ
مِنْ ورائِه حِلْمُكَ ، والتَّطاولُ الَّذِي لَمْ يَسْتَفْرِقْهُ تَطَوُّلُكَ ، والتَّحاملُ الَّذِي
لَمْ يَفِ بِهِ أَحْتِمَالُكَ ؛ ولا أَخْلُو من أنْ أَكونَ بَرِيئاً فأينَ العَدْلُ أو مُسَيِّئاً
فأينَ الفَضْلُ !

إلّا يَكُنْ ذَنْبٌ قَعْدَلُكَ واسِعٌ أو كانَ لِي ذَنْبٌ فَقَضَاكَ أَوْسَعُ

حَفَايِكَ ! قد بَلَغَ السَّيْلُ الرُّبِّيَّ ، ونايَ ماحِصِي بِهِ وَكُنِيَ . وما أَرَانِي
إلّا لو أَنِّي أَمِرتُ بالسَّجودِ لآدَمَ فَأَبَيْتُ وأَعْتَدَتِ ، وقالَ لِي نوحُ :
﴿ اِرْكَبْ مَعَنَا ﴾ ، فَقُلْتُ : ﴿ سَأَوِي إِلَى جَبَلٍ يَفْعِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ﴾ ، وأَمِرتُ
بِبَنِيكَ صَرْحَ لَعْلَى أَطْلَسُ إِلَى إِلِهِ مُوسَى ، وعَكَفْتُ عَلَى الْعِجْلِ ، وأَعْتَدَيْتُ
فِي السَّيْتِ ، وتَمَطَّيْتُ فَعَقَرْتُ ، وشَرِبْتُ مِنَ النَّهْرِ الَّذِي أَبْتُلِي بِهِ جُيُوشُ
طالوتَ ، وقُدْتُ الْفِيلَ لِأَبْرَهَةَ ، وعَاهَدْتُ قُرَيْشاً عَلَى مَافِي الصَّحِيفَةِ ، وتَأَوَّلْتُ
فِي بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ ، وَنَفَرْتُ إِلَى الْعِيرِ بَبَدْرٍ ، وأَخْزَلْتُ بَشْكَ النَّاسِ يَوْمَ أَحُدَ ،
وتَخَلَّفْتُ عَنْ صَلَاةِ النَّصْرِ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ ، وَجِئْتُ بِالْإِفْكَ عَلَى عَائِشَةَ الصَّدِيقَةِ ،
وَأَنْفَتُ مِنْ إِمَارَةِ أُسَامَةَ ، وَزَعَمْتُ أَنَّ بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ كَانَتْ فُلْتَةً ، وَمِنْ أَدْلَةِ
الْقُرْآنِ عَلَى خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ ، وَرَوَيْتُ رُمْحِي مِنْ كَتِيبَةِ خَالِدٍ ، وَمَزَقْتُ
الْأَدِيمَ الَّذِي بَارَكْتَ بِدُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَضَحَّيْتُ بِالْأَشْمَطِ الَّذِي عُنْوَانُ
السَّجُودِ بِهِ ، وَبَذَلْتُ لِقَطَامَ :

ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَعَبْدًا وَقَيْنَةً وَضَرَبَ عَلَى الْخَسَامِ الْمَسْمُومِ
وَكَتَبْتُ إِلَى عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ: أَنْ جَمَعَ بِالْحُسَيْنِ، وَتَمَلَّتْ عِنْدَمَا بَلَغَنِي
مِنْ وَقْعَةِ الْحَزَّةِ:

لَيْتَ أَشْيَاخِي يَبْذُرُ عَلَيَّوَا جَزَعُ الْخُزْجِ مِنْ وَقْعِ الْأَسَلِ
وَرَجَحْتُ السَّكْمَةَ، وَصَلَبْتُ الْمَائِدَةَ عَلَى النَّثِيَّةِ - لِمَكَانٍ فِيمَا جَرَى عَلَى
مَاحِطَتِي أَنْ يَسْمَى نَسْكَالًا، وَيُدْعَى وَلَوْ عَلَى الْمَجَازِ عَقَابًا.

وَحَسْبُكَ مِنْ حَادِثٍ بِأَمْرِي تَرَى حَاسِدِيهِ لَهُ رَاحِيَةً
فَسَكِيفٌ وَلَا ذَنْبٌ إِلَّا نَمِيمَةً أَهْدَاهَا كَلْبٌ - نَبَأٌ جَاءَ بِهِ فَاسِقٌ،
وَهُمُ الْهَمَّازُونَ لِلْمَشَاءُونَ بِنَمِيمٍ، وَالْوَاشُونَ الَّذِينَ لَا يَلْبَثُونَ أَنْ يَصْدَعُوا الْقَصَا،
وَالْقَوَاةُ الَّذِينَ لَا يَبْتَرُكُونَ أَدِيمًا صَحِيحًا، وَالشُّعَاةُ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ الْأَحْنَفُ
ابْنُ قَيْسٍ، فَقَالَ: مَا ظَنُّكَ بِقَوْمِ الصَّدْقِ مُحَمَّدٍ إِلَّا مِنْهُمْ!

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ الْمَرْءُ مَذْهَبٌ
وَوَاللَّهِ مَا عَشَشْتُكَ بَعْدَ النَّصِيحَةِ، وَلَا انْحَرَفْتُ عَنْكَ بَعْدَ الصَّاعِيَةِ،
وَلَا نَصَبْتُ لَكَ بَعْدَ النَّشِيعِ فَيْكَ، وَلَا أَزْمَعْتُ بِأَسَا مِنْكَ مَعَ ضَانٍ تَكَلَّفْتُ
بِهِ الثِّقَةَ عَنْكَ، وَعَهْدٍ أَخَذَهُ حُسْنُ الظَّنِّ عَلَيْكَ؛ فَقِيمَ عَيْثَ الْخِفَاءِ بِأَذْمَتِي،
وَعَاثَ الْعُقُوقُ فِي مَوَاتِي، وَتَمَكَّنَ الضَّيَاعُ مِنْ وَسَائِلِي! وَلَيْمَ ضَاقَتْ مَذَاهِبِي،
وَأَكْدَتْ مَطَالِبِي! وَعِلَامَ رَضِيْتُ مِنَ الْمُرْكَبِ بِاتِّعَالِي، بَلْ مِنَ الْغَنِيمَةِ
بِالْإِيَابِ! وَأَنْتَى غَلَبَنِي الْمَغْلَبُ، وَفَخَّرَ عَلَى الْعَاجِزِ الضَّعِيفِ، وَأَطَمَمَنِي غَيْرُ
ذَاتِ سِوَارٍ! وَمَالَكَ لَمْ تَمْنَعْ مِنِّي قَبْلَ أَنْ أَفْتَرَسَ، وَتُنْذِرَ كُنِّي وَلَيْتَا أَمَزَقَ!
أَمْ كَيْفَ لَا تَتَضَرَّعُ جَوَانِحُ الْأَكْفَاءِ حَسَدًا لِي عَلَى الْخُصُوصِ بِكَ، وَتَقْطَعُ
أَنْفَاسُ النَّظَرِاءِ مُنَافَسَةً فِي السَّكَرَامَةِ عَلَيْكَ، وَقَدْ زَانَنِي أَسْمُ خِدْمَتِكَ،
وَزَهَانِي وَسْمُ نِعْمَتِكَ، وَأَبْلَيْتُ الْبَلَاءَ الْجَمِيلَ فِي سِمَاطِكَ، وَقُمْتُ الْمَقَامَ
الْحَمُودَ عَلَى بِسَاطِكَ.

أَلَسْتُ الْمَوْلَىٰ فِيكَ غَرَّ قَصَائِدِ

هِيَ الْأَنْجُمُ أَفْتَادَتْ مَعَ اللَّيْلِ أَنْجُمًا

نَدَاءٌ يُظَنُّ الرُّوضُ مِنْهُ مَنْوَرًا ضُحَى، وَيُخَالُ الْوُثَى فِيهِ مُنْمَمًا

وَهَلْ لَيْسَ الصَّبَاحُ إِلَّا بُرْدًا طَرَزْتُهُ بِفَضَائِلِكَ ، وَتَقَلَّدَتْ الْجُوزَاءُ
إِلَّا حَقْدًا فَضَّلْتُهُ بِمَآئِرِكَ ، وَأَسْتَعْلَى الرَّبِيعُ إِلَّا ثَنَاءً مَلَأْتُهُ مِنْ تَحَايُنِكَ ،
وَبَثَّ الْمِسْكُ إِلَّا حَدِيثًا أَدْعَتْهُ فِي تَحَامِيدِكَ أَمَايُومُ حَلِيمَةٍ بِسَرٍّ .

وإن كنتُ لم أكنسك سَلِيمًا ، ولا حَلِيمَتِكَ عَطْلًا ، ولا وَسْمَتِكَ غَفْلًا ؛
بل وجدتُ أَجْرًا وَجِصًّا فَبَنَيْتُ ، وَمَكَانَ التَّوَلُّوْا ذَا سَمَةٍ فَقُلْتُ
حَاشَا لَكَ أَنْ أَعْدَّ مِنَ الْعَامِلَةِ النَّاصِبَةِ ، وَأَكُونَ كَالَّذِلَّةِ لِلْمَنْصُوبَةِ
تُضِيهِ لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ ! فَلَاكَ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ، وَهَوْبُكَ - وَنَى فِيكَ - أَوَّلِي .
وَلَعَمْرُكَ مَا جَهِلْتُ أَنْ صَرِيحَ الرَّأْيِ أَنْ أَتَحَوَّلَ إِذْ بَلَغْتَنِي الشَّمْسُ ،
وَنَبَاجَى الْمَنْزِلِ ، وَأَصْفَحَ عَنِ الْمَطَامِعِ الَّتِي تُقَطِّعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ ، فَلَا أَسْتَوْطِيهِ
الْعَجْزُ ، وَلَا أَطْمَنُّ إِلَى الْفُرُورِ ؛ وَمِنَ الْأَمْثَالِ الْمَضْرُوبَةِ : خَامِرِي أُمَّ عَامِرٍ ؛
وإنِّي مع المعرفة أَنَّ الْجَلَاءَ سِبَاءٌ ، وَالثَّقَلَةَ مُثْلَةٌ .

وَمَنْ يَفْتَرِبَ عَنْ قَوْمِهِ لَمْ يَزَلْ يَرَى

مَصَارِعَ مَظْلُومٍ : جَجْرًا وَمَسْحَبًا

وَتُدْفَنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ وَإِنْ يُسَيِّئُ

يَكُنْ - مَا أَسَاءَ - النَّارَ فِي رَأْسِ كَبْكَبَا

لَمَافَتْ بِأَنَّ الْأَدَبَ الْوَطَنُ لَا يُخَشَى فِرَاقُهُ ، وَالْخَلِيطُ لَا يُتَوَقَّعُ
زِيَالُهُ ، وَالذَّسِيبُ لَا يُجَفَى ، وَالْجَلَالُ لَا يُخْفَى . ثُمَّ مَا قِرَانُ السَّمَدِ لَكِوَا كَبْ أَبْهَى
أَتْرَا ، وَلَا أَسْنَى خَطْرَا ، مِنْ أَقْتِرَانِ غَى النَّفْسِ بِهِ ، وَانْتِظَامِهَا نَسَقًا مَعَهُ ؛ فَإِنْ

الحِزْلُ لَهَا ، الضَّارِبُ بِهِمْ فِيهِمَا - وَقَلِيلٌ مَا هُم - أَيْنَمَا تَوَجَّهْ وَرَدَ مَهْلِكٌ بِرٍّ ،
وَحَطَّ فِي جَنَابِ قُبُولٍ ، وَضَوِّحَ قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ ، وَأَعْطَى حُكْمَ الصَّيِّ عَلَى
أَهْلِهِ .

وقيل له : أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا فهذا مَبِيتٌ صَالِحٌ وَمَقِيلٌ

غَيْرُ أَنَّ الْوَطْنَ مَحْبُوبٌ ، وَالْمَنْشَأُ مَأْلُوفٌ ، وَاللَّبِيبُ يَحِنُّ إِلَى وَطَنِهِ ،
حَنِينَ النَّجِيبِ إِلَى عَطْنِهِ ، وَالسَّكْرِيمَ لَا يَجْفُو أَرْضًا فِيهَا قَوَائِمُهُ ، وَلَا يَنْتَسِي
بَلَدًا فِيهَا مَرَاضِعُهُ قَالَ الْأَوَّلُ :

أَحَبُّ بِلَادِ اللَّهِ مَا بَيْنَ مَنَعَجٍ إِلَى وَسَلَى أَنْ يَصُوبَ سَحَابُهَا
بِلَادَ بِهَا عَقُّ الشَّابِّ تَمَامِي وَأَوَّلُ أَرْضِ مَسِّ جِلْدِي تَرَابُهَا

هذا إِلَى مُغَالَتِي لَمَقْدِ جَوَارِكٍ ، وَمُنَافَسَتِي بِلَاحِظَةٍ مِنْ قُرْبِكَ ، وَأَعْتِقَادِي
أَنَّ الطَّمَعِ فِي غَيْرِكَ طَبِيعٌ ، وَالْفَنَى مِنْ سِوَاكَ عَفَاءٌ وَكُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَأِ ،
وَالْبَدَلُ مِنْكَ أَعْوَرٌ ، وَالْعَوَاضُ نَفَاءٌ .

وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى أُمِيرِي زَادَنِي صَفًا بِهِ نَظَرِي إِلَى الْأَمْرَاءِ
وَفِي كُلِّ شَجَرَةٍ نَارٌ ، وَاسْتَمَجَدَ الْمَرْخُ وَالْمَغَارُ . فَمَا هَذِهِ الْبَرَاءَةُ تَمُنُ
بِتَوْلَاكَ ، وَالْمَيْلُ عَنْ لَا يَمِيلُ عَنْكَ ! وَهَلَا كَانَ هَوَاكَ فِيمَنْ هَوَاهُ فَيْكَ ،
وَرِضَاكَ لِمَنْ رِضَاهُ لَكَ !

يَا مَنْ يَمُرُّ عَلَيْنَا أَنْ نَفَارِقَهُمْ وَخِذَانُنَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَ كُنْ عَدَمٌ
أَعْيَدُكَ وَنَفْسِي مِنْ أَنْ أَشِيمَ خَلْبًا ، وَأَسْتَمْطِرَ جَهَامًا ، وَأَكْدِمَ فِي غَيْرِ
مَسْكَدَمٍ ، وَأَشْكُو شَكْوَى الْجَرْيِ إِلَى الْعِقْبَانِ وَالرَّحِمِ ؛ فَمَا أَبْسَسْتُ لَكَ
إِلَّا لَتَدِرَ ، وَحَرَنْتُ لَكَ الْحَوَارِ إِلَّا لَتَحْنُ ، وَنَبَهْتُكَ إِلَّا لِأَنَامٍ ،
وَمَرَيْتُ إِيكَ إِلَّا لِأَحَدِ الشَّرَى لَدَيْكَ . وَإِنَّكَ إِنْ شِئْتَ عَقْدَ أَمْرٍ تَيْسَّرَ ،

وَمَتَى أَعَذَرْتَ فِي فِكِّ أُسْرِي لَمْ يَتَعَذَّرْ ، وَعِلْمُكَ حَيِطٌ بِأَنَّ الْمَعْرُوفَ ثَمَرَةُ
النِّعْمَةِ ، وَالشَّفَاعَةُ زَكَاةُ الْمُرُودَةِ ، وَفَضْلُ الْجَاهِ - تَعَوُّدٌ - بِهِ صَدَقَةٌ .

وَإِذَا أَمَرْتُ أَهْدِي إِلَيْكَ صَنِيعَةً مِنْ جَاهِهِ فَكَأَنَّهَا مِنْ مَالِهِ
لَعَلِّي أَنْ أُلْقِيَ الْعَصَا بِذَرَاكَ ، وَيَسْتَقَرَّ بِي النَّوَى فِي ظِلِّكَ ، وَأَسْتَأْنِفَ
التَّأْدِبَ بِأَدَبِكَ وَالْإِحْتِمَالَ عَلَى مَذْهَبِكَ ، فَلَا أُوجِدُ لِلْحَاوِيَةِ حَالَ حُلْطَةٍ ،
وَلَا أَدْعُ لِلْقَادِحِ مَسَاغَ أَفْطَةٍ ، وَاللَّهُ مَيَسِّرُكَ مِنْ إِبْطَالِي بِهِذِهِ الطَّلِبَةِ ، وَإِشْكَائِي
مِنْ هَذِهِ الشُّكْوَى ، بِصَنِيعَةٍ تُصِيبُ مِنْهَا مَكَانَ الْمُصْنَعِ ، وَتَسْتَوْدِعُهَا أَحْفَظَ
مُسْتَوْدِعٍ ، حَسْبَمَا أَنْتَ خَلَقْتَ لَهُ ، وَأَنَا مِنْكَ حَرِيٌّ بِهِ ؛ وَذَلِكَ بِيَدِهِ ،
وَهَيْئَتُهُ عَلَيْهِ .

وَلَمَّا تَوَالَتْ غُرُرُ هَذَا النُّثْرِ وَاتَّسَقَتْ دُرُرُهُ ، فَهَرَّ عِطْفَ غُلُوبِهِ
وَجَرَ ذَيْلَ خَيْلَانِهِ ، عَارَضَهُ بِالنَّظْمِ مُبَاهِيًا ؛ بَلْ كَابَدَهُ مُدَاهِيًا ، حِينَ أَشْفَقَ
أَنْ يَسْتَمِطِفَكَ أَسْتَمِطَافُهُ ، وَتَمِيلَ بِتَقْسِيكَ الطَّافَهُ ، فَاسْتَحْسَنَ الْعَائِدَةَ مِنْهُ ،
وَأَعْتَدَ بِالْفَائِدَةِ لَهُ ، فَمَا زَالَ يَسْتَكِدُّ الذِّهْنَ الْعَلِيلَ ، وَالْخَاطِرَ السَّكَلِيلَ ،
حَتَّى زَفَّ إِلَيْكَ عَرُوسًا مَجْلُودَةً فِي أَثْوَابِهَا ، مَنْصُوصَةً بِحُلِيِّهَا وَمَلَابِسِهَا ، وَهِيَ :

الْهَوَى فِي طُلُوعِ تِلْكَ النُّجُومِ - وَالْمُنَى فِي هُبُوبِ ذَاكَ الدَّيْمِ -
سَرَّنا عَيْشُنَا الرَّقِيقُ الْخَوَاشِي - لَوْ يَدُومُ الشَّرُورُ الْمُسْتَدِيمِ -
وَطَرَّ مَا أَقْضَى إِلَى أَنْ تَقْضَى - زَمَنٌ مَازِمًا - بِالذَّمِّ -
إِذْ خَتَامُ الرِّضَا السُّوْغِ مِسْكٌ - وَمِزَاجُ الْوِصَالِ مِنْ تَسْنِيمِ -
وَعَرِيضِ الدَّلَالِ غَضٌّ جَنَى الصَّبْرِ - نَشْوَانٍ مِنْ سُلَافِ النِّعَمِ -
طَالَمَا نَافَرَ الْهَوَى مِنْهُ عِزٌّ - لَمْ يَطُلْ عَهْدُ جِيْدِهِ بِالْتِمِمْ -
زَارَ مُسْتَخْفِيًا ، وَهِيَّاتُ أَنْ يَخْ - فِي سَنَا الْبَدْرِ فِي الظَّلَامِ الْبَهِيمِ -

فَوَيْلٌ لِّلْخُلَىٰ إِذْ مَسَىٰ وَهَمًّا عَظِيمٌ
 أَيُّهَا الْمُؤَذِّنِي بَطُلُمُ اللَّيَالِي
 مَا تَرَى الْبَدْرَ إِن تَأَمَّلْتَ وَالشَّمْسُ
 وَهُوَ الدَّهْرُ لَيْسَ يَنْفَكَ يَنْحَوِ
 بَوَّاءُ اللَّهِ جَهَّورًا أَشْرَفَ السُّو
 وَاحِدٌ سَلَّمَ الْجَمِيعُ لَهُ الْأُمُورُ
 قَلْدَ الْقَمَرُ ذَا التَّجَارِبِ فِيهِ
 خَطَرٌ يَقْتَضِي الْكَمَالَ بِفَوْعَى
 أَسْوَدَ الرُّوضِ تَطْيِيبُكَ يَحْطَى
 إِبْهَذَا الْوَزِيرُ هَا أَنَا أَشْكُو
 مَا غَنَاءُ أَنْ يَأْتِيَ السَّابِقَ الْمَرْ
 وَثَوَاءُ الْحَسَامِ فِي الْجَفْنِ يَثْنِي
 أَفْضَرُ مَثْنٍ جَسَّاءٍ مِنَ الْأَيَّامِ
 وَمَعْنَى مِنَ الصَّبَا بَهَنَاتٍ
 حَقْمٌ لَا أَعَادُ مِنْهُ فِي الْعَا
 نَارُ بَغْيٍ سَمَى إِلَى جَنَّةِ الْأَنْسِ
 بَأْبِي أَنْتَ إِنْ تَشَأْتِ بَرْدًا
 لِلشَّفِيعِ الثَّنَاءُ وَالْحَمْدُ فِي صَو
 وَزَعِيمٌ بَأْنِ يَذَلُّ لِي الصَّعْدُ
 وَثَنَاءُ أَرْسَلْتَهُ سَلْوَةَ الظَّ
 وَوَدَادٌ يُقَيِّرُ الدَّهْرَ مَا شَاءَ
 فَهُوَ رَبِّانَةٌ الْجَلِيسُ وَلَا فَخْرُ
 لَمْ تَزَلْ مُنْغِيًا عَلَى هَفْوَةِ الْجَا
 بُ إِلَى حُسْنِ كَاشِحٍ بِالْمُحِمْ
 لَيْسَ دَهْرِي بَوَاحِدٍ مِنْ ظُلُومِ
 سَهَا يُكْسِفَانِ دُونَ النُّجُومِ
 بِالْمُصَابِ الْعَظِيمِ نَحْوِ الْعَظِيمِ
 دَدِي فِي السَّرِّ وَالْأَبَابِ الصَّمِيمِ
 رَفَكَ كَانَ الْخُصُوصُ وَفَقَ الْمُؤَمِّمِ
 وَأَكْتَفَى جَاهِلٌ بِعِلْمِ عَلِيمِ
 خُلُقِي بَارِعٍ وَخُلُقِي وَسِيمِ
 نَظَرٍ مَا أَعْتَدْتَهُ وَشِيمِ
 وَالْعَصَا بَدَّ قَرَعَهَا لِلْحَلِيمِ
 بَطَّ فِي الْعَقِي مِنْهُ وَالتَّطْهِيمِ
 مِنْهُ بَعْدَ الْمَضَاءِ وَالتَّصْمِيمِ
 نَكَاتٌ بِالْكُلُومِ قَرْحُ الْكُلُومِ
 تُدْ أَنْسَ بِنِي بَيْزِهِ السَّقِيمِ
 نَارِ بَغْيٍ سَمَى إِلَى جَنَّةِ الْأَنْسِ
 بَأْبِي أَنْتَ إِنْ تَشَأْتِ بَرْدًا
 لِلشَّفِيعِ الثَّنَاءُ وَالْحَمْدُ فِي صَو
 وَزَعِيمٌ بَأْنِ يَذَلُّ لِي الصَّعْدُ
 وَثَنَاءُ أَرْسَلْتَهُ سَلْوَةَ الظَّ
 وَوَدَادٌ يُقَيِّرُ الدَّهْرَ مَا شَاءَ
 فَهُوَ رَبِّانَةٌ الْجَلِيسُ وَلَا فَخْرُ
 لَمْ تَزَلْ مُنْغِيًا عَلَى هَفْوَةِ الْجَا
 نِي مُصِيحًا إِلَى أَعْتَذَارِ الْمُحْلِيمِ

ومتى نبدأ الصَّيِّمَةَ يُؤَلِّبُكَ تَمَامُ الْخِصَالِ بِالتَّعْتِيمِ.

هاكُمَا أَعَزَّكَ اللَّهُ يَبْسُطُهَا الْأَمَلُ ، وَيَقْبِضُهَا الْخَجَلُ ، لَهَا ذَنْبُ التَّقْصِيرِ ،
وَحُرْمَةُ الْإِخْلَاصِ ، قَمَبُ ذَنْبِ الْخُرْمَةِ ، وَاشْفَعُ نِعْمَةً بِنِعْمَةٍ ؛ لِمَتَأْتِي لَكَ الْإِحْسَانُ
مِنْ جِهَاتِهِ ، وَتَسْلُكُ إِلَى الْفَضْلِ طُرُقَانِهِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

هذه الرسالة الزيدونية بجملة ما نثرنا ونظما ، منقولة من خط ابن ظافر رحمه
الله تعالى .



وهذا أوان الشروع في إبرادها على التفصيل شيئاً فشيئاً ؛ ليتأتى الكلام على ما أودعه فيها من الإشارات إلى الوقائع والأمثال ، وخلد فيها من أبياتٍ اشتهر بين الأدباء استعمالها ، وتخلل في غصون الرسائل والمكتوبات ورودها ؛ حسب الإمكان ، وبالله الإعانة .

١ - قوله : يَا مَوْلَايَ وَسَيِّدِي الَّذِي وَدَادِي لَهُ .

المولى يَجِبُ في الكلام على مَمان . [فَاَلْمَوْلَى ابْنُ الْقَم] ^(١) ، والمولى الخليف ، والمولى المنعم ، والمولى المعتقد ، والمولى المعتقد .
فَاَلْمَوْلَى أَعْلَى وَأَسْفَلَ . فهو من الأضداد ؛ فَمَنْ وَقَفَ عَلَى مَوَالِيهِ فَلَا شَفِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ : أحدها يُصْرَفُ إِلَى الْأَعْلَى ، والثاني يُصْرَفُ إِلَى الْأَسْفَلَ ، والثالث أن يشترك بينهما ، وعليه الفتوى .

وما أحسن قول أبي إسحاق الفزري :

وَلَنْ يَتَسَاوَى سَادَةٌ وَعَبِيدُهُمْ عَلَى أَنَّ أَسْمَاءَ الْجَمِيعِ مَوَالِي

وقول أبي تمام اللطائي :

مَوْلَاكَ يَا مَوْلَايَ صَاحِبُ لَوْعَةٍ فِي يَوْمِهِ وَصَبَابَةٍ فِي أَمْسِهِ
دَنِفٌ يَجُودُ بِنَفْسِهِ حَتَّى لَقَدْ أَمْسَى ضَعِيفًا أَنْ يَجُودَ بِنَفْسِهِ
وَالْمَوْلَى : الْوَلِيُّ ، وفي الحديث : « اللَّهُمَّ مَنْ كُنْتُ مُوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مُوْلَاهُ » .
وَالْمَوْلَى : الْجَارُ وَالنَّاصِرُ ، وكلُّ مَنْ وَلِيَ أَمْرًا فَهُوَ وَلِيُّهُ ، والمراد من هذه

المعاني كلها المنعم ، والمعتق ، والسيد . تقول العرب : سادَ قومَه يسودهم
سيادة ، وسودداً ، وسيدردة ، فهو سيِّدٌ ، أى فضل عليهم وأرفع عن
طبقتهم ، لما امتاز عنهم بمناقبه ؛ وما أحسن قول أبى نواس فى الفصل
ابن عبد الصمد الرقاشى :

وَجَدْنَا الْفَضْلَ أَكْرَمَ مِنْ رَقَاشٍ لَأَنَّ الْفَضْلَ مَوْلَاهُ الرَّسُولُ
أَرَادَ أَبُو نَوَاسٍ نَفْيَهُ عَنْ وَلَانِهِ ؛ لِأَنَّهُ جَمَلَهُ أَكْرَمَ تَمَّ يَنْتَمِي إِلَيْهِ ،
وَذَهَبَ إِلَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَمَا مَوْلَى مَنْ لَا مَوْلَى لَهُ » ، وَهَذَا مِنْ
الْهَجْوِ الْخَلِيفَةِ الْخَفِيِّ .

والوداد : المحبة ، تقول منه : وَدِدْتُ الرَّجُلَ أَوْدُهُ وَدَاداً ، أَحَبَبْتُهُ ،
وَالْوَدَّ وَالْوَدَّ بضم الواو وفتحها : المودة .
وَيُقَابِلُ الْمَوْلَى مَذْكُراً لِلْوَلَاةِ مُؤَنَّثَةً ، وَيُقَابِلُ السَّيِّدَ مَذْكُراً السَّيِّدَةَ
مُؤَنَّثَةً . وَأَمَّا قَوْلُ الْفَاسِ : « لَسْتُ » ، فَلَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ ، بَلْ هُوَ مَوْلَا ،
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْبَهَاءِ زُهَيْرٍ :

بَنَفْسِي مَنِ انْتَمَيْهَا سَيِّئِي فَزَعَمْنِي النُّعْمَاءُ بَيْنَ مَقَتٍ (١)
يَرَوْنَ بَأَنِّي قَدْ قَاتُ الْخَنَاءُ فَكَيْفَ وَإِنِّي لَزَهَيْرُ رَفَتِي
وَقَدْ مَلَكَتْ جِهَاتِي السَّتُّ حَقًّا فَلَا عَجَبٌ إِذَا مَا قَتُ : سَيِّئِي
وَقَالَ الْبَاخَرَزِيُّ :

إِنِّي لَأُعَشِقُ سَيِّئِي إِلَى وَالَّذِي شَقَّ نَحْمِي
وَقَدْ غَلَبَ عَلَى كِتَابِ الْحُكْمِ عَنِ الْقَضَاءِ أَنْ يَقُولُوا : سَيِّدُنَا وَمَوْلَانَا
قَاضِي الْقَضَاءِ ، فَيَا يَكْتَبُونَهُ مِنَ السَّجِلَاتِ وَغَيْرِهَا ، وَالصَّوَابُ فِيهِ تَقْدِيمُ مَوْلَانَا
عَلَى سَيِّدِنَا ، لِأُمُورٍ :

الأول : أن كتاب الإنشاء هم الأصل في هذه الصناعة ، وأول ما يقولون :
المولوى الأميرى ، ويأتون بالسيد بالآخر .

الثانى : أن العرب كذا قالوا ، قالت الخنساء في أخيها صخر :

وإن صخرًا مولانا وسيدنا وإن صخرًا - إذا نشئوا - لنحار^(١)
وإن صخرًا لنا ثم الهداة به كأنه علم في رأسه نار
حاجي الحقيقة محمود الحليقة من دى الطريقة نفاع وضرار

ولا نورد عليها ما يروى عن أبي عثمان المازني ، قال : رأيت أبا فرعون
المدوائى ومعه ابتاه ، وهو في سكة العطارين بالبصرة يقول :

بنييتى صابرا أبا كذا إنكنا بعين من يراكنا
الله ربى سيدى مولانا كذا ولو يشا بفضله أغنا كذا

لأن الكلام في المعطوف ، وليس هذا فيه عطف ؛ لأن مثل هذا
لا ترتيب فيه ، كقوله تعالى : ﴿ غَافِرُ الذَّنْبِ وَقَابِلُ التَّوْبِ ﴾^(٢) ، والله تعالى
يقبل التوبة أولاً ، ثم يعفو الذنب .

والثالث : لأن البلاغة أن يذكر الأعم ثم الأخص ، كقوله تعالى :
﴿ فِيهِمَا فَارِحَمةٌ وَنَجَلٌ وَرَمَانٌ ﴾^(٣) ، وقوله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ
وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾^(٤) .

فالولى أعم من السيد ، لأن المولى يطلق على ممان كما تقدم ، والبلاغة
أن تقول : يا صاحبي ، يا أخى ، يا حبيبي ؛ لأن الأصحاب كثيرة ، والأخوة
أقل منهم ، والحبيب لا يكون إلا واحداً .

ومن أقوى أدلة الميزة في تفضيل الملائكة على الأنبياء ما يستدلون

(٢) سورة غافر ٢ .

(١) ديوانها ٧٩ .

(٤) سورة البقرة ٩٨ .

(٣) سورة الرحمن ٦٨ .

به من الأدلة السَّمْعِيَّةِ قوله تعالى : ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (١) . قالوا : والبلوغ لا يقول : لا أفكر في السلطان ، ولا في الوزير ، والصحيح ما قاله أهل السنة ، وليس هذا بموضع بيان هذه المسألة .
وتما يؤيد ما قلناه ، أن سيّد العلماء والفُصحاء ، إمام الحرمين (٢) ، قال في كتاب الإرشاد : القول في نبوة مولانا وسيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم :
وتقول القرب : إن من نعم السيّد أن يكون آخياً ، ضخم الهامة ، جهم الصوت ، إذا خطأ أبعد ، وإذا يؤمل ملأ العين مهابة ؛ لأن حقه أن يكون في صدر المجلس ، أو ذروة منبر ، متفرداً في مؤكب ؛ ويقولون في نعمته : يملأ العين جهالاً ، والسمع مقالا .

وقال دغبل :

فإذا جالسته صدّرته وتخيّلت له في الحاشية (٣)
وإذا سائرته قدّمته وتأخّرت مع المستقيمة
وإذا عاشرته صادفته شرس الرأي أبيا داهية
فأحمد الله على صخبته وسلّ الرحمن منه العافية
ويؤيد هذا قول الفَرَزْدَق :

يقلب رأساً لم يكن رأس سيّد وعيّنأ له حولاء باد عيوبها (٤)
وقال رجل لمرّضى الله تعالى عنه : من السيّد ؟ قال : الجواد حين يسأل ، الحليم حين يستجمل ، الكريم المجالس لمن جالسه ، الحسن الخلق لمن جاوزه . والذي أظنه أن السيّد عند العرب ، من ساد قومه أو غيرهم بصفاته الحمود ، ولا يتوقف في ذلك على أصالة ولا نسب ، من قول القائل :

(١) سورة النساء ١٧٢ .

(٢) إمام الحرمين ، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني ، الملقب بإمام الحرمين ، أعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي ، وكتابه الإرشاد في أصول الدين ؛ توفي سنة ٤٧٨ . (٣) ديوانه ٢٥٥ . (٤) ديوانه ٥١ .

نفسُ عِصَامٍ سَوَدَتْ عِصَامًا وَعَلَمَتْهُ الْكَرَّةُ وَالْإِفْدَامَا^(١)
وقال عامرُ بنُ الطَّفِيلِ :

فَمَا سَوَدَتْني عَامِرٌ مِنْ كِلَالَةٍ أَبَى اللَّهُ أَنْ أَسْمُو بِأَمٍّ وَلَا أَبِ^(٢)
وَلَكِنِّي أَحْيَى حِمَاهَا وَأَتَقَى أَذَاهَا ، وَأُرْمِي مَنْ رَمَاهَا بِمَقْنَبِ^(٣)

وقد أنصفَ عمرو بنُ عُبيد المعروف بالحزبن حيث قال :

وَتَلَقَى الْفَتَى ضَخْمًا جَمِيلًا رُوَاؤُهُ يَرُوعُكَ فِي النَّادَى وَلَيْسَ لَهُ عَقْلٌ^(٤)
وَأَحْرَ تَذْبُو الْعَيْنُ عَنْهُ مُهْدَبٌ يَجُودُ إِذَا مَا الضَّخْمُ هَمَّتْهُ الْبُخْلُ^(٥)

فصل

هل يجوز إطلاق هذين الاسمين على الله تعالى ؟ نعم يجوز ذلك .

أما المولى فقد نطق به القرآن العظيم في غير موضع ، وأما السيد فقد جاء مأثوراً عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ذكر ذلك الإمام الحافظ ، ركن الإسلام ، سيف السنة ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي البروجردى رضى الله عنه في كتاب الأسماء والصفات ، قال : أخبرنا أبو علي الروذباري ، أنبأنا أبو بكر بن داسة ، حدثنا أبو داود ، حدثنا مسدد ، حدثنا بشر بن الفضل ، حدثنا أبو سلمة سعيد بن يزيد ، حدثنا أبو بصرة^(٦) ، عن مطرف ابن عبد الله بن السخير ، قال : انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله

(١) ينسب إلى النابغة الذبياني ، العقد الثمين ١٧٥ .

(٢) حاشية ابن السجري ٧ ، الشعر والشعراء ٢٩٤ .

(٣) المقنب : جماعة الخيل من الثلاثين إلى الأربعين .

(٤) الأغاني ١٥ : ٣٣٧ .

(٥) الأغاني : « نهيه البخل » .

(٦) هو أبو بصرة الفخاري ، واسمه جميل بن بصرة . تقريب التهذيب ٢ : ٣٩٥ .

حلى الله عليه وسلم ، فقلنا : أنت سيدنا ، فقال : السيد الله ؛ فقلنا : وأفضلنا
فضلا ، وأعظمنا طولا ؛ فقال : قولوا بقولكم ، أو بيمض قولكم ،
ولا يستجربنكم الشيطان .

وقال الحلبي^(١) رحمه الله تعالى : ومعناه : المحتاج إليه بالإطلاق ؛ فإن سيد
الناس إنما الذي إليه يرجعون ، وبأمره يعملون ، وعن رأيه يصدرُونَ ، ومن
قوله يستمدون . فإذا كانت الملائكة والإنس والجن خائفا للبارئ جلّ
ثناؤه ، ولم يكن بهم غنية عنه في بدء أمرهم وهو الوجود ، إذ لو لم يؤجدهم
لم يؤجدوا ، ولا في الإبقاء بعد الإيجاد ، ولا في الموارض العارضة أثناء البقاء ؛
كان حقا له جلّ ثناؤه أن يكون سيّدا ، وكان حقا عليهم أن يدعوه بهذا
الاسم . انتهى .

وقال الشَّهْبِيلِي^(٢) : والذي أقول في السيّد ، إنه يعتبر بالإضافة ، لأنه في أصل الوضع
بعض ما يضاف إليه ، تقول : فلان سيّد قيس ، إذا كان منهم ، ولا تقول
في قيسى : سيّد بنى تميم ؛ فلذلك لا يقال : الله سيّد الناس ، ولا الملائكة ،
وإنما يقال : ربهم . فإذا قلت : سيّد الأرباب وصيّد السكرماء جاز ؛
لأن معناه أعظم الأرباب ، وأكرم الأكرمين . وقد منيع أن يشتق له من
الستودد ؛ ولا حجة في قول حسان برئى رسول الله صلى الله عليه وسلم :
في حنة القردوس فاكتبها لنا يا ذا الجلال وذا الملا والشؤد^(٣)

لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يسمها فيقرها .

(١) هو الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري ، صاحب كتاب المتاج في شعب
الإيمان ، توفي سنة ٤٠٣ . الإعلام للزركلي ١ : ٢٥٣ .
(٢) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الحنفي ، صاحب الروض الألف والتعريف
والإعلام فيما أبهم في القرآن . توفي سنة ٥٨١ . ابن خلكان ١ : ٢٨ .
(٣) ديوانه ٩٨ .

هذا ملخصُ كلامِ الشَّهيدِ ؛ وفيه نظر ، لأنَّ الخلفاءَ الراشدينَ والصَّحابةَ
المُتَّبعينَ تسموهم وأقرُّوها . وما أحسنَ قولَ الإمامِ أبي الفضلِ طاهرِ بنِ
اللفقيهِ الحدَّثِ :

أشارتُ إلى بُعْثَةِ مُخَضَّبَةٍ مِنْ دَمِ الْأَفِيدَةِ
وَقَالَتْ : عَلَى الْمَهْدِ يَا سَيِّدِي ؟ فَقُلْتُ إِلَى الْخَشْرِ يَا سَيِّدَةَ

وَقَالَ أَبُو الْعَلَاءِ الْمَعْرِيُّ :

حَسَابُكُمْ عِنْدَ الْمَلِكِ وَمَا لَكُمْ
وَدَادِي لَكُمْ لَمْ يَنْقَسِمِ وَهُوَ كَامِلٌ كَمَشْطُورٍ وَزَنْ لَيْسَ بِالْمَقْصَرِّعِ
الشَّمْرُ كُلُّهُ بِصَرِّعٍ إِلَّا الْمَشْطُورُ مِنَ الرَّجَزِ وَالسَّرِيعُ فَإِنَّهُ لَا يَصْرِّعُ ؛ لِأَنَّهُ عَلَى
ثَلَاثَةِ أَجْزَاءَ ، كَقَوْلِ رُؤْبَةِ :

* وَقَامِ الْأَعْمَاقِ خَاوِيِ الْمُخْتَرَفِينَ * (١)

وُسَمِيَ الْمَشْطُورَ لِذَلِكَ ، لِأَنَّهُ حُذِفَ مِنْهُ شَطْرُ الْبَيْتِ ، وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ
مُحَمَّدِ بْنِ غَالِبِ الرُّضَافِيِّ :

لَكَ الْوُدُّ الَّذِي لَا رَيْبَ فِيهِ وَإِنْ بَقِيَتْ نَوَاكٍ عَلَى التَّمَادِي
إِذَا كَرُمْتَ عَهْدُ الْمَرْءِ طَنِيمًا فَأَكْرَمُ مَا يَكُونُ عَلَى الْبِمَادِ
* * *

٢ - وَقَوْلُهُ : وَأَعْتَمَدِي عَلَيْهِ ، وَأَعْتَدَادِي بِهِ .

فَقَوْلُ الْقَرَبِ : اعْتَمَدْتُ عَلَيْهِ فِي كَذَا ، أَيْ اتَّكَلْتُ عَلَيْهِ ؛ وَأَعْتَمَدْتُ
عَلَى الشَّيْءِ ؛ بِمَعْنَى اتَّكَلْتُ وَأَسْتَنْدْتُ . وَأَعْتَدَادِي بِهِ ، أَيْ عُدَّتِي أَلَيَّ
أَدْخَرْتُهَا لِيَوْمِ حَاجَتِي .

(١) - قط الزند : ١٥٧٦ :

(٢) خزائن الأدب ٨١ ، والفتنة : الغيرة . والأعماق : جمع عمق ، وهو ما بعد من أطرافه
المفاوز ، والمخترق : مكان الاختراق . والتنوين للترغم .

وقد أنى ابن زيدون في هذه الألفاظ بالترصيع ، وهو من أنواع
 البديع ؛ لأنه قال : « الذى ودادى له ، وأعتادى عليه ، واعتداده به » ، فأنى
 بالدال وبمدّها الياء ، وهى ضميرُ المتكلم ، وعدّى كل واحدٍ بحرفٍ جرٍّ : له ،
 وعليه ، وبه ؛ وهذا نوعٌ من المبالغة يدلّ على قوّة المارضة وسعة للمباراة .
 وما أحسن قول شيخ الشيوخ شرف الدين عبد العزيز :

لما ملكَ واحدٌ ما أُشهى ولكنّا لم نجدْ مثله
 ملاذى به ، ومثولى لديه ، ومثلى إليه ، ومدحى له
 ومثلُ هذا قولُ الآخر :

كُتبتُ وشيئاتُ حالى غلبنْ إلى سيّدٍ جلٍّ عن مُشبهه
 فسوّى إليه ، وشكرى له وشعرى فيه ، وشغلى به
 وكُتبتُ إلى بعضِ الأصحاب :

كُتبتُ لمولى نأت دارهُ وشيئاتُ حالى وقفَ لديه
 فسوّى إليه ، مُتّوى به ، سؤالى عنه ، سلامى عليه
 وكُتبتُ أيضاً :

كُتبتُ ودالاتُ حالى كما تراها إلى سيّدٍ لم أخنه
 دُعائى ودَمعى ودأبى ودأبى ، له وعليه وفيه ومنه
 وما أحسن قولَ الباخرزى :

سقى اللهُ مالين من قربةٍ غاماً نداهُ عن الخَلِ يَبهى
 فأنسى وجرعى ومِلْسكى ومالى بها وعليها وفيها ومنها
 وقال الحريرى في مقاماته (١) :

فهذه قصتي وقصّته فانظروا إلينا وبيننا ولنا

(١) مقامات الحريرى ٧٤ « من المقامة الثامنة » .

٣- وقوله : مَنْ أَبْقَاهُ اللَّهُ مَاضِيَ حَدِّ الْقَرْمِ ، وَارَى زَنْدِ الْأَمَلِ ،
ثَابِتَ عَهْدِ النِّعْمَةِ .

ماضى حدّ القرم ، أى جاد القرمية ، والماضى : السيف النافذ فى الصّريبة .
والقرم : الصريبة ، قال الله تعالى : ﴿وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾^(١) ، وعزمت على الأمر أعزم
عزماً وعزّمانا - بضم اللعين - وعزيمة وعزيماً ، إذا أردت فعله .
وَارَى زَنْدِ الْأَمَلِ ، ورى الزند إذا خرجت ناره وقت الافتداح . والزند :
المقدحة . وَالْأَمَلِ : الرجاء .

وَنَابِتَ عَهْدِ النِّعْمَةِ ، الثابت للتمكّن الموثق ، والمعهد : الأمان واليمين ،
والموثق والذمة والحفاظ .

وَالنِّعْمَةِ : تأنيث النعيم ، وهو ضدّ الشقاء ، ومعناه : والتى أبقاه الله
وعزّمه ماضى الحدّ ، وأمله وارى الزند ، ونعمته ثابتة العهد ، فهذه الجمل
واقعة موقع الحال ، وفيها ثلاث استعارات ، وهى : المضاء لحدّ القرم ،
كأنه لا يعزم على شيء إلا أمضاه ونفّذ فيه حدّه . وورى زند الأمل كأنه
لا يؤمل شيئاً ، إلا وهو يرى نوره . وثبات عهد النعمة ، أى لا تغيّر له ذمة
نعمة ، بل هى محفوظة أبداً عليه .

قال الصولى^(٢) : أَخَذَ الْكِتَابَ قَوْلُهُمْ فِي الدَّعَاءِ : « وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ،
وَزَادَهَا » مِنْ قَوْلِ عَبْدِ بْنِ الرَّقَّاعِ :
صَلَّى الْإِلَهَ عَلَى أَمْرِيَّ وَدَعْتَهُ وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَهَا^(٣)

(١) سورة طه ١١٥ .

(٢) هو محمد بن يحيى الصولى فى كتابه أدب الكتاب ص ١٧٤ .

(٣) الشعر والشعراء ٦٠٢ ، وروايته : « صلى عليك » .

حضر أعرابيٌ وَاِيْمَةً ، فرأى نِعمَةً ، فقال : النِّعم ثلاث : نعمة في حال كونها نِعمَةً ، ونعمة تُرَجَى مستقبلة ، ونعمة تأتي غير محسبة ، فأدام الله لك ما أنت فيه ، وحقق ظنك فيما ترجوه ، وتفضل عليك بما لا تحسبه .

وذكرتُ بقوله : « ماضٍ حدُّ العزم » ، قولَ ابنِ السَّعَاطِي يمدح بعضَ أولادِ صلاح الدين :

وَأَبْقَى ضَافِي ثَوْبِ النِّعَمِ قَرِيرًا مَنِ نَضَرَ الْجَنَابَ ، صَافِي الْوُرُودِ
بَيْنَ عَزْمٍ مَاضٍ ، وَحُكْمٍ مُطَاعٍ وَمُرَادٍ دَانٍ ، وَعَيْشٍ رَغِيدِ

* * *

٤ - وقوله : إِنْ سَلَبْتَنِي أُعْزِكَ اللَّهُ لِبَاسَ إِنْعَامِكَ ،
وَعَطَّلْتَنِي مِنْ حُلِيِّ إِيْنَابِيكَ .

الاستلاب : الأخفلاس . واللباس : ما يُوارى الجسد . والإنعام : المنّة واليد ، وما أنعم به عليك .

والتمطيل : خلأٌ جيد المرأة من القلائد ، يقال : امرأةٌ مِطْطَالٌ ، إذا كانت عاريةً من الحليّ ، والحليّ^(١) : ما تَحُلِّي به المرأة من خاتمٍ وسوارٍ وقِلادةٍ . والإيفاس : مصدرُ الأنس ، وهو ضدُّ الوحشة ؛ يقول : إِنْ أَخَذْتَ مِنِّي ، وَأَخْتَلَسْتَ مَا كَانَ لَكَ عَلَيَّ مِنْ لِبَاسِ الْإِنْعَامِ ، وَتَرَكْتَنِي عَاطِلًا مِنْ حُلِيِّ أَنْسِكَ بِي ، وَأَنْسَى بِكَ وَهُوَ الْأَوَّلَى .

وقد استمار الاستلاب اللباس ، والمطل للحليّ ، وهي استمارةٌ حسنة ، كان لإنعامه كان له بمنزلة للباس ، فأرتجمه وسلبه ، وكان إيفاساً له كان

(١) الحلي جمع حلي ، ينتج الحياء وسكون اللام .

يُنْزِلُ الْحُلَى لَهُ ، فَعَطَّلَهُ مِنْهُ ، وَتَرَكَ جِدَّهُ بِلَا قِلَادَةٍ عَارِيًّا مِنْ حُلَى الْأَنْسِ .
وما أحسن قول أبي بكر أحمد الصنوبري :

وإنْ أَبْدَلْتَنِي بِاللَّهِمِ لِي مِنْ أَخْلَاقِكَ الْوَعْرَا
وَعَادَ الْحُلُوِّ مِنْ وَدِّكَ لِي فِيمَا مَضَى مَرًّا
إِذَا مَا زِدْتِكَ الْآنَ وَفَاءً زِدْتَنِي غَدْرًا
فَمَا تَسْمَعُ لِي قَوْلًا وَمَا تَقْبَلُ لِي عَذْرًا
وَمَا لِي فِيكَ إِلَّا الصُّبْرُ ، سَاءَ الدَّهْرُ أَوْ سَرًّا (١)

هـ — قوله : وَأَظْمَأْتَنِي إِلَى بَرُودِ إِسْعَافِكَ ، وَنَفَضْتَنِي
كَفَّ حَيَاطَتِكَ .

نَظْمًا : الْعَطَشُ ، وَالْبَرُودُ : الشَّيْءُ الْبَارِدُ ، وَقَالَ الشَّاعِرُ :
* بَرُودُ الشَّفَايَا وَاضِحُ الشَّفْرِ أَشْلَبُ *

وَالْإِسْعَافُ : الْإِنْجَادُ وَالْإِغَاثَةُ ، وَالنَّفْضُ : الطَّرْحُ ، وَالْحَيَاطَةُ : الْإِحَاطَةُ
بِالشَّيْءِ ، وَهُوَ الْاِسْتِيْلَاءُ عَلَى جَمِيعِ نَوَاحِيهِ .

يَقُولُ : وَأَعْطَشْتَنِي إِلَى بَرُودِ إِغَاثَتِكَ لِي وَإِنْجَادِي ، وَطَرَحْتَنِي مِنْ كَفِّ
حَوْزِكَ .

وَقَدْ أَسْقَمَارَ الظَّمَا — وَهُوَ شِدَّةُ الْعَطَشِ — إِلَى بَرْدِ الْإِسْعَافِ ، وَنَفَضَ الْكَفَّ
مِنْ الْإِحَاطَةِ بِهِ وَالْحَوْزَةِ لَهُ ؛ وَذَلِكَ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ .

٦ - وقوله: وَغَضَضْتُ عَنْ طَرَفِ حِمَايَتِكَ .

تقول العرب : غَضَّ طَرَفَهُ ، أى خَفَضَهُ ، وَالطَّرْفُ هُوَ الْبَصَرُ . وَالْحِمَايَةُ : الْوِقَايَةُ . يقول : وَغَضَضْتُ طَرَفَ حِمَايَتِكَ عَنِّي ، فَتَرَكْتَنِي غَرَضًا لِهَاضِبَاتِ الْحَوَادِثِ .

وقد أَسْتَعَارَ الطَّرْفَ لِلْحِمَايَةِ ، لِأَنَّهُ كَانَ الَّذِي يَحْمِيكَ وَيَقِيمُكَ كَأَنَّهُ نَازِرٌ إِلَيْكَ بِحِفْظِكَ مِنْ كُلِّ مَا يَهْدُوكَ أَمْرُهُ ؛ لَا جَرَمَ أَنَّهُ حَسُنَ أَسْتِيسَالُ الْفَضْلِ هُنَا لَطَرَفِ الْحِمَايَةِ ، وَهِيَ أَسْتِعَارَةٌ حَسَنَةٌ .

وقد أَخَذَ ابْنُ زَيْدُونَ يَمُدُّ عَلَى ابْنِ جَهْوَرٍ مَا عَامَلَهُ بِهِ مِنَ الْجَفْوَةِ ، وَكَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَقُولَ : إِنْ سَلِمْتَنِي لِإِبَاسِ إِنْعَامِكَ بَعْدَ أَنْ نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى تَأْمِينِي لَكَ ، وَلَسَكُنْهُ وَفَى الْمَقَامَ حَقَّهُ مِنْ تَمَدُّدٍ مَا وَجَدَهُ مِنْهُ ؛ مِنْ سَلَمِهِ لِإِبَاسِ إِنْعَامِهِ ، وَتَعَطُّيلِهِ مِنْ حُلِيِّ إِيْنِاسِهِ ، وَإِظْمَانِهِ إِلَى بَرُودِ إِنْعَامِهِ ، وَتَقْصُصِ كَفِّ الْحِيَاظَةِ ، وَغَضُّ طَرَفِ الْحِمَايَةِ . . . وَلَا شَكَّ أَنَّ تَمَدُّدَ الظُّلَامَاتِ أَبْلَغَ وَأَحْلَبَ لِلرَّحْمَةِ ، وَأَدَلَّ عَلَى التَّوَجُّعِ ، وَهَذَا كَقَوْلِ الشَّاعِرِ :

قال لى : كَيْفَ أَنْتَ أَقْلْتُ : عَلِيلُ سَهْرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلُ (١)

وكقول الحماسي :

أَسِجْنًا وَقَيْدًا وَأَشْتِيفًا وَغُرْبَةً وَنَائِي حَبِيبٍ ! إِنْ ذَا كَمَطِيمُ (٢)
وإِنَّ أَمْرًا تَبْقَى مَوَائِقُ عَهْدِهِ عَلَى مِثْلِ مَا لَاقِيَتْهُ أَسْكَرِيمُ
وكقول الآخر :

(١) معاهد التنصيص ١ : ١٠٦ ، من غير نسبة .

(٢) ديوان الحماسة - بشرح المرزوقي ١٣١٥ ، ونسبه إلى بعض الأعراب .

ولقد أردتُ الصَّبْرَ عنكَ فما قفى عَنَّقُ بِقَابِي مِنْ هَوَاكَ قَدِيمُ
يَبْقَى عَلَى حَدَثِ الزَّمَانِ وَرَبِّهِ وَعَلَى جَفَائِكَ ، إِنَّهُ الْكَرِيمُ

وقول ابن القيم :

ضَاعَ سَمِّي وَخَمْتُ ، خَابَتْ أَعَادِي لَكَ ، وَمَنْ يَبْتَغِي لَكَ الْأَسْوَاءَ
وَأَحْتَمَلْتُ الْحُرْمَانَ وَالنَّفْعَ وَالْإِي مَادَ وَالذُّلَّ وَالْجَوَى وَالْجَفَاءَ
وَتَحَمَّلْتُ وَأَصْطَبَرْتُ فَلَمْ يُبَيِّ قِي عَلَى عُودِي الزَّمَانُ لِحَاءً^(١)
أَطْلَى هَذِهِ الْمَصِيبَةَ صَبْرٌ لَا ؛ وَلَوْ كُنْتُ صَخْرَةً صَمَاءَ
وَمَا قُلْتُ أَنَا :

يَا تَقْوِي سَأَلْتُكُمْ خَبْرُونِي : هَكَذَا كُلُّ مَنْ أَحَبَّ حَبِيبَةً !
سَقَمَ زَائِدٌ ، وَدَمَعُ وَسُوءٌ ، وَلَحَا عَاذِلِي تَمَامُ الْمَصِيبَةِ^(٢)

٧ - وقوله : بَعْدَ أَنْ نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى تَأْمِيلِي لَكَ .

يقول : فَمَلَّتْ بِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ سَلْبِ لِبَاسِ إِنْعَامِكَ ، وَمَا بَعْدَهُ مِنَ
الْجَمَلِ الْمَطْوُوفَةِ ، بَعْدَ مَا نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى تَأْمِيلِي لَكَ - وَهَذِهِ مُبَالَغَةٌ زَائِدَةٌ ؛
وَهُوَ أَنَّ التَّأْمِيلَ أَمْرٌ مَعْنَوِي لَا تُشَاهِدُهُ الْعَيْنُ - وَأَنَا كُنْتُ مُبَالَغًا فِيمَا
أَمْلَيْتُهُ مِنْكَ وَرَجَوْتُهُ ، حَتَّى رَأَى الْأَعْمَى مِنْ شِدَّةِ انْتِصَافِي وَتَلَبُّسِي بِهِ . وَهَذِهِ
مُبَالَغَةٌ عَظِيمَةٌ فِي هَذَا الْمَعْنَى ، وَهُوَ يُشِيرُ إِلَى قَوْلِ أَبِي الطَّائِبِ :

أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدَبِي وَأَصَمَّتْ كَيْلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمٌ^(٣)

(١) ط : « رجاء » .

(٢) يقال لحا الرجل ، يلحاه لحاء ؛ أى لامة ، ولحاهنا مقصور لحاء .

(٣) ديوانه ٣ : ٣٦٧ .

وهذا من قصيدته التي يقول في أولها :

وَاحَرَّ قَلْبَاهُ يَمِّنْ قَلْبُهُ شَيْمٌ وَمَنْ بِجِسْمِي وَحَالِي عِنْدَهُ سَقَمٌ
وَقَفَ الْقَاضِي نَاصِرُ الدِّينِ شَافِعُ بْنُ عَلِيٍّ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - عَلَى شَيْءٍ
مَنْ نَظَّمَ الشَّيْخُ شَرَفُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الْوَحِيدِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

أَرَانَا يِرَاعُ ابْنَ الْوَحِيدِ بِدَائِمًا تَشْوِقُ بِمَا قَدِ أَهْجَتْهُ مِنَ الطَّرَاقِ
بِهَا فَاتَ كُلُّ النَّاسِ سَبَقًا ، فَجَبَذَا يَمِينٌ لَهُ قَدْ أَحْرَزَتْ قَصَبَ السَّبَقِ
فَقَالَ ابْنُ الْوَحِيدِ يَمْدَحُهُ وَيَشْكُرُهُ :

يَا شَافِعًا شَفَعَ الْعَلَمِيَا بِحِكْمَتِهِ فَسَادَ مَنْ رَاحَ ذَا عِلْمٍ وَذَا حَسَبٍ
بَانَتْ زِيَادَةُ حَظِّي بِالسَّمَاعِ لَهُ

وَكَانَ يَحْكِيهِ فِي الْأَوْضَاعِ وَالنُّسَبِ
فَجَاءَنِي مِنْهُ مَدْحٌ صَبِيغٌ مِنْ ذَهَبٍ مُرَصَّعًا ، بَلْ أَنَّى أَبْهَى مِنَ الذَّهَبِ
فَكِدْتُ أَشِدُّ لَوْلَا نُورُ بَاطِنِهِ : أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدَبِي
فَلَمَّا بَلَغْتَ الْأَبْيَاتُ شَافِعًا انْخَرَفَ وَتَأَذَّى ، فَقَالَ :

نَعَمْ نَظَرْتُ وَلَكِنْ لَمْ أَجِدْ أَدَبًا يَا مَنْ عَدَا وَاحِدًا فِي قِلَّةِ الْأَدَبِ
جَازَيْتَ مَدْحِي وَنَقَرِيظِي بِمَعِيرَةٍ

وَالْعَيْبُ فِي الرَّأْسِ دُونَ الْعَيْبِ فِي الذَّنْبِ
وَزِدْتُ فِي الْفَخْرِ حَتَّى قُلْتُ مُنْتَسِبًا بِحُظِّكَ الْيَاسَ الْمُرِّيَّ كَالْحَطَبِ
بَانَتْ زِيَادَةُ حَظِّي فِي السَّمَاعِ لَهُ وَكَانَ يَحْكِيهِ فِي الْأَوْضَاعِ وَالنُّسَبِ
كَذَبْتَ وَاللَّهِ إِنْ أَرْضَاهُ فِي عُمُرِي يَا ابْنَ الْوَحِيدِ ، وَكَمْ صَنَعْتَ مِنْ كَذِبِ
جَازَيْتَ دُرِّي - وَقَدْ نَضَّدْتُهُ كَلِمًا يَرَوْقُ سَمْعَ الْوَرَى - دُرًّا بِخَشَابِ
وَمَا فُهِمَتْ مُرَادِي فِي الْمَدِيحِ وَلَوْ فَمِمَّتَهُ لَمْ تَوَجَّهْهُ إِلَى الْأَدَبِ

سَأَتُبَعِ التَّائِبَ إِذَا جَاوَبْتَ مَفْتَحاً بِالزَّائِ يَافِغَافِلًا عَنْ سَوْرَةِ الْغَضَبِ
خَالَفَتْ وَزَنِي عَجْزاً وَالرَّوِيَّ مَعاً وَذَلِكَ أَقْبَحُ مَا يَرَوَى عَنْ الْعَرَبِ
قُلْتُ : إِنَّ الْوَحِيدَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - مَمْدُورٌ فِي الْمَدُولِ عَنِ الْوِزْنِ
وَالْقَافِيَةِ ؛ لِأَنَّهُ مَا كَانَ يَجْدُ فِي ذَلِكَ الْوِزْنَ وَالْقَافِيَةَ ، مِثْلَ قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :
* أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدْنَى *

وَكَانَ نَاصِرُ الدِّينِ شَافِعٌ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ قَدْ أُضِرَّ ، وَقَدْ احْتَرَزَ ابْنُ
الْوَحِيدِ فِي قَوْلِهِ : « لَوْلَا نُورُ بَاطِنِهِ » احْتِرَازاً جَيِّداً ، وَلَكِنْ مَا أَقَادَهُ
ذَلِكَ شَيْئاً ، مَعَ تَسْرُّعِ نَاصِرِ الدِّينِ شَافِعٍ ، رَحِمَهَا اللَّهُ تَعَالَى .
وَقَدْ قَالَ الْمَرَّيُّ لَمَّا لَهَجَ بِشَمْرِ أَبِي الطَّيِّبِ ، وَعَكَفَ عَلَيْهِ قَاتِلُهُ اللَّهُ ! كَأَنَّهُ
يَرَانِي الْآنَ حَتَّى قَالَ :

* أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدْنَى *

* * *

٨ - وَقَوْلُهُ : وَسَمِعَ الْأَصَمُّ ثَنَائِي عَلَيْكَ ، وَأَحْسَّ الْجَمَادُ
بِاسْتِنَادِي إِلَيْكَ .

الْأَصَمُّ : الَّذِي لَا يَسْمَعُ شَيْئاً .

وَأَحْسَّ : مِنْ الْإِحْسَاسِ ، وَهُوَ الْإِدْرَاكُ بِالْخَوَاسِ الْخَمْسِ .

وَالْجَمَادُ : كُلُّ مَا لَيْسَ يُدْرِكُ مِثْلَ الْحَجَرِ وَالتُّرَابِ وَغَيْرِهِ ، وَفِي اللَّفْظِ :

الْجَمَادُ : الْأَرْضُ الَّتِي لَمْ يُصْبِحْهَا مَطَرٌ ، وَنَاقَةُ جَمَادٍ ، لَا آتِنَ فِيهَا .

وَالِاسْتِنَادُ فِي الْحَدِيثِ : أَنْ يَرْفَعَهُ إِلَى قَائِلِهِ ، وَهَذَا تَمَامُ تَقْدِيمِ فِي الْمُبَالَغَةِ .

يَقُولُ : فَعَلْتُ بِي كُلَّ ذَلِكَ بَعْدَ مَا نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى تَأْمِيلِي لَكَ ، وَسَمِعَ

الْأَصَمُّ - وَهُوَ الَّذِي لَا يَسْمَعُ لَهُ - ثَنَائِي الَّذِي كُنْتُ أَثْنِيهِ عَلَيْكَ ، وَأَحْسَّ الْجَمَادُ

الَّذِي لَا إِدْرَاكَ لَهُ وَلَا إِحْسَاسَ بِرَفْعِ الْحَدِيثِ إِلَيْكَ ؛ وَهَذِهِ غَايَةُ فِي الْمُبَالَغَةِ ، وَطَبَقَةُ

عُلْيَا فِي الْبَلَاغَةِ ، وَهُوَ أَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ إِلَى أَنْ يَسْمَعَ الْأَصَمَ ، وَيُسْنَدُ إِلَيْهِ حَتَّى
يَحْسِنَ الْجَادُ بِذَلِكَ .

وَقَدْ جَاءَ فِي بَعْضِ النُّسخ : « وَقَدْ أَحْسَنَ الْجَادُ بِاسْتِحْمَادِي لَكَ » ،
وَالِاسْتِحْمَادُ : اسْتِفْعَالٌ ، مِنَ الْحَمْدِ ، وَهُوَ مَعْلُومٌ تَمَّا تَقَدَّمَ ، وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ
أَبْنِ السَّاعَاتِيِّ :

فِي مِثْلِهَا نَظَرَ الْأَعْمَى فَلَا بَرَحَتْ صُجْبِي وَأَسْمَعَ حَتَّى مَنْ بِهِ صَمَمٌ
أَنْفَى بِهَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَ عَجَمَتِهِ فَكُلُّ مَا ضَمَّ صَدْرَ الْخَافِقِينَ فَمُ

* * *

٩ - وَقَوْلُهُ : فَلَا غَرْوٌ قَدْ يَفْقَضُ بِالْمَاءِ شَارِبُهُ ، وَيَقْتُلُ الدَّوَاهِ
الْمُسْتَشْفَى بِهِ .

هَذِهِ الْفَاءُ جَوَابُ الشَّرْطِ فِي قَوْلِهِ أَوَّلَ الرِّسَالَةِ : « إِنْ سَلَكْتَنِي . . . »
وَمَا بَعْدَ ، مِنَ الْجَمَلِ ، بَعْدَ مَا نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى تَأْمِيلِي لَكَ . فَلَا غَرْوٌ ، أَيْ فَلَا
بِدْعٍ وَلَا عَجَبٍ قَدْ يَفْقَضُ بِالْمَاءِ شَارِبُهُ . وَهَذِهِ « قَدْ » الَّتِي تَدْخُلُ عَلَى
الْجَمَلِ لِتَقْلِيلِ مِثْلِ : قَدْ يَكْبُؤُ الْجَوَادُ ، وَقَدْ يَنْبُو الْحَسَامُ ، وَقَدْ يَصْدُقُ
السَّكَدُوبُ ، وَقَدْ يَبْخَلُ الْجَوَادُ .

جَاءَ فِي كَلَامِ ابْنِ الْمُعْتَزِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : رَبِّمَا شَرِقَ شَارِبُ الْمَاءِ قَبْلَ رَبِّهِ .

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

مَنْ غَضَّ دَاوِيَّ بِشُرْبِ الْمَاءِ عُصَّتَهُ فَكَيْفَ يَصْنَعُ مَنْ قَدْ غَضَّ بِالْمَاءِ !

وَقَالَ الْآخَرُ :

إِلَى الْمَاءِ يَسْمَى مَنْ يَفْقَضُ بِأَكَلِهِ فَقُلْ : أَيْنَ يَسْعَى مَنْ يَفْقَضُ بِمَاءٍ !

وقال عدي بن زيد العبادي :

لو بغير الماء خلقي شرق
كنت كالنقصان بالماء اعصاري^(١)
وقال الآخر :

كنت من محنتي أفرأ إليهم
فهم من محنتي ، فأين الفرار !
وقال الآخر :

فكيف مجيز غصتنا بشيء
ونحن نقص بالماء الشراب !
ومن هذه المادة قول الآخر :

على أي باب أطلب الإذن بعدما
حجبت عن الباب الذي أنا حاجبه
وقال أبو فراس الحمداني :

قد كنت عديتي التي أسطوبها
ويدي إذا اشتد الرمان وساعدي^(٢)
فرميت منك بغير ما أملت
والمرء يشرق بأزلال البارد

وقال الفرزدق لما وية من أبيات :

فلو كان هذا الحـكم في غير ما كـكم
لجوت به ، أو غص بالماء شارب^(٣)
وقال أبو إسحاق الفزري :

مصاحبة المني خطر وجهل
وكم شرق تولد من زلال
وما أحسن قول ابن سناء الملاك :

وإني لأحصر من ذكره
فإني إلى كيدي أضطلي
وإني لأذكر منه الرضاب
فأشرق بالبارد السلسل

(١) الأغاني ٢ : ١٥ .

(٢) ديوانه ٦٩ « طمة بيروت » .

(٣) ديوانه ٤٩ ، وروايته : « ولو كان هذا الأمر » .

وقال ابن حَيَّوس :

عَفَى الْكَرَمَاءُ مَاءً وَجَبِي بِمَا بَدَلَوْهُ عَنْ ذُلِّ السُّؤَالِ
وَمَا أَنَا بِمَدَّحٍ فِي الْفَاسِ أَبْقَى كَرِيماً يُشْتَرَى شُكْرِي بِمَالِ
أَرَى الْأَكْذَارَ يَشْرِقُ شَارِبُهَا فَوَاشَرِقِي مِنَ الْمَاءِ الرُّزَالِ !
وقال آخر :

إِنِّي لِأَذْكُرْكُمْ وَقَدْ بَلَغَ الظَّمَا مِنِّي فَأَشْرِقُ بِالرُّزَالِ الْبَارِدِ
وَأَقُولُ لَيْتَ أَحَبَّتِي عَابَدَتْهُمْ قَبْلَ أَلَمَاتِهِ وَلَوْ بِيَوْمٍ وَاحِدِ
وقال ابنُ سَفَاءِ الْمَلَكِ :

أَمُوتْ غُرَامًا حِينَ أُحْرِمَ وَضِلَّ مَنْ هَوَيْتُ وَأَخِيًّا فَرَحَةً حِينَ أَرْزُقُ
وَأَبِ الْفَتَى بِحَيَا بِمَا قَدْ يَمِيَّتُهُ فَبِالْمَاءِ يَحْيَا وَهُوَ بِالْمَاءِ يَشْرِقُ
وما أحسن قول ابن الساعاتي يمدح الملك المؤيد نجم الدين بن صلاح
الدين رحمهما الله تعالى :

مَنْ لَيْسَ يَشْرِقُ بِالسُّؤَالِ لَوْلَا بَقْصُ مِنَ الْمَلَامَةِ
وقال البحتري :

تَدَاوَيْتُ مِنْ لَيْلَى بِكَيْلِي فَمَا اشْتَفَى بِمَاءِ الرُّبَا مِنْ بَاتٍ بِالْمَاءِ يَشْرِقُ^(١)
أَصْلُ الْمَعْنَى قَوْلُ قَيْسُ بْنُ ذَرِيحٍ^(٢) ، إِذْ يَقُولُ :
تَدَاوَيْتُ مِنْ لَيْلَى بِكَيْلِي مِنَ الْهَوَى كَمَا يَتَدَاوَى شَارِبُ الْخُمْرِ بِالْخُمْرِ
فَقَصَّرَ عَنْهُ ، وَقَدْ أَخَذَ أَصْلَ الْمَعْنَى مِنْ قَوْلِ الْأَعَشَى :
وَكَأْسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ وَأُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا^(٣)

(١) ديوانه ٢ : ١٢٨

(٢) ط : « قيس بن زهير » ، وهو خطأ ، والبيت في ديوانه ٩٥ .

(٣) في الأصول : « قيس بن ذريح » ، وهو خطأ ، والبيت في ديوانه الأعشى ١٧٣ .

وهذا البيت في الذروة ، وما جاء بعده فهو دونه فيما يقول ، وقد أخذه أبو نواس فأحسن :

دع عنك لومي فإنَّ الآومَ لغراه وداوِي بالتي كانت هي الداه

وفي المثل : من فسدت بطائفة كان كمن غصّ بالماء ؛ وهذا من كلام أكثر بن صفى ؛ لأنَّ الفاصَّ بالطعام يرجع إلى الماء ، وإذا كان الماء هو الذي أغصه فلا حيلة له ، فكذلك بطانة الرجل وأهله إذا خانوه فسد حاله .

وفي المثل أيضا : « يا ماله لو بغيرك غصصت ا » .

وقوله : « ويقتل الدواه المستشفى به » ، كان أبو الطاهر إسماعيل بن المنصور بن القاسم بن المهدي صاحب إفريقية ، أحد الخلفاء الفاطميين ، اعتلَّ علّة طويلة ، ولما أراد دخول الحمام في المنصورة نهاه طبيبه إسحاق بن سليمان الإسرائيلي ، فلم يقبل منه ، ودخل الحمام ففندت الحرارة الغريزية ، فلأزمه السهر ، فأقبل إسحاق فمالجته ، ففندت الحرارة الغريزية ، ولأزمه السهر ، فأقبل إسحاق يعالجه ؛ وسهره باق على حالته ، فاشتد ذلك على المنصور ، وقال لبعض خدّمه : أما بالقيروان طبيبٌ يخلصني من هذا ؟ فقالوا : هاهنا شاب قد نشأ يقال له : إبراهيم ، فأمر بإحضاره ، فلما حضر عرفه حاله ، وشكا إليه ما به ، فجمع له شيئا ينوّمه ، وجعل في قنينة على النار ، وكلفه شتم ذلك ، فلما أدمن شتمها نام ، فخرج إبراهيم مسرورا بما فعل ، وحضر إسحاق ، فقالوا : إنه نائم ، فقال : إن كان صنم له شيء ينام به فقد مات ، فدخلوا عليه فوجدوه ميتا ، فأرادوا قتل إبراهيم ، فقال إسحاق : ماله ذنب ، وقد داواه بما ذكره الأطباء ، واسكنه جهنم أصل الرّض وما عرفتموه ذلك ، وإني كنت أعالجه وأنظر في تقوية الحرارة الغريزية ، وبها يكون النوم ، فلما عولج بما أطفاها ، علمت أنه مات .

١٠ - وقوله : وَيُؤْتِي الْحَذِيرَ مِنْ أَمْنِهِ ، وَتَكُونُ مَنِيَّةُ الْمُتَمَنَّى

فِي أَمْنِيَّتِهِ .

يُؤْتِي : فعل مبني ثلما لم يُسَمَّ فاعله ، من الإتيان وهو المجيء ، أُتيتُ إلى فلان أي جئت إليه . الْحَذِيرُ : اسمُ فاعل من الحَذَر ، وهو التحذير . وَالْأَمْنُ : المكان الذي يحصل فيه الأَمْن ، وهو الطمأنينة . وَالْمَنِيَّةُ : الموت . وَالْمُتَمَنَّى : اسمُ فاعلٍ من التَمَنَّى ، وهو التَّرجى . وَالْأَمْنِيَّةُ ، واحدة الاماني .

وقوله : « وَيُؤْتِي الْحَذِيرَ مِنْ أَمْنِهِ » معناه ^(١) في القرآن العظيم ، وهو قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً ﴾ ^(٢) .

قال أبو القاسم :

وقد يهلك الإنسان من بابِ أَمْنِهِ ويهجو بإذن الله من حيث يحذر ^(٣)
وما أحسن قول الجزار من أبيات :

وَحَقَّقَ مَالِي مِنْ قُدْرَةٍ عَلَى كَشْفِ ضُرٍّ إِذَا مَسَّنِي
فَكَمْ أَخَذْتَنِي عِيُونُ الظُّلَمَاءِ بَعْدَ الْإِنَابَةِ مِنْ مَأْمِنِي

وقال الشريف الرضي :

يَقُولُونَ رُمْ تَلَقَّ الَّذِي أَنْتَ طَالِبٌ فَإِنَّ الْعَوَاقِبَ دُونَهُ وَالْمَهَالِكُ ^(٤)
وَكَمْ سَقَى سَاعٍ جَرَّ حَتْفَا لَفْسِهِ وَلَوْلَا الْخَطَا مَا شَاكَ ذَا الرَّجُلِ شَائِكُ

وقول ابن سناء الملك يمدح الملك الفاسر ويذكر الفرنج :

(١) ساقطة من ط

(٢) - سورة الأنعام ٤٤ .

(٣) ديوانه ١٠٢ .

(٤) ديوانه ٢ : ٥٩٦ . والعواقب مثل العوائق ، يقال : عاقني وعقاني .

(٤ تمام المنون)

وَاللَّيْلُ الْعَظِيمَ فِيهِمْ أَمِيرًا مَسْتَضَاءً فَاجِلٌ لَهُ الْفَارَ سَجِينًا
يَحْيِي النَّوْمَ يَقْطَعُ الْبَطْنَ الشَّخْصَ طَوْدًا أَوْ يُبْهِرُ الشَّمْسَ دُجْمًا
كَمْ تَمْنَى الْإِقْدَاءَ حَتَّى رَأَاهُ فَتَمَنَّى أَوْ أَنَّهُ مَا تَمَنَّى
وَقَالَ ابْنُ الْخَطَّاطِ الدَّمَشْقِيُّ :

رَأَيْتُكَ لَمَّا شِئْتُ بَرَقَكَ خُلْبًا وَمَا أَرَانِي فِي عَارِضٍ لَيْسَ يَمْطُرُ^(١)
فَأَخْطَأْتُ مِنْكَ الَّذِي كُنْتُ أُرْتَجِي وَأَدْرَكَنِي مِنْكَ الَّذِي كُنْتُ أُحْذَرُ
وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ فَارِسٍ :

اسْمَعْ مَقَالَةَ نَاصِحٍ جَمَعَ النَّصِيحَةَ وَالْمَقَالَةَ
إِيَّاكَ وَاحْذَرُ أَنْ تَكُونَ مِنْ السَّاقَاتِ عَلَى رِقَّةِ

وَقَالَ يَوْسُفُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَسْتَرَابَادِيُّ :

وَمَارِلْتَ فِي عَيْنِي كَرَرِي فَهَضَمْتُ صُرُوفَ الْإِلَهِي فَأَنْقَلَبْتَ لَهَا قَدَى
وَحُشِنَتْ وَمَأْمُولِي وَفَاؤُكَ ضِلَّةٌ وَمِنْ مَأْمَنِ الْإِنْسَانِ يَفْجُوهُ الْأَذَى

لَمَّا قُتِلَ الْمُقْتَدِرُ ، وَاخْتَلَفَتِ الْأَرْاءُ فِيْمَنْ يَقُومُ بِمَدَّةِ خَلِيفَةِ ، قَالَ مُؤَنَسُ
الْمُقْتَدِرِ^(٢) : هَذَا مُحَمَّدُ^(٣) بْنُ أَحْمَدَ الْمُقْتَدِرِ ، رَجُلٌ سَمَا لِلْخِلَافَةِ ، فَهُوَ أَوَّلَى تَمَنٍّ لَمْ
يَسْمُ . فَأَحْضَرَ الْقَاهِرُ بِاللَّهِ ، وَبُوعَ يَوْمَ الْخَمِيسِ لِلْيَمَانِيِّينَ بَقِيَّةً مِنْ شَوَالِ سَنَةِ
عَشْرِينَ وَثَلَاثِينَ ، وَاعْتَقَبَ الْأَصْرَ لِلْقَاهِرِ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ قَتَلَهُ الْقَاهِرُ مُؤَنَسًا الَّذِي كُور .
وَلَمَّا غَلَبَ إِدْرِيسُ بْنُ هَبْدٍ اللَّهَ بْنَ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ

(١) ديوانه ١٢٣ .

(٢) مؤنس المنظر ، أمير الجيوش على عهد المقتدر . (٣) هو المعروف بالقاهر .

أبي طالب - رضى الله عنه - على العرب ، بلغ ذلك الهادي ، فدرس إليه
الشمّاح البماني مولى المهدي ، فدخل العرب وأظهر أنه طبيب ، فأحضره
إدريس وأقام عنده ، وأنس به ، فشكا إليه مرضاً في أسنانه ، فأعطاه سنوناً^(١)
مسمومة ، وقال له : إذا طلع الفجر فاستن^(٢) به ، وهرب الشمّاح من وقته .
فلما طلع الفجر استن به ، وجعل يردده في فيه ، فسقط فوه ومات ، وطُلب
الشمّاح فلم يُقدّر عليه .

وهذا إدريس ، هو أبو الأدارسة خلفاء العرب ، وقام من ذرية
إدريس جماعة . وقيل : إن الذي دس إليه الشمّاح ، إنما هو هارون الرشيد .

يقال : إنه مر قوم^(٣) بماء من مياه العرب ، فوصف لهم ثلاث أخوات
بالجمال مطيبات^(٤) ، فأحبوا أن يروهن ، فحكوا ساق أحدهم بمود حتى
أدموه ، ثم أنوهن ، وقالوا : هذا سليم^(٥) ، فهل من راق ؟ فخرجت صفراهن
منهن كأنها الشمس طالعة ، فرأته ، فقالت : ليس بسليم ، ولكن خذشه
عوداً بات عليه حمة ، إذا طلعت عليه الشمس مات ، فكان كما قالت .

ومن شعر الحافظ أبي بكر أحمد بن علي خطيب بغداد ، والمراد هنا
البيت الثالث :

لا تَقِطَنَّ أَخَا الدُّنْيَا بَرُخْرُفِهَا وَلَا بِلْدَةِ وَقْتٍ عَجَلَتْ فَرَحًا^(٦)
قَالِدَهُرُ أَسْرَعُ شَيْءٍ فِي تَقْلِيهِ وَفِعْلُهُ بَيْنَ الْخَلْقِ قَدْ وَضَحَا
كَمْ شَارِبٍ عَسَلًا فِيهِ مَنِيَّتُهُ وَكَمْ تَقَلَّدَ سِيفًا مَن بِهِ ذُبِحَا

(١) السنون : ما يستاك به . (٢) استن : استاك .

(٣) ط : « جماعة » . (٤) ط : « مستطبات » ، تصحيف .

(٥) السليم : اللدغ ؛ سمى بذلك على التفاؤل بسلامته .

(٦) معجم الأدباء ٣ : ٢٥ .

ذَكَرَ عِنْدَ الْمُتَوَكِّلِ أَمْرُ السَّيْفِ ، فَقَالَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
وَقَعَ عِنْدَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ سَيْفٌ مِنَ الْهِنْدِ ، لَيْسَ لَهُ نَظِيرٌ . فَكَتَبَ
يَطْلُبُهُ مِنَ الْبَصْرَةِ ، فَاشْتَرَاهُ بِمِائَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ ، وَمُرَّ الْمُتَوَكِّلُ بِهِ سُرُوراً
كَثِيراً ، وَقَالَ لِلْفَتْحِ [بَنِ خَافَانَ] : اطْلُبْ لِي غُلَامًا ثَقِيًّا بِمِجْدَتِهِ وَشَجَاعَتِهِ ،
وَأُدْفَعْ إِلَيْهِ هَذَا السَّيْفَ لِيَسْكُونَ وَاقِفًا بِهِ عَلَى رَأْسِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مَا كُنْتُ
جَالِسًا . فَلَمْ يَتِمَّ الْمُتَوَكِّلُ حَتَّى دَخَلَ بَاغِرُ التُّرْكِيِّ ، فَدَعَا بِهِ الْمُتَوَكِّلُ ،
وَدَفَعَ إِلَيْهِ السَّيْفَ ، وَأَمَرَهُ بِمَا أَرَادَهُ مِنْهُ ، وَزَادَ مَرْتَبَتَهُ .

قَالَ الْبُخْتَرِيُّ : فَوَاللَّهِ مَا انْتَضَاهُ بَاغِرٌ وَلَا سَلَّ إِلَّا فِي قِتْلَةِ الْمُتَوَكِّلِ ،
عَلَى مَا هُوَ مَشْهُورٌ فِي وَاقِعَتِهِ مَعَ الْمُتَوَكِّلِ .

وَلَمَّا وَلَّى سَالِمُ بْنُ حَامِدٍ دِمَشْقَ لِلْمُتَوَكِّلِ ظَلَمَ وَعَسَفَ ، وَكَانَ بِدِمَشْقَ
جَمَاعَةٌ مِنَ الْعَرَبِ لَهُمْ قُوَّةٌ وَمَنْعَةٌ ، فَقَتَلُوهُ فِي يَوْمٍ جُمُعَةٍ عَلَى بَابِ الْخَضَاءِ ،
فَنَفِضَ الْمُتَوَكِّلُ ، وَقَالَ : مَنْ يَكُونُ لِلشَّامِ ، وَلَيْكُنْ فِي صَوْلَةِ الْحِجَابِ ؟ فَقَالَ
أَفْرِيدُونُ التُّرْكِي : أَنَا لَهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَمَرَهُ ، وَجَهَّزَهُ إِلَيْهَا فِي سَبْعَةِ آلَافِ
فَارَسٍ ، وَأَطْلَقَ لَهُ الْقَتْلَ وَالنَّهْبَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، فَجَاءَ وَنَزَلَ بَيْتَ لَهْيَا ، وَلَمَّا أَصْبَحَ
قَالَ : يَا دِمَشْقُ ، أَتَيْتُ بِكَ الْيَوْمَ مَنًى ! وَقَدَّمْتُ لَكَ بَغْلَةً دَهْمَاءَ لِيَرْكَبَهَا ،
فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الرَّكَابِ ضَرَبَتْهُ بِالزُّوجِ فِي صَدْرِهِ ، فَسَقَطَ مَيِّتًا . وَقَبْرُهُ
مَعْرُوفٌ بِهَا ، وَذَلِكَ فِي حَدُودِ الْأَرَبِيِّينَ وَمَائَتَيْنِ .

وَكَانَ السَّلْطَانُ أَلْبَا أَرْسَلَانَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ بِكَ الْمَدْعُودُ عِنْدَ الدَّوْلَةِ وَأَبُو
شُبَاعَةَ السَّلْجُوقِي ، قَدْ أَنْوَاهُ بِوَمَا بُوَالِي قَلَمَةً يَدْعَى يُوسُفَ الْخَوَارِزْمِي ،
فَأَمَرَ أَنْ تُضَرَّبَ لَهُ أَرْبَعَةُ أَوْ تَادٍ ، وَشَدَّ أَطْرَافَهُ إِلَيْهَا ، فَقَالَ يُونُسُ : يَا مَحْنُثُ ،
مِثْلِي يُقْتَلُ هَكَذَا ! فَقَالَ السَّلْطَانُ : خَلِّوْهُ ، وَأَخَذَ الْقَوْسَ وَرَمَاهُ ثَلَاثَ فَرَدَاتٍ
فَنَشَابَ فَأَخْطَاهُ فِيهَا - وَلَمْ يَكُنْ بِمُخْطِئٍ لَهُ سَهْمٌ - فَأَسْرَعَ يُونُسُ إِلَيْهِ وَخَرَّ بِهِ

بِسِكِّينَ كَانَتْ مَعَهُ فِي خَاصِرَتِهِ ، فَلَحَقَ يُوسُفُ بِبَعْضِ الْخَدَمِ فَقَتَلَهُ أَيْضًا ، وَحَمَلَ
السلطان وهو مُنْقَلٍ ، فَقَفَى نَحْبَهُ .

وهذا الملك الأجدد بهرام شاه بن فرخشاه ، صاحب بَمَلَكْ ، أَخَذَ
الأشرفُ منه بَمَلَكْ ، وسلمَهَا إِلَى أَخِيهِ الصالح ، فَقَدِمَ إِلَى دِمَشْقَ وَأَقَامَ بِهَا ،
وكان له غلام مليح أذُنَبَ ذَنْبًا فَضَرَبَهُ ، وَأَمَرَ بِحَبْسِهِ فِي خِزَانَةٍ عِنْدَهُ فِي مَكَانِهِ
الَّذِي يَجْلِسُ فِيهِ ، وَجَلَسَ لَيْلَةً يَلْهَوُ بِالْأَنزِدِ ، قَوْلِ الْغُلَامِ بَرَزَةَ^(١) الْبَابَ ،
فَفَكَّهَا ، وَخَرَجَ إِلَى الْأَجْدَدِ فَقَتَلَهُ وَهَرَبَ ، فَرَمَى بِنَفْسِهِ مِنَ السَّطْحِ فَمَاتَ .

وهذا الملك الأشرف خليل بن الملك المنصور قلاوون ، كان يحبّ مملوكه
الأمير سيف الدين بُنْدَارَ ، وَيَتَّقِي بِهِ حَتَّى جَعَلَهُ نَائِبَ مِصْرَ ، وَتَوَقَّاهُ ، أَوَّلَ
مَنْ ضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ وَهُوَ فِي بُرْجِهِ يَصْطَادُ كُرُكِيًّا ، وَجَاءَ مِنْ بَعْدِهِ حَسَامُ الدِّينِ
الْأَخِيرُ فَكَمَّلَ قَتْلَهُ .

وهذا الأمير سيف الدين تَدَكُزُ قَرِيبَ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ قَوْمَشَ وَأَدْنَاهُ
وَزَادَ ثَوْقَهُ بِهِ^(٢) ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ عَمِلَ عَلَيْهِ ، وَاتَّفَقَ مَعَ طَائِزَاتِ الدَّوْدَارِ
عَلَى إِمْسَاكِهِ .

وكان الزَّكِيُّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ وَهْبِ الْقَوْمِيّ قَدْ أَسْتَوَزَرَهُ الْمَلِكُ الْمُظَفَّرُ
صَاحِبَ سَمَاتَ ، قَبْلَ أَنْ يَحْصُلَ لَهُ مُلْكُ سَمَاتَ وَمَا انْضَافَ إِلَيْهَا ، وَوَعَدَهُ إِذَا
مَلَكَهَا أَنْ يُعْطَاهُ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَأَنْشَدَهُ قَصِيدَةً مِنْهَا :

مَنْ أَرَاكَ كَأَنْتَهَوَى وَأَنْتَ كَمَا أَهْوَى عَلَى رُوحَيْنِ فِي بَدَنِ
هُنَاكَ أَنْشِدُ وَالْأَمَالَ حَاضِرَةً : هُنْتُ بِالْمُلُوكِ وَالْأَحْبَابِ وَالْوَطَنِ

(١) الرزة : حديدة يدخل فيها الفل . (٢) ط : « وَتَوَقَّاهُ » .

فَلَمَّا مَلَكَ حَاجَةُ أَنْشُدَهُ :

مولايَ هذا المَلَكُ قد نلتَهُ برغم مخلوقٍ من الخائِي
والدهرُ مُنْقَادٌ لِمَا شِئْتُهُ وَذَا أَوَانُ المَوْعِدِ الصَادِقِ
فدَفَعَ إِلَيْهِ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَأَقَامَ مَعَهُ مَدَّةً ، وَلَزِمَتْهُ أَسْفَارُ أَنْفَقٍ فِيهَا المَالُ
الَّذِي أَعْطَاهُ ، وَلَمْ يَحْصُلْ بِيَدِهِ زِيَادَةٌ عَلَى ذَلِكَ ، فَقَالَ :
ذَاكَ الَّذِي أَعْطَوهُ لِي جُحَلَّةٌ قَدْ اسْتَرَدَّوهُ قَلِيلًا قَلِيلًا
فَلَيْتَ لَمْ يُعْطَوْا وَلَمْ يَأْخُذُوا وَحَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ
فَبَلَغَ ذَلِكَ الْمُظْفَرُ ، فَأَخْرَجَهُ مِنْ دَارِهِ كَأَنَّهُ قَدْ أَنْزَلَ لَهَا ، فَقَالَ :
أَتُخْرِجُنِي مِنْ كِسْرِ بَيْتٍ مَهْدَمٍ وَلِي فِيكَ مِنْ حُسْنِ الثَّنَاءِ بَيُوتٌ
فَإِنْ هَشْتُ لَمْ أَعْدَمْ مَكَانًا يَضُمُنِي وَأَنْتَ سَتَدْرِي ذَكَرَ مِنْ سَيِّمَاتِ
فَعَبَسَهُ الْمُظْفَرُ ، فَقَالَ : مَا ذَنْبِي إِلَيْكَ ؟ فَقَالَ : « وَحَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ » ،
وَأَمَرَ بِخُفَّتِهِ ، فَلَمَّا تَيَقَّنَ ذَلِكَ قَالَ :

أَعْطَيْتَنِي الأَلْفَ تَمْظِيماً وَتَكْرِيماً يَا لَيْتَ شِعْرِي أَمْ أَعْطَيْتَنِي دِيْنِي !
وَقَالَ الأَحْمَدُ بْنُ قَدِيسٍ فِي بَعْضِ خُطْبَاهِ : مِنْ أَمِنَ الزَّمَانَ خَانَهُ ؟
وَمَنْ تَمَظَّمْ عَلَيْهِ أَهَانَهُ .
وَقَالَ أَصْرَمُ بْنُ مُحَمَّدٍ :

أَسْرَفْتُ فِي سُوءِ الصَّنِيعِ وَفَتَكْتُ بِي فَتَكَ الخَالِيعِ (١)
وَوَارَمْتُ بِي مَتَهَزَّئًا وَالْمُذْرُ فِي طَرَفِ الوَلُوعِ
صَيَّرْتُ حَبْلَكَ شَافِعًا فَأَتَيْتُ مِنْ قَبْلِ الشَّفِيعِ
وَقَالَ الْمُعْتَصِمُ بْنُ صَمَادِحَ (٢) :

وَزَهَدَنِي فِي النَّاسِ مَعْرِفَتِي بِهِمْ وَطَوَّلَ اخْتِبَارِي صَاحِبًا بِمَدِّ صَاحِبِهِ

(١) نهاية الأدب ١ : ١٣٤

(٢) المعتصم بن صمادح ، أحمد بن أبي بكر الأندلسي ، والأبيات في طراز المجالس للخفاجي ٢٤٢ .

فَمَ تَرِنِي الْأَيَّامُ خِلَا تَسْرَتِي مَبَادِيهِ إِلَّا سَاءَنِي فِي الْمَوَاقِبِ
وَلَا قَلْتُ أَرْجُوهُ لَدَفْعِ مُلِمَّةٍ مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا كَانَ إِحْدَى الذَّوَائِبِ

خَطَبَ عُثْبَةُ بْنُ أَبِي سُهَيْبَانَ النَّاسَ بِالْمَوْسِمِ سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ ، وَعَمِدُ
النَّاسِ حَدِيثُ الْفَتَنَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، قَدْ وَلِهَنَا هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي
يَضَاعَفُ فِيهِ لِمَنْ حَسَنُ الْأَجْرِ ، وَعَلَى الْمَسِيءِ الْوِزْرُ ، فَلَا تَمُدُّوا الْأَعْنَاقَ
إِلَى غَيْرِنَا ، فَإِنَّهَا تَقْطَعُ دُونَكَ ، وَرُبَّ مَقْمَرٍ حَقَّقَهُ فِي أَمْنِيَّتِهِ .

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْخَفَاجِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

وَكَمْ طَالِبٍ أَمْرًا وَفِيهِ حِمَامُهُ وَصَائِرُهُ تَسْمَى إِلَى مَا يَضُرُّهَا
وَكَانَ الْمُؤْمِلُ بْنُ أَمِيلِ بْنِ أَسِيدِ الْحَارَبِيِّ يَمُوتُ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْحَيْدَةِ يُقَالُ
لَهَا هِنْدُ ، وَفِيهَا يَقُولُ قَصِيدَتَهُ الْمَشْهُورَةَ ، وَأَوَّلُهَا :

تَفَّ الْمُؤْمِلُ يَوْمَ الْحَيْدَةِ النَّظَرَ لَيْتَ الْمُؤْمِلُ لَمْ يُخْلَقْ لَهُ نَظَرٌ^(١)

وَنَامَ فَرَأَى فِي مَنَامِهِ رَجُلًا أَدْخَلَ إِصْبَعَهُ فِي عَيْنَيْهِ ، وَقَالَ : هَذَا مَا تَمَنَيْتَ ؛
فَأَصْبَحَ وَهُوَ أَعْمَى .

وَمِنْ قَوْلِ الْحُكَمَاءِ : الْأَمَانُ تَخْذَعُكَ ، وَعَهْدُ الْحَقَائِقِ تَدْعُكَ .

وَقَالَ بَكْرُ بْنُ النَّطَّاحِ :

وَكَمْ تَرَحُّفٍ لَمْ أَحْقَسِيهَا لَقِيمَتُهَا وَكَمْ فَرَحَةٍ جَاءَتْ عَلَى غَيْرِ مَوْعِدِ

وَقَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ الْمَقْرَبِيُّ :

تَجَرَّى الْأُمُورُ عَلَى حَكْمِ الْقَضَاءِ وَفِي طَيِّ الْحَوَادِثِ مَحْبُوبٌ وَمَكْرُوهٌ
فَرُبَّمَا سَرَّتْنِي مَا بَيْتٌ أَحْذَرُهُ وَرُبَّمَا سَاءَنِي مَا بَيْتٌ أَرْجُوهُ

١١ - قوله : والحَيْنُ قَدْ يَسْبِقُ جَهْدَ الْحَرِيصِ

الحَيْنُ : الموت . والحَرِصُ : الجَشَعُ ، يقال : قد حَرَصَ على الشيء يَحْرِصُ بالكسر ، فهو حَرِيصٌ ، وهذا نصفُ بيتٍ من أبياتِ لَمَدِي بن زَيْد المَبَادِي ، وهو :

قد يُدْرِكُ المَبْطِئُ من حَظِّهِ والحَيْنُ قَدْ يَسْبِقُ جَهْدَ الحَرِصِ ^(١)
وقال :

وقد تَدُنُو المَقاصِدُ والأمانِ فتعترضُ الحوادثُ والنونُ
وهو قول القطامي :

قد يُدْرِكُ المَقَاتِي بعضَ حاجتِهِ وقد يكونُ مع المستعجلِ الزَّلُّ
وسمَّه أعرابي فقال : هذا يَتَبَطُّ الناسَ ، هَلَّا قال بهد هذا :
وربما ضَرَّ بعضَ الناسِ بُطْؤُهُمْ وكان خيراً لهم لو أَنَّهُمْ عَجِلُوا
وعَكَسَ بشارُ بن بُرْد قول القطامي فقال :

من راقب الناسَ لم يَظْفَرْ بِحاجتِهِ وفازَ بالطمِيَّاتِ الفَارِكُ الأَمِجُ ^(٢)
واختصره سَلَمُ الخامسُ فَجَوَّدَ ما شاء فقال :

من راقبَ الناسَ ماتَ غَمًّا وفازَ بالذِّقَةِ الجَسُورُ
وبما ضَرَبَتْ به العربُ المَثَلَ ، في أَنَّ الحاجةَ تُطْلَبُ فيَجْعَلُ دونها حائلَ ،
قولهم : سَدَّ ابنُ بَيْضِ الطَّرِيقَ .

قال أبو عبيد البَكْرِيُّ : إن ابنَ بَيْضِ لما حَضَرَته الوفاة قال لابنه :

(١) ديوانه ٢٠ الإعجاز والإيجاز ١٥١ .

(٢) ديوانه ١ : ٧٥ .

لَا تُقَارِبَ لِقْمَانُ فِي أَرْضِهِ ، فُسِرَ بِأَهْلِكَ وَمَالِكَ حَتَّى إِذَا كُنْتَ بِثَنِيَّةٍ
كَذَا فَاقْطَعْمَا بِأَهْلِكَ وَمَالِكَ ، وَضَعُ فِيهَا لِقْمَانَ حَقَّهُ ؛ ^(١) فَإِنْ لَهُ عِنْدَنَا فِي كُلِّ
عَامٍ حُلَّةٌ وَجَارِيَةٌ وَرَاحِلَةٌ ، فَإِنْ هُوَ قَبْلَهُ فَهُوَ حَقُّهُ هَرَفْنَاهُ لَهُ ، لِإِجَارَتِهِ
وَحِفَارَتِهِ ، وَإِنْ هُوَ لَمْ يَقْبَلْهُ وَبَقِيَ ، أَدْرَكَهُ اللَّهُ بِبَقِيَّتِهِ ^(٢) . فَقَمَلَ الْفَقِي مَا أَمَرَهُ
بِهِ أَبُوهُ . فَأَتَى لِقْمَانُ الثَّنِيَّةَ فَأَخَذَ حَقَّهُ وَانْصَرَفَ ، وَقَالَ : « سَدَّ ابْنُ بَيْضِ
الطَّرِيقَ » ^(٣) .

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْأَبْرَدِ فِي ذَلِكَ ^(٤) :

سَدَّدْنَا كَمَا سَدَّ ابْنُ بَيْضِ سَبِيلَهَا فَلَمْ يَجِدُوا عِنْدَ الثَّنِيَّةِ مَطْلَعًا

* * *

١٢ - وقوله :

كُلُّ الْمَصَائِبِ قَدْ تَمَرُّ عَلَى الْفَقِيِّ فَتَهْوُونَ غَيْرَ ثَمَانَةِ الْحُسَادِ

المصائب : جمعٌ مصيبة ، وهي ما يهيبُ الإنسان من حوادث الدهر
ونوازلِهِ . والثمانية : التسقى . وهذا البيت من جملة أبيات قالها عبد الله بن
محمد بن أبي عيينة ، يمانبُ ذا اليمينين :

مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي الْأَمِيرَ رِسَالَةً مَحْصُورَةٌ عِنْدِي عَنِ الْإِنشَادِ ^(٥)
كُلُّ الْمَصَائِبِ قَدْ تَمَرُّ عَلَى الْفَقِيِّ فَتَهْوُونَ غَيْرَ ثَمَانَةِ الْحُسَادِ
وَأُظَنَّ لِي مِنْهَا لَدَيْكَ خَبِيرَةٌ سَتَكُونُ عِنْدَ الزَّادِ آخِرَ زَادِ
مَالِي أَرَى أَمْرِي لَدَيْكَ كَأَنَّهُ مِنْ ثَقَلِ طَوْدٍ مِنَ الْأَطْوَادِ

(١) فصل المقال : « حظه » .

(٢) فصل المقال : « بقية » .

(٣) فصل المقال ٢٧٩ . (٤) لعمري بن الأسود الطهمي ، اللسان — بيض

(٥) التبتيل والمحاضرة ٨ ، ونهاية الأدب ٣ : ٨ .

قيل لأَبُو بَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَيُّ شَيْءٍ كَانَ فِي بِلَائِكَ أَشَدَّ عَلَيْكَ ؟ قَالَ :
شِمَانَةُ الْأَعْدَاءِ . وَفِي الْمَثَلِ : الشِّمَانَةُ لَوْثٌ ، أَوَّلُ مَنْ قَالَهُ أَكْثَرُ مِنْ صِيقِي ،
أَيُّ لَا يَفْرَحُ بِفَسْكَبَةِ الْإِنْسَانِ إِلَّا مَنْ لَوْثٌ أَصْلُهُ .

وقال آخر :

إِذَا مَا الدَّهْرُ جَرَّ عَلَى أَنَاسٍ كَلَّا كَلَّهُ أَنَاخَ بَاخَرِيغًا^(١)
فَقُلْ لِلشَّامِثِينَ بِنَا أَفِيغُوا صِيَقِي الشَّامِثُونَ كَمَا أَفِيغَا

وقد جاءت الشِّمَانَةُ فِي الْقُرْآنِ فِي مَوَاضِعَ ، مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ
أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾^(٢) ، فَقَوْلُهُ : ﴿ ذُقْ ﴾ شِمَانَةٌ ، وَقَوْلُهُ : ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ
الْكَرِيمُ ﴾ ، تَهْكُمُ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ
الْمُفْسِدِينَ ﴾^(٣) ، فَعَلِيَ هَذَا الشِّمَانَةُ^(٤) مِنْ أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ . وَمِنْ الشِّمَانَةِ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

إِلَى النَّارِ يَا وَلَدَ الزَّانِيَةِ وَهَذَا الْهُيُؤُ إِلَى الْهَاطِيَةِ
وَقَعْتُ فَيَا بَرْدَهَا فِي الْقُلُوبِ وَيَا لَيْتَهَا كَانَتْ لِقَاضِيَةِ

وَلَا بِنِ الرَّوْىِ أَيْبَاتٌ فِي الشِّمَانَةِ ، وَقَدْ بَالَغَ فِيهَا :

لَا زَالَ يَوْمُكَ عِزَّةً لَعْدِكَ وَبَكَتْ لَشَجْوِ عَيْنٍ ذِي حَسَدِكَ
فَلَنْ بَكَيْتَ فَطَالَمَا بُكَيْتَ بَكَ هِمَّةً لَجَأْتُ إِلَى سَنَدِكَ
لَوْ تَسَجَّدَ الْأَيَّامُ مَا سَجَدْتُ إِلَّا لِيَوْمِ فُتِّ فِي عَصْدِكَ
يَا نِعْمَةً وَأَتِ غَضَارَتُهَا مَا كَانَ أَقْبَحَ حُسْنَهَا بِيَدِكَ
فَلَقَدْ بَدَتْ بَرْدًا عَلَى كَيْدِي لَمَّا غَدْتُ حَرَّى عَلَى كَيْدِكَ
وَرَأَيْتُ نَعْمَى اللَّهِ زَائِدَةً لَمَّا اسْتَبَانَ لِلنَّقْصِ فِي عَدْدِكَ

(١) ذُو الْيَمِينِ ، هُوَ طَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، وَانْظُرْ سَبَبَ التَّسْمِيَةِ فِي الْمَظَافِ وَالْمُسُوبِ ٢٩١

(٢) لِلْفَرَزْدَقِ ، دِيوَانُ الْحَمَاسَةِ بِشَرْحِ الْمَرْزُوقِ ٢٩١ .

(٣) سُورَةُ الدُّخَانِ ٤٩ . (٤) سُورَةُ يُونُسَ ٩١ .

(٥) انْظُرْ بَدِيعَ الْقُرْآنِ لِابْنِ أَبِي الْإِصْبَغِ ٢٨٢ .

ولما أمسك ناصر الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن المقدسي
 وواقفته مشهورة، ورسم عليه بالفندراوية، وذاق الهوان، وكان قد آذى الناس،
 ومنهم: سيف الدين السامري، كان قد أخذ منه الزبقيّة، ففضى السامري
 إليه وتغم له متشفياً، فقال له ناصر الدين المقدسي: سألتك بالله ألا تمود تجيء
 إلى! فقال السامري: هو يصير لي، ونظم القصيدة التي منها:

ورّد البشير بما أقرّ الأعين فشفي للصدور وبلغ الناس النقي
 إن أنكر الأصمّ العظيم فما له بالمسلمين فأول القتل أنا
 وقال أبو تمام الطائي:

أجر ولكن قد نظرت فلم أجد أجراً بقي بشجاعة الأعداء^(١)
 وينسب إلى الملك الأحمّد:

لم يبق إلا نفس خافت ومقلّة إنسانها باهت
 ومذنت تضرّم أحشاؤه بالنصار إلا أنه ساكت
 رقى له الشامت بما به يا ويح من يرثي له الشامت
 ومن شعر جحظة البرمكي:

ظنير القلب بحبّ ذنبي فيك والشقم بحسم ناحل
 فها بين اكتئاب وصني تر كاني كالقضيبي الذابل
 فبكى الماذل لي من رحمة فيكائي من بكاء الماذل
 وقال عمارة اليماني:

فعمدها أطرقت من خجلة تصبغ خدّ الأمل الناصل
 وكانت من أصمب مامرّ بي شماتة الحاسد والجاهل
 وقال أبو فراس بن سحران:

إن جاهد الحساد أجر الجاهد وأعجب ما حاولت إرضاء حاسد^(٢)

ولم أرَ مثلي اليومَ أَكْثَرَ حاسداً كانَّ قلوبَ الناسِ لي قابٌ واحدٍ
أرى النِّيلَ من تحتِ الشَّفافي فَأَجَنِّي من العسلِ الماذيَّ سَمَّ الآسودِ
وقال سيف الدين بن المشد :

لم يُبقِ مِنِّي الحبُّ إلا ضَيَّ يخفى عن الزائرِ والمُرائدِ !
قد رَقَّ لي الحاسدُ بما أرى واخجلتُ من رِقَّةِ العاصِدِ !
وقل الأرجاني :

تطلعت في بومئِ رخاءٍ وشِدَّةٍ ونا ديتُ في الأحياءِ هل من مُساعدٍ (١)
فلم أرَ فيما ساءَني غيرَ شامتٍ ولم أرَ فيما سرَّني غيرَ حاسِدِ

* * *

١٣ - وقوله :

وإني لأتجلَّدُ ، وأرى الشامتين أني لَرَيِّبِ الدهرِ لا أنضمضع .
أَتَجَلَّدُ : أُنْقَلُ ، من الجلد ، وهو الصَّلابة ، والتجلَّد : تكأف الشَّهاتِ والصبرِ
وعَدِيمِ المُبالاةِ بالأمرِ الذي يَنزِلُ بالرجل ، وهو صَمْبٌ يشقُّ احتماله .

و « الشامتين » : جَمْعُ شامِتٍ ، وهو اسمُ فاعِلٍ من الشَّمانَةِ ، وهي الفَرَحُ
بمِلَّةِ العدوِّ والتشفيِّ به .

وَأَنْضَمَضَعُ : أُنْقَلُ ، من الضَّمَضَمَةِ ، وهي التَّهْدُمُ والخراب .

وأما التجلَّد والصبر ، فَمِنْ أعْظَمِ صَبْرٍ وَقَعَ لامرأةٍ ما كان من أم سُلَيمِ
امرأة أبي طلحة الأنصاري ، وهوانُ ابنها مَرِضٌ ومات في صبيحة في المنخدع ،
فقامت ، فهَيَّأتْ لأبي طلحة فُطوره كما كانت تهَيِّئُه له في كلِّ ليلة ، فدَخَلَ
أبو طلحة فقال : كيف الصبي ؟ فقالت : بأحسنِ حالٍ ؛ نَحْمَدُ الله ! ثم قامت إلى

ما يقوم إليه النساء ، فأصاب أبو طلحة أهله ، فلما كان في السحر قالت :
يا أبا طلحة ، ألم ترَ إلى آل فلان استماروا عارية فتمتّعوا بها ، فلما طُلبت
منهم شقّ عليهم ! قال : ما أنصقوا ، قالت : إن أهلك كانت عارية من الله
وإن الله قبضه ، فاسترجع ، ثم غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال
له : يا أبا طلحة ، بارك الله لكما في ليلتكما .

وكلام ابن زيدون رحمه الله تعالى محل من قول أبي ذؤيب الهذلي ،
من قصيدته التي رثى بها أولاده فقال :

وتجلدى للشامتين أربهم أنى لرب الدهر لا أنصمضع
وأولها :

أمن المنون وربها تتوجع والدهر ليس بمفتب من يجزع
ومنها يذكر أولاده :

واقدرت بأن أداغ عنهم وإذا المنية أقبلت لا تدفع
وإذا المنية أشبت أطفارها ألفت كل تيمية لا تنفع
فأمن بمدّم كأن حباها كحلت بشوك فهي عور تدفع^(١)
حتى كأني للحوادث مروّة بصفاء المشقر كل يوم تفرع^(٢)
وتجلدى للشامتين أربهم أنى لرب الدهر لا أنصمضع
والنفس راغبة إذا رغبتهما وإذا تردّ إلى قليل تنفع

ولما نقل^(٤) معاوية رضى الله عنه في المرض الذي مات فيه ، دخل عليه
الحسن بن علي رضى الله عنهما يموّده ، فاستوى جالسا وقال :

(١) الحدائق : جمع حذقة .

(٢) المروّة : حجر أبيض يراق تقتدح منه النار . والمشقر سوق بالطائف

(٣) ديوانه الهذليين ١ : ١ . (٤) نقل ، كسفرج : اشتد برضه .

* وَتَجَلَّى لِلشَّامِتِينَ أَرْبَعُهُمْ *

فقام الحسنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يقول :

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أُنْشِبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَبِيْعَةٍ لَا تَنْفَعُ

وقيل : لما ثَقُلَ فِي عِلَّتِهِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا ، أَنْ يُكْحَلَ وَيَبْرُقَ وَجْهُهُ ،
وَيَدْخُلَ النَّاسُ إِلَيْهِ لِيَسْمُوهَا عَلَيْهِ قِيَامًا ، فَلَمَّا خَرَجَ النَّاسُ تَمَثَّلَ مِمَّاوِيَةَ :

* وَتَجَلَّى لِلشَّامِتِينَ أَرْبَعُهُمْ *

وَقَالَ لِابْنَتَيْهِ فِي عِلَّتِهِ هَذِهِ وَهِيَ تَقْلَبَانِهِ : إِنَّكُمَا لَتَقْلَبَانِ حَوْلًا قُلُوبًا ،

جَمَعَ الْمَالَ مِنْ شُبِّ إِلَى دُبِّ^(١) ، إِنْ لَمْ يَدْخُلِ النَّارَ ؛ وَتَمَثَّلَ بِقَوْلِهِ :

لَقَدْ سَمِعْتُ أَسْكَمَ مِنْ سَقِي ذِي نَهْصٍ وَقَدْ كَفَيْتُكُمْ التَّطَوُّافَ وَالرَّحْلَا

وَقَالَ فِي مَرَضِهِ هَذَا : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَسَانِي قِيَمَاصَ رَقْمَتِهِ .

وَقَلَّمَ يَوْمًا أَظْفَارَهُ ، فَأَخَذَتْ ابْنَتُهُ قَلَامَتَهُ فَجَعَلَتْهَا فِي قَارُورَةٍ ، فَقَالَ :

احْفَظِيهَا ، فَإِذَا مِتُّ فَأَلْبِسُونِي الْقَمِيصَ ، وَقَطِّعُوا تِلْكَ الْقَلَامَةَ وَذَرُّوْهَا فِي عَيْنِي
وَفِي ، ثُمَّ تَمَثَّلَ :

إِذَا مِتُّ مَاتَ الْجُودُ وَانْقَطَعَ النَّدَى مِنْ النَّاسِ إِلَّا مَنْ قَابِلٌ مُصَرَّدٍ^(٢)

وَرُدَّتْ أَكْفُ السَّائِلِينَ وَأَمْسَكُوا مِنَ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا بِجَلْفٍ مُجَرَّدٍ

فَقَالَتْ إِحْدَى بَنَاتِهِ : يَدْفَعُ اللَّهُ هَفَكَ ، فَقَالَ :

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أُنْشِبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَبِيْعَةٍ لَا تَنْفَعُ

وَذَكَرَ الْمَسْعُودِيُّ أَنَّ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ لَمَّا قَدِمَ مِنْ مِصْرَ عَلَى مَعَاوِيَةَ

أَنشَدَ مَعَاوِيَةَ :

(١) مِنْ شُبِّ إِلَى دُبِّ ، مِثْلُ ، أَيْ مِنْ لَدُنْ شَبِيتَ إِلَى أَنْ دَبِيتَ عَلَى الْعَصَا

(٢) الْمَصْرُودُ مِنَ الْعَطَاءِ : الْقَلِيلُ .

يَمُوتُ الصَّالِحُونَ وَأَنْتَ حَيٌّ تَخْطَاكَ الْمَنَابِتُ لَا تَمُوتُ
فَأَجَابَهُ عَمْرُو بْنُ قُؤَيْلٍ :

أَنْزِعُوا أَنْ أَمُوتَ وَأَنْتَ حَيٌّ وَلَسْتُ بِمَيِّتٍ حَتَّى تَمُوتَ !

وَقَالَ أَبُو ذُوؤَيْبٍ أَيْضًا :

وَأَنْتِ صَبَرْتَ النَّفْسَ بِمَدَائِنِ عَنَابِسٍ وَقَدْ لَاحَظَ مِنْ مَاءِ الشُّنُونِ لَبُوجُ (٢)
لَا حَسَبَ جَلْدٍ أَوْ لَيْتَابٍ شَامِتٍ وَلِلشَّمْرِ بَعْدَ الْقَارِعَاتِ فُرُوجُ
وَقَدْ جَوَّدَ ابْنُ الرُّومِيِّ حَيْثُ قَالَ :

أَرَى الصَّبْرَ مَحْمُودًا عَلَيْهِ مَذَاهِبُ فَكَيْفَ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ عَنْهُ مَذْهَبُ
هَذَاكَ بَقِيَ لِلصَّبْرِ وَالصَّبْرُ وَاجِبُ وَمَا كَانَ مِنْهُ كَالضَّرُورَةِ أَوْجِبُ
فَشَدُّ أَمْرُوهُ بِالصَّبْرِ كَفًّا فَإِنَّهُ لَهُ عَصْمَةٌ أَسْبَابُهَا لَا تُقْضِبُ
هُوَ الْمَهْرَبُ الْمُنْجِي لِمَنْ أَحْدَقَتْ بِهِ مَكَارُهُ دَهْرٍ لَيْسَ عَنْهُنَّ مَهْرَبُ
لِبُوسِ جَمَالِ جَنَّةٍ مِنْ شِمَاتِهِ شِفَاءُ أُنْتَى يُبْنَى بِهِ وَيُثَوَّبُ
فِيَا مَجْبِيًّا لِشَيْءٍ هَذَا خِلَالُهُ وَتَارَكَ مَا فِيهِ مِنْ الْخَلْطِ أَهْجِبُ
وَقَدْ يَتَطَنَّي النَّاسُ أَنْ أَصَاهُمُ وَصَبْرُهُمْ فِيهِ طِبَاعُ مُرْكَبُ
وَأَتَمُّهَا لَيْسَا كَشَيْءٍ مَصْرِفٍ بِصَرْفِهِ ذُو نَسَكَةٍ حِينَ يُنْكَبُ
فَإِنْ شَاءَ أَنْ يَأْتِيَ أَطَاعَ لَهُ الْأَمِيُّ وَإِنْ شَاءَ صَبْرًا جَاءَهُ الصَّبْرُ يُجَلَبُ
وَلَيْسَ كَمَا ظَنُّوْهُمَا بَلْ كِلَاهُمَا أَسْكَلُ لَيْبٍ مَسْتَطَاعُ مُشْتَبُ
يَصْرِفُهُ الْمُخْتَارُ مِمَّا فُقَارَةٌ يُرَادُ فَيَأْتِي أَوْ يُدَادُ قَبْذَهُ
إِذَا أَحْتَجَّ مُحْتَجٌّ عَلَى النَّفْسِ لَمْ يَكْدُ عَلَى قَدَرٍ يُبْنَى لَهَا يَتَعَتَّبُ

(٢) ديوان البهليلين ١ : ٦١

(١) مروج الذهب ٣ : ٣٠ .

(٣) ديوان ابن الرومي ، مخطوطة دار الكتب البرقة ٢٥

فَسَاعَدَهَا الصَّبْرُ الْجَلِيلُ فَأَقْبَلَتْ
وإن هُوَ مَنَّاها الأَبَاطِيلُ لَمْ تَزَلْ
فَتَضْحِكِي جَزُوعاً إِنْ أَصَابَتْ مُصِيبَةٌ
فَلَا يَمْدِرُنَ التَّارِكُ الصَّبْرَ نَفْسَهُ
إِلَيْهَا لَهُ طَوْعاً جَنَائِبُ تَجَنَّبُ
تَقَايِلُ بِالْغَيْبِ الْقَضَاءُ فَتُطَلَّبُ
وَتُنَمِّسِي هَلُوعاً إِنْ تَمْدُرُ مَطْلَبُ
بَأَنْ قِيلَ : إِنْ الصَّبْرُ لَا يُتَكَسَّبُ

وقال الأمير تاج الدين السكيتي :

هَبْهَاتِ يَوْمَ لَمِنِي الزَّمانَ فَأَشْفِكِي
وَعَزِّمِي مَا إِنْ يُشْلَمُ غَرْبَهَا
وقال الأمير تميم بن العزّ :
صَبْرْتُ عَلَى الشَّكْوَى حَيَاءً وَعِفَّةً
وَبِى كُلُّ مَا يَبْكِي الْعَيُونَ أَقْلَهُ
وَهَلْ يَشْتَكِي لَدَغَ الْأَرَاقِمِ أَرْقَمُ !^(١)
وإن كُنتُ مِنْهُ دَائِماً أَتَبَسُّمُ

وما أطفَ قول أبي الحسين الجزّار :

أُطِيلُ شِكَايَاتِي إِلَى غَيْرِ رَاحِمٍ
وَأَشْكُرُ هَيْشَى الْوَدَى خَوْفَ شَامِتٍ
وَأَهْلُ الْغَيْثِ لَا يَزُودُونَ فَقِيرًا
كَذَا كُلُّ نَحْسٍ لَا يَزَالُ شَكُورًا

وقال شرف الدين المبارك مستوفى إربيل :

أَلْقَى الْخُطُوبَ إِذَا أَسْدَدَتْ عَرِيكَتُهَا
مَا يَنْقُمُ الدَّهْرُ مَنَى غَيْرَ مَعْرِفَتِي
بِتَيْسِهِ رَأَى كَثِيرَ التَّيْسِ مَخْطَالِ
بَأَنَّهُ قَطُّ مَا يَبْقَى عَلَى حَالِ

وقال أبو عامر بن الشهيد :

إِنَّ السَّكْرِيمَ إِذَا نَالَهُ تَخَمُّصَةٌ
يَخْنَى الضُّلُوعُ عَلَى مِثْلِ الْأَقْلَى حُرْقًا
أُبْذَى إِلَى الْفَنَسِ رَبًّا وَهُوَ ظَلَمَانُ
وَالْوَجْهُ غَمْرٌ بِمَاءِ الْبَشْرِ مَلَانُ

وما أحسن قول القاضى الفاضل :

لَا تَنْتَ لِلْخُطُوبِ وَاصِلٌ فَمَنْ لَا نَ تَوَالَى عَلَيْهِ قَرْعُ الْخُطُوبِ
إِنَّ ضَرْبَ الْحَدِيدِ مَا كَانَ إِلَّا حِينَ أَبْدَى لِيَمًا لَحْرًا اللَّهْيَبِ

وقال أبو بكر الخوارزمي :

عَلَيْكَ بِإِظْهَارِ التَّجَلُّدِ لِلْعِدَا وَلَا تُظْهِرَنَّ مِنْكَ الذُّبُولَ فَتُحْقَرَا
أَلَسْتَ تَرَى الرِّيحَانَ يُشَمُّ نَاضِرًا وَيُطْرَحُ فِي الْمِيصَا إِذَا مَا تَغَيَّرَا !

وعلى كلِّ حال فالعلم بالحاسد ، ولا رؤية الشامت ، قال الشاعر :

لَا مَاتَ حَسَادُكَ بَلْ خُلِدُوا حَتَّى يَرَوْا مِنْكَ الَّذِي يَكْدُ
وَلَا خَلَكَ الدَّهْرُ مِنْ حَاسِدٍ فَإِنَّ خَيْرَ النَّاسِ مَنْ يُحْسَدُ

وما أحسن قول القاضى ناصح الدين ، وقد تقدّم :

وَلَمَّا بَلَوْتُ النَّاسَ أَطْلُبُ عِنْدَهُمْ أَخَانَةً عِنْدَ اعْتِرَاضِ الشَّدَائِدِ
تَطَلَّعْتُ فِي يَوْمِي رَحَاءً وَشِدَّةٍ وَنَادَيْتُ فِي الْأَحْيَاءِ : هَلْ مِنْ مُسَاعِدٍ ؟
فَلَمْ أَرَ فِيمَا سَأَلْنِي غَيْرَ شَامِتٍ وَلَمْ أَرَ فِيمَا سَرَّنِي غَيْرَ حَاسِدٍ

* * *

١٤ — فأقول : هل أنا إلاَّ يَدٌ أَدْمَاهَا سِوَارُهَا ، وَجَبِينُ
عَضٌّ بِهِ إِكْلِيلُهُ !

أَدْمَاهَا : أُجْرَى دَمَهَا . وَالسَّوَارُ : سِوَارُ الْمَرْأَةِ ، وَهُوَ مَعْرُوفٌ .

وَالْجَبِينُ : مَا فَوْقَ الصَّدْغِ ، وَهِيَ جَبِينَانِ عَنْ يَمِينِ الْجَبْهَةِ وَيَسَارِهَا .

عَضٌّ بِهِ ، وَالرَّادُ عَضَّهُ ، وَالْمَعْرُوفُ مَعْرُوفٌ ، وَإِذَا كَانَ حَقِيقَةً فَهُوَ إِتْمَا
بِالْأَسْنَانِ ، وَيُكْتَبُ بِالضَّادِ الْمَجْعَةِ ، وَإِذَا كَانَ مَجَازًا مِثْلَ عَضِّ الزَّمَانِ ، وَعُظَّتِ
الْحَرْبُ ، كُتِبَ بِالضَّاءِ الْقَائِمَةِ .

والإكليل : العصابة للرأس تُكَلَّلُ بالتَّوَلُّو ، ويسمى التاج إكليلًا ،
ومعنى هذا أنه لما قال : أُنَجِّدُ وأرى الشامت^(١) أن لا أنصفه لما نزل بي
منك ، فأكار نفسي ، وأريها الباطل حتمًا ، قال : ما أنا إلا يدُ أدمها
سوارها الذي تحلت وتزينت به ، وجبينُ عضّ به تاجه الذي وضعه فوقه ؛
ليتمحل به ، ويتحلّى بجواهره ، فما ألومُ أحدًا فعل بي ذلك ؛ وهذا مأخوذ من
قول أبي الطيب :

بنو كعب وما أثرت فيهم يدٌ لم يدُمها إلا السَّوارُ^(٢)
بها من قطعه ألمٌ ونقصٌ وفيها من جلالة افتخارُ

^(٣) وهذا من باب تحسين القبيح ؛ وهو أن يعتذر له بشيء يعود قبضه حسنًا
كما^(٤) اتفق للمزني صاحب مصر ووزيره ابن كلث^(٥) ، لما تسابقا بالحمام ، فسبق
حامُ الوزير ، فسق ذلك عليه ، وأراد الإيقاع به ، فكتب الوزير إليه :
قلْ لأمير المؤمنين الذي له العلاء والنسبُ الثاقبُ
طائرُك السابقُ لكتفه جاء وفي خدمته حاجبُ
فَسَكَنَ غِيظُ^(٦) الخليفة . وكما قال الآخر لما احترق حرّم النبي صلى الله
عليه وسلم :

لم يحترق حرّم النبي لريّة تُخشى عليه ولا هُنَالِكَ عارُ
لكنّا أيدي الرّوافضِ لامستْ ذاك الضريحَ فظهرته النارُ

وقال أبو الحسين الجزّارُ من أبيات ، وقد ذكر حريقَ الحرّم النبوي :
لله في النار التي وقعت به سرٌّ عن العقلاء لا تُخفيه
أن ليس يبقى في فناء بقيّةٌ مما بدّته بنو أمية فيه

(٢) ديوانه ٢ : ١١٢ .

(١) ط : ه الشامتين .

(٤) هو أبو الفرج يعقوب بن يوسف . والخبر مع

(٣ - ٣) ساقط من ط .

اليتين في ترجمته ، في ابن خلكان ٢ : ٣٣٥ .

و كما قال صَنَاجَةُ الدَّوْحِ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ عَاصِمٍ ، شَاعِرُ الْحَاكِمِ :
 بِالْحَاكِمِ التَّمَلُّ أَوْحَى الدِّينَ مَعْتَلِيَا تَجَلَّ الْعَلَا وَسَلِيلُ السَّادَةِ الصُّلَحَا (١)
 مَا زِلْتُ مُصْرُوعًا مِنْ كَيْدِ رَادِيهَا وَإِنَّمَا رَقَصْتُ مِنْ عَدْلِهِ فَرَحَا
 وَلَاحِقُ الْأَبَارِ مُصَنَّفُ سَمَاءَ : « قَطَعَ الرِّيَاضَ ، فِي بَدْعِ الْأَغْرَاضِ » وَكَلَهُ
 جَمْعُهُ مِنْ هَذَا الْبَابِ فِي تَحْسِينِ الْقَبِيحِ .

وَقَوْلُهُ : « يَدُ أَدُمَاهَا سَوَارُهَا » ، يُشَبِّهُهُ قَوْلُ الْبَاخَرَزِيِّ :
 هِيَ الْأَدَابُ حَتَّى غَيْرَ أَنِّي بِحَرْفَتِهَا اضْطَرْتُ إِلَى الصَّمَارِ
 كَذَاكَ لِمَقْصَمِ الْحُسْنَاءِ صَبْرٌ عَلَى ضَيْقِ الْخِلَاقِ مِنَ السَّوَارِ
 وَقَالَ ابْنُ بَابِلَكٍ :

لَا صَبْرَ عَنْكَ وَلَوْ عَضَّ السَّوَارُ يَدِي وَبِتُ مَرْتَفَعًا فِي رَأْسِ عُجْدَانَا
 كَلَّا وَلَوْ هَزَّ عَرْشُ الْمَلِكِ نَاصِيَتِي وَصِرْتُ مِنَ الْخَبَرِ الشَّرْقِيِّ دِيَانَا
 وَقَالَ الْأَخْوَصُ مِنْ قَصِيدَةٍ :
 فَطَلَّقَهَا فَلَسْتُ لَهَا بِكَفٍّ وَإِلَّا عَضَّ مَفْرَقَكَ الْحُسَامُ (٢)

* * *

١٥ - وَقَوْلُهُ : وَمَشْرِقِي الصَّعَّةُ فِي الْأَرْضِ صَاقِلُهُ ، وَسَمَّيْتُ عَرَصَهُ
 عَلَى النَّارِ مُؤَمِّدُهُ .

لِلْمَشْرِقِ - بَفَتْحِ الْمِيمِ وَالرَّاءِ ، وَتَشْدِيدِ الْيَاءِ : السَّيْفُ ، مَنْسُوبٌ إِلَى
 الْمَشَارِفِ ، وَهِيَ قُرَى مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ ، وَلَا يُقَالُ : سَيْفٌ مَشَارِفِي ، لِأَنَّ
 الْجَمْعَ لَا يُنْسَبُ إِلَيْهَا إِذَا كَانَتْ عَلَى هَذَا الْوِزْنِ ، لَا يُقَالُ : مَهَالِجِي ، وَلَا
 جَمَافِرِي ، وَلَا عَبَاقِرِي . وَقَدْ قِيلَ : مَدَائِنِي ، نِسْبَةً إِلَى مَدَائِنِ كِسْرَى ، لِأَنَّ

(٢) مِنْ آيَاتِهِ فِي الْأَغْنَى ١٥ : ٢٩٣ .

(١) حَسَنُ الْمَخَاضَةِ ٢ : ١٩٩ .

النسبة إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم مدني ، وإلى مدينة المنصورة
مديني ، ف قيل في ذلك للفرق .

الصَّهْ في الأرض : وضعه عليها .

والصَّاقِل : القَيْن الذي يَحْمِلُ السَّيْف من الصَّدَأ .

والسَّمْهَرِي : الرِّمَح الصُّلْب ، وقيل : منسوبٌ إلى سَمَهَر ، وهو رجل
كان يقوم الرِّمَّاح .

مُثَقَّة : مقوِّمه ، والتثقيف : التقويم ، معناه : أنا سيفٌ وضعه على النار
من يحلوه من الصَّدَأ ، وإن كان عمله على الكُف ، ورمحٌ عَرَضَه على النار
مقوِّمه ؛ وذلك لمصلحة تعود على السيف والرمح ، فما أعد ذلك شيئاً غريباً .
قال الخفاجي :

أُمُّ إِذَا مَا نَوَّشَ الدَّهْرُ جَانِبِي وَأَيُّ حُسَامٍ لَا يَحَادِثُ بِالْصَّغْلِ (١)
وَمَا هُوَ فِيمَا بَيْنَنَا مِنْ صَنِيمِهِ بِمَطْرِحٍ قَوْلِي وَلَا جَاهِلٍ فَعْلِي
وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الْفَرَزِي :

صَقَلْتُ الْعِلَّاءَ بِالْكَرُمَاتِ وَإِنَّمَا يَنْبَغُ بِأَسْرَارِ السَّيُوفِ الصَّيَاقِلُ
وَقَالَ أَبُو تَمَّامِ الطَّائِي :

وَمَا السَّيْفُ إِلَّا زُرْبَةٌ لَوْ تَرَكْتَهُ عَلَى الْحَالَةِ الْأُولَى لَمَا كَانَ يَقْطَعُ (٢)
وَقَالَ أَبُو فِرَاسِ بْنِ خَمْدَانَ :

وَأَنْتَ بَقِيْتُ فَإِنِّي غَمِظْتُ الْعِدَا طِفْلاً وَكَهْلاً (٣)
مَا كُنْتُ إِلَّا السَّيْفُ أَخُو لَمَصَةِ الْقُيُونِ فَرَادَ صَقْلاً
يَفْرِي رِمَاسَ عِدَاتِهِ وَيَسْلَهُمْ بِالضَّرْبِ شَلًّا
وَأَنْتَ هَلَكْتُ فَإِنَّمَا مَوْتُ الْكِرَامِ الصَّيْدِ قَتْلًا

(١) ديوانه ٣٨ (مخطوطة دار الكتب رقم ٥١٠ - أدب) ، وهو عبد الله بن سعيد
الحروف بأبي محمد الخفاجي . والتحدث هنا : جلاء السيف .

(٢) ديوانه ٧ : ٣٣٤ . والزبرة : القطعة من الحديد . (٣) ديوانه ٢٢٩ .

وقال شهاب الدين الخيمي لما تولى تفاش عذاب ابن الزبير :

لأبن الزبير مكارم أخت بها طير الدائح في البلاد تُقرّد
إن قيّدوه وبالفؤا في عصره فالكرم بمصر والجواد يُقيّد

وقال الأمير أبو النبيع قراوش :

لله درّ النائبات فإنها صدا اللثام وصيقل الأحرار
ما كنت إلا زبرة فطعنني سيفاً وأطلق صرفهن غراري

وقال ابن الساعاتي :

وما أبيض وجه الخاض الحرب في الوغى

بصاره لولا سواد القساطل
يزيد النضار الطلق بالنار رقة
كذلك سيوف الهند يركبها الصدا
ويذهب بالتنقيف زئج الأمويل
فتكسبها حسناً أكل الصياقل

وقال أبو الفتيان بن حيوس فأحسن :

أرى كل معوج الودّة يصطفي
لديكم ، ويلقى حتفه من تقوما (١)
حنى الناس من قبل القسي لتقتني
وثقف مناد القنا ليحطما

وقال ابن سناء الملك :

حاربت هذا الدهر لـ كن ما وجدت عليه نصراً
من أجل حربى قد أعدّ وقد أحد شبا وظفراً
والقوس يحنى والمهند ينتضى والسهم يبرى

وقال علي بن الجهم لما حبس :

والبدر يدركه السرار فتنجلي
أيامه فكأه متجدد (٢)

وَالْقَيْثُ يَحْصِرُهُ النَّهْمُ فَأَيْرَى
وَالرَّاعِبِيَّةُ لَا يُقِيمُ كُحُوبَهَا
وَالنَّارُ فِي أَحْجَارِهَا مَحْبُوءَةٌ
وَالْحَبْسُ، مَا لَمْ تَنْفُسْهُ لَدْنِيَّةُ
إِلَّا وَرَيْقُهُ هُرَّاحٌ وَيَرْعَدُ^(١)
إِلَّا الثَّقَافُ وَجَذْوَةٌ تَتَوَقَّدُ^(٢)
لَا تُصْطَلَى إِنْ لَمْ تُثْرَهَا الْأَزْنَدُ
شَنْعَاءُ نَعَمَ الْمَنْزِلُ الْمَتَوَرَّدُ

وقال القاضي أبو الفتح نصر بن سيار الهرمزي الشهرودي :

عَزَاكَ إِنْ حُدِسْتَ فَلَيْسَ عَيْنِيَا
وَهَذَا الْوَرْدُ قَدْ يَزْدَادُ طِيَّيَا
وَضَرْبُكَ إِنْ ضُرِبْتَ فَلَيْسَ عَارَاً
وَمِثْلُكَ مَنْ تَعَانَدُهُ اللَّيَالِي
فَتِلْكَ الرَّاحُ تُحْبَسُ فِي الدَّانِ
إِذَا حُدِسَتْ أَطْرَافُ الْبَنَانِ
كَمَا قَدْ يُضْرَبُ السِّيفُ الْيَمَانِي
وَتُجَمَّعُ نَحْوَهُ نُوبُ الزَّمَانِ
وقال آخر :

لَنْ صُرِفَتْ - وَحَاشَا
وَمَا أَعْتَقَلَتْ كَرِيماً
لَكَ - فَالْدَّانِيذُ تُصْرَفُ
إِلَّا وَأَنْتَ مُتَقَفٌ

وقال سيف الدين بن قول المشد :

أَنْتَ الْحُسَامُ إِذَا مَا هَاجَ مُعْتَرِكُ
فَلَا تُبَالِ بِأَمْرِ جَاءَ عَنْ قَدَرٍ
وقال الباخرزي صاحب الدُّمِيَّةِ :

أَبَا عَاصِمٍ كُنْ عَاصِماً لِابْنِ مَخْنَةٍ
صَبُورٌ عَلَى عَضِّ الثَّقَافِ وَمَا الْقَنَا
هُوَ الْخَادِرُ الْمُلْقَى بِأَرْضِكَ رَحْلُهُ
وقال إبراهيم بن المدبر : وقد حبس :
أَلَسْتُ تَرَيْنِ الْخَرَّ يَظْهَرُ حُسْنُهَا
أَبَتْ نَكِمَاتُ الدَّهْرِ إِلَّا ثِقَافَهُ
بِمَقْتَدِلٍ مَا لَمْ تُحَسِّنْ ثِقَافَهُ
فَإِنْ زُرْتَهُ بَدَأَتْ بِالْخَاءِ قَافَهُ
وبهجتها بالحبس في الطين والقار

(١) ريق كل شيء : أوله.

(٢) الراعية : رماح منسوبة إلى رجل من الخزرج اسمه زاعب كان يعمل الأسنة.

وما أنا إلا كالجواد يصونه مقومه السبق في طي مضار
أو الدرة الزهراء في قمر أجة فلا تجتلي إلا بهول وأخطار
فلا تُفكرى طول المداراة للعدا فإن نهايات الأمور لإفصار
لعل وراء القيب أمراً يسرنا بقدره في علمه الخالق الباري

* * *

١٦ - وقوله : وَعَبْدٌ ذَهَبَ بِهِ سَيِّدُهُ مَذْهَبَ الَّذِي يَقُولُ :

فَقَسَالِيزِ دَجْرُوا وَمَنْ يَكُ حَازِمًا فَلْيَقْسُ أَحْيَانًا عَلَى مَنْ يَرْحَمُ

ليزدجروا : ليقمعوا من الازدجار ، وهو الزجر ، والزجر هو المنع ،
يقال : زجره فازدجر وانزجر .

والحزم : ضبط الرجل أمره ، والأخذ فيه بالثقة ، ومعناه : وأعد نفسي
عبدًا ذهب به سيده فيما فعل به مذهب الذي قال هذا البيت ؛ لأنه يريد
بذلك صلاحه وتأديبه ، فهو مع رحمة له قد قسا عليه حتى يتأدب ، ولم يك من
شأنه القسوة .

وهذا البيت يقوله أبو تمام من قصيدة مدح بها مالك بن طوق ، وأولها :

أَرْضٌ مَصْرَدَةٌ وَأُخْرَى تُشْجَمُ تِلْكَ الَّتِي رُزِقْتُ وَهَذِي تُحْرَمُ^(١)

يقول منها في المديح :

ما هذه التُربى الَّتِي لَا تُصْطَفِي ما هذه الرَّحِمُ الَّتِي لَا تُرْحَمُ !
حَسَدُ الْقَرَابَةِ لِلْقَرَابَةِ قَرْحَةٌ أَعْيَتْ عَوَائِدُهَا وَجُرْحٌ أَقْدَمُ^(٢)

(١) ديوانه ٣ : ١٩٥ . ومصرده . يقطع شجرها . وتشجم : تَطْر على الدوام .

(٢) عوائد : جمع غائد ، من قولهم : عند العرق ، إذا سال ولم يرقأ .

تَلَسُّكُمْ قَرِيشٌ لَمْ تَكُنْ آرَاؤُهَا تَهْفُو وَلَا أَحْلَامُهَا تُتَقَسَّمُ
 حَتَّى إِذَا بُعِثَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ فِيهِمْ غَدَتٌ شَحَنَؤُهُمْ تَنْتَضِرُ
 عَزَبَتْ عَقُولُهُمْ وَمَا مِنْ مَقْشَرٍ إِلَّا وَهُمْ مِنْهَا أَلْبٌ وَأَحْزَمٌ^(١)
 إِنَّمَا أَقَامَ الْوَحْيُ بَيْنَ ظُهُورِهِمْ وَرَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ أَحَدًا مِنْهُمْ
 وَمِنْ الْحَزَامَةِ لَوْ تَكُونُ حَزَامَةً إِلَّا يُؤَخَّرُ مِنْ بِهِ يُتَقَدَّمُ^(٢)
 إِنْ تَذْهَبُوا عَنْ مَالِكٍ أَوْ تَجْهَلُوا نِعْمَاهُ فَالرَّحِمِ الْقَرِيبَةِ تَعْلَمُ
 هِيَ تِلْكَ مُشْكَاةٌ لَكُمْ لَوْ تَشْتَكِي ، مَظْلُومَةٌ لَوْ أَنَّهَا تَنْتَظِمُ^(٣)
 كَانَتْ لَكُمْ أَخْلَاقُهُ مَفْسُورَةً فَتَرَكْتُمُوهَا وَهِيَ مِلْحٌ عَلَقَمُ
 حَتَّى إِذَا أُجِنَتْ لَكُمْ دَاوَتُكُمْ مِنْ دَائِكُمْ ، إِنَّ النِّقَافَ يُقَوِّمُ^(٤)
 فَكَمَا لَبِزَ دَجْرًا وَمَنْ يَكُ حَازِمًا فَلْيَقْسُ أَحْيَانًا عَلَى مَنْ يَرْحَمُ
 وَأَخَافَكُمْ كَيْ تُفْمِدُوا أَسْيَافَكُمْ إِنْ الدَّمُ الْمُعْتَرَّ يَحْرِسُهُ الدَّمُ^(٥)

وَمِنْ مَادَّةِ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي هُوَ الرَّسَالَةُ ، قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ الطَّائِي أَيْضًا :

يَا شَامِتًا بِي إِذْ رَأَى هَجَرَ الْحَبِيبِ وَصَدَّهُ^(٦)
 لَا تَشْمَتَنَّ فَإِنَّهُ مَوْلَى يُؤَدِّبُ عَبْدَهُ

وَمِنْ هَذَا قَوْلُ مَهْيَارَ :

مَا كُنْتُ أَعْلَمُ مَا مَقْدَارُ وَصْلِكُمْ حَتَّى هَجَرْتُمْ ، وَبَعْضُ الْهَجْرِ تَأْدِيبُ^(٧)

(١) أَلْب : أعقل ؛ وأحزم : أضبط .

(٢) الحزامة : حسن الرأي . والنطب : القنذر .

(٣) مشكاة ، اسم مفعول من الشكاية .

(٤) أُجِنَتْ : تغيرت . والنقاف : آلة تقوم الرماح .

(٥) تفمدوا : تستروا . المعتَر : المضطرب .

(٦) ديوانه ٤٣٧ (بيروت)

(٧) ديوانه ١ : ٢٤

وهو مأخوذ من قول أبي تمام :

وليس يعرف كنه الوصل صاحبه
وقال أبو القلاء :

فاضربْ وَلِيْدَكَ تَأْدِيَاً عَلَى رَشْدٍ وَلَا تَقُلْ هُوَ طِفْلٌ غَيْرُ مُحْتَلَمٍ^(١)
فَرُبَّ شَقِيٍّ بِرَأْسٍ جَرَّ مَنْفَعَةً وَقِسْ عَلَى شَقِيٍّ رَأْسَ السَّهْمِ وَالْقَلَمِ
وقال ابن خفاجة الأندلسي في هذا المعنى :

نَبِيٌّ وَلَيْدَكَ مِنْ صِيَاهِ بَرْجَرَةٍ فَارْبَمَا أَغْنَى هُنَاكَ بُكَاءُهُ
وَأَنْهَرَهُ حَتَّى تَسْتَهْلِلَ دُمُوعُهُ فِي وَجَنَتَيْهِ وَتَلْتَظِي أَحْشَاؤُهُ
فَالسَّيْفُ لَا تَذْكُو بِكَفِّكَ نَارُهُ حَتَّى يَسِيلَ يَصْفَحْتِيهِ مَاءُهُ
وقال علي بن الجهم :

لَيْسَ عِنْدِي وَإِنْ تَفَضَّيْتَ إِلَّا طَاعَةً حُرَّةً وَقَلْبٌ سَلِيمٌ
وَانْتَظَارُ الرِّضَا فَإِنَّ رِضَا السَّادَاتِ عِزٌّ وَعَتَبُهُمْ تَقْوِيمٌ

• • •

١٧ - وقوله : هَذَا الْعَتَبُ مُحَمَّدٌ عَوَاقِبُهُ ..

المواقب : جمع عاقبة ، وهي آخر كل شيء ؛ يشير بذلك إلى قول أبي الطيّب :
لَعَلَّ عَتَبَكَ مُحَمَّدٌ عَوَاقِبُهُ وَرَبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَامُ بِالْعَدَلِ
وهذا من قصيدته التي مدح بها سيف الدولة بن حِذَان ، وكان في نفس
سيف الدولة بقية من مَوْجِدَةٍ عليه ، وأول هذه القصيدة :

أَجَابَ دَمْعِي وَمَا الدَّاعِي سِوَى طَلَلٍ دَعَا قَلْبَاهُ قَبْلَ الرِّكْبِ وَالْإِبْلِ^(٢)
ومنها :

يَأْيَاهُ الْمَحْسَنُ الْمَشْكُورُ مِنْ جِهَتِي وَالشَّكْرُ مِنْ قَبْلِ الْإِحْسَانِ لَا قَبْلِي

(٢) اللزيمات ٢ : ٢٦١

(١) ديوانه ٣ : ٣١٠

(٣) ديوانه ٣ : ٨٤ .

ما كان نوحى إلا فوق معرفتى بأن رأيتك لا يأتى من الزلال
أقول أنزل أقطع أهل على أعد زرعش بش تفضل أدن سر صلي
لعل عتبتك محمود عواقبه ورثما صحت الأجسام بالعلل
ورواه بعضهم : « طرائقه » .

وما أحسن قول السراج الوراق ، ومن خطه نقلت :
وقائل قال لي لما رأى قلقي لطول وعد وآمال تمنينا
عواقب الصبر فيما قال أكثرهم محمودة قلت أخشى أن تخزينا
وقال ابن الخطيب الدمشقي :

وما كل منسوب الرقاد موار ولا كل منسوب الفؤاد مفاداً^(١)
يرى الصبر محمود العواقب معشر وما كل صبر يحمد المرء عقباه
وقال سيف الدين على بن قزل الشد :

صبرت على مر هجرانكم وعاتبت قلبي ثم أرعوى
فأصبح جسدي في صحبة وعوفيت من ضرر داء الجوى
وعاقبة الصبر محمودة لمن يتداوى به في الهوى

وما أحسن قول بعض الشعراء :

لعل سباً يُفقد حُباً والشر للخير قد يجز

١٨ - وقوله : وهذه النبوة غمرة ثم تنجلي ، وهذه النكبة

سحابة صيف عن قليل تقسم .

النبوة : تأنيث نبو ، وهو مصدر ، نبا الشيء إذا تحاماه وتباعد عنه ، ومنه
نبا السيف إذا ارتفع عن الضربة ولم يقطع فيها .

وَالْقَمَرَةُ : الشَّدَّةُ الشَّدِيدَةُ الْعَامَّةُ ، وَالْجَمْعُ غَمَرٌ .

تَنْجَلِي : تَذَهَبُ ، وَفِي الْمَثَلِ . غَمَرَاتٌ ثُمَّ تَنْجَلِي ، أَوَّلُ مَنْ قَالَهُ الْأَغْلَبُ
الْمَعْجَلِي ، قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : زَعَمُوا أَنَّ صَبِيًّا مِنَ الْعَرَبِ نَظَرَ إِلَى قَوْمٍ يَا كَلُونَ ،
فَأَرَادَهُمْ ، فَجَاءَ سَيْلٌ فَخَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ، فَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي الْمَاءِ ، ثُمَّ جَمَلَ يَنْقُطُ مَرَّةً
وَيَرْتَفِعُ أُخْرَى وَيَقُولُ : « غَمَرَاتٌ يَنْجَلِينَ » ، حَتَّى تَخْلُصَ وَوَصَلَ إِلَيْهِمْ . وَقَدْ
وَرَدَ هَذَا الْمَثَلُ فِي رَجَزٍ لِبَعْضِ الرُّجَّازِ ، وَهُوَ :

يُقَارِعُ السَّنِينَ عَنْ بَنِينَا وَالْفَمَرَاتِ ثُمَّ يَنْجَلِينَا^(١)

وَالنَّكَبَةُ ، وَاحِدَةُ نَكَبَاتِ الدَّهْرِ ، يُقَالُ : أَصَابَتْهُ نَكَبَةٌ ، وَنُكِبَ فُلَانٌ
وَهُوَ مُنْكَوَبٌ ، كَأَنَّهُ قَدْ عُدِلَ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ إِلَى الشَّرِّ .

وَتَقَشُّعٌ ، أَصْلُهُ تَقَشَّعٌ ، فَأُدْغِمَتْ إِحْدَى التَّائِينَ فِي الْأُخْرَى . تَقَشُّعُ السَّحَابِ
إِذَا أَقْلَعُ ، أَخَذَ يُعْزِي نَفْسَهُ وَيَسْلِكُهَا وَيَمْتَمُّهَا ، وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْأَمِيرِ شَمْسِ الدِّينِ
جَعْفَرِ بْنِ شَمْسِ الْخِلَافَةِ :

هِيَ شَدَّةٌ يَأْتِي الرَّخَاءُ عَقِيْبَهَا وَأَسَى يَبْشُرُ بِالسَّرُورِ الْعَاجِلِ
وَإِذَا نَظَرْتَ فَإِنَّ بُؤْسًا زَائِلًا لِلرَّءِ خَيْرٌ مِنْ نَعِيمٍ زَائِلٍ

وَقَالَ شَرَفُ الدِّينِ الْمُبَارَكِ مُسْتَوْفِي إِرْبِلَ :

وَمَا السَّجْنُ إِلَّا ظِلٌّ يَمُوتُ سَكَنَتُهُ أَرْفَهُ فِي أَفْيَآئِهِ وَأُنْعَمُ
فَكَمْ مِنْ طَلِيقٍ أَوْفَقَ الدَّلَّ نَفْسَهُ وَآخَرَ مَأْسُورٍ يُعْزِ وَيَكْرُمُ
وَقَدْ شَحِذَ الْهِنْدِيُّ وَهُوَ مُطَبَّقٌ وَقَدْ تُقِفُّ الْخَطْلَى وَهُوَ مَقُومٌ
وَمَا هِيَ إِلَّا غَمْرَةٌ ثُمَّ تَنْجَلِي سَرِيمًا وَإِلَّا نَبْؤُهُ تَتَصَرَّمُ

قوله : « سحابة صيف » ، مرّ بلال بن أبي بردة الأشعري بخالد بن
صفوان في مؤكب عظيم ، فقال خالد : سحابة صيف عن قليل تقشع ، فسمعه
بلال فقال : والله لا تقشع منها حتى يصيبك شؤبوب برد . وأمر بضربه
بالسياط وحبسه .

وقال المبرد : كان ابن شبرمة إذا نزلت به نازلة قال : سحابة صيف
عن قليل تقشع ^(١) .

وبلال بن أبي بردة أشار بقوله : حتى يصيبك منها شؤبوب برد ، إلى
قول النابغة :

ولا تلاق كما لاقى بنو أسد فقد أصابتهم منها بشؤبوب ^(٢)
وما أحسن قول أبي القاسم هبة الله بن الفضل الطيب :

يامعشر الناس الفمير النفير قد جلس الهردب فوق السرير
وصار فينا أمراً ناهياً وكنت أرجو أنه لا يصير
وكلمنا قالوا غداً ينجلي وظلمة عما قليل تنيّر
فمحت عيني فإذا الدولة الدّولة والشيخ الوزير !
وقول ابن الخياط الدمشقي :

سحابة برّ أن منها انقشاعها وأنيكة مجدي حان منها ذبولها ^(٣)

* * *

١٩- وقوله : ولن يريني من سيدي إن أبطأ سحابة ، أو تأخر
غير ضنين غناؤه .

يريني : فعل مضارع ، والرّيبة : الشك والنّهمة .
وضنين : بخيل ، وغناؤه ، بفتح الغين المعجمة والمد : النفع .

(١) الكامل ٢ : ٤١ .

(٢) ديوانه ١٠٢ .

(٣) ديوانه ١١ .

وكان أبو العتاهية قد عاق عُتْبَةَ جارية المهديّ ، وعلم المهديّ بذلك ،
واشتهر أمرها على ما هو معروف عند الأخياريين ، فوَدَّه المهديّ بزواجها ،
وطال الأمر على أبي العتاهية ، فأشَدَّ يوماً :

ولقد تسمتُ الرياح لحاجتي فإذا لها من راجتيك نسيمُ
أعلمت نفسي من رجائك ما لها عنقٌ يحبُّ إليك وهو رسيمُ
ورميتُ نحو سماء جودك ناظري أرعى مخايلَ برّها وأشيمُ
ولربما استتيئستُ ثم أقول : لا إنَّ الذي ضمن النجاحَ كريمُ
وأتى بذلك إلى يزيد حوراء ، وكان من كبار المطربين في زمانه ، وقال :
أريد أن تصنع في هذه الأبيات لحنًا وتقني به بين يدي المهديّ ، فلما طابت
نفسُ المهديّ في بعض الأوقات غنى يزيدُ بذلك ، فأحضر المهديّ أبا العتاهية
فقال : أمّا عُتْبَةُ فلا سبيلَ لك إليها ؛ لأنَّ مولاتها منعت منها ، ولكن هذه
خمسون ألف درهم ، فاشترِ ببعضها خيراً منها ، فحمل الدراهم وانصرف .

وقال أبو إسحاق الصبّاحي :

وعلى باستحكام حتى لديكم يحقق ظني أن جرّمي سيوهبُ
وأنتك لاجر الذي لك عنده ودّيعه ودّ خيرها مترقبُ
وقال :

ولولا رجاء ملء أرجاء أضلّني وعلم يقين بالرعاية والعهد
وأن نسيم الإنعطاف يهبُّ لي

هبوب نسيم النرجس الغضّ والورد
قضيت بإجداهنّ نجي حشرة ولو كان لي قلب من الحجر الصلد
ولي عند مولانا ودّيعه حرمة وشكر أياديهِ ودّيعته عندي
وإن عشتُ كانت عدّتي وذخيرتي

وإن لم أعشْ فهي التّراث لمن بعدِي

فَيَأْتِيهَا الْمَوْلَى الَّذِي اشْتَقَ عَبْدُهُ إِلَيْهِ ، أَمَا تَشْتَاقُ يَوْمًا إِلَى الْعَبْدِ !
فَإِنْ كَانَ لَمْ يَبْلُغْ إِلَى رُتْبَةِ الرِّضَا فَبَلَّغْهُ فِيمَا قَبْلَهَا رُتْبَةَ الْوَعْدِ

* * *

٢٠ - وقوله : فَأَبْطَأُ الدَّلَاءَ فَيَضَا أَمْلُوْهَا ، وَأَثْقَلُ السَّحَابَ
مَشْيًا أَحْفَلَهَا .

أَبْطَأُ : أَفْعَلُ مِنَ الْبُطْءِ وَهُوَ ضِدُّ السَّرْعَةِ .
وَأَمْلُوْهَا : أَفْعَلُ مِنْ مَلَأَ الشَّيْءَ إِذَا أَوْقَرَهُ وَأَحْفَلَهُ .
وَأَحْفَلَهُ : أَيْضًا مِنَ الْخَفْلِ ، يُقَالُ : خَفَلَ الصَّرْعُ حَفَلًا إِذَا امْتَلَأَ . أَخَذَ فِي
الْإِعْتِدَارِ عَنِ الْمَخَاطَبِ لِكَوْنِهِ آخِرَ الْحَنُوءِ عَلَيْهِ ، وَالْإِجَابَةُ إِلَى مَا قَصَدَهُ مِنْهُ ،
وَهَذَا الَّذِي بَسَمِيَهُ أَرْبَابُ الْبَدِيعِ حُسْنُ التَّعْلِيلِ ، لِأَنَّهُمْ يَحْسِنُونَ الشَّيْءَ بِعِبَارَتِهِمْ
الْفَصِيحَةِ ، وَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ فِي نَفْسِهِ قَبِيحًا ، كَمَا قَالَ الْوَزِيرُ أَبُو الْفَارَاتِ طَلَائِعُ
ابْنِ رَزِيك :

وَمَا أَخْضَرَ ثَوْبُ الْأَرْضِ إِلَّا لِأَنَّهُ عَلَيْهِ إِذَا زَارَتْ بِأَقْدَامِهَا تَخْطُو
وَلَا طَابَ نَشْرُ الزَّهْرِ إِلَّا لِأَنَّهُ يُجْرُ عَلَيْهِمَا مِنْ جَلَالِ بَيْتِهَا مِرْطُ
وَكَمَا قَالَ أَبُو مَنْصُورٍ ظَافِرُ الْحَدَّادِ :

قَالُوا مَحَا الْجُدْرَى بِهَجَّتَهُ قَسَمَا رَبِّ مَنِي لَقَدْ كَذَبُوا
قَدْ صَفَّتِ الصَّهْبَاءُ وَجَنَّتْهُ لَوْنًا فَحُمِلَ صَفْوُهَا الْحَبِيبُ
وَكَمَا قَالَ التَّهَامِيُّ :

لَوْ لَمْ يَكُنْ أَقْحُوَانًا تَهَرُّ مَبْسَمِهَا مَا كَانَ يَزْدَادُ طَيِّبًا سَاعَةَ السَّحَرِ (١)
وقوله :

* أَبْطَأُ فَيَضَا الدَّلَاءَ أَمْلُوْهَا *

هَذَا نَصْفُ بَيْتٍ قَالَهُ ابْنُ الْمُعْتَزِّ فِي الْأَسْتِسْقَاءِ ، مِنْ جَمَلَةِ بَيْتَيْنِ ، وَهَذَا قَوْلُهُ :

قُلْتُ وَقَدْ ضَجَّ رَافِعًا يَدَهُ دَعُوا الْبَرَايَا فَاللَّهُ يَكْلُوْهَا
وَأَسْتَيْفِنُوا بِالْذَّوَاءِ مِنْهُ كَمَا أَبْطَأُ وَفَرَّ الدَّلَاءُ أَمْلُوْهَا

وما أحسن قول المكعب الضبي من أبيات :

وإني لأرجوكم على بَطْءِ سَفْعِكُمْ كما في بَطُونِ الحاملاتِ رَجَاءِ^(١)
أخبر من لا قيت أن قد وقَّيتُم ولو شئتُ قال الخبِرون أساءوا

وقول أبي إسحاق الغزّي :

ومشكورة التسويف في قدرة الغنى

وخيرُ نَوَالِ الحبِّ مالم يُعَجَّلِ^(٢)

أبى صَدُّهَا أَنْ تَعْدَمَ الْعَيْنُ قُرَّةً وللبدر في إداره حُسن مقبل

وقول أبي تمام الطائي :

يا أَيُّهَا الْمَلِكُ النَّائِي بِرُؤْيَيْتِهِ وجوده لِمَ رَاعَى جُودِهِ كُتِبَ^(٣)

ليس الحِجَابُ بِمُقْصٍ عَنْكَ لِي أَمَلًا إِنْ السَّمَاءُ تُرْجَى حِينَ تَحْتَجِبُ

وقول أبي الطيّب :

ومن الخير بَطْءُ سَيْبِكَ عَنِّي أَسْرَعُ السَّحْبِ فِي الْمَسِيرِ الْجَهَامِ^(٤)

وقال ابن قلايس :

رُبَّ ضِحْكٍ جَنِينَةٍ مِنْ عُبُوسٍ وَنَعِيمٍ أَلَمِيَّتِهِ بَيْنَ بُوسٍ

وَإِذَا مَا السَّحَابُ قَطَبَ وَجْهًا كَانَ فِي طِيهِ حَيَاءُ النَّمُوسِ

وقوله أيضاً :

وَلِي رَسْمٌ عَلَيْكَ وَلَا دِفَاعٌ لَدَيْكَ يَصَدُّ عَنْهُ وَلَا مِطَالُ

وَلَمَّا أَنْ تَأَخَّرَ طَابَ عَيْشًا فَقَدْ تُسْتَبَطُّ السَّحْبُ الثَّقَالُ

وما أحسن قول أبي تمام في معاتبة ابن أبي دؤاد لما استبطأه :

رَأَيْتُ الْعَمَلَا مَعْمُورَةً مِنْكَ دَارُهَا إِذَا أَجْمَعْتَ جَاشًا وَقَرَّ قَرَارُهَا^(٥)

(١) الكامل ١ : ٨١ (٢) ديوانه ٨٨ (مخطوطة دار الكتب رقم ٨٨ - أدب)

(٣) ديوانه ٢٢ (بيروت) (٤) ديوانه ٤ : ١٠٠ (٥) ديوانه ٣٩٩ (بيروت) .

وكم نَكْبَةٍ ظِلْمَاءٍ تُحْسَبُ لَيْلَةً تَجَلَّى لَنَا مِنْ رَاحَتِكَ نَهَارُهَا
 فلا جَارَكَ الْعَاقِي تَسْأُولُ مَحَلَّهَا وَلَا عِرْضَكَ الْوَاقِي تَتَأَوَّلُ عَارُهَا
 فلا تُمَكِّنَنَّ لِلْمُظَلِّ مِنْ ذِمَّةِ النَّوَى فَبَيْسَ أَخَوِ الْأَيْدِي الْفِزَارِ جَارُهَا
 فَإِنَّ الْأَيْدِيَ الصَّالِحَاتِ كِبَارُهَا إِذَا وَقَعَتْ تَحْتَ الْمِطَالِ صِفَارُهَا
 وَمَا نَفَعُ مَنْ قَدَّ بَاتَ بِالْأُمْسِ صَادِيًّا إِذَا مَاسَمَاءُ الْيَوْمِ طَالَ أَنْهَارُهَا
 وَمَا الْعُرْفُ بِالتَّسْوِيفِ إِلَّا كَخُلَّةٍ تَسَايَتْ عَنْهَا حِينَ شَطَّ مَزَارُهَا
 وَخَيْرُ عِدَاتِ الْحُرِّ مَخْتَصِرَاتِهَا كَمَا أَنَّ خَيْرَاتَ الْهَيَالَى قِصَارُهَا
 وما أَحْسَنَ قَوْلَ مَنْ قَالَ :

إِنَّ الْمَطَايَا لَا تَكُونُ هَنِيئَةً حَتَّى تَكُونَ قَصِيرَةً الْأَعْمَارِ

* * *

٢١ - وقوله : وَأَنْفَعُ الْحَيَا مَا وَافَقَ جَدُّبًا ، وَأَلْذُّ الشَّرَابِ مَا أَصَابَ غَلِيلًا .

الحيَا مقصور غير ممدود : المطر والخصب .

وَأَفَقَ : صادف .

الجدب ، بالدال المهملة : المحل . الضليل : العكش بحرارة .

وهذا من أحسن الاعتذار للمخاطب في إهماله الجواب ، وتركه الإجابة إلى قَصْدِهِ . يقول : أَنْفَعُ الْمَطَرُ مَا صَادَفَ مَحَلًّا ، وَأَلْذُّ الشَّرَابِ مَا صَادَفَ حَرَارَةَ الْقَطْشِ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمَطَرَ لِلْأَرْضِ الْمُتَحِلَّةِ أَنْفَعُ وَأَوْفَقُ لَهَا مِنَ الْأَرْضِ الْخَصْبَةِ ، وَكَذَلِكَ لَذَّةُ الْمَاءِ عِنْدَ الظَّمَانِ أَشَدُّ وَقَعًا مِمَّا يَكُونُ عِنْدَ الرَّيِّ .

وما أَحْسَنَ قَوْلَ ابْنِ حَيَّوسَ :

وإنَّ أَلَذَّ الْقُرْبِ مَا كَانَ قَبْلَهُ نَوَى وَأَحْلَى وَصَالٍ مَا تَقَدَّمَهُ جَهْدُ^(١)
ومثله قول الأَرَجَانِي :

وَأَحْسَنُ قُرْبٍ مَا تَقَدَّمَهُ نَوَى وَأَحْسَنُ وَصْلٍ مَا تَقَدَّمَهُ هَجْرُ
وقول مَهْذَبِ الدِّينِ بْنِ الْقَيْسَرَانِي :

فِيَا وَبَيْعَ قَلْبِي مِنْ بِلَاءٍ بِحَبِّهِ وَمَنْ دَلَّ الْحَاطِي عَلَى ذَلِكَ الدَّلَّ
أَلِفْتُ قِلَادَهُ ، وَأَسْتَطْبْتُ مِطَالَهُ وَأَطْيَبُ مَا جَاءَ الْوِصَالُ عَلَى مَظَلِّ
وقول الآخر :

وليس يَعْرِفُ كُنْهَ الْوَصْلِ ذُو كَلْفٍ
حَتَّى يَعَادِيَ بَيْنِي أَوْ يَهْجِرَانِي
وقوله : « وَأَلَذَّ الشَّرَابُ مَا أَصَابَ غَلِيلًا » مأخوذٌ من قول الشاعر -
أظنه كُشَاجِمُ :

هَذَا الشَّرَابُ أَخُو الْحَيَاةِ وَمَالِهِ مِنْ لَذَّةٍ حَتَّى يُصِيبَ غَلِيلًا
وقال الْقَطَامِي :

يَقْتُلُنَا بِمَحْدِثٍ لَيْسَ يَعْلَمُهُ مِنْ يَتَقِينَ وَلَا مَكْنُونُهُ بَادِي^(٢)
فَمَنْ يَنْبِذُنْ مِنْ قَوْلٍ يُصِيبُ بِهِ مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْغَلَّةِ الصَّادِي
وقال أَبُو هَلَالٍ الْمَسْكُورِيُّ :

بَقَدْرِ الصَّبَابَةِ عِنْدَ الْغَيْبِ تَكُونُ الْمَسَرَّةُ عِنْدَ الْحُضُورِ
وَأَطْيَبُ مَا كَانَ بَرْدُ الثُّفُورِ إِذَا هُوَ صَادَفَ حَرَّ الشُّدُورِ

٢٢ - وقوله : ومع اليوم غدٌ ، ولكلّ أجلّ كتاب .

ومع اليوم غدٌ ، هذا أصله من أمثال العرب ، ولكنهم يقولون : « إنَّ مع اليوم غداً »^(١) ؛ يُضرب مثلاً في تنقل الحالات ، وتقلب الأيام بالدُّول على مرّها وكرّها .

ومن أمثالهم أيضاً : « يَأْتِيكَ كُلُّ غَدٍ بِمَا فِيهِ » ، أى بما قُضِيَ فيه من خيرٍ وشرٍّ . ومن أمثالهم أيضاً : « لِكُلِّ صَبَاحٍ صُبُوحٌ »^(٢) ، أى كلّ يوم يأتى بما يُنتظر فيه . ومن أمثالهم أيضاً : « لِكُلِّ غَدٍ طَعَامٌ »^(٣) . وقولهم في المثل أيضاً : « عسى غدك لغيرك »^(٤) ، أى لا تتأخّر من اليوم إلى غدٍ ، فلعلك لا تُدرّكه .

ومما يُنسب إلى يزيد بن معاوية :

أَقُولُ لَصَحْبٍ صَمَتَ الْكَأْسُ شَمْلَهُمْ وَدَاعِي صَبَابَاتِ الْهَوَى يَتَرْتَمُ
خُذُوا بِنَصِيبٍ مِنْ نَعِيمٍ وَلَذَّةٍ فَكُلُوا وَإِنْ طَالَ الْمَدَى يَتَقَصَّرُ
وَلَا تَتْرُكَنَّ الْأَنْسَ يَوْمًا إِلَى غَدٍ قُرْبَ غَدٍ يَأْتِي بِمَا لَيْسَ تَعْلَمُ
ويقولون في المثل أيضاً : « غداً غرّها إن لم يعمقني عائق »^(٥) ، والماء كناية عن الفعلة ، أى غدا غداها إن لم يحبسني حابس .

ومن كلام مولانا القاضى الفاضل رحمه الله تعالى : والمقدور كائن ،
والهم فضل ، والمعنى من سَخِطَ عَلَى الْأَقْدَارِ ، وَيُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ،
إِنْ دَارَ الْفَلَكَ ، فَعَلَيْكَ أَوْ فَلَكٌ ، لَا حَذَرَ مِنْ قَدَرٍ ، وَلَا مَلَامَ عَلَى
الْأَبَامِ .

هِيَ الْقَادِرُ تَجْرِي فِي أَعْيُنِهَا فَاصْبِرْ فَلَيْسَ لَهَا صَبْرٌ عَلَى حَالٍ

(١) الميداني ١ : ٣٠ . (٢) الميداني ٢ : ٤١٦ . (٣) الميداني ٢ : ١٢ .
(٤) الميداني ٢ : ١٨٢ . (٥) الميداني ٢ : ٤٨ . (٦) الميداني ٢ : ٦١ .

لَا نَسْأَلُ الدَّهْرَ فِي بَأْسَاءٍ يَكْشِفُهَا وَلَوْ سَأَلْتَ دَوَامَ الْبُؤْسِ لَمْ يَدُمْ

إِذَا عَقَّدَ الْقَضَاءَ عَلَيْكَ أَمْرًا فَلَيْسَ يَحُلُّهُ إِلَّا الْقَضَاءُ

وفي المقادير ما يُبطل التقدير ، ومع اليوم غد ، وأصبر فإن الدهر لا يصبر ، قد يتجلى المكروه عما يُحمد . انتهى .

ولكل أجل كتاب ، لفظ القرآن العظيم . والأجل مُدَّة الشيء ، ومعناه لكل شيء أجل مكتوب ، وأوقات محدودة ، أو لكل أجل أجله الله كتاب أثبتة فيه ، لا يتقدم عن وقته ، ولا يتأخر .

وقيل : هذا من المقلوب الذي جاء في القرآن ، ومعناه لكل كتاب أجل ينزل فيه ، كقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾ ^(١) وإنما هو : « وَجَاءَ الْحَقُّ بِسَكْرَةِ الْمَوْتِ » ، وكقوله تعالى : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ ^(٢) ، وهو كثير في القرآن .

وما أحسن قول السراج الوراق ، ومن خطّه نقلت :

أَرَانِي بَطِيئًا إِذَا مَا كَتَبْتُ وَقَدْ خُلِقْتُ طِينَتِي مِنْ عَجَلٍ
كَأَنِّي خَالَفْتُ نَصَّ الْكِتَابِ فَعِنْدِي لِكُلِّ كِتَابٍ أَجَلٌ

وقولهم في المثل : « اليومَ خمر ، وغداً أمر » ^(٣) . أول من قاله امرؤ القيس . كان حُجْر أبو ^(٤) امرئ القيس قد طرد ابنه هذا الشعره وغزله ؛ لأن الملوك كانوا يأنفون من ذلك ، فليحق امرؤ القيس بأرض اليمن ، ولم يزل بها حتى قتل بنو أسد بن خزيمة حُجْرًا ، فجاءه الأعور العجلي فأخبره بمقتل أبيه ،

(١) سورة ق ١٩ . (٢) سورة النجم ٩ .
(٣) الميداني ٢ : ٤١٧ . (٤) ط : « أبا » ، وهو خطأ .

فقال : « ضَيِّعْنِي صَغِيرًا ، وَحَلَّتْ دِمِي كَبِيرًا ، لَا صَحْوَ الْيَوْمِ ، وَلَا شُرْبَ غَدًا ، الْيَوْمَ خَرُّ ، وَغَدًا أَمْرٌ » . ثُمَّ شَرِبَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ ، وَلَمَّا أَصْبَحَ فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ ارْتَحَلَ ، وَقَامَ يَسْعَى لِأَخْذِ الثَّأْرِ .

وما أحسن قول شمس الدين محمد بن العفيف التلمساني :

قالوا غداً تندم من لثمةٍ في ثغره إذ يقلب السكرُ
فقال لي مبسمه: دَعَهُمُ اليومَ خَرًُّ وغداً أَمْرُ

وما أحسن قول ابن الحجاج:

يا صاحبي ذرًا لومي ومعتبتي يا صاحبي ذرًا لومي ومعتبتي
وبادرا غفلة الأيام واغتنيما فاليوم خَرُّ ويبدو في غد خبرُ

وقال ابن طباطبا :

يا مَنْ يَخَافُ أَنْ يَكُونَ نَ ، مَا يَكُونُ سَرْمَدًا
أَمَّا سَمِعْتَ قَوْلَهُمْ : « إِنَّ مَعَ الْيَوْمِ غَدًا »

وما أحسن قول معن بن أوس اللزني :

ولاني أخوك الدائمُ العهد لم أحلْ أن ابزأك خصمٌ أو تنابك منزلُ
وإن سؤتي يوما صفحتُ إلى غدٍ ليعقبَ يوما منك آخرُ أولُ

وقول علي بن الجهم لما حبسه التوكل من أبيات :

صبراً فإنَّ اليومَ يعقبه غدٌ وَيَدُ الْخِلَافَةِ لَا تُطَاوِلُهَا يَدُ (١)
ولكلِّ خيرٍ مُعَقِّبٌ وَارِبَمَا أَجَلِي لَكَ الْمَكْرُوهُ عَمَّا يُحْدِثُ
لَا يُؤَيِّسُكَ مِنْ تَفَرُّجِ كَرْبَةٍ خَطْبُ رَمَاكَ بِهِ الزَّمَانُ الْأُنْكَدُ
كَمْ مِنْ عَليٍّ قَدْ تَخَطَّاهُ الرَّدَى فَفَجَأَ ، وَمَاتَ طَبِيخُهُ وَالْعُودُ

وقال غيلان بن خرسة الثقفي :

أناةً وحِلماً وانتظاراً بهم غداً
أظنُّ ضُروفَ الدهرِ بَيْتِي وَبَيْنَهُمْ
ألم تعلموا أنني تخافُ عزائي
وإني وإياهم كمن نَبهَ القَطَا
فما أنا بالوإني ولا الضرع الغمر
ستحملهم متى على مركبٍ وعِر
وأن قناتي لا تلين على القسر
ولو لم تُنبه بآت الليل لا تسري
وقول ابن مقبل :

خليلى لا تستجلاً وانظراً غداً

على أن يكون المكث في الأمر أرشداً^(١)

وقال الأمير تميم بن المعز :

إن الأمور إذا اشتدت مفاقدها
كذلك الدهرُ إن جاءت فوادحه
يفرج الله منها كل ما ورداً^(٢)
في اليوم فارح لها ألا تدوم غداً

وقول منصور بن الحارث أبي منصور الهروي :

لا تعاتب زماننا إن عرانا جفاؤه
شدة الله تنقضي ثم يأتي رخاؤه
كدر العيش للفتى يقتضيه صفاؤه
وكذا الماء يسبق الصفو منه جفاؤه

وقول البحتري :

يسرك الشيء قد يسوء وكم
لا يئأس المرء أن يُنجيه
نوه يوماً بخامل لقبه^(٣)
ما يحسب الناس أنه عطيه

٢٣ - وقوله : لَهُ الْحَمْدُ عَلَى اهْتِبَالِهِ ، وَلَا عَثْبَ عَلَيْهِ فِي إِغْفَالِهِ .

الحمد نقيض الذم ، وقيل : إِنَّ الفرق بين الحمد والشكر أن الحمد يكون في الخير والشر ، والشكر لا يكون إلا في الخير فقط ؛ لأنه ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا جاءه ما يُحِبُّه قال : « الحمد لله على نعمه » ، وإذا جاءه ما يكرهه قال : « الحمد لله على كل حال » .

والأهْتِبَال : الأغْتنام والأفْتِراض والأَحْتِيَال ؛ واهْتَبَلْتَ غَفْلَتَهُ ، أَيْ تَحَيَّفْتَهَا وَأَغْتَنَمْتَهَا ، وَالهَبَال : الصِّيَاد الَّذِي يَتَحَيَّنُ الصَّيْدَ .

والإِغْفَال مصدرُ أَغْفَلَ ، أَغْفَلْتُ الشَّيْءَ ، إِذَا تَرَكْتَهُ عَلَى ذِكْرٍ مِنْكَ ، أَخَذَ يَحْتَمِلُهُ عَلَى إِبْطَانِهِ عَنْهُ ، وَعَلَى تَلَبُّثِهِ فِيمَا يَطْلُبُهُ مِنْهُ ، قَالَ الْفَرَزْدَقُ :

وإِنِّي وَسَمْدَا كَالْحُسَّارِ وَأُمِّهِ إِذَا وَطِئْتُهُ لَمْ يَضُرَّهُ اعْتِمَادُهَا^(١)

وما أَحْسَنَ قَوْلَ الْمُجَنُونِ - وَقِيلَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ :

تَطَالَعُ مِنْ نَفْسِي إِلَيْكَ نَوَازِعٌ

عَوَارِفُ أَنَّ النَّاسَ مِنْكَ تُصِيبُهَا

وَزَالَتْ زَوَالُ الشَّمْسِ عَنْ مُسْتَقَرِّهَا

فَمَنْ تُخْبِرِي فِي أَىِّ أَرْضٍ غُرُوبُهَا

حَلَالٌ لِلَّيْلِ أَنْ تَرَوْعَ فُؤَادَهُ

بِهَجَرٍ وَمَغْفُورٌ لِلَّيْلِ ذُنُوبُهَا

وَقَالَ آخَرُ :

إِنَّ أُمَّتَ وَجَدْتُ فِي قَدَمٍ بِي إِلَى حَتْفِ الْمَسْوَى صَقَبَتْ

أَوْ تَرُقْ تِلْكَ الْحَظَّاءُ دَمِي فَهِيَ فِي حِلٍّ وَفِي سَقَةٍ

(١) ديوانه ١ : ٢١٦ ، واعتمادها ، أى اتكاؤها عليه . والحوار : التفصيل أول ما ينتج .

وما أحسن قول البهاء زهير :

ومن شغفني فيكم ووجدني أنني أهوّن ما ألقاه وهو هوان^(١)
ويحسن قبح الفعل إن جاء منكم كاطاب ريح العود وهو دخان

وقوله أيضا :

أبدًا أزيد مع الوصال تلثمًا كالعقد في جيد المليحة يملق^(٢)
ويزيدني كلفًا فأشكر فعله كالسك تشحقه الأكف فيعيق

وقول الرشيد محفوظ المراقبيّ مما يقارب هذا :

فرقت بيننا الحوادث لكن لي نفس إليكم أدنيها
فكأن في الفؤاد فارة مسك أفرغوها ونفحة الطيب فيها

وذكرت أنا ما قلت هنا في هذا المعنى ، وهو :

من منصفني من زمان قد منيت به فقد غدوت بما ألقاه منه لقي
يضع عارف اصطباري أن يضيقني والعود يز داد طيبًا كلما اخترقه

وقال الأمير محمد بن قرطاي الإربلي :

أما وأشتياقي عند حضرة ذكركم
وذا قسم أن لو تعلمون عظيم

لأنتم وإن عذبتموني بهجركم

على كل حال جنه ونعيم

سلمتم من الوجد الذي بي عليكم

ومن مهجة فيها أسي وكلوم

غَلَا ذَقَمُ مَا ذَقْتُ مِنْكُمْ فِي بَكْمِ
رَسِيدِ غَرَامٍ مَقْعَدُ مُقِيمِ

وقال مؤيد الدولة أسامة بن مُنقذ :

إِذَا أَدَمْتُ قَوَارِصَكُمْ فَوَادِي صَبَرْتُ عَلَى أَذَاكُمْ وَأَنْطَوَيْتُ
وَجِئْتُ إِلَيْكُمْ طَلَقَ الْحَيَا كَأَنِّي مَا سَمِعْتُ وَلَا رَأَيْتُ

٢٤ - وقوله :

فَإِنْ يَكُنِ الْفِعْلُ الَّذِي سَاءَ وَاحِدًا فَأَفْعَالُهُ اللَّائِي سَرَزْنَ أُلُوفُ

أَخِذْ فِي تَأْيِيدِ مَا تَقْدِّمُ مِنْ حَمْدِهِ لَهُ ، وَصَبِرْهُ عَلَى إِبْطَائِهِ ، فَقَالَ : وَإِنْ كَانَ
هَذَا الْفِعْلُ الَّذِي تَأْتِيهِ فِي هَذِهِ الْفَتْرَةِ وَاحِدًا ، فَلَاكَ أَفْعَالٌ قَدْ سَرَزْنَ وَهِيَ أُلُوفُ ،
فَلَا عِبْرَةَ بِهَذَا الْفِعْلِ الْوَاحِدِ الَّذِي سَاءَ مَعَ أَعْتِبَارِ الْأَفْعَالِ السَّارَةِ وَهِيَ أُلُوفُ .

وَهَذَا الْبَيْتُ لِأَبِي الطَّيِّبِ ، مِنْ أَيْيَاتِ كُتُبِهَا إِلَى أَبِي الْعَشَائِرِ الْحُسَيْنِ
ابْنِ حَمْدَانَ يُعَاتِبُهُ عَلَى سَبَبٍ جَرَى عَلَيْهِ مِنْ غِلْمَانِهِ ، وَهِيَ :

وَمُنْتَسِبٌ عِنْدِي إِلَى مَنْ أَحْبَبُهُ	وَالْمُنْبَلِ حَوْلِي مِنْ يَدِيهِ خَفِيفٌ ^(١)
فَهَيَّجَ مِنْ شَوْقِي وَمَا مِنْ مَذَلَّةٍ	جَنَيْتُ ، وَلَكِنَّ الْكَرِيمَ أُلُوفُ
وَكُلُّ وَدَادٍ لَا يَدُومُ عَلَى الْأَذَى	دَوَامٌ وَدَادِي لِلْحُسَيْنِ ضَعِيفُ
فَإِنْ يَكُنِ الْفِعْلُ الَّذِي سَاءَ وَاحِدًا	فَأَفْعَالُهُ اللَّائِي سَرَزْنَ أُلُوفُ
وَنَفْسِي لَهُ نَفْسِي الْفِدَاءِ لِنَفْسِهِ	وَلَكِنَّ بَعْضَ الْمَالِكِينَ عَنيفُ

وَمِنْ هَذِهِ الْمَادَّةِ :

إِذَا مَا صَدِيقُ أَسَا مَرَّةً وَقَدْ كَانَ فِيهَا مَصَى مُجَلَا

(١) ديرانه ٢٤ : ٢٩٢ ، وَخَفِيفٌ ، أَيْ صَوْتٌ يَجْفُ بِنِ .

ذَكَرْتُ الْمَقْدَمَ مِنْ فِعْلِهِ فَلَا يَنْقُصُ الْآخِرُ الْأَوَّلَا

وقال الأديب أبو محمد بن مالك المغربي من جملة رسالة كتب بها إلى ابن صمادح : ولئن أعقب يوماً من الدهر بحرمان - وحاشاه - فلقد سبق بمعروف ، ولئن ساءنى يوماً فعله ؛ فأفضاله اللآلئ سررن أوف .

وهذا البيت الذى استشهد به ابن زيدون فى رسالته ، بشبه قول القائل :

وَإِذَا اللَّيْلُ أَحْبَبْتُ بِذَنْبٍ وَاحِدٍ جَاءَتْ مَحَاسِنُهُ بِأَلْفِ شَفِيعٍ

وقال أبو البركات محمد بن أحمد المنقرى ، وعُرف بالمؤيد :

مَا ذَلَّتْ فِي حُبِّكُمْ وَخُضُوعِي عَارٌ ، وَلَا شَفَقِي بِكُمْ بِبَدِيعِ
دِينِ الْهَوَى ذُلٌّ وَجَنَمٌ نَاحِلٌ وَسُهَادُ أَجْفَانٍ وَفَيْضُ دُمُوعِ
كَمْ قَدْ لَحَانِي فِي هَوَاكُمْ لَا تُثْمَرُ فَذَلَّتْ عِطْفِي عَنْهُ غَيْرَ سَمِيعِ
مَا يُحْدِثُ التَّقْبِيحُ عِنْدِي سَلْوَةٌ لَكُمْ وَلَوْ جَنَمٌ بِكُلِّ فَطْمِيعِ
وَإِذَا الْحَبِيبُ أَتَى بِذَنْبٍ وَاحِدٍ جَاءَتْ مَحَاسِنُهُ بِأَلْفِ شَفِيعِ

* * *

٢٥ - وَقَوْلُهُ : وَأَعُودُ فَأَقُولُ : مَا هَذَا الذَّنْبُ الَّذِي لَمْ يَسْمَعْهُ

عَفْوُكَ ، وَالْجَهْلُ الَّذِي لَمْ يَأْتِ مِنْ وِرَائِهِ حِلْمُكَ !

رجع بعد أن وطن نفسه فى مخاطبته على الصبر والأبصار ، التفاتاً منه إلى ما فى ضميره من بقايا العتب ، فقال يستفهم منه : ما هذا الذى صدر منى ، حتى إن عفوك لم يسمع ، وهو صغير بالنسبة إلى كبير عفوك ؛ وما هذا الجهل فى حق حتى وقع ما وقع ، ولم يأت من ورائه حلمك وعقلك !

أَمَّا الْعَفْوُ فَإِنَّهُ أَمْرٌ نَهَى بِهِ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ ، وَوَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ ، وَحَثَّ عَلَيْهِ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ ^(١) وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ ^(٢) ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ ^(٣) . وَالْآيَاتُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ .

وَمَنْ قَدَّرَ وَعَفَا ، وَصَفَّ لَالٍ غُفْرَانِهِ وَصَفَّا ، سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِأَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ كَانُوا يُؤْذُونَهُ فِي نَفْسِهِ ، وَيَقْصِدُونَ نَكَايَتَهُ فِي أَهْلِهِ ، قَتَلُوا أَعْمَامَهُ ، وَعَذَّبُوا أَصْحَابَهُ ، وَالْبُؤْسُ عَلَيْهِ ، وَأَخْرَجُوهُ مِنْ أَحَبِّ الْبِقَاعِ إِلَيْهِ ، حَتَّى إِذَا فَتَحَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ وَدَخَلَهَا بِغَيْرِ تَحَدٍّ ، وَظَهَرَتْ كُلُّتُهُ بِهَا عَلَى رَغْمِهِمْ ، قَامَ فِيهِمْ خَطِيبًا ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَشَكَرَهُ عَلَى مَا مَنَحَهُ مِنَ الظَّفَرِ ، ثُمَّ قَالَ : أَقُولُ لَكُمْ كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ : ﴿ لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ^(٤) .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ عَلَيْكَ مِنْ يَوْمٍ أُحُدٍ ؟ قَالَ : لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ الْبَلِيلِ [ابْنِ عَبْدِ كَلَالٍ] ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ ، فَأَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِ ، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ ^(٥) ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، فَإِذَا أَنَا بِسَجَابَةِ قَدْ أَظْلَمْتَنِي ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جَبْرِيلُ ، فَنَادَانِي ، فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَمَارَدُوا عَلَيْكَ ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ . قَالَ : فَنَادَانِي مَلَكَ الْجِبَالِ ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَأَنَا مَلَكَ الْجِبَالِ ، قَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ

(٢) الحجر ٨٥

(١) الأعراف ١٩٩

(٤) يوسف ٤٢ .

(٣) آل عمران ١٣٤ .

(٥) قرن الثعالب ، من مواقيت أهل نجد ، وفي الأصل : «قرية» ، وصوابه من صحيح مسلم .

[فأشئت^(١)؟ إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين^(٢)؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج من أوصالهم من يعبد الله ويوحده، ولا يشرك به. متفق عليه^(٣).

وعنها رضى الله عنها قالت: ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط بيده، ولا امرأة، ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله. وما نيل منه شيء قط، فينتقم من صاحبه، إلا أن يُنهك شيء من محارم الله تعالى، فينتقم الله تعالى. رواه مسلم.

وعن ابن مسعود قال: كأتى أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، يحكي أن نبياً من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون. متفق عليه.

قيل لخالد بن صفوان: أي إخوانك أحب إليك؟ قال: الذي يسد خللي، ويغفر زللي، ويقبل على.

حكى أن المأمون كان يوصيه غلامه، ففعل عن شأنه، فنزلت الميضة من يده على جبهته فشجته، فنظر إليه المأمون مفضباً، فقال: يا أمير المؤمنين، ﴿والكاظمين الغيظ﴾، قال: كظمت غيظي، قال: ﴿والهافين عن الناس﴾، قال: قد عموت عنك، قال: ﴿والله يحب المحسنين﴾^(٤)، قال: اذهب فأنت حر.

وقال عبد الله بن طاهر: كنت عند المأمون ثانی اثنين، فنادى: يا غلام، يا غلام! بأعلى صوته، فدخل غلام تركي فقال: لا ينبغي لأغلام أن يأكل أو

(٢) الأخشبان: جبلا بكة.

(٤) آل عمران ١٣٤.

(١) من صحيح مسلم.

(٣) صحيح مسلم ١٤٢٠.

يَشْرَبُ ، أَوْ يَقْرَأُ أَوْ يَصَلِّي ! كَلَّمَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ تَصِيحُ : يَا غَلَامُ ،
يَا غَلَامُ ! إِلَى كَمْ يَا غَلَامُ ، يَا غَلَامُ ! فَتَكْسُ الْمَأْمُونُ رَأْسَهُ طَوِيلًا ، فَمَا شَكَّكَتُ
أَنَّهُ يَأْمُرُنِي بِضَرْبِ عُنُقِهِ ، فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا حَسَنَتْ أَخْلَاقُهُ
سَاءَتْ أَخْلَاقُ خَدَمِهِ ، وَإِذَا سَاءَتْ أَخْلَاقُهُ حَسُنَتْ أَخْلَاقُ خَدَمِهِ ، وَلَا نَسْتَطِيعُ
أَنْ نُنْسِيَ أَخْلَاقَنَا لِنَحْسُنَ أَخْلَاقَ خَدَمِنَا .

وَقَالَ الْمَأْمُونُ : لَقَدْ حُبَّبَ إِلَيَّ الْعَفْوُ ، حَتَّى لَقَدْ خِفْتُ أَلَّا أُوجَرَ عَلَيْهِ .
قَالَ : لَعَلَّهُ أَخَذَ هَذَا مِنْ قَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ مِنْ قَصِيدَةٍ مَدَحَهُ بِهَا ، جَاءَ مِنْهَا :
لَوْ يَعْلَمُ الْعَافُونَ كَمْ لَكَ فِي النَّدَى مِنْ لَذَّةٍ أَوْ فَرْحَةٍ لَمْ يُحْمَدِ (١)
وَقَالَ ابْنُ الْخَلِّائِظِ الدَّمَشْقِيُّ :

مَنْ الْكَاطِمِي الْعَفِيفُ وَالْمُحْسِنُ إِذَا بَرَحَتْ بِالضُّدُورِ الْحُقُودُ
فَمَتَّ بِجُرْمٍ إِلَى عَفْوِهِ يَبْلُكَ مَعَ الْعَفْوِ بَرٌّ وَجُودُ
إِذَا كُنْتَ سَيِّدَ قَوْمٍ وَلَمْ تَسْفُهمْ بِجِلْمٍ فَأَنْتَ الْمَسُودُ

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ مُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ فِي الرَّشِيدِ :

بِأَبِي وَأُمِّي أَنْتَ مَا أَنْدَى يَدًا وَأَبْرَ مِيثَاقًا وَمَا أَرْكَكَ كَا (٢)
يَقْدُو عَدُوُّكَ خَائِفًا فَإِذَا رَأَى أَنْ قَدْ قَدَّرْتَ عَلَى الْعِقَابِ رَجَاكَ

وَمَا أَحْسَنَ مَا كَتَبَ بِهِ ابْنُ عَمَّارٍ إِلَى الْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ يَسْتَمِطِفُهُ :

سَجَابَاكَ إِنْ عَابَتْ أَنْدَى وَأَسْمَحُ وَعُذْرُكَ إِنْ عَاقَبْتَ أَنْدَى وَأَوْضَحُ
وَإِنْ كَانَ بَيْنَ الْخَطِئَتَيْنِ مِنْهُ مَرِيَّةٌ فَأَنْتَ إِلَى الْأَدْنَى مِنَ اللَّهِ أَجْبَحُ
حَنَانِيكَ فِي أَخْذِي بِرَأْيِكَ لَا تُطِيعُ عِدَاتِي وَإِنْ أَثْنَوْا عَلَيَّ وَأَفْصَحُوا
فَإِنَّ رَجَائِي أَنَّ عِنْدَكَ غَيْرَمَا يَخُوضُ عَدُوِّي الْيَوْمَ فِيهِ وَيَمْرَحُ

ولم لا وقد أسلفت وداً وحُرمةً يَكْرُانَ في لَيْلِ الْخُطُوبِ فَيَسْبَحُ
وهَبْنِي وقد أعقتُ أعمالَ مُفسدٍ أما تُفسدُ الأعمالُ ثمتَ تصالحُ !
وماذا عسى الأعداءُ أن يزيّدوا سِوَى أن ذَنْبِي واضحٌ متضخّضُ
فهم لي ذنبٌ غيرُ أنَّ حِلْمِي صِفَاءٌ يَزِلُّ الذَّنْبَ عنها فينزعُ
أَقْلَنِي بما بَيْنِي وَبَيْنَكَ من رِضَا له نحو بابِ اللَّهِ رَوْحٌ مفتحُ
ولا تلتفتِ قولَ الوُشاةِ وزُورهمُ فكلُّ إناءٍ بالَّذِي فيه يَنْضَحُ
وقالوا سيجزِيه فلانٌ بِسَفِيهِ فقلتُ وقد يَعْفُو فلانٌ ويصفحُ
ألا إنَّ بَطْشًا للمؤيّد يُتَقَى ولكنَّ حِلْمًا للمؤيّد أرجحُ

وما أحسن ما وصّف به الحِلْمَ أبو تمام في قوله :

رقيقٌ حَواشي الحِلْمِ لو أنَّ حِلْمَهُ بِكَفِّكَ ما مارَيْتَ في أَنَّهُ بُرْدُ^(١)

وقال محمد بن غالب الرُّصافي من أبيات :

كنا إلى المَلَأِ الأعلى نَسْبَتِهِ لو ناسبَ للمَلَأِ العلويِّ إنسانُ
يُغْفِي عن الذَّنْبِ عَفْوَاً وهو مُقْتَدِرٌ وَيُزَكِّ البَطْشَ حِلْمًا وهو غَضبانُ

وقال أبو الفَرَج البيماء :

أَعِدْهَا إلى عَادَاتِ عَفْوَكَ مُحْسِنًا كما عَوَّدَتْها قَبْلُ آبَاؤِكَ الشُّمُ
فإنَّ ضاقَ عنها العُذْرُ عندَكَ في الَّذِي جَفَنَتْهُ فما ضاقَ التَفَضُّلُ والحِلْمُ

وقال أبو عبد الله محمد بن أحمد الخازن :

وأحْسِنْ إنِّي أَحْسَنُ ظَنًّا وأرجو أنَّ ظَنِّي لا يَحِيبُ
فأَيُّ طَرَبَةٍ للعَفْوَ إنَّ الـ كَرِيمَ وأنتَ معناه طَرُوبُ

(١) ديوانه ١٢١ - بيروت ، وق ط : « لو أن حلمه » .

وكان الأحنف بن قيس يقول : لا شيء أثقل من حمل الغضب .
وقال الجاحظ : قيل لأبي عباد وزير المأمون - وكان أسرع الناس غضباً :
إنَّ ابنَ لقمان قال لأبيه : ما أَلْهَمَ الثَّقِيلُ ؟ قال : الغضب . قال أبو عباد :
لكنَّه والله أخفُّ من الرِّيش ، فقيل له : إنَّما عني لقمانُ أنَّ احتمالَ الغضبِ
ثَقِيلٌ ، فقال : لا والله ما يَقْوَى على احتمالِ الغَضَبِ إلَّا الجَللُ .
وقال زياد : تأخير جزاءِ المُحْسِنِ لَوْمٌ ، وتَعْجِيلُ عِقوبةِ المُسِيءِ دَناءَةٌ ،
والتَّثَبُّتُ في العقوبةِ ربَّما أدَّى إلى السَّلامةِ منها ، وتأخيرُ الإحسانِ ربَّما أدَّى
إلى نَدَمٍ لم يَمكن صاحِبُه أن يَتَلافاه .

حدَّث أبو هريرة الشاعر المصري ، قال : خرجتُ يوماً إلى بركةٍ لَحَبَشٍ
بمصرَ متزهاً في أيامِ الرَّبيعِ ، حين أخذتِ الأرضُ زُخْرُفَها وأزْيَنْتُ ،
ومعى آنيةُ شرابٍ - وكانت تلكَ عادتي في كلِّ سَمَةِ - فجعلتُ أَشْرَبُ وأُنادِمُ
كتابي طولَ يَوْمِي ، فلمَّا كادت الشمسُ تَقْرُبُ وتَلَمَعُ في أجْنَحَةِ الطَّيْرِ ،
أخذتُ في الانصرافِ إلى منزلي وأنا نَمِلُ ؛ فبينما أنا أمشي وإذا بفارسٍ خَرَجَ
من مصرَ مثلاًماً ، لا يَبيِّنُ من وَجْهِهِ غيرَ عَيْنَيْهِ ، فسَلَّمُ وقال : من أينَ أَقْبَلَ
الشَّيْوَخُ ؟ فقلتُ في نفسي : أَجُنَّ الرَّجُلُ ! ومن يرى معي ؟ والتَمَّتْ وإذا
خَلْفِي ذُوْدُ ثِيُوسٍ وراعي يسُوقه ، فقلتُ : حضرنا إِمْلَاكُ^(١) الوالدة ، يَرَحِمُكَ
الله ! فضحك وأنصرف .

ولمَّا كان بعد أَيَّامٍ دخلت على الأمير تَكِينٍ في حاجة ، فقضاها وأمرَ
لي بألفِ دِرْهمٍ ، وقال لي : هذا حقُّ حضورِكَ ذلكَ الإِمْلَاكِ ، فقلت : إنَّه
الَّذِي لَقِيتَنِي ذلكَ اليومَ ، فأخذتها وانصرفتُ خَجِلاً .

وحكى محمد بنُ أَرْدَشِيرٍ قال : كنتُ بالشَّيرِجانِ^(٢) مع الوزيرِ أبي غالبِ
الحسنِ بنِ منصورٍ ، الملقَّبِ بذي السَّعَادَتَيْنِ ، فاتفقَ أن شَرِبْتُ عنده يوماً .

(١) الإِمْلَاك : التزويع . (٢) الشَّيرِجان : قصبة كرمان .

فسكرت سكرًا ، فسقطت منه سُفْتَجِي^(١) من كمي ، وفيها رِقَاعٌ قد أعطانيها
أربابها لا نَجَزُ عليهم توقيعات ، ومن جملتها رُقعتان بخطي ، قد كتبتُ في
أحدهما :

يا قليلَ الخيرِ مَوْفُورَ الصِّلَفِ والذي في البقي قد حاز الشرف
كن لثيما وتواضعْ تُحْتَمَلْ أو كريما يُحْتَمَلْ منك الصِّلَفُ

وفي الأخرى :

يا قَارِعَ البابِ على عبدِ الصِّمدِ لا تَقْرَعِ البابَ فما ثمَّ أحدُ

فأخذَ السُّفْتَجَةَ وفتحها ، ووقفَ على الرِّقَاعِ بجميعِ مافيها ، ووقعَ
على الرُّقْعَةِ التي فيها البَيَّتَانِ : « يُطْلَقُ لَهُ أَلْفُ دِرْهَمٍ » ، وعلى الأخرى التي فيها
البَيْتُ الواحدُ : « يوجب له كلَّ شهر ألف درهم ، من اتصال الشهر الذي نحن
فيه » ، وردَّ الجميعَ إلى السُّفْتَجَةِ ، وجعلها في كمي ، وأصبحتُ من الفداةِ ولا
علم لي بما جرى ، فاستدعاني إلى الطعام وقت الظُّهر ، فلم يرَ عندي أثرًا لفصلته
التي فعلها ، وأنا من الضَّالِّينَ ، ولا سمع مني شكرًا على الصَّنِيعَةِ ، فقال لي :
وقفت على الرِّقَاعِ ؟ فقلت : لا ، أيُّها الوزير ، ثم ذكرتُ ما كان في الأوراقِ
فتمصَّبتُ عرقًا ، واشتعلَ قلبي لما وجد فيها بخطي ، فنهضتُ إلى الرِّقَاعِ
وتأمَّلتها ، وعدتُ إليه وشكرته ، واعتذرتُ بما وجد ، فقال : لا تمتدِّرْ ،
فإنَّا نستحقُّه إن لم نقض واجبا ، ولم نَرَعْ صاحبا .

* * *

(١) في القاموس : « السُّفْتَجَةُ أن يعطى مالا لآخر والآخر مال في بلد المعطى فيوفيه
إياه ثم فيستفيد أمن الطريق » .

٣٦ - وقوله : وَالتَّطَاوُلُ الَّذِي لَمْ يَسْتَغْرِقْهُ تَطَوُّلُكَ ، وَالتَّحَامُلُ الَّذِي لَمْ يَفِ بِهِ أَحْتِمَالُكَ !

التطاولُ : تفاعلٌ من الطَّوْل ، وهو ضدُّ العَرْص ، يستغْرِقُ : يستفعل ، من الإغراق . والتطوُّلُ تفعُّلٌ من الطَّوْل بفتح الطاء ، وهو المُنُّ والفَضْل . والتحامُلُ ، « تفاعلٌ » من الحَمْل ، تقول : تحمَّلت على نفسي ، أى تسكَّفت الشيء على شِقَّة .

لم يَفِ به ، لم يَقم به ، والاحتمالُ : مصدر احتَمَلَ ، إذا تسكَّفت فوق طاقته وقدرته .

يقال : إنَّ العَجَّاج دخل على عبدِ الملك ابنِ مَرْوان ، فقال له : بلغنى أنك لا تحسِّن الهجاء ، فقال : يا أمير المؤمنين ، مَنْ قدر على حُسْن تشييدِ الأبنية أمكنه خراب الأخبية ، قال : فما يمنعك من ذلك ؟ قال : إنَّ لنا عزًّا يمنعنا من أن نُظلم ، وحِلمًا يمنعنا أن نُظلم . فقال : كَلِمَاتُكَ هذه أحسنُ من شعرك .

استأصلَ الحَجَّاج بالقتل أسارى ، فقال أحدُهم : واللهِ يا حَجَّاج لئن كنَّا أسأنا في اقتراف الذَّنْب كما أحسنت أنت في ترك العُفو ، فقال : أفٍ لهذه الجِيف ! أما كان فيهم من يُحسِّن مثلَ هذا : وأمسك عن قتلِ الباقيين .

ومن الاحتمال ما وُرد في قضية العباس بن مرداس السلمي ، لما أعطاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أربعين من الإبل ، وأعطى المؤلفة قلوبهم خمسمائة من الإبل ، فقال العباس :

أَتَجْعَلُ نَهْيِي وَنَهْيَ الْعِيَةِ لِـ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَالْأَقْرَعِ (١)

وما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع
 العبيد : فرسه ، وحصن هو أبو عبيدة بن حصن بن خديفة بن بدر ،
 سيد فزارة ، وحابس : أبو الأقرع بن حابس ، فأمر رسول الله صلى الله عليه
 وسلم بإحضاره ، وقال : أنت القائل : « أَتَجْعَلُ نَهْجِي وَنَهْجَ الْعَبِيدِ بَيْنَ
 الْأَقْرَعِ وَعُيَيْدَةَ » — وكان صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ
 الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ﴾ ^(١) — يا علي ، قم فأقطع لسانه ، فقال العباس : وإنك
 لقاطع لسانى ! قال : إني لمض فيك ما أمرت به ، قال : فضى بى حتى
 أدخلنى الخطائر ، وقال : اعتد ما بين أربعين إلى مائة ، قال : فقلت : بأبى أنت
 وأبى ! ما أعلمكم وأحكمكم وأكرمكم ! فقال : إن رسول الله
 أعطاك ، وجملك من المهاجرين ، فإن شئت فخذها ، وإن شئت خذ مائة ،
 وكن مع المؤلفة ، فقال : أشر على ، فقال : إني أمرك أن تأخذ ما أعطاك
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذتها .

واحتمل رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهور إلى الغاية : معروف مشهور .

❖ ❖ ❖

٢٧ — وقوله : وَلَا أَخْلُو مِنْ أَنْ أَكُونَ بَرِيئًا فَأَيْنَ عَدْلُكَ ،
 أَوْ مُسِيئًا فَأَيْنَ فَضْلُكَ !

لا أخلو : لا أكون خاليًا من أحد القسمين : إما بريئًا مما رُميت به ،
 فأين كان عدلُك — والعدل ضد الجور — وإما مُسيئًا فأين كان ^(٢) فضلك !
 والفضل ضد النقص ، وهو الاتصاف بالحامد ، وهذا ألزم المخاطب بأن
 اعترف له بأحد القسمين . وهذا هو الذى يسميه أربابُ البديع صحة التقسيم ،

(١) سورة يس ٦٩ .

(٢) ساقط من ط .

(٧ — تمام المتن)

وقد جاء منه في القرآن العظيم قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ ^(١) ، فإنه ليس في البرق إلا الخوف من الصواعق ، أو الطمع في سفيا الفيث .

وقال زهير :

فإنَّ الحقَّ مَقْلَعُهُ ثَلَاثٌ يمينٌ أوْ شُهُودٌ أوْ جِلَاءٌ ^(٢)

حتى إنَّ عمرَ بن الخطَّاب رضَى الله تعالى عنه لمَّا سمع هذا قال :
لو أدركته لوليته القضاء .

وما أحسن قول الإمام العلامة جمال الدين بن الحاجب رحمه الله تعالى
لمَّا ادَّعى في مقدمته أنَّ الكلمة ثلاثة أقسام ، ولا رابع لها ، قال : لأنها
إمَّا أن تدلَّ على معنى في نفسها أوْ لا ، الثاني الحرف ، والأوّل إمَّا أن
يقتري بأحد الأزمنة ^(٣) أوْ لا ، الثاني الاسم ^(٤) ، وهذا الذي يسمّيه الأصوليون
دليل السبَرِ والتقسيم .

والإمام نحر الدين الرّازي في هذا الباب أمره عجيب ؛ لأنّه إذا تكلم
في المسألة يذكّر تقسيمها ، وتفاريع التقسيم ، فلا يفوته بذلك شيء من
أحوالها .

ولمّا أقدم قُتَيْبَةُ خُرَاسَانَ قال : من كان في يده من مال عبد الله بن
خازم شيء فلينبذه ، أو كان في فيه فليلفظه ، أو في صدره فلينفثه ؛ فتمجّب
الناس من حُسن ما قسم وفصل .

(٢) ديوانه ٧٥ ، والجلاء : الأمر الجلي .

(٤) بعدها في د : « والأوّل الفعل » .

(١) الرعد ٢٢ .

(٣) ط : « الأزمنة الثلاثة » .

وقال رجلٌ من أهل الشام للمنصور : يا أمير المؤمنين ، من أنْتَقَمَ فقد شَفَا غَيْظَه ، ومن عفا فقد تَفَضَّلَ ، ومن أخذ حقّه لم يَجِبْ شُكْرَه ، ولم يُذْكَرْ فضله ، وكَظَمَ الغَيْظَ حِلْمٌ ، والتَشَفَّى طرف من العَجْز .

وقال بعض السُّكَّانِ لرئيسه ، وقد عَتَبَ عليه : إذا كُنْتَ لم تَرْضَ مِنِّي بالإساءة ، فَلَمْ رَضِيَتْ مِنْ نَفْسِكَ بالكفاة !

وحدَّثَ الزَّيَادِيُّ قال : تحدَّثَ رجلٌ من الأعراب ، قال : نزلت برجلٍ من طيءٍ فنجرت لي ناقةً ، فأكلتُ منها ، فلما كان الغدُ نَحَرَ أخرى ، فقلتُ : إن عندك من اللحم ما يُفْنِي ويَكْفِي ، فقال : إني والله ما أُطِعم ضيفي إلا لَحْمًا عَمِيْطًا . قال : وقَعَلْ ذلك في اليوم الثالث ، وفي كلِّ يومٍ آكُلُ شَيْئًا ، وبأَكُلُ الطَّائِي أكلَ جماعة ، ثمَّ يُوتَى باللبن فأشرب منه شَيْئًا ، ويشربُ عامَّةُ الوَطْبِ ، فلما كان في اليوم الثالث ارتَقَبْتُ عَفَاتَه ، فاضطجعت ، فلما امتلأ نومًا استَقَفْتُ قطيعًا من إبله ، فأقباته الفج^(١) ، فأنقبه ، واختصر على الطريق حتَّى وقف في مَضِيْقٍ منه ، فألقم وَتَرَه فوق سَهْمِه ، ثم ناداني : لِتَطْبُ نَفْسُكَ عنها ، قلتُ : أَرِنِي آيَةً ، قال : انظر إلى ذلك الضَّبِّ ، فإني واضعٌ صَهْمِي في مَغْرَزِ ذَنْبِه ، فرماه فأندَر^(٢) ذَنْبِه ، فقلتُ له : زِدْنِي ، قال : فانظر إلى أعلى قَفَارِه ، فرماه فَأَثْبَتَ سَهْمِه في الموضع ، ثم قال لي : الثالثة والله في كَيْدِكَ . قال : فقلتُ له : شَأْنُكَ يَا بَلَّك ! فقال : كَلَّا حتَّى تسوقها إليَّ حيث كانت ، فلما اسْتَقَفْتُهَا قال : فَكَّرْتُ فيكَ فلم أجِدْكَ عندى تَرَةً تُطَالِبُنِي بِهَا ، وما أجِدُ أَنَّ الَّذِي حَمَلَكَ على أَخْذِ إِبِلِي إلا الحاجة ، قال : قلتُ : هو والله ذاك . قال : فاعمد إلى عشرين من خيارها^(٣) نخذها ، قال : فقلتُ : إذا والله لا أفعل حتَّى تَسْمَعَ مَدْحَكَ ؛ والله ما رأيتُ رَجُلًا أكرم ضِيافَةً ،

(١) الفج : الطريق . (٢) أندَر : قطع . (٣) د : « جيادها » .

ولا أهدى سبيل ، ولا أرزى كفاً ، ولا أوسع صدرا ، ولا أربّ خوفاً ،
ولا أكرم عفواً منك . قال : فاستحيا وصرف^(١) وجهه عني ، ثم قال :
انصرف بالقطيع [كله]^(٢) مباركا لك فيه .

وأحسن من هذا وأعجب وأطرب ، ما حكاه الوزير سليمان بن وهب
ابن سعيد بن عمرو بن حصين ، قال : كنت قد نشأت بالحضرة ، وتصرفت
في خدمة الخلفاء ، فلما تقلدت مصر سرت إليها ، وإلىها محمد بن خالد
الصريفيني - وكان في غاية العفاف والنزاهة - فقبضت عليه لما وصلت إلى
مصر ، وكان قد بلغني أن عنده ستين بطلا من بغال مصر المنتخبة ، فطالبت
بإحضارها^(٣) إلى فلم يعترف لي بها ، وكان أكثر أهل مصر يميلون إليه لحسن
سيرته ، فاجتهدت في الكشف عليه والتتبع ، فلم أقف له على خيانة ولا ارتفاق ،
فأقام في حبسي مدة . ثم إن أخاه أحمد بن خالد الصريفيني ، أصلح حاله في
الحضرة ، وكان متمكنا منها ، فأخذ العمل لأخيه محمد كما كان ، وأخذ السكّاب
إليه ، وسبق بها كلّ خبر . فبعث محمد بن خالد الصريفيني إلىّ عند ذلك يقول :
ما هذا ! قد طال حبسي ، وكشفت عليّ فلم تجد لي خيانة ، وأشتهى أن
تحضرني مجلسك ، وتسمع حجتي ، وتزيل السقراء بيني وبينك ، على أن تتفق
على أمر . فطمعت فيه ، وقدرت في نفسي الإيقاع به ، فأمرت بإحضاره ،
فلما دخل رأيت من كثرة شعره ، ووسخه وتأذيه بالجبة الصوف والتقيّد
ما غنني ، فأجلسته بحضرتي وقلت : أذكر ما تريد ، فقال : خلوة ، فصرفت
الناس ، فأخرج إلى السكّاب بالظرف ، وقال : هذا كتاب بعض إخوانك
فاقرأه . فلما قرأته وددت أن أمي لم تلدني ، وعرفت من فرقي^(٤) إلى قدمي ،
وأظلمت الدنيا في عيني ، ولم أشك في لبس جبة الصوف والتقيّد والمصير
إلى تلك الحال . فلما قرأت الكتاب قتت إليه ، وجلست معه ، قال :

(٢) : كلمة من م .

(٤) : ط : « قرني » .

(١) د ، م : « وضرب » .

(٣) ط : « بإحضارها » .

لا تشغل قلبك ، وابعث من يأخذ ما في رجلي . ففعلت ، وأحضرت المزين ،
فأخذ من شعره ، ودخل الحمام وخرج ، وقال : هات طعامك ، فتقدمنا جميعا ،
وأنا أنظر إليه وهو لا يكلمني بحرف في العمل ، ثم قال لي : أتأذن لي بالانصراف ؟
فقلت : ياسيدي ، هذه الدار وما فيها بأمرك ، فقال : لا ، ولكن أنصرف
الساعة وأستريح ، وأغدو إليك . ومضى ، فحتم على الديوان وعلى ما فيه ،
وسير إلى نواحي ، فأحضرهم ، ووكل بهم ، وقال : ليس بك حاجة أن
تذكر لي شيئا من أمر البلد ، فأني أحفظه وأعرفه ، وقد صار إليك من
البلد كذا وكذا ، فأحضر الجهابذة وأمرهم بتسليم ذلك إلي — وأحضر لي
البغال التي كنت طلبتها منه وأنا لا أفتح الديوان ولا أنظر في شيء من
أحواله — وأنت في مصر ، فانصرف في حفظ الله ، وفي كلاءته . ثم إنه خرج
معي مشيما ، فخرجت وأنا من أشكر الناس له ، وأشدهم حياء منه ، لما عاملته
به ، وما علمني به .

وقال إبراهيم السراق^(١) ، مولى أبي المهلب :

هينني يامعدبتي أسأت وبالهجرا ن قبلكم بدأت
فأين الفضل منك فذلك نفسي على إذا أسأت كما أسأت
وهذا مأخوذ من قول الحماسي :

هينني ظلوما نلت به بمساءة قصاصا ، فأين الأخذ يا عز بالفضل !
ومن هذا البيت أخذ ابن زيدون ، وإياه حل .

وقال بعض الأقدمين :

هينني أمرا : إماما بريئا ظلمته وإماما مسينا تاب منه وأعتبا
أقول التماس العذر لما ظلمتني وحمليتي ذنبا وما كنت مذنباً
ليهنك إثمات الصدو بهجرنا وقطعك حبل الود حتى تهضبا

وقال بعضُ المحدثين :

فإن عاقبتني فبسوءِ فعلى وما ظلمتُ عقوبةً مُستقيداً
وإن تَغْفِرْ فأحسانٌ جَدِيدٌ دَعَوْتُ به إلى شُكْرٍ جَدِيدٍ

وقال آخر :

فَهَبْنِي مَسِيئاً كَالَّذِي قَلْتَ ظَالِماً فَعَفُوا أَجِيلاً كَيْ يَكُونَ لَكَ الْفَضْلُ
فإن لم أكنْ لَلْعَفْوِ مِنْكَ لِسَوْءِ مَا أَتَيْتُ بِهِ أَهْلاً ، فَأَنْتَ لَهُ أَهْلُ

وقال البُخْتَرِيُّ من قصيدة :

أَقْرُبُ بِمَا لَمْ أَجْنِبْ مَتَفَضِّلاً إِلَيْكَ عَلَى أَنْي إِخْلَاكَ أَلْوَمًا ^(١)
لِي الذَّنْبُ مَعْرُوفًا وَإِنْ كُنْتُ جَاهِلًا

به وَلَكَ الْمُسْتَبَيُّ عَلَى وَأَنْعَمًا

وَمِنْكَ إِنْ أَبْدَى الْجَمِيلَ أَعَادَهُ وَإِنْ بَدَأَ الْمَعْرُوفَ عَادَ وَتَمَمًا

ومن كلام القاضي الفاضل : يا من أنا - عبده ، السيئة أنا معترف بأنِّي
كسبتها ، والخطيئة قد أحاطت بي حكماً ، وأحاط بها الناس علماً ، وقد
أستوجبْتُ نارَ غضبك ، وثَقِيفَ أَدَبِكَ ، فإن عفوتَ فبحقِّكَ ، فإنَّكَ
سَيِّدُ عَافٍ ، وَإِنْ عُوِّقْتُ فَبِحَقِّي لِأَنِّي عَبْدٌ هَافٌ ، فحَا كَمْنِي إِلَيْكَ ، وَلَا تَحَا كَمْنِي
إِلَيَّ ، وَ[إِنْ] أَخْطَأْتُ فَاعْذِرْنِي ، فَإِنَّ ابْنَ آدَمَ .

٢٨ - وقوله :

إِلَّا يَكُنْ ذَنْبٌ فَمَدْلُكَ وَاسِعٌ أَوْ كَانَ لِي ذَنْبٌ فَفَضْلُكَ أَوْسَعُ

إِلَّا بِكسر الهمزة ، أصله «إِنْ لَا» ، مركب من إن الشرطية ، ولا النافية ،
فأدغمت النون في اللام ، ولهذا جاءت الفاء في الجواب في قوله : « فمدلك » .
وهذا البيت من قول البخترى ، من قصيدة أولها :

شوقٌ إِلَيْكَ تَقْيِضُ مِنْهُ الْأَدْمُعُ وَجَوَى عَلَيْكَ تَضْيِيقُ عَنْهُ الْأَضْلُعُ

ومن هذه القصيدة قوله :

يَعْتَادُنِي طَرَبِي إِلَيْكَ فَيَقْتَلِي^(١) وَجَدِي وَيَدْعُونِي هَوَاكَ فَأَتَّبِعُ

وقال نَصِيبٌ يَمْدَحُ مَوْلَاهُ الْمَهْدِيَّ :

تَلَمَّسْتُ : هَلْ مِنْ شَافِعٍ لِي فَلَمْ أَجِدْ صَوَى رَحْمَةِ أَعْطَاكَهَا اللَّهُ تَشَفَّعُ
لَنْ جَلَّتْ الْأَجْرَامُ مِنِّي وَأَفْظَمَتْ لَعَنُوكَ عَنْ جُرْمِي أَجَلَ وَأَوْسَعُ

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي للفضل بن الربيع :

لَا شَيْءَ أَعْظَمُ مِنْ ذَنْبِي سِوَى أَمَلِي

فِي حُسْنِ صَفْحِكَ عَنْ جُرْمِي وَعَنْ زَلَلِي

فَإِنْ يَكُنْ ذَاوِدَا فِي الْقَدْرِ قَدْ عَظُمَا

فَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْ ذَنْبِي وَمِنْ أَمَلِي

وما أحسن قول الشريف أبي الحسن علي بن الحسين المقبل :

يَا طَاعِنِي بِمَتَابٍ كَادَ يَنْقُذُنِي لَوْلَمْ أَكُنْ لَابَسًا دِرْعًا مِنَ الْأَمَلِ^(٢)

اخْلَعْ عَلَى جَدِيداً مِنْ رِضَاكَ فَقَدْ
رَقَمْتَ بِالْمَذَرِ مَا خَرَقْتَ بِالزَّلَالِ

وما أحسن قول الإمام الشافعي رضي الله عنه :

وَمَا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي جَمَلْتُ الرَّجَا - رَبِّي - لِعَفْوِكَ سُلْماً^(١)
تَعَاطَمَنِي ذُنُوبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ بَعَفْوِكَ - رَبِّي - كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمًا

وقول أبي نواس :

يَا رَبِّ إِنْ عَظُمَتْ ذُنُوبِي كَثْرَةً فَلَقَدْ عَلِمْتُ بَأْنَ عَفْوِكَ أَعْظَمُ^(٢)
إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ فَمَنْ الَّذِي يَدْعُو وَيَرْجُو الْحَرَمُ !
وَكُلُّ هَذَا مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ الْأَوَّلِ :

بَنِي هَاشِمٍ عَفَّوْا ، عَفَا اللَّهُ عَنْكُمْ وَإِنْ كَانَ تَوْبِي حَشَوَ ثَنِيَّتِيهِ مُجْرِمُ
لَكُمْ حَرَمَ الرَّحْمَنِ وَالْبَيْتِ وَالصَّفَا

وَجُمِعَ ، وَمَا ضَمَّ الْأَعْظِيمُ وَزَمَزَمُ
فَإِنْ قَلِمُ بَاهِتُنَا بِعَظِيمَةٍ فَأَحْلَامُكُمْ مِنْهَا أَجَلٌ وَأَعْظَمُ
وَأَحْسَنَ الَّذِي قَالَ :

اغْتَنِمْ زَلَّتِي لَتَحْرِزَ فَضْلُكَ مَعْفُو عَنِّي وَلَا يُفَوِّتُكَ شُكْرِي
لَا تَكِنِّي إِلَى التَّوَسُّلِ بِالْمَذَرِ رِ كَعَلَى أَلَّا أَقُومَ بِمُذَرِّي

وقال إبراهيم بن المهدي يخاطب المأمون :

فَإِنْ لَا أَكُنْ أَهْلًا لِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ فَأَنْتَ - أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - لَهُ أَهْلُ
فَفَضْلُكَ أَرْجُو لَا الْبَرَاءَةَ إِنَّهُ أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ الْفَضْلُ

وما أحسن قول السَّلامِيِّ :

تَبَسَّطْنَا عَلَى الْآثَامِ لَمَّا رَأَيْنَا الْعَفْوَ مِنْ ثَمَرِ الذَّنْبِ

وقول ابن قَلَّاسٍ :

وغير عَجِيبٍ أَنْ أَوْفِيكَ مُجْرِمًا فَأَسِيلَ رِداءَ الْعَفْوِ مِنْكَ تَكَرُّمًا
أُنِيبُ وَأَرْجُو فِي ذَرَاكَ مَتَابًا^(١) فَحَسْبِيَ كَوْنِي غَيْبْتُ عَنْكَ عِقَابًا
وهو مأخوذٌ من قول الأوَّل :

ارْضَ لِمَنْ غَابَ عَنْكَ عَقِيبَتُهُ فَذَلِكَ ذَنْبٌ عِقَابُهُ فِيهِ
لَوْ لَمْ يَنْلَهُ مِنَ الْعِقَابِ سِوَى بُعْدِكَ عَنْهُ لَكَانَ يَكْفِيهِ
ولقد زاد ابنُ زَيْدُونَ فِي هَذَا الْمَقَامِ ، وَأَفْرَطَ فِي الْخُضُوعِ وَالْتِمَاسِ ،
وما أَحَقُّهُ أَنْ يَنْشِدَ قَوْلَ الْمُؤَمِّلِ بْنِ أَمِيلٍ :

إِذَا مَرَضْتُمْ أَتَيْنَاكُمْ نَعُودُكُمْ وَتُذَنِّبُونَ فَنَأْتِيَكُمْ وَنَعْتَذِرُ^(٢)
وقول مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُوَلَّى :

وَأَبْكِي فَلَا أَيْلَى بِكَتٍ مِنْ صَبَابَةٍ لِذَلِكَ وَلَا لَيْلَى لِذِي الْوُدِّ تَبَدُّلُ
وَأَخْضَعُ بِالْعُتْبَى إِذَا كُنْتُ مَذْنِبًا وَإِنْ أَذْنِبْتُ كُنْتُ الَّذِي أَتُوسَّلُ

وما أحسن قول مُسْلِمِ بْنِ الْوَايِدِ :

وَيُحْطَى عِذْرِي وَجَسَ جُرْمِي عِنْدَهَا

فَأَجِنِي إِلَيْهَا الذَّنْبُ مِنْ حَيْثُ لَا أَدْرِي^(٣)

إِذَا أَذْنِبْتُ أَعْدَدْتُ عُذْرًا لِذَنْبِهَا

وَإِنْ سَخِطَتْ كَانَتْ اعْتِذَارِي مِنَ الْعُذْرِ

(١) لم أجد ههما في ديوانه . (٢) خاص الخاص ٩١ . (٣) ديوانه ٣٢ .

وقال العباس بن الأحنف :

إذا رضيت لم يهنني ذلك الرضا لصحة علي أن سيدي به عتب^(١)
وأبكي إذا ما أذنبت خوف عقيبها فأسأله مرضاتها ولها الذنب

وقال أبو فراس بن حمدان :

وكنى الرسول عن الجواب تفرقاً

ولئن كنى ، فلقد علمنا ما عني^(٢)
قل يا رسول ولا تحاش فإنه لا بد منه أساء بي أم أحسنأ
الذنب لي فيما جناه لأنني مكنته من مهجتي فتمكنا

قلت : مقتضى الكلام كله أن يقول : « مكنته من مهجتي فتمكنا »
أو فتحراً ، أو فترعنا ، وتركه لأجل الغافية .

وما أحسن قول ميار :

لا والذي لو شاء لم أعتذر في حبه من حيث لم أذنب^(٣)
ما حدرت ريح الصبا بعده لثامها عن نفس طيب

وما أحسن قول البحتري :

عفا الله عنك أما حرمة تعود بفكوك أن أبعداً^(٤) !
ألم تر عبداً عدا طوره ومولى عفا ورشيداً هدى !
ومفسد أمر تلافيته فماد فأصلح ما أفسداً
أقلنى أقالك من لم يزك يقيق ويصرف عنك الردى

(١) ديوانه ١٩

(٢) ديوانه ١ : ٧٦

(٣) ديوانه ٤٠٣

(٤) لم ترد هذه الأبيات في ديوانه

وقوله أيضا :

إِنَّ دُونَ السُّؤَالِ وَالْإِعْتِدَارِ خَطَّةٌ صَعْبَةٌ عَلَى الْأَحْرَارِ (١)
فَارْضَ لِلسَّائِلِ الْخُضُوعَ وَلِلْمُدَّ نَبِ ذَنْبًا غَضَاظَةً الْإِحْتِقَارِ
وَاسْتَعِدْ مِنْهُمَا فَبِئْسَ الْمَقَامُ نِ لَالِ الْمُقُولِ وَالْأَخْطَارِ

* * *

٢٩- وقوله : حَنَا نَيْكَ قَدْ بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبْيَ ، وَنَالَنِي مَا حَسْبِي بِهِ
وَكَفَى .

حَنَا نَيْكَ : تَثْنِيَةُ حَفَانٍ ، وَهُوَ الرَّحْمَةُ ، يُقَالُ : حَنَّ عَلَيْهِ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى :
﴿ وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا ﴾ (٢) ، أَيْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا ، وَذَكَرَ عِكْرَمَةُ عَنْ أَبِي عُبَّاسٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ : مَا أَذْرِي مَا الْحَفَانُ ؟ وَقَوْلُهُمْ : حَنَا نَيْكَ ، أَيْ حَفَانًا
يَعْدُ حَفَانٌ ، وَهُوَ نَصَبٌ عَلَى مَعْنَى « نَطْلَبُ » ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ : حَنَا نَيْكَ يَا رَبِّ ،
أَيْ نَطْلُبُ رَحْمَتَكَ .

قَالَ أَمْرُ الْقَيْسِ :

وَيَمْنَحُهَا بَنُو شَيْبَةَ بْنِ جَرْمٍ مَعِيزَهُمْ .. حَفَانَكَ ذَا الْحَفَانِ (٣)
وَعَالِبٌ مَا جَاءَ فِي كَلَامِهِمْ عَلَى لَفْظِ التَّثْنِيَةِ .

وَقَالَ طَرْفَةُ بْنُ الْعَبْدِ :

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَدْبَقِي بَعْضَنَا حَفَا نَيْكَ بِبَعْضِ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ (٤)
قَالَ طَرْفَةُ بْنُ الْعَبْدِ هَذَا حِينَ أَمَرَ النَّمِمانَ بِقَتْلِهِ ؛ يَضْرِبُ عِنْدَ ظُهُورِ تَفَاوُتِ
مَا بَيْنَ الشَّرِّينِ ، وَهُوَ كَقَوْلِهِمْ : « إِنَّ مِنَ الشَّرِّ خِيَارًا » ، وَقَوْلُهُ : « بَلَغَ السَّيْلُ
الزُّبْيَ » ، جَمْعُ زُبْيَةٍ ، وَهِيَ حُمْرَةٌ تُحْفَرُ لِلْأَسَدِ إِذَا أَرَادُوا صَيْدَهُ ، وَأَصْلُهَا

(٢) سورة مريم : ١٣

(٤) ملحني ديوانه ٢٠٩

(١) لم ترد هذه الأبيات في ديوانه

(٣) ديوانه ١٤٣

الرَّابِية لَا يَمْلُوهَا الْمَاءُ ، فَإِذَا بَلَغَهَا السَّيْلُ كَانَ جَارِفًا مَجْجِفًا ، وَهَذَا الْمَثَلُ يُضَرَّبُ لِمَا تَجَاوَزَ الْحَدَّ .

قَالَ الْمُؤَرِّجُ : حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ السَّمَّاكِ بَيْنَ حَرْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ ابْنِ الْمُعْتَمِرِ ، قَالَ : أَتَى مُهَازُ بْنُ جَبَلٍ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ قَتَلَهُمْ أَسَدٌ فِي زُبَيْةٍ ، فَلَمْ يَدْرِ كَيْفَ يَفْتِهِمْ ، فَسَأَلَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَهُوَ مُحْتَبٍ بِفَاءِ الْكَعْبَةِ ، فَقَالَ : قُضُوا هَلَى خَيْرَ كَمْ ، قَالُوا : صَدْنَا أَسَدًا فِي زُبَيْةٍ ، فَاجْتَمَعْنَا عَلَيْهِ ، فَتَدَافَعَ النَّاسُ عَلَيْهَا ، فَرَمَيْنَا بَرَجْلٍ فِيهَا فَتَمَلَّقَ الرَّجُلُ بَآخَرَ ، وَتَمَلَّقَ الْآخَرُ بَآخَرَ ، فَهَوُوا فِيهَا ثَلَاثَتَهُمْ ، فَقَضَى عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ لِلأَوَّلِ رُبْعَ الدِّيَّةِ ، وَلِلثَانِي النِّصْفَ ، وَلِلثَالِثِ الدِّيَّةَ كُلَّهَا ، فَأَخْبَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : لَقَدْ أُرْسِدَ كَمْ اللَّهُ لِلْحَقِّ .

وَمِثْلُ هَذَا الْمَثَلِ : « قَدْ بَلَغَ الشُّطَاظُ الْوَرَكِينَ ^(١) » . الشُّطَاظُ : عُودٌ يُجْمَلُ فِي عُرْوَةِ الْجَوَالِقِ . وَكَذَا قَوْلُهُمْ : « قَدْ جَازَزَ الْحِزَامُ الطَّبِيبِينَ ^(٢) » ، الطَّبِيُّ - بَضْمُ الطَّاءِ الْمَهْمَلَةِ ، وَالبَاءُ الْمُوَحَّدَةِ سَاكِنَةٌ - لِلْحَافِرِ وَالسَّابِعِ كَالضَّرْعِ لِفَرِيهَا ، وَكَذَا قَوْلُهُمْ : « اتَّيَقْتُ حَلَقَتَا الْبِطَانِ ^(٣) » وَالْبِطَانُ لِلْقَلْبِ كَالْحِزَامِ لِلسَّرِجِ ، وَفِيهِ حَلَقَتَانِ ، وَكَذَا قَوْلُهُمْ : « اتَّيَقْتُ الْبِطَانِ وَالْحَقَبَ » ، الْبِطَانُ بِمِزَالَةِ التَّصْدِيرِ ، وَالْحَقَبُ : الْحَبْلُ الَّذِي يَكُونُ عِنْدَ ثِيْلِ الْبَعِيرِ ، وَالثَّيْلُ بِالنَّاءِ الْمُثَلَّثَةِ الْمَكْسُورَةِ ، وَالبَاءُ آخِرُ الْحُرُوفِ سَاكِنَةٌ وَاللَّامُ - وَعَاءٌ قَضِيبُ الْبَعِيرِ .

حَسْبِي بِهِ وَكَفَى ، الْحَسْبُ : الْكَفَايَةُ ، تَقُولُ : حَسْبِي وَحَسْبُكَ دَرَاهِمُ ، أَيْ كَافِيكَ ، قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :

أَلَا إِنَّ لَا تَكُنْ إِبِلٌ فِعْزَى كَأَنَّ قُرُونَ جَلَّتْهَا الْعَصِي ^(٤)
فَتَمَلَّأُ يَتِيمًا أَقِطًا وَسَمْنًا وَحَسْبُكَ مِنْ غِنَى شَيْعٍ وَرِي

(٢) الميذاني ١ : ١٦٦ .

(١) الميذاني ٢ : ١٢٤ .

(٤) الميذاني ٧ : ٢٠٩ . (٥) ديوانه ١٣٦ .

(٣) الميذاني ٢ : ١٨٦ .

قال أبو عبيدة : وهذا يحتمل معنيين : أحدهما يقول : أعط كل ما كان
لك وراء الشَّبع والرّى ، والآخَر القناعة باليسير يقول : اكتف بهولا تطلب
ما سوى ذلك ، والأوّل الوجه لقوله :

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَذْنِي مَعِيشَةً كَفَانِي - وَلَمْ أَطُوبْ - قَائِلٌ مِنَ الْمَالِ (١)
وَلَكِنَّمَا أَسْعَى لِمَجْدٍ مُوْتَلٍ وَقَدْ يُدْرِكُ الْمَجْدَ الْمُوْتَلُ أَمْثَالِي

وفي أمثال العرب : « حَسْبُكَ مِنْ شَرِّ سَمَاءٍ » (٢) ، أى اكتف من الشرِّ
بسماعه ولا تعابنه ، ويجوز أن يكرن المراد : يكفيك سماع الشرِّ وإن لم تُقدِّم
عليه ، ولم تُنسب إليه .

وقال أبو عبيدة : أخبرني هشامُ بن الكلبي أن المثل لأُمِّ الرِّبيع بن زياد
المبسى ، وذلك أن ابنها ، كان أخذ من قيس بن زهير بن جذيمة درعاً ،
فعرّض قيس لأُمِّ الرِّبيع وهى على راحلتها فى مسير لها ، فأراد أن يذهب
ليزيتها فى الدرع ، فقالت : أين عزب عنك عمّاك يا قيس ، أترمى بنى زياد
مُصالحيك ، وقد ذهبت بأمتهم يميناً وشمالاً وقال الناس ما قالوا أو شاءوا !
إِنَّ حَسْبُكَ مِنْ شَرِّ سَمَاءٍ ، فذهبت كلمتها مثلاً .

وقالت بعض النساء الشَّواعر :

سَائِلٌ بِنَا فِي قَوْمِنَا وَلَيْكَفٍ مِنْ شَرِّ سَمَاءٍ

وما أحسن قول خالد بن المهاجر :

إِذَا حُجِبَتْ لَمْ يَكْفِكَ الْبَدْرُ فَقَدْهَا وَكَفَيْكَ فَقَدْ الْبَدْرُ إِنْ حُجِبَ الْبَدْرُ
وَحَسْبُكَ مِنْ خَيْرِ يَفُوتِكَ رِيْقَهَا وَوَاللَّهِ مِمَّنْ رِيْقَهَا حَسْبُكَ الْخَيْرُ

(١) ديوانه ٣٩ .

(٢) المبدأى ١ : ١٩٤ .

وما أَحْسَنَ قَوْلَ أَبِي تَمَّامٍ الطَّائِيَّ :

نَامَتْ هُمُومِي عَنِّي حِينَ قُلْتُ لَهَا حَسْبِي أَبُو دُلَافٍ حَسْبِي بِهِ وَكُنْفِي ^(١)

وقال القاضي أبو بشر الفضل بن محمد :

رَفَرْتُ فَوْقَنَا سَحَابٌ نَمَمَى أَمْطَرْنَا الشُّرُورَ فِي كُلِّ حَالٍ
حَسْبِيَ اللَّهُ فِي الْأُمُورِ نَصِيرًا ثُمَّ حَسْبِيَ الْأَمِيرُ شَمْسُ الْمَالِي

وقال شمس الدين محمد بن التليساني :

بِاللَّهِ يَا لَيْلِي الطَّوِيلَ لَقَدْ قَصَّرتَ نَوْمِي وَلَمْ تَعُدْ بِفَدْيِي
حَسْبِيَ وَحَسْبُ الْهَوَى وَحَسْبُكَ مَا يَفْعَلُهُ الْهَجْرُ بِي فَلَا تَزِدْ

وقال المباس بن الأخنف :

إِنْ كَانَ يُرْضِيكُمْ عَذَابِي وَأَنْ أَمُوتَ بِالْهَجْرَانِ وَالْكَرْبِ ^(٢)
فَالسَّمْعَ وَالطَّاعَةَ مِنِّي لَكُمْ حَسْبِي بِمَا تَرْضَوْنَ لِي حَسْبِي

* * *

٣٠ - وقوله : وما أَرَانِي إِلَّا لَوْ أَمِرتَ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ فَأَيَّتْ

وَأَمْسَتْ كَبِرتُ .

يشير بهذا إلى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ ﴾ ^(٣) ، يعني لو كان ذنبي إليك ذنب إبليس لَمَا أمره الله بالسُّجُودِ لِآدَمَ ، فأبى عن السُّجُودِ واستكبر على آدم ، وقال : ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ ^(٤) ، وهذا ذنب عظيم ،

(١) ديوانه ٢٠٤ .

(٢) ديوانه ٥٧ .

(٣) سورة البقرة ٣٤

(٤) سورة الأعراف ١٢

سقطت به درجة إبليس بعدما وصل إلى ما وصل ، وتقرب بالعبادة إلى أن حظي بين الملائكة ، ثم لعن وأبعد وأهبط إلى الأرض ، وأخرج من الجنة وجعلت اللعنة عليه إلى يوم الدين ، وصار عدواً لآدم وبنيه من الأنبياء والصالحين والأولياء والشهداء ، ولا يُذكر إلاّ مقروناً بالخزي واللعنة ، وأعد الله له في الآخرة العذاب المؤبد ، والخزي السرمد .

ويقال : إن إبليس أخزاه الله تعالى - أول من أحدث القياس لأنه قاس الطين على النار ، فلم يرض بالسجود لآدم ، ولهذا قال بشار بن برّد - قبحه الله تعالى !

إِبْلِيسُ خَيْرٌ مِنْ أَيْكُمُ آدَمَ . فَتَنَّبَهُوا يَامَعْشَرَ الْفَجَّارِ
إِبْلِيسُ مِنْ نَارٍ وَآدَمُ طِينَةٌ وَالطِّينُ لَا يَسْمُو سُمُوَّ النَّارِ

ثم إن إبليس اتصف في هذه القصة بثلاث صفات : هن أردأ ما تكون وهي : الإباء ، أي امتنع من فعل ما أمر به ، والاستكبار ، وهو فعل الجبارين ، والكفر وهو شر الثلاث . وكان يمكنه الإباء دون الاستكبار والكفر والإباء والاسة كبار دون الكفر ، فقال تعالى : ﴿ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ ^(١) .

• ثلاثة كلها تجرى على نسق •

وقد ذكر الإمام محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في أول كتابه الملل والنحل ، عن شارح الأناجيل الأربعة ، وهي مذكورة في التوراة صورة مناظرة جرت بين الملائكة وبين إبليس بعد الأمر بالسجود .

قال إبليسُ للملائكة : إني أسلم أن إلهي هو خالق ومُوحِدِي ، وهو حائقُ الخلق ؛ لكن لي على حكمة الله أسئلة : الأول ، ما الحكمة في الخلق ، لا سيما وقد كان عالماً أن الكافر لا يستوجب عند خلقه إلا الآلام ؟ الثاني ما الفائدة في التكليف مع أنه لا يعود إليه منه نفع ولا ضرر ؟ وكل ما يعود إلى المكلفين ، فهو قادر على تحصيله لهم من غير واسطة التكليف . الثالث ، هب أنه كلفني بطاعته ومعرفته ، فلماذا كلفني بالسجود لآدم ؟ الرابع ، لما عصيته في ترك السجود ، لم لعنني ، وأوجب عقابي ، مع أنه لا فائدة له ولا لغيره فيه ، ولي فيه أعظم الضرر ؟ الخامس ، ثم لما قتل ذلك ، لم مكنتني من دخول الجنة ، ووسوسة آدم ؟ السادس : ثم لما قتل ذلك ، لم سلطني على أولاده ، ومكنتني من إغوائهم وإضلالهم ؟ . السابع : لما استمهلته المدة الطويلة لم أمهلني ، ومعلوم أن العالم لو كان خاقياً من الشر لكان ذلك خيراً !

قال شارح الأناجيل : فأوحى الله إليه من سرادقات العظمة والكبرياء ، يا إبليس ، إنك ما عرفتني ، ولو عرفتني ، لعلمت أنه لا اعتراض على شيء من أفعالي ، فإنني أنا الله ، لا إله إلا أنا ، لا أسأل عما أفعل ، وربك لم يخلق ما يشاء (١) .

قال الإمام فخر الدين - قدس الله روحه - : واعلم أنه لو اجتمع الأولون والآخرون من الخلائق ، وحكموا بتحسين العقل وتبجيحه لم يجدوا من هذه الشبهات مخلصاً ، وكان الكل لازماً .

قلت : قال بعضهم : إن سيف الدولة بن حمدان خرج يوماً على جماعة ، فقال

(١) اللل والنحل ١ : ٢٤ ، ٢٥ ، بتصرف .

قَدْ عَلِمْتُ بَيِّنًا ، وَمَا أَحْسَبُ أَحَدًا يَعْمَلُ بَيْنَنَا آخَرَ إِلَّا إِنْ كَانَ سَيِّدِي
أَبَا فِرَاسٍ ، وَأَنْشَدَهُمْ :

لَكَ جِسْمِي تَعْلُهُ فِدَمِي لِمِ تَحِلُّهُ
فَأَبْتَدَأَ أَبُو فِرَاسٍ فَقَالَ :

أَنَا إِنْ كُنْتُ مَا لَكَ فَلَئِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ (١)
وَعَكْسُ هَذَا قَوْلُ الْقَائِلِ :

قَرِيبٌ غَيْرُ مُقْتَرَبٍ وَمُؤْتَلَفٌ مُلْحَقَبٍ
لَهُ وَدِّي وَلِي مِنْهُ دَوَاعِي الِهْمِّ وَالْكَرْبِ
أَوَّاصِلُهُ عَلَى سَبَبٍ وَيَهْجُرُنِي بِلَا سَبَبٍ
وَيَطْلُمُنِي عَلَى ثِقَةٍ بِأَنْ إِلَيْهِ مُنْقَابِي

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ مَنْ قَالَ : جَلَّ جَنَابُ الْجَلَالِ ، أَنْ يُوزَنَ بِمِيزَانِ الْأَعْتَرَالِ .
وَقَدْ اخْتَلَفَ قَوْمٌ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ (٢) : إِنْ إِبْلِيسَ - أَخْرَاهُ اللَّهُ تَعَالَى - أَوَّلُ كَافِرٍ
بِاللَّهِ تَعَالَى ، وَعَلَيْهِ الْأَكْثَرُونَ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ إِلَّا الْمَلَائِكَةُ ، وَهُمْ مَعْصُومُونَ
مِنَ الذَّنُوبِ .

وَاخْتَلَفُوا أَيْضًا فِي إِبْلِيسَ - أَخْرَاهُ اللَّهُ - هَلْ كَانَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَوْ لَا ؟
وَالْأَكْثَرُونَ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ
الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ (٣) .

وَقَالَ الْأَقَلُّونَ : إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ
اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾ (٤) ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَتَخَافُ عَنْ
السَّجُودِ ، لَسَكَانَ لَا لَوْمْ عَلَيْهِ ، وَهَذَا لَيْسَ بِشَيْءٍ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ فِي جَمَلَةِ الْأُمُورِ
بِالسَّجُودِ ، وَلِهَذَا فَهَمَّ هُوَ الْأَمْرَ ، وَاحْتَجَّ لِنَفْسِهِ بِأَنَّهُ خَيْرٌ مِنْهُ .

(١) ديوانه ٤٥٤ . (٢) كذا في ط ، م ، وفي الأصل : « قوم » .

(٣) سورة الكهف ٥٠ . (٤) سورة البقرة ٣٤ .

قال محب الدين بن النجار : قرأت على أبي عبد الله محمد بن أبي سعيد الأديب بأصبهان ، عن أبي طاهر بن أبي نصر التاجر ، أنبأنا عبد الرحمن بن أبي عبد الله بن منده ، أخبرنا محمد بن عبد العزيز بن عبد الله اللبّان الشيرازي يقول : سمعت أبا الحسن أحمد بن عبد الله الهاشمي ، يقول : سمعت أبا القاسم الجنيد بن محمد الصوفي يمداد يقول : ما زلت أطلب من الله في صلواتي خمس عشرة سنة أن يريني إبليس ؛ فلما كان يومُ بنصف النهار في صيف ، وأنا قاعد بين الباين أسبح ، إذ دق البابُ عليّ ، فقلت : من ذا ؟ فقال : أنا ، قلت ثانی مرة : من أنت ؟ قال : أنا ، قلت الثالثة : من أنت ؟ قال : أنا ، قلت : لا يكون إلا إبليس ! قال : نعم ، فضيت ففتحت الباب ، فدخل عليّ شيخ عليه برنس من الشعر ، وقمص من الصوف ، وبیده عكازة ، فحيا ، فجلست أقعد مكاني بين الباين ، فقال لي : قم من مجلسي ، فإن بين الباين مجلسي . فقامت وقعدت ، فقلت : بم تضل الناس ؟ فأخرج لي رغيفا من كفه وقال لي : بهذا ، فقلت : بم تحسن إليهم أفما لهم ؟ فأخرج لي مِرآة ، فقال : أريهم سيئاتهم حسنة هذه المِرآة ، ثم قال لي : قل ما تريد وأوجز في كلامك ، فقلت : حيث أمرك الله بالاجود لآدم ، لم تسجد ؟ فقال : غيرة مني عليه أن أسجد لغيره . وغاب عني فلم أره .

وقال ثابت البناني : بلغنا أن إبليس قال : يارب ، إنك خلقت آدم وذريته وجعلت بيني وبينهم عداوة ؛ فسخطني عليها ، فقال الله تعالى : قد جعلت صدورهم مساكن لك ، فقال : يارب ، زدني ، قال تجري منهم مجرى الدم ، فقال : يارب ، زدني : فقال : ^(١) لا يولد لآدم ولد إلا ويولد منك عشرة ، فقال : يارب زدني ^(٢) ، فقال : ﴿ وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركتهم في الأموال والأولاد ﴾ ^(٣) . فشكا آدم إبليس فقال : يارب ، إنك

خلقت إبليس ، وجمعت بيني وبينه عداوة ، وسلطته علي ، وأنا لا أطيعه
إلا بك . قال الله تعالى : إنه لا يؤلد لك ولد إلا وكنت به مآكين
يخفظانه من قرناء السوء ، فقال : يارب زدني ، قال : الحسنه بعشرة أمثالها ،
فقال : يارب زدني ، قال : لا أحجب عن أحد من أولادك التوبة
ما لم يُغزغَر .

وقد سأل بعضهم فقال : وكيف يؤمر بالسجود لآدم وذلك شرك ،
فإن السجود لا يكون لغير الله ! والجواب أن السجود كان لله تعالى ، وإنما
كان آدم قبله السجود .

وما أحسن قول ظافر الحداد الإسكندري :

أنت المرادُ بنظم كل قصيدة بُنيت على الأفهام في تبجيله
كسجود أملاك السماء لآدم وسجودهم لله في تأويله
وقال ابن السبل البغدادي :

ولا تحتقر ضعف^(١) العدو ولا نقل على كيده أسطو بكل مساعد
فلو أن أهل الأرض صافوك ماوقوا

بفرصة كيد من عدو معاند
كما يسجد الكل لم ينج آدم

وقد ضره منهم تمنع واحد
فبدله بعدا بقرب ، وزحشة بأنس ، وبالجنات دار الشدائد
ولم ينجه أن صور الله خلقه وعلمه الأسماء من كيد حاسد

ولقد ظرف أبو نواس في قوله ، وهو أول من ابتدع هذا المعنى ،

فقال :

(١) ط ، م فر « كبد » .

وليلة قَصَرَهَا طُولُهَا بالكَرْخِ إِذْ مُتَّعْتُ مِنْ خُلُوتِهِ
أَشْرَبُ مِنْ رِبْقَتِهِ رَرَةً ومَرَّةً أَشْرَبُ مِنْ فَضْلَتِهِ
فِي مَجْلِسٍ يَضْحَكُ تَفَاحُهُ مِنَ الرِّيَاحِينَ إِلَى خُضْرَتِهِ
لَيْسَ يَرَى حَلُوتَنَا ثَالِثٌ إِلَّا الَّذِي يَشْرَبُ مِنْ خَمْرَتِهِ
حَتَّى إِذَا أَلْفَى قِنَاعَ الْحَيَا وَدَارَتِ الْحُمُرَةُ فِي وَجْنَتِهِ
مَسْكَنَ مِنْ حَلٍّ مَرَاوِيلِهِ وَكَانَ لَا يَأْذُنُ فِي قُبْلَتِهِ
دَبَّ لَهُ إِبَالِسُ فَاقْتَادَهُ وَالشَّيْخُ تَفَاعٌ عَلَى لَعْنَتِهِ
نَاةً عَلَى آدَمَ فِي سَجْدَةٍ وَصَارَ قَوَادَا لِدُرْبَتِهِ

وفي قوله أيضا :

سَوْءَةً يَا لَعِينُ أَنْتَ اخْتَلَسْتَ النَّاسَ غَيْظًا عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ
تَهَتَّ لِمَا سَجَدْتَ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ وَفَارَقْتَ زُمَرَةَ السَّاجِدِينَ
عِنْدَمَا قُلْتَ : لَا أُطِيقُ سُجُودًا لِمِشَالِ خَلْقَتِهِ - رَبِّ - طِينًا
حَسَدًا إِذْ خُفِّتَ مِنْ مَارِجِ النَّارِ رِلْمَنَ كَانَتْ مَبْدَأُ الْعَالَمِينَ
ثُمَّ قَدْ صُرْتَ فِي الْقِيَادَةِ تَسْعَى يَا مَجِيرَ الزُّنَاةِ وَاللَّائِطِينَ

وقوله من أبيات :

أَبَى السُّجُودَ لَهُ مِنْ فَرْطِ نَحْوَتِهِ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي مِسْلَاخِ قَوَادِرِ
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ أَبِي إِسْحَاقَ الْفَرَزِّي هَجْوًا :

خَلَقْتَ لِلذَّنْبِ إِبَالِسَ اعْتِدَارًا فَتَاهُ وَقَالَ فُزْتُ وَحَقٌّ جِيدِي
إِذَا كَانَ ابْنُ آدَمَ مِثْلَ هَذَا فَكَيْفَ الْأُمُّ فِي تَرْكِ السُّجُودِ !

ومثل هذا قول ابن نباتة الأعرور الموصلي :

شَرِيفٌ أَصْلُهُ أَصْلُ حَمِيدٍ وَإِكْنَ فِعْلُهُ غَيْرُ الْحَمِيدِ
وَلَمْ يَخْلُقْهُ رَبُّ الْعَرْشِ إِلَّا لَتَنْمِطَ الْقُلُوبُ عَلَى يَزِيدِ

وقال عبد الصمد بن بابك :

وقالوا توحيت مدح الصغير وقصرت بالرجل الخشن
 وإبليس أكبر من آدم ولكن عصى ربه فانتقم
 قال الحسن بن رشيقي : كان إبراهيم بن علي بن تميم الحصري قد
 أخذ في عمل طبقات الشعراء على الأسنان ، وكنت أصغر القوم سناً ،
 فكسبت إليه :

مهلاً أبا إسحاق بالعلم وقمت في أضيقي من خاتم
 لو كان فضل السن مندوحة فضل إبليس على آدم
 فلعاً بلغه هذان البيتان ، أمسك عنه ، واعتذر منه ، ومات وقد صد
 عليه باب الفكرة ، ولم يسمع شيئاً . وقلت أنا في هذا المعنى :

تقدم المولد لم يعتبر لأنه في الفضل تدليس
 لو اعتبر ما السن يوم القلا رقى على آدم إبليس

وقال صردر :

جلسة في الجحيم أحرى وأولى من رحيل يفضي إلى تدليس
 فقراراً من المذلة في آ دم كان المصيان من إبليس

وقال ابن الصقر الواسطي :

كل رزق ترجوه من مخلوق يعتريه ضرب من التعويق
 وأنا قائل - وأستغفر - لا مقال المجاز لا التحقيق :
 لست أرضى من فعل إبليس شيئاً غير ترك السجود للمخلوق

٣١ - وقواه : وقال لي نوح : اركب معنا ، فقلت : سأوى

إلى جبل يفيض من الماء .

يشير بهذا إلى قصة نوح عليه السلام لما جاء الطوفان ، وصعد نوح في السفينة بمن آمن معه ، وقال لابنه : ﴿ يا بُنَيَّ اركب معنا ﴾ قال : ﴿ سأوى إلى جبل يفيض من الماء ^(١) ﴾ .

قيل : إن اسم ابن نوح كنعان ، أو يام - وكان كافراً ؛ وقيل : إنه كان ابن امرأته ، فلما أحسن نوح عليه السلام بالطوفان ، ركب هو ومن آمن معه ، وكانوا ثمانين آدمياً - واختلف في ذكranهم وإنائهم - وتحمل معه من كل زوجين اثنين ، ﴿ ونادى نوح ابنه وكان في معزل ﴾ أى فى مكان منقطع عن السفينة ، أو عن دين الله ، ﴿ يا بُنَيَّ اركب معنا ولا تسكن مع الكافرين ﴾ قال سأوى إلى جبل يفيض من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله ، أى من عذاب الله ﴿ إلا من رحم ﴾ لو رحم الله أحداً يومئذ ارحم أم الممقرين ^(١) ، لأن الطوفان عم الأرض جميعاً ، وعلا الجبال قدر أربعين ذراعاً ، وقيل : خمسة عشر ذراعاً .

وقيل : إنه قال له نوح : يا بُنَيَّ اركب معنا بشرط الإيمان . قال الحسن : إنه كان منافقاً فى إيمانه . وروى أنه قيل : لو رحم الله أحداً يومئذ ارحم أم الصبي ، فإنها كانت تحبه حباً شديداً ، فخافت عليه ، فخرجت به إلى الجبل حتى باغت ثلثه ، فبلغها الماء ، فبلغت به ثلثى الجبل ، فبلغها الماء ، ثم استوت به إلى أعلى الجبل ، فبلغ الماء رقبتها ، فرقعته بيديها ، فذهب بهما الماء .

وَمِنْ شَعْرِ الْمَرْزُوقِ بِمَرَضِ الْحِجَّاجِ بْنِ يَوْسُفَ فِي مَدْحِ سُلَيْمَانَ بْنِ
عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ :

فَلَمَّا طَلَى الْحِجَّاجُ حِينَ طَفَى بِهِ غَنَى قَالَ إِنِّي مُرْتَقٍ فِي السَّلَامِ^(١)
وَقَالَ كَمَا قَالَ ابْنُ نُوحٍ سَارَتْ قِيَّ إِلَى جَبَلٍ مِنْ خَشْيَةِ الْمَاءِ عَاصِمٍ

* * *

٣٢ - وقوله : وأمرتُ يَنْسَاءِ صَرْحُ لَعْلَى أَطْلَعَ إِلَى
إِلَهِ مُوسَى .

يشير بذلك إلى فرعون حين أمر هامان أن يبني له صرحاً ، ليطلع إلى
إله موسى ، لأن موسى عليه السلام لما جاء إلى فرعون وأدى رسالة ربه ،
وأمره بالإيمان ، قال فرعون : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي
فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطَّيْنِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً لَعْلَى أَطْلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى
وإِنِّي لأظنه من الكاذبين ﴾^(٢) .

الصَّرح : القصر ، وفرعون أوّل من طبَّحَ الآجُرَّ بالفار ، وبني به .
وذكروا أن هامان جمع خمسين ألف بَنَاءٍ سوى الأتباع والأجراء ، ومن
يطبخ الآجُرَّ ، ويعمل الجِصَّ ، وينحت الخشب والأبواب ، ويضرب
المسامير ، حتى ارتفع الصَّرح ارتفاعاً لم يبلغه بَنِيَانُ أَحَدٍ من الخلق ، جعله الله
فَقَنَةً لهم ، ولما فرغ ارتفاعه ، ورعى نُشَابَةُ نحو السماء ، فهاذت مُلْطَخُهُ بَدَمَ ، فقال
فرعون : قتلَ إله موسى - أو إله السماء - وكان يهتد إلى أعلاه على البراذين ،

(١) ديوانه ٨٥٣

(٢) سورة القصص ٣٨

فَبَعَثَ اللَّهُ غَزَرَ وَجَلَ جِبْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَضَرَبَ الصَّرْحَ بِجُنَاحِهِ ، فَتَقَطَّعَ ثَلَاثَ قِطَعٍ ، فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مَن عَمِلَ فِيهِ شَيْئًا إِلَّا هَلَكَ .

وقيل : إنه وقعت قطعة على عسكر فرعون ، فقتلت منهم ألف ألف رجل ، ووقعت قطعة في البحر ، ووقعت قطعة في المغرب .

وقال بعضهم لآخر : إلى أين يا هامان ؟ قال : أبني لك صرحاً يا فرعون !

وما أحسن قول عُمارة اليماني يذكر مصر :

هِيَ الصَّرْحُ إِلَّا أَنَّ هَامَانَ لَمْ يَشِدْ بِنَاهُ ، وَلَا اسْتَمَطَاهُ فِرْعَوْنُ لِلْكَفْرِ
تَنَزَّهَتْ عَنْ فَخْرِ بِمَعْرِ وَمَلِكِيهَا وَقَدْ عَدَّه فِرْعَوْنُ قَاضِيَةَ الْفَخْرِ

* * *

٣٣ - وقوله : وَعَكَفْتُ عَلَى الْمَجْلِ .

يشير بذلك إلى قوله تعالى : ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَدَنِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورَ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْفِيهِمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ﴾ (١) .

لَمَّا وَعَدَ اللَّهُ مُوسَى لِيُقَاتِلَهُ وَهُوَ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً ، كَانَ قَوْمُ مُوسَى قَدْ آمَنُوا مِنْ عَدُوِّهِمْ وَدَخَلُوا مِصْرَ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ كِتَابٌ وَلَا شَرِيعَةٌ يَنْتَهَوْنَ إِلَيْهَا ، فَوَعَدَ اللَّهُ مُوسَى أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْهِ التَّوْرَةَ ، فَقَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ : إِنِّي أَذْهَبُ إِلَى رَبِّي ، لَأَتِيَكُم بِكِتَابٍ فِيهِ بَيَانُ مَا تَأْتُونَ وَمَا تَذَرُونَ ، وَوَعَدَهُمْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ؛ ثَلَاثِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ وَعَشْرًا مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهِمْ أَخَاهُ

هارون ، فلما جاء الوعد أتى جبريلُ على فرَس الحياة ، لا يمرُّ على شيء إلا
 حيَّ ، فلما جاء رآه السامريُّ — وكان رجلاً صائفاً يقال اسمه منحا ، من
 أهل كَرْمان أو من أهل باجرَمي ، أو كان من بني إسرائيل من قبيلة يقال
 لها : سامرة ، فرأى مواضع الفرس تخضر ، وكان مناقفاً ، من قوم يَمُبدون
 البقر — فقال : إن لهذا الشأن ، فأخذ قبضةً من تربة حافرِ فرس جبريل ، وأتى
 في رُوع السامريِّ أنه إذا ألقى في شيء غيره . وكان بنو إسرائيل قد
 استعاروا حُلماً كثيرةً من قوم فرعون حين أرادوا الخروج من مصر بملة
 عُرِس لهم . ولما أهلك الله فرعون وقومه ، بقيت تلك الحُلُ في أيديهم ،
 فقال السامريُّ لبني إسرائيل : إن الحُل التي استقرتوها غنيمة لا تحِل لكم ،
 فاحفروا حُفرةً وادفِنوها فيها حتى يرجع موسى من ميقات ربِّه ، فيرى رأيَه
 فيها ، أو أن هارون أمرهم أن يُلقوها في حُفرة ، فلما اجتمعت الحُل صاعها
 السامريُّ عجلاً في ثلاثة أيام ، ثم ألقى القبضة التي أخذها من أثر حافرِ
 فرس جبريل ، فخرج عجلاً من ذهب ، مرصّماً بالجواهر ، من أحسن ما يكون ،
 وخار حُفرةً ، وكان يمشي ويخُور ، فقال السامريُّ : هذا إلهكم وإله موسى
 نسيه هاهنا وخرج يطلبه . وكان بنو إسرائيل قد أخلفوا الموعد ، وعدوا
 اليوم مع الليلة ، حتى مضى عشرون يوماً ولم يرجع موسى ، فوقموا في الفتنه
 في العشرين ، فعكف على عبادة العجل ثمانية آلاف يَمُبدونه — أو كلهم عبدوا
 العجل إلا هارون مع اثني عشر رجلاً ، وهو الصَّحيح ، أو عبدوه أجمعين
 إلا هارون — فأوحى الله إلى موسى : إنا قد فتنا قوتك ، فرجع إليهم غضبان
 أسفاً ، وقال : يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى
 بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خيرٌ لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو

التَّوَابِ الرَّحِيمِ^(١) أَي لِيَقْتُلَ الْبَرِيءُ مِنْكُمْ الْمَجْرِمَ . فَقَالُوا : نَصِيرُ لَأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَجَلَسُوا فِي الْأَفْنِيَةِ مُحْتَبِينَ وَقَالَ لَهُمْ : مَنْ حَلَّ حَبْوَتَهُ ، أَوْ مَدَّ طَرْفَهُ إِلَى قَاتِلِهِ ، أَوْ اتَّقَاهُ بِيَدِهِ أَوْ بَرَجَلَهُ فَهُوَ مَلْعُونٌ غَيْرُ مَقْبُولِ التَّوْبَةِ ، فَأَضَلَّتِ الْقَوْمُ عَلَيْهِمُ الْخَنَاجِرَ . وَكَانَ الرَّجُلُ يَرَى ابْنَهُ أَوْ أَبَاهُ ، أَوْ أَخَاهُ أَوْ صَدِيقَهُ ، أَوْ جَارَهُ يُقَاتِلُ فَلَا يَقْدِرُ أَنْ يُدَافِعَ عَنْهُ ، وَقَالُوا : يَا مُوسَى ، كَيْفَ نَفْعَلُ ؟ فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ سَحَابَةً سَوْدَاءَ ، وَأَصْبَحُوا لَا يُبْصِرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَكَانُوا يَقْتُلُونَهُمْ إِلَى الْمَسَاءِ - وَلَمَّا كَثُرَ الْقَتْلُ دَعَا مُوسَى هَارُونَ وَبَكِيًّا ، وَتَضَرَّعَا إِلَى اللَّهِ وَقَالَا : يَا رَبِّ ، هَلَكْتُ بَنُو إِسْرَائِيلَ ، فَكَشَفَ اللَّهُ السَّحَابَةَ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَكْفُوا عَنِ الْقَتْلِ ، وَكَانَ عَدَدُ الْقَتْلَى سَبْعِينَ أَلْفًا ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى : أَمَا يُرْضِيكَ أَنْ أَدْخِلَ الْقَاتِلَ وَالْمَقْتُولَ الْجَنَّةَ !

وقال بعض الشعراء :

سَمِيتُ عَنْ مُوسَى وَمُوسَى مَا الْخَبَرُ ؟ فقلت : شَيْخَانِ كَقِسْمَى الْقَسْدَرِ
الْفَرْقُ بَيْنَ الْمُوسِيِّينَ قَدْ ظَهَرَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمُوسَى بْنُ الظَّفَرِ
مُوسَى بْنُ الظَّفَرِ هُوَ السَّامِرِيُّ .

* * *

٣٤ - وقوله : وَاعْتَدَيْتُ فِي السَّبْتِ .

يشير بذلك إلى مَا أَعْتَمَدَهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي السَّبْتِ مِنْ أَتْمَاكِ حُرْمَتِهِ قَالَ تَعَالَى : ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾^(١) ، اعْتَدُوا ، أَي جَارُوا .

كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي زَمَنِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَرْضٍ يُقَالُ لَهَا : أُيْلَةُ^(٢) ، حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ صَيْدَ السَّمَكِ يَوْمَ السَّبْتِ ، فَكَانَ إِذَا دَخَلَ السَّبْتُ لَمْ يَبْقَ

(١) البقرة ٦٥ . (٢) في الطبري : « قرية بين أيلة والطور يقال لها مدين » .

حُوتٌ إِلَّا اجْتَمَعَ هُنَاكَ ، يَخْرُجْنَ مِنَ الْمَاءِ حَتَّى لَا يَرَى الْمَاءَ مِنْ كَثَرَتِهَا ، فَإِذَا
مَضَى السَّبْتُ تَفَرَّقْنَ فَلَا يَرَى مِنْهَا شَيْءٌ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِذْ تَأْتِيهِمْ
حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ﴾ (١) .

ثُمَّ إِنَّ الشَّيْطَانَ وَسَّوسَ لَهُمْ وَقَالَ : إِنَّمَا نُهُيْتُمْ عَنْ أَخْذِهَا يَوْمَ السَّبْتِ ، فَقَعَدَ
رَجَالٌ ، فَحَفَرُوا حِيَاضًا نَحْوَ الْبَحْرِ ، وَشَرَعُوا (٢) مِنْهَا إِلَى الْأَنْهَارِ ، فَإِذَا كَانَ
عَشِيَّةَ الْجُمُعَةِ فَتَحُوا تِلْكَ الْأَنْهَارَ ، فَأَقْبَلَ الْمَوْجُ بِالْحِيتَانِ إِلَى الْحِيَاضِ ، فَلَا تَقْدِرُ
عَلَى الْخُرُوجِ لِبُعْدِ عُقْمِهَا ، وَقَلَّةِ مَائِهَا ، فَيَأْخُذُونَهَا يَوْمَ الْأَحَدِ . وَكَانُوا يَسْقُونَ
الْحِيتَانِ إِلَى الْحِيَاضِ يَوْمَ السَّبْتِ ثُمَّ يَأْخُذُونَهَا يَوْمَ الْأَحَدِ ، وَكَانُوا يَنْصِبُونَ آلَاتِ
الْعَصِيدِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَيُخْرِجُونَهَا يَوْمَ الْأَحَدِ ، وَقَعَلُوا ذَلِكَ مَدَّةً ، فَلَمْ يُنْزَلْ بِهِمْ
عُقُوبَةٌ ، فَقَالُوا : مَا نَرَى إِلَّا أَنَّهُ قَدْ أَحْلَلْنَا السَّبْتَ ، فَأَخَذُوا وَأَكَلُوا وَمَلَأُوا
وَبَاعُوا ، وَكَثُرَ مَا لَهُمْ ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ صَارَ أَهْلُ الْقَرْيَةِ - وَكَانُوا نَحْوَ سَبْعِينَ
أَلْفًا - ثَلَاثَةَ أَصْفَافٍ : صِنْفٌ أَمْسَكَ وَنَهَى ، وَصِنْفٌ أَمْسَكَ وَلَمْ يَنْهَ . وَصِنْفٌ
اتَّبَعَكَ الْحَرَمَةُ . وَكَانَ التَّاهُونَ اثْنِي عَشَرَ أَلْفًا ، وَلَمَّا أَمْسَكَ الْجَرْمُونَ قَبُولَ نُصْحِهِمْ
قَالُوا : وَاللَّهِ لَا نَسَا كُنْكُمْ ، فَقَسَمُوا الْقَرْيَةَ بِجِدَارٍ ، وَتَحَيَّزُوا كَذَلِكَ سَنَتَيْنِ ،
فَلَعَنَهُمُ دَاوُدُ ، وَغَضِبَ عَلَيْهِمْ لِإِصْرَارِهِمْ عَلَى الْمَعْصِيَةِ ، فَخَرَجَ التَّاهُونَ ذَاتَ يَوْمٍ
مِنْ دِيَارِهِمْ ، وَلَمْ يَخْرُجْ مِنَ الْجَرْمِينَ أَحَدٌ ، وَلَمْ يَفْتَحُوا لَهُمْ بَابًا ، فَلَمَّا أَبْطَأُوا
تَسَوَّرُوا عَلَيْهِمُ الْحَائِطُ ، فَإِذَا هُمْ جَمِيعًا قِرْدَةً لَهُمْ أَذْنَابٌ يَتَعَاوَنُونَ .

وَقِيلَ : صَارَ الشَّبَابُ قِرْدَةً ، وَالشَّبُوحُ خَنَازِيرَ ، فَكَثَرُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ،
ثُمَّ هَلَكُوا ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ مُسَخٍّ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَلَمْ يَتَوَالِدُوا (٣) .

قَالَ مُجَاهِدٌ : مُسَخَّتْ قُلُوبُهُمْ دُونَ صُورِهِمْ ، وَهَذَا خِلَافُ الْإِجْمَاعِ وَمَا نَطَقَ

(١) الْأَعْرَافُ ١٦٣

(٢) ط : « شَقُوا » .

(٣) الْخَبَرُ فِي تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ ٢ : ٢٦٩ .

به القرآن العظيم . وفي الأمثال المولدة : عليه ما على أصحاب السبت - ينفون بذلك اللفظة .

كان ابن الرومي متهوماً في الأكل ، وكان يُعجبه السمك ، فوعده أبو العباس أحمد المزبدي^(١) أن يبعث إليه كل يوم سبت وظيفة من السمك ، لانتقاع عنه ، ثم قطع عنه ، فقال :

ما لحيتائنا جفئنا وإن أخذت الزايرين منتظريهم
جاء في السبت زورهم فأتدنا من حفاظ عليه ما يكفيهم
وجملناه يوم عيد عظيم فكأننا اليهود أو نحكيهم
وأراهم مصعبين على الهج ر فلم يسخطون من يرضيهم !
قدسبتنا وما أتدنا وكانوا يوم لا يسبتون لا تأتيم

ولما وقع أبو فراس بن خندان في أسر الروم أمر الملك أن الأسرى يزاورون يوم السبت ، فقال :

جملوا الالتقاء في كل سبت فجملناه للزيارة عيدا
وشركننا اليهود فيه فكدنا رغبة فيه أن نعود يهودا

وقال علاء لدين الوداعي فيمن رعد به سمك :

يامالكاً صدق مواعيده خلّى لنا في جوده مظهرا
لم نعد في السبت فما بالنسا لم تأتتنا حيتاننا شرعا
وقال ابن الزقاق الأندلسي :

وحسب يوم السبت عندي أنني يفاديني فيه الذي أنا أحببت^(٢)

(١) ط : « المرئدي » .

(٢) ديوانه ١١٣ .

ومن عَجَبِ الأشياءِ أَنِّي مُسْلِمٌ حَنِيفٌ ، ولكن خَيْرُ أَيْامِي السَّبْتُ

٣٥ - وقوله : وَتَعَاظَيْتِ فَمَقَرْتُ .

يشير بذلك إلى قوله تعالى : (إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَبِعْهُمْ وَأَصْطَبِرْ * وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ * فَنَادُوا بِصَاحِبِهِمْ فَتَعَاظَى فَمَقَرَّ)^(١) .

كانت ثمودُ هذه هي عادُ الأخرى ، وتسمى عادُ الصَّعْرَى ، وكان الله سبحانه وتعالى قد أهلك عاداً الأولى . ثم إنَّ الله سبحانه استخلف عاداً الأخرى ، وكانوا قوماً عرباً ، وكانوا يسكنون الحِجَازَ بينَ : الحِجَارِ وَالشَّامِ إلى وادي القُرَى ، فانتشروا في تلك الأرض وكفروا ، وعبدوا غيرَ الله ، فبعثَ إليهم صالحاً ، غلاماً شاباً ، فدعاهم حتى شَمِطَ ولم يَتَّبِعْهُ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ ، فسألوه أن يُريَهُمْ آيةً ، فقال : « أَى آيةٍ تُريدون ؟ » قالوا : « تخرج معنا إلى عِيدِنَا وَتَدْعُو آلِهَتِنَا ، وَتَدْعُو أَنْتَ إِلَهَكَ ، فَنَسْتَجِيبُ لَهَاتَّبَعْنَاهُ . فخرجوا بأولادهم إلى عيدهم ، وخرج صالحٌ إلى الله تعالى ، فقال له جندع بن عمرو سيد ثمود : يا صالح ، أخرج لنا من هذه الصَّخْرَةِ نَاقَةً جَوْفَاءَ ، وَبِرَاءَ عَشْرَاءَ^(٢) ، فَإِنِ فَعَلْتَ ذَلِكَ صَدَقْنَاكَ ، وَأَمَّا بِكَ . فَأَخَذَ مَوَاتِيْعَهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ، وَدَعَا رَبَّهُ ، فَتَمَخَّضَتِ الْهَضْبَةُ ، فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهَا وَقَدْ انْتَفَضَتْ تَصَدَّعَتْ عَنْ نَاقَةٍ كَأَنَّهَا صَفْوَاءُ : جَوْفَاءَ ، وَبِرَاءَ عَشْرَاءَ ، بَيْنَ جَنْبَيْهَا مَا يَعْلَمُهُ اللهُ تَعَالَى . فَأَمِنَ بِهِ جَدْعٌ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ رَهْطِهِ ، وَأَرَادَتْ أَشْرَافُ ثَمُودَ أَنْ تُوْمِنَ ، فَهَاهُمْ ذُؤَابُ بْنُ عَمْرِو وَمَنْ شَايَعَهُ ، وَرَدَّاهُمْ عَنِ الْإِسْلَامِ ، وَكَانَ لابن عمرو هذا ابن عمِّه يقال له : شَهَابٌ ، عَزِيزٌ مُنِيعٌ أَرَادَ أَنْ يُسْلِمَ فَنَهَاهُ ذُؤَابُ ، وَرَبَابُ وَالْحَبَابُ ، وَصَاحِبَا الْأَيْمَانِ^(٣) ، وَفِي ذَلِكَ قَالَ شَاعِرُهُمْ^(٤) :

(١) سورة القمر ٣٧ - ٢٩ . (٢) حاشية الأصل : « العشراء التي تشبه البخت »

(٣) في ابن كثير : « ذُؤَابُ بْنُ عَمْرِو وَالْحَبَابُ صَاحِبَا أَوْلَادِهِمْ ، وَرَبَابُ بْنُ صَدْمَرٍ » .

(٤) ابن كثير : « مَهْرَشُ بْنُ غَنَمَةَ بْنِ الذَّمِيلِ » .

وكانت عَصْبَةٌ مِنْ آلِ عَمْرِو إِلَى دِينِ النَّبِيِّ دَعَوْا شُهَابًا^(١)
 عَزِيزٌ ثُمُودٌ كُلُّهُمْ جَمِيعًا فَهَمَّ بَأْسٌ يَجِيبُ وَلَوْ أَجَابَا
 لِأَصْبَحَ صَالِحٌ فِيمَا عَزِيزًا وَمَا عَدَلُوا بِصَاحِبِهِمْ ذُؤَابَا
 وَلَكِنَّ الْفُؤَادَ مِنْ آلِ حُجْرٍ^(٢) تَوَلَّوْا بَعْدَ رَشْدِهِمْ ذَبَابَا

ويقال : إنَّ الناقةَ تَمَخَّضَتْ بَعْدَ انْفِصَالِهَا ، وَوَلَدَتْ سَقْبًا ، فَكَثَتْ فِي أَرْضِهِمْ تَرَعَى الشَّجَرَ ، وَتَشْرِبُ الْمَاءَ ، وَأَخْبَرَهُمْ صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ ، لَهَا يَوْمٌ مِنَ الشَّرْبِ وَلَهُمْ يَوْمٌ . وَكَانَتْ تَدْخُلُ رَأْسَهَا فِي بَثْرِ لَهَا ، يَقَالُ لَهَا : بَثْرُ النَّاqَةِ ، فَإِذَا رَفَعَتْ رَأْسَهَا تَفَاحَجَّتْ لَهُمْ ، فَيَحْلِبُوهَا وَيَشْرَبُونَ وَيَذْخِرُونَ ، وَكَانَتْ تَصِيفُ بَظْهَرَ الْوَادِي ، فَتَهْرَبُ مِنْهَا الْمَوَاشِي ، وَتَسْتَمُوا بِبَطْنِ الْوَادِي فَتَهْرَبُ مِنْهَا الْمَوَاشِي . وَكَانَتْ تَرَعَى بَوَادِي الْحَجَرِ ، وَكَانَتْ فِيهِ امْرَأَةٌ يَقَالُ لَهَا : عَنِيزَةُ ، لَهَا بَنَاتٌ حَسَنَاتٌ وَمَالَ ، وَامْرَأَةٌ أُخْرَى يَقَالُ لَهَا : صَدُوقُ ، بِنْتُ الْحَمِيَا صَاحِبِ أَوْثَانِهِمْ ، وَكَانَتْ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ لثُمُودَ عِدَاوَةً لَصَالِحٍ ، وَكَانَ زَوْجُهَا أَسْلَمٌ ، وَأَنْفَقَ مَالَهَا عَلَى مَنْ آمَنَ بِصَالِحٍ ، فَدَعَتْ مَصْدَعُ ابْنَ مِهْرَجِ بْنِ الْحَمِيَا^(٣) ، وَجَعَلَتْ لَهُ نَفْسَهَا عَلَى أَنْ يَغْرِقَ النَّاqَةَ . وَدَعَتْ عَنِيزَةُ قُدَارَ ابْنَ سَالِفٍ - وَكَانَ رَجُلًا أَحْمَرَ أَرْزَقَ الْعَيْنَ ، وَوُلِدَ لَهَا فِيرٌ رَشْدَةٌ - فَأَنْطَلَقَا وَاسْتَشْدَا غَوَاةَ ثُمُودَ ، فَاتَّبَعَهُمَا تِسْعَةُ نَفَرٍ ، فَرَصَدُوهَا حِينَ صَدَرَتْ عَنِ الْمَاءِ ، وَكُنَّ لَهَا قُدَارُ فِي أَصْلِ صَخْرَةٍ ، وَمَصْدَعُ فِي أَصْلِ أُخْرَى ، فَرَمَاهَا مَصْدَعُ ، فَانْقَضَتْ عَضَلَةُ سَاقِهَا ، وَخَرَجَتْ عَنِيزَةُ ، وَأَمَرَتْ بِنْتَهَا فَسَفَرَتْ عَنْ وَجْهِهَا لِقُدَارَ ، ثُمَّ أَمَرَتْهُ فَشَدَّ عَلَى النَّاqَةِ بَسِيفَةً ، فَكَشَفَ عَنْ قَوَائِمِهَا ، فَخَرَّتْ ، وَرَغَتْ رَغَاةً وَاحِدَةً ، تَحَذَّرُ سَقْبُهَا ، ثُمَّ طَمَعَنَ فِي لَبَتِهَا فَنَجَّرَهَا ، وَأَنْطَلَقَ سَقْبُهَا حَتَّى أَتَى جَبَلًا ضَيِّقًا ، ثُمَّ أَتَى صَخْرَةً فِي أَعْلَى الْجَبَلِ . فَأَتَاهُمْ صَالِحٌ ، فَلَمَّا رَأَى النَّاqَةَ قَدْ عُقِرَتْ بَكَى ، وَقَالَ : أَنْتُمْ كُنْتُمْ

(٢) ط : « آلِ عَمْرِو » .

(١) البداية والنهاية ١ : ١٣٤ .

(٢) ابن كثير « مصدع بن مِهْرَج » .

حرمة الله فأبشروا بمذاب الله. ثم اتبع السَّعْبُ أربعة نفرٍ من التسعة ، فرماه مصدع
فانظَّم قلبه ، ثم جرَّه برجله فأنزَلَه ، ثم ألقوا لحمه مع لحمها ، وقالوا الصالح : متى
يكون ذلك؟ كالمستهزئين به، وما آيته؟ فقال : تُصْبِحُونَ غداً مؤنس — يعني يومَ
الخميس — وجوهكم مصفرةً ، وتُصْبِحُونَ يومَ العُروبة — يعني يومَ الجمعة —
وجوهكم حمرةً ، ثم تُصْبِحُونَ يومَ شيار — يعني السبت — وجوهكم
مسودةً ، ثم يصبِّحكم العذابُ يومَ أوَّل — يعني الأحد — ثم إنَّ هؤلاء
التسعة همُّوا بأن يبيِّتوا صالحاً ، وقالوا : إن كان صادقاً كنَّا قتلناه ، وإن كان
كاذباً كنَّا أخفناه بفاقته . فأتوه ليلاً وقد منعهم الملائكةُ بالحجارة ، فلما
أبطأوا جاءت أسياعهم ، فوجدوهم مشدخين ، فقالوا : يا صالح ، أنت قتلتهم !
وهمُّوا به ، فنعمهم عشرين شهيداً . وأصبحوا صبيحة ليلة نذ مصفرة وجوههم ، فمهلوا
أنه صدقهم ، فلما كانت ليلة الأحد ، خرج صالحٌ ومن آمنَ معه من بينهم
إلى أرض الشام ، فنزل رَملةً بفلسطين ، فلما كان ضحى يوم الأحد أخذتهم
الصَّيْحَةُ ، فلم يبقَ منهم كبيرٌ ولا صغيرٌ إلَّا هلك ، إلَّا جاريةً مُقَمَّدةً
كافرةً بصالح ، أطلق لها رجلها بعد ما عاينت العذاب ، فأخبرت بما حلَّ
بشمود . ثم إنها استسقت الماء فشربت وماتت . وفيها قال بعض شعرائهم :

يا فَمَلَّةٌ ما أَنتِ قوماً بِمُرْدِيَةٍ	كانوا شِراراً وما كانوا بأخيارِ
كانوا بأنعمِ عيشٍ غيرِ مكنتعٍ	في مجلسٍ بين جناتٍ وأنهارِ
لا يرهبون من الأعداءِ بائقةً	وقع السيوفِ ولا نبضاً بأوتارِ
فما حلوا ناقةً لله راتمةً	قد أنذروها وكانوا غيرِ أبرارِ
إذا تذكَّرتُها رقت على كبدِي	حرارةٌ مثل لدغِ الحكي بالنارِ
قادوا قداراً ولحمُ السَّعْبِ بينهم	هل للمجولِ وهَلْ للسَّعْبِ من نارِ !
ففاضَ دُمعي ولم أملك له عبراً	إلَّا الدعاءَ وتصويتاً بأسجارِ

وقيل : إنَّ الصَّاعقة لما أخذتهم ، صارت وجوههم كأنما طليت بالقار ،
وكانوا يقبلون أبصارهم إلى السماء مرةً ، وإلى الأرض مرةً ، ولا يدرون من

أَيْنَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ ! وَتَقَطَّعَتْ قُلُوبُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ ، وَلَمْ يُسَلِّمْ غَيْرُ الْجَارِيَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ الَّتِي أَتَتْ تُخْبِرُ أَهْلَ وَادِي الْقَرْيَةِ ، وَرَجُلٌ كَانَ بِالْحَزْمِ اسْمُهُ أَبُو رِغَالٍ ، مِنْهُ الْحَزْمُ مِنَ الْعَذَابِ ، فَلَمَّا خَرَجَ أَصَابَهُ مَا أَصَابَهُمْ ، فَدُفِنَ بِهِ وَمَعَهُ غَضَنٌ مِنْ ذَهَبٍ ، وَأَخْبَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَبْرِهِ ، فَابْتَدَرُوهُ بِأَسْيَافِهِمْ ، فَحَفَرُوا عَنْهُ ، فَوَجَدُوا الْفُضْنَ .

وَقِيلَ إِنَّ صَالِحًا ابْتِغَثَهُ اللَّهُ لَهُمْ ، وَهُوَ ابْنُ ثَمَانَ وَعِشْرِينَ سَنَةً ، فَأَقَامَ فِي دَعْوَتِهِمْ عِشْرِينَ سَنَةً .

وَقِيلَ : إِنَّ صَالِحًا لَمَّا قِيلَ لَهُ : أَدْرِكُ الْفَاقَةَ فَقَدْ عُمِرْتُ ، فَأَقْبَلَ ، وَخَرَجُوا يَمْتَعِدُونَ إِلَيْهِ ، وَيَقُولُونَ : إِنَّمَا قَتَلَهَا فُلَانٌ ، فَقَالَ لَهُمْ : أَدْرِكُوا سَمْعَهَا ، فَإِنْ أَدْرَكْتُمْ وَهِيَ مَعْسِي أَنْ يَرْفَعَ الْعَذَابُ عَنْكُمْ ، فَأَدْرَكُوهُ ، فَرَعَا ثَلَاثًا ، وَانْفَجَرَتْ لَهُ الصَّخْرَةُ فَدَخَلَهَا ، فَقَالَ صَالِحٌ : قَدْ أَنْذَرَكُمْ ثَلَاثًا ، وَيَحِلُّ بِكُمْ الْعَذَابُ ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ثَلَاثٍ وَقَعَ بِهِمُ الْعَذَابُ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ تَمَتُّوْا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾ ^(١) ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴾ ^(٢) ، أَوَّلُ الْإِنْبِعَاثِ الْإِسْرَاعَ ، وَأَشْقَاهَا ثَمُودُ ، أَيْ أَشَقَى ثَمُودَ ، لِأَنَّهُ الَّذِي بَاشَرَ الْعَقْرَ .

وَقِيلَ : فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾ ^(٣) ضَمِيرٌ يَرْجِعُ إِلَى قَدَارِ ابْنِ سَالِفٍ عَاقِرِ النَّاقَةِ ، مَعْنَاهُ فَعَلَ فَعَلَتَهُ الذَّمِيمَةُ ، وَمَا خَافَ عَاقِبَتَهَا . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَمَا طَافِي فَقْعَرٌ ﴾ ^(٤) ، أَيْ أَتَى أَمْرًا عَظِيمًا ، يُقَالُ : فُلَانٌ يَطَافِي الْمُسْكِرَ . قِيلَ : إِنَّ جَعْفَرَ بْنَ سُلَيْمَانَ كَانَ شَدِيدَ الْبُخْلِ عَلَى الطَّعَامِ ، فَرَفَعَتْ الْمَائِدَةُ يَوْمًا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، وَفِيهَا دَجَاجَةٌ ، فَوَثَّبَ عَلَيْهَا بَعْضُ بَنِيهِ فَأَكَلَ مِنْهَا ، وَأَعِيدَتْ مِنَ الْفَدَى ، فَاِمَارَآهَا وَقَدْ أَكَلَ مِنْهَا ، قَالَ : مَنْ هَذَا الَّذِي تَطَافِي فَقْعَرٌ ؟ قَالُوا : ابْنُكَ فُلَانٌ ، فَقَطَعَ أَرْزَاقَ بَنِيهِ كُلِّهِمْ ، فَاِمَا طَالَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ قَالَ :

(١) سورة الشمس ١٥ .

(٢) سورة الفم ٣٩ .

(٣) سورة هود ٦٥ .

(٤) سورة الشمس ١٢ .

بعضُ بنيه : أَقْتَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ مِنَّا ؟ فردَّ عليهم بعضُ أَرْزَاقِهِمْ .
وقالُ عُمَارَةُ اليمَنِيّ :

لَا تَعَجَبَا لِقَدَارِ نَاقَةِ صَالِحٍ فَلِكُلِّ عَصْرِ نَاقَةٌ وَقَدَارُ

* * *

٣٦ - وقوله : وَشَرِبْتُ مِنَ النِّهْرِ الَّذِي ابْتَلَى بِهِ جُنُودُ طَالُوتَ .

يشير بذلك إلى قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ﴾ ^(١) .

لَمَّا خَرَجَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَهُمْ يَوْمَئِذٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ - أَوْ ثَمَانُونَ أَلْفًا - لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُمْ إِلَّا كَبِيرٌ لَهُرْمَةٌ ، أَوْ مَرِيضٌ ، أَوْ ذُو عُدْرَةٍ ، لِأَنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْا الثَّابُوتَ لَمْ يَشْكُوا فِي النَّصْرِ ، وَتَسَارَعُوا ^(٢) إِلَى الْجِهَادِ ، فَقَالَ طَالُوتُ : لَا حَاجَةَ لِي فِي كُلِّ مَا أَرَى ، لَا يَخْرُجُ مَعِيَ رَجُلٌ بَنَى شَيْئًا لَمْ يَفْرُغْ مِنْهُ ، وَلَا صَاحِبُ تِجَارَةٍ يَسْتَفِلُّ بِهَا ، وَلَا رَجُلٌ عَلَيْهِ دَيْنٌ ، وَلَا رَجُلٌ تَزَوَّجَ امْرَأَةً وَلَمْ يَنْبِئْ بِهَا ، وَلَا أَتْبَغِي إِلَّا الشَّابَّ ^(٣) النَّشِيطَ الْفَارِغَ ^(٤) .

فاجتمع له ثمانون ألفاً من شُرَطِهِ ، وَكَانَ حَرٌّ شَدِيدٌ ، فَشَكُّوا إِلَيْهِ قَلَّةَ الْمَاءِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ ، وَقَالُوا : إِنَّ الْمِائَةَ لَا تَحْمِلُنَا ، فَادْعُ اللَّهَ يُجَرِّبْ لَنَا نَهْرًا ، فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ يُخْتَبِرُكُمْ بِنَهَرٍ - وَهُوَ نَهْرٌ بَيْنَ الْأُرْدُنِّ وَفِلَسْطِينَ - عَذَّبَ ﴿ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي ﴾ ، أَيْ مِنْ أَهْلِ ذِمَّتِي ، ﴿ وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ﴾ ، قِيلَ : كَانُوا أَرْبَعَةَ آلَافٍ - أَوْ ثَلَاثُمِائَةٍ وَبَضْعَةُ عَشَرَ رَجُلًا - وَهُوَ الصَّحِيحُ ، وَلَمْ يَتَجَاوَزْ مَعَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ .

(٢) م : « فسارعوا » .

(١) سورة البقرة ٢٥٠ .

(٤) تفسير الطبري ٥ : ٣٤٨ .

(٣) ط : « الشباب » .

(٩ - تمام المتن)

ولما وصلوا النهر وقد ألقى عليهم المطش ، شرب الكل إلا هذا المدد القليل ؛ من اغترف غرفةً بيده كما أمر الله تعالى . فقوى قلبه ، وصح إيمانه ، وكفته تلك الغرفة الواحدة لشربه وحمله ودوايه . والذين شربوا وخالفوا أمر الله تعالى اسودت شفاههم ، وغلبهم المطش ، ولم يرووا ، ووقفوا على شاطئ النهر ، وجبنوا عن لقاء المدو ، فلم يجاوزوا ولم يشهدوا الفتح ، أوجاوزوا ونكسهم لم يحضروا القتال ، إلا الذين لم يشربوا ، قال الله تعالى : ﴿ فلما تجاوزوا هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴾ . أي الذين خالفوا أمر الله ، وشربوا ولم يتجاوزوا . ﴿ قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ ^(١) .

ومن أبيات ربانية لشيخ الإسلام ابن دقيق العيد - قدس الله روحه في الجنة :

وَيَارَبِّ مَنْ أَوْفَى عَلَى بَعْضِ قَصْدِهِ فَأَدْرَكَهَ آثَارُ هَيْبَةِ قُرْبِهِ
يُنَادِي لَنْ قَدْ أَمَّ بِحَرِّ جَنَابِهِ : حَذَارِ حَذَارِ الْمَوْتِ أَنْ لَا تَعُجِبَ بِهِ
كُنَّا وَرَدَّنَا نَهْرَ طَالُوتَ فِي الْهَوَى فَذُقْنَا وَمَا فُزْنَا بِلَذَّةِ قُرْبِهِ
وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الْفَرَّي :

وَمِنْ حَسَنَاتِ الْوَارِدِ الْبَحْرُ أَنَّهُ يُرَى مُذْنِبًا مِنْ لَا يَعَافُ الْمَذْنِبَا
وَلَوْ كُنْتُ فِي أَحْبَابِ طَالُوتَ مَبْتَلًى بِمَا شَرِبُوا مِنْهُ ، لَمَا كُنْتُ شَارِبَا
وَقَالَ أَبُو الْعَلَاءِ الْمَعْرِي :

سَقِيًّا نَدِجَةً وَالْدُّنْيَا مَفْرُقَةً حَتَّى يَعُودَ اجْتِمَاعُ النَّجْمِ تَشْتِمًا ^(٢)
وَبَعْدَهَا لَا أُرِيدُ الشَّرْبَ مِنْ نَهْرٍ كَأَنَّمَا أَنَا مِنْ أَصْحَابِ طَالُوتَا

٣٧ - قوله : وَقَدْتُ الْفِيلَ لِأَبْرَهَةَ .

يشير بذلك إلى ما أخبر الله تعالى عن أهل الفيل الذين قصدوا خراب مَكَّةَ ، وذلك أن أبرهة بن الصَّباح أبا يَكْسُوم ، بنى كنيسة بصنعاء لأصمة النجاشي ، لأنه كان ملك اليمن من قبل النجاشي ، وأراد صرف الحاج عن الكعبة إليها ، فخرج رجل من كنانة ، فأحدث فيها ، واطَّخها بالعذرة احتقاراً لشأنها . أو أن رُقَعة من قريش خرجوا في تجارة حتى نزلوا قريباً من تلك الكنيسة ، واحترقوا ناراً واشتقوا ، ثم ارتحلوا ، فهبت ريح فأحرقتها النار . فعضب النجاشي لذلك ، فقال أبرهة وحجر بن شراحيل : لا تحزن ، فنحن نهدم الكعبة . فطلب أبرهة من النجاشي فيله المعروف بمحمود ، وكان عظيماً جسيماً لم ير مثله ، فبعثه إليه ومعه غيره من الفيلة ، وجيشاً ليسيروا إلى الكعبة ، فلما قرب أبرهة من مَكَّةَ أمر بالفارة على أهل الحرم ، فأخذوا لعبد المطلب مائتي بعير . وجهز أبرهة برسول إلى شريف مكة يقول : لم آت لقتال ، وإنما أتيت لهدم هذه البنية . فجاء الرسول إلى عبد المطلب ، وبلغه الرسالة ، فقال : هذا بيت الله وبيت إبراهيم خليل الله ، ونحن مالنا يد أن نقاتل هذا الملك . وتوجه مع الرسول إلى أبرهة ، ودخل عليه بعد ما عرفوه بشرفه - وكان وسيماً جسيماً - فأكرمه أبرهة وعظمه ، ونزل عن سريره وجلس معه على البساط ، وقال لترجمانه : قل له يسأل حاجته ، فقال : قل للملك يرُدّ على الأباغر التي أخذها ، فقال أبرهة : قل له قد زهدت فيك بعد رغبتى . أنا جئت إلى بيت - هو دينك ودين آبائك ، وهو شرفكم وعصمتكم - لأهدمه . لم تكلمني فيه ، وتسلمني في ردّ مائتي بعير ! فقال عبد المطلب : أنارب هذه الإبل ، ولهذا البنت رب سيمنه . فقال أبرهة : ما كان ليمنعني منه فقال : دونك^(١) فردّ عليه إبله ،

(١) ط : « دونك » .

فعاد عبد المطلب إلى مكة ، وأمر قومه أن يتفرقوا في رؤوس الجبال ، وأتى هو إلى البيت وأخذ بحلقه الباب ، وقال :

يَارِبُّ لَا أَرْجُو لَهْمَ سِوَاكَ يَا رَبُّ فَاْمَنْعَ مِنْهُمْ حِمَاكَ
إِنَّ عَدُوَّ الْبَيْتِ مَنْ عَادَاكَ اْمَنْعَهُمْ أَنْ يُخْرِبُوا قُرَاكَ

وقال أيضاً :

يَارِبُّ إِنَّ الْعَبْدَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ فَاْمَنْعَ رِحَالَكَ ^(١)
لَا يَفْلِتَنَّ صَلِيْبُهُمْ وَمَحَالْمُ غَدُوًّا مَحَالَّكَ
جَمْعُوا جُوعَ بِلَادِهِمُ وَالْفِيلُ كَيْ يَسْبُوَا عِيَالَكَ
عَمَدُوا حِمَاكَ بِجَهْلِهِمْ كَيْدًا وَمَا رَقَبُوا جَلَالَكَ
إِنْ كُنْتَ تَارِكُهُمْ وَكَمْ بَلَّغْنَا فَأْمُرًا مَا بَدَا لَكَ ^(٢)

ثم خرج عبد المطلب مع قومه إلى رؤوس الجبال ، وأصبح أبرهة بجيشه وقد عبأه في فيلته - قيل : كانوا ثمانية أفيلة ، أو اثني عشر ، أو ألف فيل . وقيل : لم يكن معه غير الفيل المدعو محموداً ^(٣) - فقدّموا الفيل المذكور وبعثوه إلى نحو الحرم فلم يذنبث ، فضربوه بالمعول في رأسه فأبى ، فوجهوه نحو اليمن فقام وهروءل ، ووجهوه نحو الشام فهروءل ، ونحو المشرق فهروءل ، فوجهوه نحو الكعبة فبرك .

وزعموا أن عبد المطلب لم يزل آخذاً بحلقه الباب حتى نشأ من قبل اليمن من البحر طير ؛ عن أبي سعيد الخدري ، أنه سأل عن الطير ، فقال :

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٥١ وفيها : « فامنع حلالك » . والحلال : جمع حلة - وهي جماعة البيوت .

(٢) ابن هشام : « وقلنا » . (٣) ط : « محمود » .

حمام مكة ، مع كل طير ثلاثة أحجار ، أكبر من العدسة ، وأصغر من الحصاة .
وعن ابن عباس رضى الله عنه ، أنه قال : رأى منه عند أم هانئ من ذلك
نحو قفيز ، مخططة بحمرة كالجزع ^(١) الظفاري ، على كل حصاة اسم من يرمى
بها ، أو كان الحجر كراس الرجل ^(٢) .

وروى أن عبد المطلب لما رأى الطير ، قال : أرى طيراً ما أعرفها ، ما هي
نجدية ولا يمامية ، ولا عريية ولا شامية ، أشباه اليعاسيب ^(٣) قد أقبلت يكسع
بعضها بعضاً ، أمام كل دُفعة طائر يقودها ، أحمر المنقار أسود الرأس ، طويل
المنق . فجاءت الجيش وألقت على كل واحد حصاة ، وكانت الحصاة تقع على
بيضة أحدهم فتخرقها حتى تقع في دماغه ، وتخرق الفيل والدابة وتغيب
في الأرض من شدة رقعها ، وكانت تقع على رأس الرجل ، وتخرج من دبره .
وروى أنه من أصابته منهم ، فكأنه أصابه جذري ، وهو أول جذري
ظهر في الأرض ، فهلكوا .

وأما أبرهة فإنه كانت أعضاؤه تتساقط ، فسقطت أنامله أولاً ، وتبعها
مدة ودم وقيح ، حتى وصل صنعاء فيمن بقي كفرخ طير ، ومامات حتى
انصدع صدره .

وعن بعض المفسرين أنه لم ينج منهم إلا أبرهة ، فسار فوق الفيل ، وهو
لا يشعر به حتى أتى النجاشي ، فقص عليه القصة ، فلما انتهى ألقى الطائر عليه
الحصاة ، فمات بين يدي النجاشي .

وأخذ عبد المطلب وأبو مسعود الثقفي من أموالهم شيئاً كثيراً .

(١) الجزع : الحز اليمازي . وظفاري : منسوب إلى ظفار من بلاد اليمن .

(٢) ط : « الرجال » . (٣) اليعاسيب : جمع يعسوب وهو أمير النحل .

وعن عائشة رضی الله عنها ، قالت : رأيتُ قائدَ الفيلِ وسائقةَ أجمَينَ
يَسْتَطِهانَ بمَكَّةَ .

ورُوي أنَّ أبرهةَ كان جدَّ النَّجَاشِيِّ الَّذِي كان في زمنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ
عليه وسلَّمَ ، وكانت هذه القِصَّةُ في العام الَّذِي وُلِدَ فيه رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه
وسلَّمَ عند الأَكْثَرينَ .

وقال السَّكَّابِيُّ : قبل مولده بمِئَتين سنةً ، أو بثلاثٍ وعِشرينَ ، وقال
مُقاتِلٌ : بأربَعين سنةً .

وهذه القِصَّةُ دالَّةٌ على شَرَفِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، ومُعْجِزَةٍ له في
كونِ الله عزَّ وجلَّ صدَّ الفيلَ وأصحابَه عن بلدٍ سَيَظْهَرُ منه . والصَّحيحُ أنَّ
المُعْجِزَ يَتَقَدَّمُ على زمانِ البِئْسَةِ تَأْسيساً للنَّبِيِّ الْمُرْسَلِ فيما بعد ، ولذلك كانت
الْخِطَابَةُ تُظَلِّهُ قَبْلَ مَبْعَثِهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، وذلك خلافاً للمُعْزِلَةِ ، فإنَّهُمْ لم
يُحَوِّزُوا ذلكَ ، ولذلك قالوا : لا بَدَّ أن يكونَ في ذلكَ الزَّمانِ نَبِيٌّ ، كخالدِ
ابنِ سِفْيانَ أو قُتَيْبِ بنِ ساعِدةَ .

وفي قصة أصحابِ الفيلِ ، قلتُ أنا من جملةِ قصيدةٍ مدحتُ بها النَّبِيَّ
صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ :

والبيت صار حياً إذ كان مَظْهَرَةً	وكلَّ من رامَهُ بالِشْوَاءِ مَحْدُولُ
فصانَ ساحتِهِ ^(١) من كَيْدِ أبرهةَ	لما أتاه وفي أصحابِهِ الفِيلُ
بادُوا بأحجارٍ سَجِيلٍ وما رَجَعُوا	لما رمتهم بها الطَّيْرُ الأَبابِيلُ

(١) ط : « صاحبه » .

٣٨ - وقوله : وعاهدت قريشاً على ما في الصحيفة .

يشير بذلك إلى الصحيفة التي تعاهدت قريش على كتابتها ، وذلك أن كفار قريش لما رأوا أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين هاجروا إلى الحبشة قد نزلوا بلداً ، وأصابوا قدراً وأمناً ، وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم ، وأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد أسلم ، وأصبح هو وحمزة رضى الله عنهما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ، وصار الإسلام يفسو في القبائل ، اجتمع المذكورون من كفار قريش ، واثمروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني عبد المطلب ، على ألا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئاً ، ولا يبتاعوا منهم .

ولما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة ، ثم تعاهدوا وثائقوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم ، فلما فعلت قريش ذلك انحازت بنو هاشم وبنو عبد المطلب إلى أبي طالب ، فدخلوا معه في شعبه وخرج من بني هاشم أبو لهب إلى قريش فظاهرهم ، ولقى هنداً بنت عتبة ابن ربيعة حين فارق قومه ، وظاهر^(١) عليهم قريشاً ، فقال لها : يا بنت عتبة ، هل نصرت اللات والعزى ، وفارقت من فارقهما ، وظهرت عليهما ؟ قالت : نعم ، فجزاك الله خيراً يا أبا عتبة ؛ وفي ذلك يقول أبو طالب :

ألا بلغنا عني على ذات بيننا لؤياً وخضاً من لؤي بني كعب^(٣)
ألم تعلموا أننا وجدنا محمداً نبياً كوسى خط في أول الكتب
وأن عليه في العباد محبة ولا خير ممن خصه الله بالحلب

(٢) م : « يا ابنة » .

(١ - ١) ساقط من ط

(٣) ديوانه ٢٠

وَأَنَّ الَّذِي أَلْقَيْتُمُوهُ مِنْ كِتَابِكُمْ لَكُمْ كَأَنَّ نَحْسًا كَرَاغِيَةَ السَّقْبِ^(١)
أَفِيقُوا أَفِيَّةً وَأَقْبِلْ أَنْ يُحْفَرَ النَّزَى

وَيُصْبِحُ مَنْ لَمْ يَجْنِ ذَنْبًا كَذَى الذَّنْبِ

وَلَا تَتَّبِعُوا أَمْرَ الْوُشَاةِ وَتَقْطَعُوا أَوَاصِرَنَا بِمَدِّ الْمَوَدَّةِ وَالْقُرْبِ
وَتَسْتَجْلِبُوا حَرْبًا عَوَانًا وَرُبَّمَا أَمَرَ عَلَى مَنْ ذَاقَهُ حَلَبُ الْحَرْبِ^(٢)
بِمُعْتَرِكٍ ضَيْقٍ تَرَى كِسْرَ الْقَنَاصِ

بِهِ وَالنُّسُورِ الطُّغْمِ يَعْكُفْنَ كَالشَّرْبِ^(٣)

أَلَيْسَ أَبُو نَاهِشَمٍ شَدَّ أَرْزَهُ وَأَوْصَى بَنِيهِ بِالطَّعْمَانِ وَبِالضَّرْبِ!
وَلَسْنَا نَمَلُ الْحَرْبِ حَتَّى تَمَلَّنَا وَلَا نَتَشَكَّى مَا يَنْوُبُ مِنَ النَّكْبِ
وَلَكِنَّا أَهْلَ الْخَفَائِظِ وَالنَّهْيِ إِذَا طَارَ أَرْوَاحُ الْكُهَّاءِ مِنَ الرُّغْبِ^(٤)

وَأَقَامُوا عَلَى ذَلِكَ سَنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، حَتَّى جَاهِدُوا أَلَّا يَصِلَ إِلَيْهِمْ شَيْءٌ
إِلَّا سِرًّا ، مُسْتَخْفِيًّا بِهِ مِنْ أَرَادَ صِلَتَهُمْ مِنْ قَرِينِ .

وَقَدْ كَانَ أَبُو جَهْلٍ - فِيمَا يُذَكَّرُ - لَقِيَ حَكِيمَ بْنَ حِزَامٍ ، وَمَعَهُ غُلَامٌ
يَحْمِلُ لِحَا بِرِيدٍ بِهِ عَمَتُهُ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وَهِيَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِي الشَّعْبِ ، فَتَمَلَّقَ بِهِ وَقَالَ : أَتَذْهَبُ بِالطَّعْمَانِ إِلَى بَنِي هَاشِمٍ ؟ وَاللَّهِ لَا تَبْرَحُ
أَنْتِ وَطَعَامُكِ حَتَّى أَفْضَحَكَ بِمَكَّةَ ، فَنَجَاءَ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ فَقَالَ : مَا لَكَ وَلَهُ !
فَقَالَ : يَحْمِلُ الطَّعْمَانِ إِلَى بَنِي هَاشِمٍ ، فَقَالَ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ : طَعَامٌ كَانَ لِعَمَّتِهِ
عِنْدَهُ ، بَشَتْهُ إِلَيْهِ ، أَفَتَمْنَعُهُ أَنْ يَأْتِيَهَا بِطَعَامِهَا ! خَلَّ سَبِيلَ الرَّجُلِ ،
فَأَبَى أَبُو جَهْلٍ ، حَتَّى نَالَ أَحَدُهَا مِنْ صَاحِبِهِ . فَأَخَذَ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ لَحْيَ بَعِيرٍ

(١) السَّقْبُ : وَالدَّ نَاقَةٌ ، قِيلَ إِنَّهُ خَاسٌ بِالذِّكْرِ .

(٢) الْحَرْبُ الْعَوَانُ : هِيَ الَّتِي قُوتُن فِيهَا مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ .

(٣) الطُّغْمُ : السُّودُ . وَالشَّرْبُ : الْجَمَاعَةُ الشَّارِبُونَ .

(٤) الْكُهَّاءُ : الشَّجَعَانُ ، جَمْعُ كَمَى .

فَضَرَبَهُ فَشَجَّهُ ، وَوَطَّئَهُ وَطْئًا شَدِيدًا ، وَحَمَزَهُ بَنَ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ قَرِيبٌ يَرَى ذَلِكَ ، وَهُمْ يَكْرَهُونَ أَنْ يَبْلُغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ ، فَيَشْتُمُوا بِهِمْ ، وَالرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [صَابِرٌ] ^(١) عَلَى ذَلِكَ ، يَدْعُو قَوْمَهُ لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَسِرًّا وَجَهَارًا .

ثُمَّ إِنَّهُ قَامَ فِي نَقْضِ الصَّحِيفَةِ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ . وَلَمْ يُبَيِّلْ ^(٢) فِيهَا أَحَدٌ أَحْسَنُ مِنْ بِلَالٍ هِشَامُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْحَارِثِ بْنِ حُبَيْبِ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حَسَلٍ - وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ ابْنُ أَخِي نَضْلَةَ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ لَأُمِّهِ - وَكَانَ هِشَامُ لِبْنِي هَاشِمٍ وَاصِلًا ، وَكَانَ يَأْتِي بِالْبَعِيرِ قَدْ أَوْقَرَهُ طَعَامًا ؛ حَتَّى إِذَا أَقْبَلَهُ فَمِ الشَّعْبِ خَلَعَ خِطَامَهُ ^(٣) مِنْ رَأْسِهِ ، ثُمَّ ضَرَبَ عَلَى جَنْبَيْهِ ، فَيَدْخُلُ الشَّعْبَ عَلَيْهِمْ ، وَيَأْتِي بِهِ وَقَدْ أَوْقَرَهُ بُرًّا ^(٤) ، يَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ مَرَارًا .

ثُمَّ إِنَّهُ مَشَى إِلَى زُهَيْرِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ الْمُفَيْرَةِ - وَأُمُّهُ عَاتِكَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ - فَقَالَ : يَا زُهَيْرُ ، أَرْضَيْتَ بَأْنَ تَأْكُلُ الطَّعَامَ وَتَلْبَسُ الثِّيَابَ ، وَتَنْكِحُ النِّسَاءَ ، وَأُخْوَالُكَ حَيْثُ عَلِمْتَ ، لَا يُبَاعُونَ وَلَا يُبْتَاعُ مِنْهُمْ ، وَلَا يَنْكِحُونَ وَلَا يُنْكَحُ إِلَيْهِمْ ! أَمَا إِنِّي أَحْلِفُ بِاللَّهِ لَوْ كَانَ أُخْوَالُ أَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ ، ثُمَّ دَعَوْتَهُ إِلَى مِثْلِ مَا دَعَاكَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ مَا أَجَابَكَ إِلَيْهِ أَبَدًا . فَقَالَ : وَيَحْكُ يَا هِشَامُ ! فَإِذَا أَصْنَعُ ؟ إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ وَاحِدٌ ، وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مَعِيَ رَجُلٌ آخَرُ ثَقُمْتُ فِي تَقْضِيهَا حَتَّى أَنْقُضَهَا . فَقَالَ : قَدْ وَجَدْتَ . قَالَ : وَمَنْ هُوَ ؟ قَالَ أَنَا ، قَالَ زُهَيْرُ : ابْنُ ثَالِثَا . فَذَهَبَ إِلَى الْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ ، فَقَالَ لَهُ : يَا مُطْعِمُ ، أَرْضَيْتَ أَنْ يَهْلِكَ بَطْنَانِ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ، وَأَنْتَ شَاهِدٌ عَلَى ذَلِكَ ، مُوَافِقٌ لِقُرَيْشٍ فِيهِ ! أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ أَمَكُنْتُمُوهُمْ مِنْ هَذِهِ لَتَجِدُنَّهُمْ إِلَيْهَا مِنْكُمْ سِرَاعًا ، قَالَ : وَيَحْكُ ! مَاذَا أَصْنَعُ ؟ إِنَّمَا أَنَا

(١) تَسْكُمُهُ مِنْ م

(٢) فِي الْأَصْلِ : « لَمْ يُبَيِّلْ » ، وَمَا أُثْبِتُهُ مِنْ م ، ط ، وَابْنُ هِشَامٍ .

(٣) الْخِطَامُ : حَبْلٌ يُشَدُّ بِهِ عَلَى فَمِ الْبَعِيرِ . (٤) أَوْقَرَهُ : حَمَلَهُ .

رجل واحد . قال : قد وجدت ثانيا . قال : من هو ؟ قال : أنا ، قال : ابغني ثالثا ، قال : قد فعلت ، قال : من هو ؟ قال : زهير بن أبي أمية . قال : ابغني رابعا . فذهب إلى أبي البختري ، فقال له نحواً مما قال لمطعم بن عدي . قال : وهل من أحد يمين على هذا ؟ قال : نعم ، قال : من هو ؟ قال : زهير ابن أبي أمية والمطعم بن عدي ، وأنا معك . قال : ابغنا خامسا . فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، وكلمه ، وذكر له قرابتهم وحقهم ، فقال : وهل على هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد ؟ قال : نعم ، ثم سمى له القوم ، فاتعدوا حطم الحجون^(١) ليلا بأعلى مكة .

فاجتمعوا هنا لك ، وأجمعوا أمرهم ، وتماهدوا على القيام في نقض الصحيفة . قال زهير : أنا أبدوكم فأكون أول من يتكلم . فلما أصبحوا غدو إلى أنديتهم ، وغدا زهير عليه حلة ، فطاف بالبيت سبعا ، ثم أقبل على الناس ، فقال : يا أهل مكة ، أنا كل الطعام ونلبس الثياب ، وبنوها شم هلكى لا يباعون ولا يبتاع منهم ! والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطمة الظالمة . فقال أبو جهل - وكان في ناحية المسجد : كذبت والله لا تشق ! قال زمعة بن الأسود : أنت والله أكذب ، مارضينا كتابتها حيث كتبت . قال أبو البختري : صدق زمعة ، لا نرضى ما كتب فيها ولا نقر به . قال المطعم بن عدي : صدقنا وكذب من قال غير ذلك ، نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها ! وقال هشام بن عمرو نحواً من ذلك . فقال أبو جهل : هذا أمر قضى بليلى ، تشوور فيه بغير هذا المكان ! وأبو طالب جالس في ناحية المسجد^(٢) ، فقام المطعم بن عدي إلى الصحيفة ليشقها ، فوجد الأرضة قد أكلتها إلا « باسمك اللهم » . وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة ، فشلت يده - فيما يزعمون .

(١) الحجون : مكان بمكة .

(٢) ط : « المجلس »

وذكر بعض أهل السير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي طالب:
ياعم ، إن الله قد سطر الأرضة على صحيفة قريش ، فلم تدع فيها أسماً لله إلا أنبتته
فيها ، ونفت القطيعة والظلم والبهتان . قال : أربك أخبرك بهذا ؟ قال : نعم ،
قال : فوالله ما يدخل عليك أحد . ثم خرج إلى قريش ، فقال : يا معشر قريش ،
إن ابن أخي أخبرني بكذا وكذا ، فهل صحيفتكم ، فإن كانت كما قال فاتتهوا
عن قطيعتنا ، وإن كان كاذبا دفعت إليكم ابن أخي . قال القوم : رضىنا ؛
فتمأقذوا على ذلك ، ثم نظروا فإذا هي كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فزادهم ذلك شراً .

ولما مزقت الصحيفة وبطل ما فيها قال أبو طالب في ما كان من أمر
أولئك الذين قاموا في تمزيقها يمدحهم على فعلهم :

ألا هل أتى بحرینا صنع ربنا على نأيهم ، والله بالناس أروء^(١)
فيخبرهم أن الصحيفة مُزقت وأن كل ما لم يرّضه الله مفسد
تراوحها إفك وسحر مجمع
ولم يُلف سحر آخر الدهر يصعد
جزى الله رهطاً بالحجون تتابعوا^(٢)

على ملا يهذى لحزم ويرشد
قموداً لدى حطام الحجون كأنهم
مقاولة ، بل هم أعز وأجود

(١) ديوانه ٦٣ ، والبحرى : المنسوب إلى البحر ، والمراد به هنا من هاجر إلى مكة من
الصحابة . وأرود ، أى غالب على أمره يفعل ما يشاء .

(٢) حطم الحجون : اللوح الذى حطم منه .

أَعَانَ عَلَيْهَا كُلَّ صَقَرٍ كَأَنَّهُ إِذَا مَامَشَى فِي رَفْرِفِ الدَّرْعِ أَحْرَدُ^(١)
 جَرَى عَلَى جُلِّ الْخُطُوبِ كَأَنَّهُ شِهَابٌ بِكَفِّي قَابَسٍ يَتَوَقَّدُ
 مِنَ الْأَكْرَمِينَ مَنْ لُؤَى بْنِ غَالِبٍ إِذَا سِيمَ خَسْفًا وَجْهَهُ يَتَرَبَّدُ
 طَوِيلُ النِّجَادِ، خَارِجُ نَصْفِ سَاقِهِ، عَلَى وَجْهِهِ يُسْقَى الْغَمَامُ وَيَسْعَدُ
 عَظِيمُ الرَّمَادِ، سَيِّدُ وَابْنُ سَيِّدٍ

يُخَضُّ عَلَى مَقَرَى الضُّيُوفِ وَيُحْشَدُ
 وَيَبْنَى لِأَفْنَاءِ الْقَشِيرَةِ صَالِحًا إِذَا نَحْنُ طُنْفَنَا فِي الْبِلَادِ، وَيَمْهَدُ
 أَلْظَّ بِهَذَا الصُّلَحِ كُلِّ مَبْرَأٍ عَظِيمُ اللَّوَاءِ، أَمْرُهُ ثُمَّ يُخَمَدُ^(٢)
 قَضَوْا مَا قَضَوْا فِي لَيْلِهِمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا

عَلَى مَهَلٍ، وَسَائِرُ النَّاسِ رُقَدُ
 ثُمَّ رَجَعُوا سَهْلَ بْنَ بَيْضَاءٍ رَاضِيًا وَسُرَّ أَبُو بَكْرٍ بِهَا وَتَحْمَدُ
 مَتَى شَرَكِ الْأَقْوَامِ فِي جُلِّ أَمْرِنَا وَكُنَّا قَدِيمًا قَبْلَهَا تَقْوَدُ!
 وَكُنَّا قَدِيمًا لَا نُفَرِّغُ ظُلَامَةً وَتَرَكْنَا مَا شِئْنَا وَلَا نَنْشَدُّ
 فَيَا لِقَصِيٍّ هَلْ لَكُمْ فِي نَفْسِكُمْ وَهَلْ لَكُمْ فِيمَا يَحْيِي بِهِ غَدُ!
 فَإِنِّي وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ قَائِلٌ لَدَيْكَ الْبَيَانُ لَوْ تَكَلَّمْتَ، أَسْوَدُ^(٣)

أَسْوَدُ: اسْمُ جَبَلٍ، كَانَ قَدْ قُتِلَ فِيهِ قَتِيلٌ لَمْ يُعْرِفْ قَاتِلَهُ، فَقَالَ أَوْلِيَاءُ
 الْمَقْتُولِ هَذِهِ الْمَقَالَةُ: يَعْْمُونَ بِهَا أَنَّ الْجَبَلَ لَوْ تَكَلَّمَ لَأَبَانَ عَنِ الْقَاتِلِ، وَلَعَرَّفَ
 بِالْجَانِي، وَاسْكَنَهُ لَا يَتَكَلَّمَ؛ فَذَهَبَتْ مَقَالَتُهُمْ مَثَلًا.

* * *

(١) الأحرَد في الأصل: الذي في مشيه تتأقل. (٢) أَلْظَّ، أَى أَلَحْ.

(٣) أَسْوَدُ، أَى يَأْسُودُ، حَذَفَ مِنْهُ حَرْفُ التَّنَادِ.

٣٩ - وقوله : وتاوتلُ في بيعة العقبة .

هكذا قاله ابنُ زَيْدُون ، وهكذا أثبتَه ابنُ بَسَّام عنه في «الذَّخِيرَةِ»
وكذا نقلته من خطِّ ابنِ ظَافِرٍ رحمة الله ، في كتاب «نفائس الذَّخِيرَةِ» .

بَيْعَاتُ الْعَقَبَاتِ ثَلَاثُ : الْأُولَى خُرُوجُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي
الْمَوْسَمِ الَّذِي لَقِيَ فِيهِ النَّفَرُ مِنَ الْأَنْصَارِ ؛ يَعْزِضُ نَفْسَهُ عَلَى قِبَائِلِ الْعَرَبِ ،
وَكَانُوا رَهْطًا مِنَ الْخَزْرَجِ ، أَرَادَ اللَّهُ بِهِمْ خَيْرًا ، فَقَالَ لَهُمْ : مَنْ أَنْتُمْ ؟ قَالُوا :
نَفَرٌ مِنَ الْخَزْرَجِ . قَالَ : أَمِنْ مَوَالِي يَهُودَ ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ : أَفَلَا تَجْلِسُونَ
أَكَلَكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى ، فَجَاسُوا مَعَهُ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَعَرَضَ
عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : تَعَلَّمُوا وَاللَّهِ أَنَّهُ النَّبِيُّ الَّذِي كَانَ تَوَعَّدُكُمْ
بِهِ الْيَهُودُ ، فَلَا يَسْبِقَنَّكُمْ إِلَيْهِ أَحَدٌ ، فَأَجَابُوهُ وَصَدَّقُوهُ . وَقَالُوا لَهُ : إِنَّا كُنَّا
تَرْكْنَا قَوْمَنَا ، وَلَا قَوْمَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالشَّرِّ مَا بَيْنَهُمْ ، فَإِنْ يَجْمَعُهُمُ اللَّهُ
عَلَيْكَ فَلَا رَجُلَ أَعَزَّ مِنْكَ . ثُمَّ انْصَرَفُوا رَاجِعِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ ، قَدْ آمَنُوا
وَصَدَّقُوا ، وَكَانُوا سِتَّةَ نَفَرٍ مِنَ الْخَزْرَجِ .

وَأَمَّا الْعَقَبَةُ الثَّانِيَةُ ، فَلَمَّا كَانَ فِي الْعَامِ الْقَابِلِ قَدِمَ مَكَّةَ مِنَ الْأَنْصَارِ اثْنَا عَشَرَ
رَجُلًا ، مِنْهُمْ خَمْسَةٌ مِنَ السِّتَّةِ الَّذِينَ ذُكِرُوا أَوَّلًا ، فَتَلَّاهُمْ آيَةَ النَّسَاءِ
«لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا» ، ثُمَّ قَالَ : «وَمَنْ أُوْفِيَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، وَمَنْ أَصَابَ
مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا ، فَهُوَ طُغْرُؤُهُ - أَوْ قَالَ : أَوْ كُفَّارَةٌ -
وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَأَمَرُهُ إِلَى اللَّهِ ؛ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ
وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ» .

وَأَمَّا الْعَقَبَةُ الثَّالِثَةُ فَإِنَّهُ خَرَجَ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْأَنْصَارِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْمَوْسَمِ مَعَ
حُجَّاجِ قَوْمِهِمْ مِنْ أَهْلِ الشَّرْكِ ؛ حَتَّى إِذَا قَدِمُوا مَكَّةَ ، وَاعْدُوا رَسُولَ اللَّهِ

صلى الله عليه وسلم للعقبة ، من أوْسط أيام التشريق ، فلما مضى ثلث الليل
اجتمعوا في الشعب ، وهم ثلاثة وتسمون رجلا وأمرأتان : أم عمارة^(١) إحدى
بنى مازن بن النجَّار وأسما بنت عمرو بن عدى ، فجاءهم النبي صلى الله عليه
وسلم ومعه العباس بن عبد المطلب — وهو على دين قومه إلا أنه أحب
أن يظهر على أمر ابن أخيه ويتوثق له — فلما جلس كان أوّل متكلم ، فقال :
يا معشر الخزرج ، إن محمداً منا حيث علمتم ، وقد مَنَعناه من قومنا بمن هو
على مثل رأينا فيه ، فهو في عزٍّ من قومه ومَنَعَةٍ في بلده ، وإنه قد أبى إلا
الأخيار إليكم والحق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافئون له بما دَعَوْتُمُوهُ
إليه ، وما نعمه بمن خالفه فأنتم وما تحمّلتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم
مسالموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم ، فمن الآن فدَعُوهُ فإنه في عزٍّ ومَنَعَةٍ
من قومه وبلده . فقالوا : قد سمعنا ما قلت ، فتكلّم يا رسول الله ، نخذ لنفسك
ولربك ما أحببت . فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ، ودعا إلى
الله ، ورغب في الإسلام ، ثم قال : « أبايُكم على أن تمنعوني مما تمنعون
منه أنفسكم ونساءكم وأبناءكم » . فأخذ البراء بن معرور بيده ، ثم قال :
والذي بعثك بالحق لتمنعك [مما تمنع]^(٢) منه أزرنا . وبايعوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

وقال أبو الهيثم بن التيهان : يا رسول الله ، إن بيننا وبين الرجال
جبالاً ، وإنّا قاطعوها — يعني اليهود — فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ،
ثم أظهرَكَ اللهُ ، أن ترجع إلى قومك وتدعنا ! فتبسم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم قال : « بل الدّم الدّم ، والهدم الهدم ، أنا منكم وأنتم مني ، أحارب
من حاربتم ، وأسلم من سلمتم ، أخرجوا إلى منكم اثني عشر نقيبا ، يكونون

(١) في عيون الأثر : « هي نسيبة بنت كعب » .

(٢) تسلمة ن م .

على قومهم بما فيهم» . فأخرجوا سمّة من الخُزرج وثلاثة من الأوس .

ولما انتهت البيعة صرّح الشيطانُ من رأس العقبة : يا أهل الجباب ، هل لكم في مذمم والصّيانة ^(١) معه ، قد أجمعوا على حربكم ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا أربُّ العقبة ^(٢) ، اسمعُ أيّ عدوّ الله ! أمّا والله لأفرغنَّ لك . فاستأذنه العباس بن عبادَة في القتال ، فقال : لم تؤمّر بذلك . ولما قدموا المدينة أظهروا الإسلام .

فهذه بيعات العقبات الثلاث ، حدّثني بها شيخنا الإمام الحافظ أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن سيّد الناس اليعمرى ، مختصراً من سيرته ^(٣) .

وأما أنا فلم أقف ممّا علمته على أنّ أحداً من أهل العلم بالسّير تأوّل في بيعة من البيعات ، أو صدرَ منه بعد المبايعة فصلٌ يخالف قوله ، ولم أعلم لقول ابن زيدون وجهاً فيما ذكره مع هذه الوقائع التي سردها ، وأشار إليها ، وما بقى إلا أن يُتأوّل كلامه ، فنقول : إنّه لا شك أنّ الذي يضعُ يده في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويبايعه على نصرته على عدوّه ، والإيمان بما جاء به ، هذه أعظم درجات الإيمان ، فإذا ناقضَ بعد ذلك وخالفَ فعله قوله يكون قد أنى بأمرٍ عظيم ، وخطأ كبيراً ، فكأنّه قال : « أو تأوّلْتُ بعد مبايعتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخالفْتُ قولي بفعل ناقضٍ ما بايعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، وهذا ولا شك من الكبائر الموبقات .

(١) الصباة : جمع صابئ ، وفي ابن هشام : « الصباء » .

(٢) أرب العقبة : اسم شيطان .

(٣) هي السيرة المعروفة بعيون الأثر ، نقل المؤلف عنها باختصار ، وانظر الجزء الأول

صفحة ١٥٥ وما بعدها .

٤٠ - وقوله : ونهزت إلى العير ببدر .

يشير بذلك إلى وقعة بدر الكبرى ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع أن أبا سفيان بن حرب مقبل من الشام ، في عير لقريش عظيمة ، فندب الناس وقال : هذه عير قريش فيها أموالهم ، فأخرجوا إليها لعل الله ينفلكُموها . فانندب الناس ^(١) ، وكان أبو سفيان لما دنا من الحجاز يتحسس الأخبار من الركبان ، فأصاب من بعضهم أستمغار رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس له ، فحذر عند ذلك ، وأستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري ، فبعثه إلى مكة ليخبر قريشا بذلك ، ويستنفرهم إلى أموالهم . فخرج ضمضم سريعا ، ولما أتى إلى مكة صرخ ببطن الوادي واقفا على بعير ، قد جده ، وحول رجليه وشق قميصه ، وهو يقول : يا معشر قريش ، الأطيمة اللطيمة ^(٢) ! أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه ، لا أرى أن تدركوها ؛ الفوث الفوث ! فتهجز الناس سراعا ، فكانوا بين رجلين ؛ إما خارج ، وإما باعث مكانه رجلا ، ولم يتخلف من أشراف قريش أحد إلا أبو لهب ، تخلف وبعث مكانه العاصم بن هشام بن المغيرة ، وأجمع أمية بن خلف على القعود - وكان شيخا جليلا - فأتاه عتبة بن أبي أمية ، وهو جالس في المجلس بين ظهرائي قومه وبجمرة فيها نار ، فوضمها بين يديه ، وقال : يا أبا علي ، استجمر ، فإنما أنت من النساء ! فقال : قبحك الله ، وقبح ما جئت به ! ثم تجهز وخرج مع الناس . وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليال مضت من شهر رمضان في أصحابه ، ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير بن هشام بن عبد مناف بن عبد الدار ، وكان أبيض ، وكان أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم رايتان سوداوان ، أحدهما مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، والأخرى مع بعض الأنصار ، وجعل على الساقة قيس بن أبي صمصمة ، أخا بني مازن بن المجر . وكانت

(١) انتدب الناس ، أي خفوا للقتال .

(٢) الأطيمة : الإبل تحمل الطيب .

راية الأنصار مع سعد بن مُعَاذٍ فِي قولِ ابنِ هشام^(١) ، فلَمَّا كانوا قريبا من الصَّغَرَاءِ
بَعَثَ بِسَبْسِ بْنِ عَمْرٍو وَعَدِيَّ بْنِ أَبِي الزَّغْبَاءِ إِلَى بَدْرٍ يَحْتَصِمَانِ لَهُ الْأَخْبَارَ
عَنْ أَبِي سُفْيَانَ وَغَيْرِهِ ، فَضَيًّا حَتَّى نَزَلَ بَدْرًا ، وَتَقَدَّمَ أَبُو سُفْيَانَ الْغَيْرَ حَذْرًا ،
حَتَّى وَرَدَ الْمَاءَ ، فَأَخَذَ مِنْ أَمَارٍ بَعِيرِيَّ بِسَبْسِ وَعَدِيَّ وَفَتَّهُ ، فَإِذَا فِيهِ النَّوَى ،
فَقَالَ : هَذِهِ وَاللَّهِ عَلَانِيَةُ يَثْرِبُ ، فَأَسْرَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَضَرَبَ وَجْهَ عِيْرِهِ عَنْ
الطَّرِيقِ وَسَاكَلَ بِهَا ، وَتَرَكَ بَدْرًا يَبْسَارُ .

ثُمَّ ارْتَحَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَتَى وَادِيًا يُقَالُ لَهُ : ذَفِرَانُ ،
فَجَزَعَ فِيهِ^(٢) ، ثُمَّ نَزَلَ . وَأَنَاهُ الْخَبْرُ عَنْ قُرَيْشٍ ، فَاخْتَبَرَ النَّاسَ وَاسْتَشَارَهُمْ .
فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ وَأَحْسَنُ ، ثُمَّ قَامَ الْمُقَدِّدُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ وَأَحْسَنُ ، ثُمَّ قَالَ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، امْضُ لِمَا أَمَرَكَ اللَّهُ ، فَنَحْنُ مَعَكَ ، وَاللَّهِ لَا نَقُولُ كَمَا قَالَ بَنُو
إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبِّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾^(٣)
وَلَكِنْ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبِّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا مَعَكُمْ مُقَاتِلُونَ ، فَوَالَّذِي بِيَمِّكَ بِالْحَقِّ
نَبِيًّا لَوْ سِرْتُ بِنَا إِلَى بَرِّكَ الْغَادِ^(٤) جَالِدًا مَعَكَ مِنْ دُونِهِ حَتَّى تَبْلُغَهُ . فَقَالَ لَهُ
خَيْرًا ، وَدَعَا لَهُ ، ثُمَّ قَالَ : سِيرُوا ، أَبْشُرُوا ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ وَعَدَنِي
إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ ، وَاللَّهِ لَكُنَانِي الْآنَ أَنْظُرُ إِلَى مُصَارِعِ الْقَوْمِ .

ثُمَّ ارْتَحَلَ مِنْ ذَفِرَانَ وَنَزَلَ قَرِيبًا مِنْ بَدْرٍ . وَلَمَّا أَمْسَى بَعَثَ عَلِيَّ بْنَ
أَبِي طَالِبٍ وَالزَّيْبِرَ وَسَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَلْقَمُسُونَ الْخَبَرَ ،
فَأَصَابُوا زَاوِيَةَ لُقُرَيْشٍ فِيهَا غُلَامَانِ لِبَعْضِهِمْ ، فَأَتَوْا بِهِمَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : أَخْبِرَانِي عَنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالَا : هُمُ وَرَاءَ الْكَثِيبِ الَّذِي
تَرَى ، قَالَ : كَمْ الْقَوْمُ ؟ قَالَا : كَثِيرٌ . قَالَ : كَمْ عِدَّتُهُمْ ؟ قَالَا : لَا نَدْرِي ،
قَالَ : كَمْ يَنْتَحِرُونَ كُلَّ يَوْمٍ ؟ قَالَا : يَوْمًا تَسْمَعُ ، وَيَوْمًا عَشْرًا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥١ .

(٢) جزع فيه ، أى قطعه .

(٣) سورة المائدة ٢٤ .

(٤) برك الغنجد : موضع بناحية اليمن .

صلى الله عليه وسلم : القوم ما بين التسمة والالف ، ثم قال : من فيهم من
أشراف قريش ؟ قالوا : عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البختري بن هشام
وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد ، والحارث بن عامر ، وطعيمة بن عدي ،
والنضر بن الحارث ، وزمعة بن الأسود ، وأبو جهل بن هشام ، وأمّية بن
خلف ، ونبيه ومنبه أبنا الحجاج ، وسهيل بن عمرو ، وعمر بن عبد ود .
فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس ، وقال : « هذه مكة ، ألتقت
إليكم أفلاذ كبدها » .

ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيَّره ، أرسل إلى قريش : إنكم إنما
خرَجتم لتمنعوا عيَّركم ورجالكم وأموالكم وقد نجاها الله ، فارجموا . فقال
أبو جهل : والله لا نرجع حتى نرد بدرا - وكان موسما للعرب - فنقيم عليه ثلاثا
فنتنحر الجزر ، ونطعم الطعام ، ونسقى الحمر ، وتغزينا علينا القيان ، وتسمع
بنا العرب بمسيرنا وجمعنا ، فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدنا ، فأمضوا .
وقال الأخنس بن شريق : يا بني زهرة - وكان حليفا لهم - قد نجى الله
أموالكم ، وخلّص لكم صاحبكم محرمة بن نوفل ، وإنا أنفرتهم لتمنعوه
[وماله] ^(١) فارجموا ، فإنه لا حاجة لكم بأن تخرجوا في غير ضيعة ،
لا ما يقول هذا - يعني أبا جهل - فرجموا ، ولم يشهد بدرا زهري واحد .
ولم يكن من قريش بطن إلا وقد نفر منهم ناس إلا بني عدي بن
كعب ، لم يخرج منهم رجل واحد .

ورجع طالب بن أبي طالب إلى مكة مع من رجع ، ومضت قريش فنزلت
بالعدوة القصوى من الوادي خلف العقنقل ^(٢) ، والقبب بيدري في العدوة الدنيا
إلى المدينة . وبعث الله عز وجل السماء - وكان الوادي دهسا ^(٣) - فأصاب

(١) من سيرة ابن هشام .

(٢) العقنقل في الأصل : السكيب من الرمل .

(٣) الدهس : المكان اللين لم يبلغ أن يكون رملا .

رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه منها ماءً لَبَدَ لهم الأرض ، ولم يَمْنَعُهم من
 التَّسِير ، وأصاب قريشاً منها ماء لم يقدرُوا على أن يرتحلُوا معه . فخرَج رسولُ الله
 صلى الله عليه وسلم يُبادِرهم إلى الماء حتى إذا جاءوا إلى أدنى ماءٍ من بدر نَزَلَ به .
 فذكرُوا أن الحُبَابَ بنَ المُنْذِر بن الجوح الأنصاري قال : يا رسول الله ،
 أَرَأَيْتَ هذا المنزل ، أَمَنْزَلًا أَنْزَلَهُ اللهُ لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدَّمَ وَلَا نَتَأَخَّرَ عَنْهُ ،
 أَمْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ ؟ قال : « بَلْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ » .
 قال : يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل ، فانهَضُ بنا حتى نَأْتِيَ أدنى ماءٍ من القوم ،
 فننزل به ، ثم نُعَوِّرُ^(١) مَعَادَاهُ مِنَ الْقَلْبِ ، ثُمَّ نَبْنِي عَلَيْهِ حَوْضًا فَنَمَؤُهُ مَاءً ،
 ثُمَّ نَقَاتِلُ الْقَوْمَ ، فَتَشْرَبُ وَلَا يَشْرَبُونَ . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :
 « لَقَدْ أَشْرْتَ بِالرَّأْيِ » ، وَهَضُ بَيْنَ مَعَهُ مِنَ النَّاسِ ، وَنَزَلَ عَلَى أدنى ماءٍ
 مِنَ الْقَوْمِ ، وَأَمَرَ بِالْقَلْبِ فَعَوَّرَتْ ، وَبَنَى حَوْضًا عَلَى الْقَلْبِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ .
 وَمِثْلُ مَاءٍ ، وَقَدْ ذِفَتْ فِيهِ الْآثِمَةُ ، وَبُنِيَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرِيشٌ ،
 فَكَانَ فِيهِ .

وأقبلت قريش حين أصبحت ، فلما رآها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم
 تصَوَّبُ مِنَ الْكَثِيبِ الَّذِي جَاءُوا مِنْهُ ، قال : « هَذِهِ قَرِيشٌ قَدْ أَقْبَلَتْ
 بِحِيلَائِهَا وَفَخَرَهَا ، تَحَادَّكَ وَتَكْذِبُ رَسُولَكَ ، اللَّهُمَّ فَصْحْكَ الَّذِي
 وَعَدْتَنِي بِهِ ، اللَّهُمَّ أَخْذِهِمْ^(٢) الْفِدَاةُ » !

ولما نزل الناسُ أَقْبَلَ نفرٌ من قريش فيهم حكيمُ بنُ حِزَامٍ ، حتى وَرَدُوا
 حَوْضَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال : « دَعُوهُمْ » . فَمَا شَرَبَ مِنْهُ أَحَدٌ
 يَوْمَئِذٍ إِلَّا قَتِلَ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ فَإِنَّهُ لَمْ يُقْتَلْ ، ثُمَّ أَسْلَمَ
 وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ ، وَكَانَ إِذَا اجْتَهَدَ فِي يَمِينِهِ قَالَ : لَا وَالَّذِي نَجَانِي يَوْمَ بَدْر .

(١) نعور ما وراءه من القلب ، أى نفسدها ، والقلب : جَمْعُ قَلْبٍ ، وَهُوَ الْبَطْنُ .

(٢) أخذهم : أَهْلَكَهُمْ ، مِنَ الْخِينِ وَهُوَ الْهَلَاكُ .

ولما اطمان القوم بعثوا عُمَيْرَ بْنَ وَهَبِ الْجُمَحِيِّ ، فقالوا : احْزَرْ لَنَا
أصحاب محمد ، كم هم ؟ فدار بفروسه حول السكرك ، ثم رجع فقال : إن القوم
ثلاثمائة رجل ، يزيدون قليلاً أو ينقصون قليلاً ، ولكن رأيتُ يا معشر قريش
البلاء يا تحمّل المنايا ، نواضح يثرب تحمّل الموت النافع ^(١) ، قوم ليس لهم ملجأ
ولا منعة إلا سيوفهم ، والله ما أرى أن يُقتل رجل منهم حتى يقتل منكم رجلاً
منكم ، فإذا أصابوا بأعدادهم منكم فما خيرُ في العيش بعد ذلك ! [فروا رأيكم] .

ولما سمع بذلك حكيمُ بْنُ حِزَامٍ ، أُنِيَ عُتْبَةُ وقال : يا أبا الوليد ، إنك
كبيرُ قريش وسيدها والمطاع فيها ، هل لك إلى ألا تزال تُدكر فيها بخير إلى
آخر الدهر ؟ قال : وما ذلك يا حكيم ؟ قال : ترجع بالفاص وتحمّل أمرَ حليفك
عُمرو بن أخضرى . قال : قد فعلتُ ، أنت على بذلك ؛ إنما هو حليفى فقلّ
عقله ، وما أصيبُ من ماله ؛ فأنت ابن الخنظلية ^(٢) - بمعنى أبا جهل .

ثم قام عُتْبَةُ خَطيباً فقال : يا معشر قريش ، إنكم والله ما تصنعون بأن
تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً ، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر في وجه
رجلٍ يكره النظر إليه ، قتلَ ابنَ عمِّه أو ابنَ خاله ، أو رجلاً من عشيرته ،
فارجعوا واخلوا بين محمد وسائر العرب ، فإن أصابوه فذاك الذى أردتم ، وإن
كان غير ذلك ألقاكم ولم تتعرضوا منه لما تُريدون .

وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رأى عُتْبَةَ فى النوم على جمالٍ أحمَر ،
فقال : « إن يكن عند أحدٍ من القوم خيرٌ فعند صاحبِ الجمال الأحمَر ، إن
يُطيعوه يَسُدُّوا » .

ثم انطلق حكيمُ بْنُ حِزَامٍ إلى أبى جهل ، فقال له ما قاله عُتْبَةُ ، فقال :

(١) البلاء : جمع بلية ، وهى الدابة تربط على قبر الميت فلا تملف ولا تسقى حتى تموت . والنواضح : الإبل التى يسقى عليها الماء .

(٢) قال ابن هشام : « والخنظلية أم أبى جهل ، وهى أسماء بنت مخزبة ، أحد بنى نهشل بن دارم .

نَتَفَخَّ وَاللَّهُ سَحَرُهُ حِينَ رَأَى مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ ، كَلَّا وَاللَّهِ لَا نَزِجَ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ ، وَمَا بَعَثَهُ مَا قَالُوا ، وَلَكِنَّهُ قَدْ رَأَى مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ أَكَلَةَ جَزْورٍ ، وَفِيهِمْ ابْنُهُ ، وَقَدْ تَخَوَّفَكُمْ عَلَيْهِ .

ثُمَّ بَعَثَ إِلَى عَامِرِ بْنِ الْخَضِرِيِّ فَقَالَ : هَذَا خَلِيفُكَ يَرِيدُ أَنْ يَرْجِعَ بِالنَّاسِ ، وَقَدْ رَأَيْتَ ثَارَكَ بِعَيْنَيْكَ ، فَقُمْ فَاشْهَدْ خُفَرَتَكَ ^(١) وَمَقْتَلَ أَخِيكَ . فقام عمرو بن الخضرى ، ثُمَّ صَرَخَ : وَاعْمَرَاهُ ! وَاعْمَرَاهُ ! فَحَمِيَّتِ الْحَرْبُ .
وَأَمَّا بَلْعُ عُتْبَةَ قَوْلِ أَبِي جَهْلٍ : « انْتَفَخَ وَاللَّهُ سَحَرُهُ » ^(٢) قَالَ : سَيَعْلَمُ مُصَفِّرُ اسْتِهِ ؛ مَنْ انْتَفَخَ سَحَرُهُ ؛ أَنَا أَمْ هُوَ !

وخرج الأسود بن عبد الأسد - وكان شرسا سيئ الأخلاق - وقال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم ، أولأهدمته ! أو لأموتن دونه ، فلما خرج خرج إليه حمزة ، فلما التقيا ضربه حمزة ، فأطن قدمه بنصف ساقه ، وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره تشخب ^(٣) رجله دما ، ثُمَّ حَبَا إِلَى الْحَوْضِ يَرِيدُ أَنْ يَرِيَّ بِيَمِينِهِ ، فَأَتْبَعَهُ حَمْزَةُ فَضْرَبَهُ حَتَّى قَتَلَهُ فِي الْحَوْضِ .

ثُمَّ خَرَجَ هَذِهِ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، بَيْنَ أَخِيهِ شَيْبَةَ وَابْنِهِ الْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ ، وَدَعَا إِلَى الْمُبَارَاةِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَنْصَارِ عَوْفٌ وَمَعُوذُ ابْنَا الْحَارِثِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ ابْنُ رَوَاحَةَ ، فَقَالُوا : مَنْ أَنْتُمْ ؟ قَالُوا : رَهْطٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، قَالُوا : مَا لَنَا بِكُمْ مِنْ حَاجَةٍ ، ثُمَّ نَادَى مُنَادِيهِمْ : يَا مُحَمَّدُ ، أَخْرِجْ إِلَيْنَا أَكْفَاءَ مَنْ قَوْمِنَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قُمْ يَا عُبَيْدَةَ بْنُ الْحَارِثِ ، قُمْ يَا حَمْزَةُ ، قُمْ يَا عَلِيٌّ ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُمْ قَالُوا : مَنْ أَنْتُمْ ؟ فَتَسَمَّوْا لَهُمْ ، فَقَالُوا : نَعْمُ الْأَكْفَاءُ الْكَرَامُ . فَبَارَزَ عُبَيْدَةُ عُتْبَةَ ، وَبَارَزَ حَمْزَةُ شَيْبَةَ ، وَبَارَزَ عَلِيُّ الْوَلِيدَ .

فَأَمَّا حَمْزَةُ فَلَمْ يُمِهِلْ شَيْبَةَ أَنْ قَتَلَهُ ، وَأَمَّا عَلِيُّ فَلَمْ يُمِهِلْ الْوَلِيدَ أَنْ قَتَلَهُ ، وَاخْتَلَفَ عُبَيْدَةُ وَعُتْبَةُ بَيْنَهُمَا ضَرْبَيْنِ ، كَلَاهُمَا أَثْبَتَ صَاحِبُهُ ، وَكَرَّ عَلِيُّ

(١) الحفرة : العهد .

(٢) السحر : البرئة وما حوّلها .

وحزرة بأسيا فيهما على عتبة ، فذفقا^(١) عليه ، واحتملا صاحبهما ، فحازاه إلى أصحابه فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ألا يحملوا حتى يأمرهم ، وقال : إن اكتنفكم القوم فانضحوهم^(٢) عنكم بالنبل ، ورسول الله يومئذ في القريش ومعه أبو بكر . وكان شعار رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أحد أحد » ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يُناشد ربه ما وعده من النصر ويقول فيما يقول : « اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد » ، وأبو بكر يقول : يانبي الله ، بعض مفاشدك لربك ، فإن الله سيُنجز لك وعده .

وخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة^(٣) وهو في القريش ، ثم انتبه فقال : « أبشر يا أبا بكر ، أتاك نصر ربك ، هذا جبريل آخذ بعنان فرس يقوده ، على ثناياه النقم » - يريد الغبار .

ورمي مخرج مولى عمر بن الخطاب بسهم فقتل ، وكان أول قتيل من المسلمين ، ثم رمي حارثة بن سراقة أحد بني عدى بن النجار ، وهو يشرب من الخوض بسهم فأصاب نحره فقتله . وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس يحرضهم ، فقال : « والذي نفس محمد بيده لا يُقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقيلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة » . فقال عمر بن الخطاب - من بني سلمة - وفي يده تمرات يأكلهن : بخ بخ ! فابني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ! ثم قذف التمرات من يده ، وأخذ سيفه ، فقاتل حتى قُتل .

وقال عوف بن الحارث ، وهو ابن عفرأ : يارسول الله ما يضحك الرب من عبده ؟ قال : « غمسه يده في العدو حاسرا » ، فنزع درعا كانت عليه فذفها ، وأخذ سيفه وقاتل حتى قُتل .

(١) ذفقا عليه : أجهزا .

(٢) انضحوهم : ادفعوهم .

(٣) خفق خفقة : نام نوما يسيرا .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حَفْنَةً من الخصباء ، فاستقبل بها قريشاً ثم قال : شاهدت الوجوه ، ثم نفّحهم ^(١) بها ، وأمر أصحابه فقال : شدّوا ، فكانت الهزيمة ، وجعل الله تلك الخصباء عظيماً شأنها ، لم تترك رجلاً من المشركين إلّا ملأت عينيه ، وأستولى غايهم المسلمون يُقتلونهم ويأسرونهم ، فقتل الله من قتل من صناديد قريش ، وأسير من أسير أشرافهم . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني قد عرفت رجلاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهاً لا حاجة لهم بقتال ، فن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله ، ومن لقي أبا البختري بن هشام فلا يقتله ، ومن لقي العباس عم رسول الله فلا يقتله ؛ فإنه إنما أخرج مُستكرّها » .

فقال : حذيفة : أنقذ آباءنا وأبناءنا وإخواننا ، وعشيرتنا وترك العباس ! والله إن وجدته لألحمته ^(٢) السيف ؛ فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمر فقال : يا أبا حفص - قال عمر : وإنه لأوّل يوم كُناني فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي حفص - أبضرب وجهه عم رسول الله بالسيف ! فقال عمر : دعني يا رسول الله أضرب عنقه بالسيف ، فوالله لقد نأق . فكان أبو حذيفة يقول : ما أنا بأمين من تلك الكلمة التي قلت يومئذ ، ولا أزال منها خائفاً إلّا أن تُكفرها عني الشهادة ، فقتل يوم اليمامة شهيداً رضي الله عنه .

وقاتلت الملائكة يوم بدر ، ولم تُقاتل إلّا فيه وفي يوم حنين ، ولما يكونون عدداً ومدداً لا يضربون . وكانت سيماهم يوم بدر عمامٌ بيضاء قد أرسلوها في ظهورهم . وفي يوم حنين عمامٌ حمراء . وفي حديث علي رضي الله عنه : « إن جبريل كانت عليه عمامة صفراء » . وقال بعض بني ساعدة بعد أن ذهب بصره ، وكان قد شهد بدرًا : لو كنت اليوم ببدر ، وبصري

(١) نفّحهم بها : رماهم .

(٢) قال ابن هشام : « ويقال : ألحمته » .

معى لأرئيتكم الشعب الذى خرجت منه الملائكة ، لأأثك فيه ولا أتمارى .
ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه ، أمر أبى جهل أن
يلتمس فى القتلى ، وقال : « انظروا - إن خفى عليكم - فى القتلى إلى أثر جرح
فى ركبته ؛ فإنى أزدحت يوماً أنا وهو على مأدبة لعبد الله بن جُدعان ،
ونحن غلامان ، وكنت أسن منه يديسير ، فدفعته ، فوقع على ركبتيه ، فنجشت
إحداهما جرحاً ؛ بزل أثره به .

قال مُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو بن الجُمُوح : جعلت أبا جهل من شائى ، فقصدتُ
نحوه ، وحميت عليه ، وضربتُه ضربةً أطنتُ قدمه بنصف ساقه ، فضرَبنى
أبْنُه عِكْرَمَة على عاتقي ، فطرح يدي ، فتملقت بجلدة من جنبي ، وأجهضنى ^(١)
القتال عنه ، فلقد قاتلت عامةً يَوْمى وإنى لأسحبها ، فلما آذنتى وضعتُ عليها
قدمي ، ثم تمطَّيت بها عليها حتى طرحتها . وعاشَ بعد ذلك مُعَاذٌ إلى زمن عثمان .
ومرَّ مُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو بأبى جهل وهو عَقِير ، فضرَبه حتى أثبتته وتركه
وبه رَقٌّ ^(٢) . وقاتل مُعَاذٌ حتى قُتِل . فمرَّ عبدُ الله بن مسعود بأبى جهل حين
أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتماسه ، فليحقه بأخِر رَمَقٍ ، فوضع رجله
على عُنقه ، وقال : أخزأك الله يا عدوَّ الله ! قال : وبماذا أخزاني ؟ أخبرني لمن
الدائرة ؟ قال : لله ولرسوله ، ثم جَرَّ رأسه وجاء به إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فحمد الله تعالى . وأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى
أن يُطرحوا فى القليب ، فطرحوا إلّا ما كان من أُمَيَّة بن خلف ؛ فإنه
انتفخ فى درعه فملاها ، فذهبوا ليحرقوه ، فزأيل ، فالتقوا عليه من الحجارة
والتراب ماغيته .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على القليب وقال : « يا أهل
القليب ، بئس عَشيرة لى كنتم ! كذبتمونى وصدَّقنى الناس ، وأخرجتمونى

(١) أجهضنى : غلبنى (٢) الرَّمَق : بقية الحياة .

وَأَوَانِي النَّاسِ ، وَقَاتِلْتُمُونِي وَنَصَرْتَنِي الدَّاسِ . يَا أَهْلَ الْقَلْبِ ، هَلْ وَجَدْتُمْ
مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا ، فَإِنِّي وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا ! » .

فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَتُكَلِّمُ قَوْمًا مَوْتَى ؟ فَقَالَ لَهُمْ : لَقَدْ
عَلِمُوا أَنَّ مَا وَعَدَهُمْ رَبُّهُمْ حَقٌّ .

وَقِيلَ : إِنَّهُ قَالَ : مَا أَنْتُمْ بِأَتَمِّ مَا أَقُولُ مِنْهُمْ ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ
أَنْ يُجِيبُونِي .

وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ ^(١) :

عَرَفْتُ دِيَارَ زَيْنَبَ بِالْكُتَيْبِ	كَخَطِّ الْوَحْيِ فِي الْوَرَقِ الْقَشِيبِ ^(٢)
تَدَاوَلَهَا الرِّيحُ وَكَلَّ جَوْنِ	مِنَ الْوَسْمِيِّ مُنْهَرِ سَكُوبِ ^(٣)
فَأَمْسَى رَسْمُهَا خَلْقًا وَأَمْسَتْ	يَمَابًا بَعْدَ سَاكِنِهَا الْحَيْبِ
فَدَعَّ عَنْكَ التَّدَكُّرَ كُلَّ يَوْمٍ	وَرَدَّ حَرَارَةَ الصَّدْرِ الْكُتَيْبِ
وَحَبَّرَ بِالَّذِي لَا عَيْبَ فِيهِ	بَصْدَقٍ غَيْرِ أَخْبَارِ الْكُتُوبِ
بِمَا صَنَعَ الْمَلِكُ غَدَاةَ بَدْرِ	لِنَافِي الْمَشْرِكِينَ مِنَ النَّصِيبِ
غَدَاةَ كَأَنَّ جَمْعَهُمْ حَرَاءُ	بَدَتْ أَرْكَانُهُ جُنْحَ الْفُرُوبِ
فَلَا قَيْنَاهُمْ مِمَّا بَجَّعَ	كَأَسَدِ الْغَابِ مُرْدَانِ وَشَيْبِ
أَمَامَ مُحَمَّدٍ قَدْ آزَرُوهُ	عَلَى الْأَعْدَاءِ فِي لَفْحِ الْحُرُوبِ
بَأَيْدِيهِمْ صَوَارِمُ مُرْهَقَاتٍ	وَكُلُّ مُجَرَّبٍ مَاضِي الْكُعُوبِ ^(٤)
بَنُو الْأَوْسِ الْفَطَارِفُ وَازَرَتْهَا	بَنُو النَّجَّارِ فِي الدِّينِ الصَّلِيبِ
فَفَادَرْنَا أَبَا جَهْلٍ صَرِيحًا	وَعُتْبَةَ قَدْ تَرَكْنَا بِالْجُبُوبِ ^(٥)
وَشَيْبَةَ قَدْ تَرَكْنَا فِي رَجَالٍ	ذَوِي نَسَبٍ إِذَا نُسِبُوا حَسِيبِ

(١) ديوانه ١٤ (٢) الكُتَيْب : القطعة من الرمل . والوحى : الكتابة .

(٣) الوسمي : مطر الربيع ، والجون : السحاب الأسود .

(٤) الديوان : « فاطي الكعوب » ، أى أن كعوبه غليظة صلبة .

(٥) الجبوب : الأرض الغليظة .

يُنَادِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا قَذَفْنَاهُمْ كِبَاكِبَ فِي الْقَلْبِ (١)
 أَلَمْ تَجِدُوا كَلَامِي كَانَ حَقًّا وَأَمَرَ اللَّهُ يَأْخُذُ بِالْقُلُوبِ
 فَمَا نَطَقُوا ، وَلَوْ نَطَقُوا لَقَالُوا صَدَقْتَ وَكَفْتَ ذَا رَأْيٍ مُصِيبٍ
 وَذَكَرَ قَاسِمُ بْنُ ثَابِتٍ فِي دَلَالِهِ ، أَنَّ قَرِيشًا لَمَّا تَوَجَّهَتْ لِبَدْرٍ ، مَرَّ هَاتِفٌ
 مِنَ الْجَنِّ عَلَى مَكَّةَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَوْقَعَ بِهِمُ الْمَسْمُونُ ، وَهُوَ يُنْشِدُ بِأَنْفَذِ
 صَوْتٍ لَا يُرَى شَخْصُهُ :

أَرَادَ الْخَنِيفِيُّونَ بَدْرًا وَقِيَمَةً سَيُقْضَى مِنْهَا رُكْنٌ كَيْمَرِي وَقِيَصَرًا
 أَبَادَتْ رَجَالًا مِنْ لُؤَيٍّ وَأَبْرَزَتْ خِرَاءِدَ قَصْرِ بَيْنِ الثَّرَائِبِ حُسْرًا
 فَيَا وَبَيْحَ مَنْ أَسْمَى عَدُوَّ مُحَمَّدٍ لَقَدْ حَادَ عَنْ قَصْدِ الْهُدَى وَنَجَبَرَا
 فَقَالَ قَائِلُهُمْ : مَنْ الْخَنِيفِيُّونَ ؟ فَقَالَ : مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ ، يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ عَلَى
 دِينِ إِبْرَاهِيمَ الْخَنِيفِ ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثُوا أَنْ جَاءَهُمُ الْخَبَرُ الْيَقِينُ .

وَقَالَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَشْعَارًا كَثِيرَةً فِي يَوْمِ بَدْرٍ ، مِنْهُمْ حَمْرَةُ بْنُ
 عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَكُتُبُ بْنُ مَالِكٍ أَخُو بَنِي سَلَمَةَ ، وَضَرَارُ
 ابْنُ الْخَطَّابِ الْفِهْرِيُّ وَحَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ وَعُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ .
 وَكَانَتْ وَقْعَةُ بَدْرِ الْكُبْرَى يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِسَبْعِ عَشْرَةَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ،
 سَنَةِ اثْنَتَيْنِ مِنَ الْهِجْرَةِ .

وَفِي الْمَثَلِ : « لَا فِي الْعِيرِ وَلَا فِي النَّفِيرِ » ، أَوَّلُ مَنْ قَالَهُ أَبُو سَفْيَانَ لِبَنِي
 زُهْرَةَ ، لَمَّا رَجَعَتْ إِلَى مَكَّةَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ، فَلَقِيَهُمْ أَبُو سَفْيَانَ فَقَالَ : يَا بَنِي زُهْرَةَ
 أَنْتُمْ لَا فِي الْعِيرِ وَلَا فِي النَّفِيرِ ، فَأَرْسَلَهَا مَثَلًا .

وَتَلَاخَى يَوْمًا خَالِدُ بْنُ يُزَيْدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ ، وَالْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فِي قِصَّةٍ
 فِيهَا طَوْلٌ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، فَقَالَ الْوَلِيدُ لَخَالِدٍ : اسْكُتْ ، فَوَاللَّهِ مَا تَقَعَّدَ لَا فِي

(١) كِبَاكِبَ : جَمْعُ كَبْكَبَةٍ ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ .

العير ولا في النفير ، فقال خالد لعبد الملك : اسمع يا أمير المؤمنين ، ثم أقبل على الوليد وقال : وَيَحْكَمْ ! مَنْ فِي الْعِيرِ وَالنَّفِيرِ غَيْرِ جَدِّي أَبِي سَفْيَانَ صَاحِبِ الْعِيرِ ، وَجَدِّي صَاحِبِ النَّفِيرِ عُثْمَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، فَهَذَا الْمَثَلُ نَحْنُ أَصْلُهُ مِنَ الْجَانِبَيْنِ . وَلَكِنْ لَوْ قُلْتُ : غَنِيَّاتٌ وَحَبِيلَاتٌ وَالطَّائِفُ ، وَرَحِمَ اللَّهُ عُثْمَانَ ، لَقُلْنَا : صَدَقْتَ .

قلت : يَشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى الْحُكْمِ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرَدَهُ إِلَى الطَّائِفِ ، فَكَانَ هُنَاكَ يَرْعَى غُنْيَاتٍ ، وَيَأْوِي إِلَى حَبَلَةٍ - وَهِيَ الْكَرْمَةُ - وَأَنَّ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَدَّ الْحُكْمَ إِلَى الْمَدِينَةِ فِي أَيَّامِ خِلَافَتِهِ . وَشِبْهُ هَذَا الْمَثَلِ قَوْلُهُمْ : لَا فِي أَسْفَلِ الْقَدْرِ وَلَا فِي أَعْلَاهَا .

وَذَكَرْتُ هَاهُنَا بَيْتَيْنِ فِي مَلِيحٍ بَجَالٍ :
أَحْبَبْتُ بَجَالًا كَبْدَرِ الدُّجَى بِقَوْلٍ لَمَّا عَادَ عَنْهُ الْحَفِيرُ
لَا تَنْقَسِبُ يَوْمًا إِلَى عَشْتِي مَا أَنْتَ فِي الْعِيرِ وَلَا فِي النَّفِيرِ
وَكَانَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ يُحَرِّضُ قَرِيشًا بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ ، وَكَانَ يَرْتِي مِنْ قَتْلِ مَنْ قَرِيشَ فِي وَقْعَةِ بَدْرٍ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ :

مَاذَا بَبَذَرِ وَالْعَقْنَقِلِ مِنْ مَرَازِبَةٍ جَعَّاجِجٍ ^(١)
وَهِيَ قَصِيدَةٌ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ رِوَايَتِهَا .

* * *

٤١ - وَقَوْلُهُ : وَانْخَزَلْتُ بُلْتُ النَّاسِ يَوْمَ أُحُدٍ .

يَشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَنْ سَكُولٍ رَأْسِ الْمُنَافِقِينَ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَمَّا رَجَعَ مِنْ بَدْرٍ إِلَى الْمَدِينَةِ قَتَلَ الْمُشْرِكِينَ وَأَبُو سَفْيَانَ إِلَى مَسْكَةٍ ، فِي رَجَالٍ مِمَّنْ أَصِيبَ آبَاؤُهُمْ وَأَبْنَاؤُهُمْ وَإِخْوَانُهُمْ يَوْمَ

بدر ، كُتِبُوا أَبَا سَفْيَانَ فِي ذَلِكَ ، وَقَالُوا مَنْ كَانَتْ لَهُ تِجَارَةٌ فِي تِلْكَ الْعِيرِ : إِنْ مُحَمَّدًا قَدْ وَتَرَكَكُمْ ، وَقَتْلَ خِيَارِكُمْ ، فَأَعْيِنُوا بِهَذَا الْمَالِ عَلَى حَرْبِهِ ، لَعَلَّنَا نُدْرِكُ ثَارَنَا بِمَنْ أَصَابَ مِنَّا .

فَوَافَقُوهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَقَالُوا : نَحْنُ قَدْ طَابَتْ نَفُوسُنَا بِأَنْ تُجَهَّزُوا بِرَبِيعِ هَذَا الْعِيرِ حَيْثَمَا إِلَى مُحَمَّدٍ - وَكَانَتْ أَلْفَ بَعِيرٍ ، وَخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارًا - فَتَسَلَّمَ أَهْلُ الْعِيرِ رُءُوسَ أَمْوَالِهِمْ ، وَأَخْرَجُوا أَرْبَاحَهُمْ ، وَكَانُوا يَرْجَحُونَ فِي تِجَارَتِهِمْ فِي كُلِّ دِينَارٍ دِينَارًا ، وَحَرَكُوا لِذَلِكَ مَنْ أَطَاعَهُمْ مِنَ الْقِبَائِلِ ، وَخَرَجُوا بِجَدْمِهِمْ وَعَبِيدِهِمْ وَأَحْيَاءِ شِبْهِهِمْ ، وَمَنْ تَابَعَهُمْ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ وَأَهْلِ تِهَامَةَ ، وَخَرَجُوا بِالطَّعْنِ التَّمَّاسِ الْحَقِيقَةِ ^(١) وَالْأَلَّ يَفِرُّوا .

وَلَمَّا سَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى فِي مَنَامِهِ بَقْرًا يُذْبَحُ ، وَرَأَى فِي ذُبَابٍ سَيْفَهُ ثَلَاثًا ، وَأَنَّهُ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ ، فَأَوْهَمَا أَنَّ الْبَقَرَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يُقَتِّلُونَ ، وَالتَّمَّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ يُقَتَّلُ ، وَالذَّرْعُ الْحَصِينَةُ الْمَدِينَةُ . فَقَصَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِهِ ، وَذَكَرَ التَّأْوِيلَ لَهُمْ ، وَقَالَ : « فَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تَقِيمُوا بِالْمَدِينَةِ وَتَدْعُوهُمْ حَيْثُ نَزَلُوا ، فَإِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرِّ مَقَامٍ ، وَإِنْ هُمْ دَخَلُوا عَلَيْنَا قَاتَلْنَاهُمْ فِيهَا » . وَكَانَ رَأْيُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِيٍّ مُوَافِقًا لِرَأْيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ تَمَّنَ فَاتَهُ يَوْمَ بَدْرٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اخْرُجْ بِنَا إِلَى أَعْدَائِنَا ، لَا يَرَوْنَ أَنَّا جَبْنَا عَنْهُمْ وَضَعَفْنَا . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ أَبِيٍّ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَقِمْ بِالْمَدِينَةِ وَلَا تَخْرُجْ مِنْهَا ، فَوَاللَّهِ مَا خَرَجْنَا مِنْهَا إِلَى عَدُوِّ لَنَا إِلَّا أَصَابَ مِنَّا ، وَلَا دَخَلَهَا عَلَيْنَا إِلَّا أَصَبْنَا مِنْهُ .

وَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى دَخَلَ فَلَيْسَ لَأَمَّتِهِ ، وَذَلِكَ بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنْ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ ، وَخَرَجَ النَّاسُ وَقَدْ نَدِمُوا ، وَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اسْتَكَرْ هَذَا وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لَنَا ، فَإِنْ شَدَّتْ فَأَقْمِدْ ، فَقَالَ

(١) الطعن : جمع طعنة ؛ وهى المرأة فى الهودج . والحفيظة : الأثنية والغضب .

صلى الله عليه وسلم: « ليس للنبي إذا ليس لأُمَّته ^(١) أن يضعها حتى يُقاتل ». .
 فخرج في ألف من أصحابه ، حتى إذا كانوا بين المدينة وأحد ، انحزَل عنه عبدُ الله
 ابن أبي بَثلث الناس ، وقال : أطاعهم وعصاني ، ما ندري علامَ نقتل أنفسنا
 ها هنا أيها الناس ! ورجع بمن اتبعه من أهل النفاق والريب ، واتبعهم عبدُ الله
 ابنُ عمرو بن حرام يقول : يا قوم ، اذكركم الله ألاَّ تتخذوا قومكم وبنيتكم
 عند مَنْ حضر من عدوهم ! قالوا : لو نعلم أنكم تُقاتلون لما أسلمناكم ، وأبوا
 عليه ، واستعصوا ، فقال : أبعدكم الله ؛ أعداء الله ، فسيُفني الله نبيّه عنكم !
 ومضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى سلك في حرّة بنى حارثة ، فذب
 فرسٌ بذنبه ^(٢) فأصاب كلاب سيف استلّه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :
 « شِمَّ سيفك ؛ فإني أرى السيوفَ تستسلّ اليوم » .

وتعباً رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للقتال وهو في سبعمائة رجل ،
 وأمر على الرماة عبدُ الله بنَ جُبَيْر ، أخا بني عمرو بنِ عوف ، وهو مُعلم
 يومئذ بثيابٍ بيض ، والرماة خمسون رجلاً ، فقال : انضح ^(٣) الخيل عفا
 بالتبيل ، لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا ، اثبت مكانك لا تؤتيت
 من قبلك . وظاهر ^(٤) رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين درعين ، ودفع اللواء
 إلى مُصعب بنِ عمير أخى عبدِ الدار .

وتعبات قريش وهم على ثلاثة آلاف ، ومعهم مائتا فرس قد جنبوها ^(٥) ، وخالد
 ابن الوليد على ميمنة الخيل ؛ وعلى الليسرة عكرمة بنُ أبي جهل ؛ واقتتل

(١) اللأمة : الدرع

(٢) ذب فرس بذنبه : حرك ذنبه ليطير عنه الذباب .

(٣) انضحوا الخيل : ادفعوهم

(٤) ظاهر بين درعين : لبس درعا فوق درع .

(٥) جنبوها : كادوها .

الناس، حَتَّى حَمَيْتِ الْحَرْبَ . وَقَاتَلَ حَمْرَةَ عُمِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِتَالًا شَدِيدًا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَكَانَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ قَدْ وَعَدَ غَلَامَهُ وَحْشِيًّا بِالْمِثْقِ إِنْ قَتَلَ حَمْرَةَ . قَالَ وَحْشِيٌّ : فَخَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ - وَكُنْتُ رَجُلًا حَبَشِيًّا ؛ أَقْدَفُ الْحَرْبَةَ قَذْفَ الْحَبْشَةِ قَلَمًا أَخْطَى - فَلَمَّا التَقَى النَّاسُ خَرَجْتُ أَنْظُرَ حَمْرَةَ حَتَّى رَأَيْتُهُ فِي عُرْضِ النَّاسِ مِثْلَ الْجَمَلِ الْأُورْقِ ؛ يَهْدِدُ النَّاسَ بَسْمِيهِ ^(١) هَدًّا ؛ مَا يَقُومُ لَهُ شَيْءٌ ؛ فَجَعَلْتُ أُسْتَتِرُ مِنْهُ بِشَجَرٍ أَوْ حَجَرٍ ؛ حَتَّى مَرَّ عَلَيَّ ، فَهَزَزْتُ حَرَبِي حَتَّى إِذَا رَضِيتُ مِنْهَا قَدْ قَتَلْتُهَا فَوَقَعْتُ فِي ثُدَّتِهِ حَتَّى خَرَجْتُ مِنْ بَيْنِ رِجْلِهِ . ثُمَّ إِنَّ وَحْشِيًّا أَسْلَمَ يَمًا بَعْدُ ؛ فَقَبِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِسْلَامَهُ بَعْدَ مَا حَدَّثَهُ كَيْفَ قَتَلَ عَمَّهُ ، فَقَالَ : وَيْحَكَ ! غَيْبَ وَجْهَكَ عَنِّي . وَكَانَ وَحْشِيٌّ بِمَوْضِعٍ لَا يَرَاهُ إِلَى أَنْ قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ ثُمَّ إِنَّهُ قَتَلَ مُسَيْلِمَةَ بِحَرْبَتِهِ تِلْكَ ، وَكَانَ يَقُولُ : قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ وَشَرَّ النَّاسِ ، بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَقَاتَلَ مُصَهَّبُ بْنُ عُمَيْرٍ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى قُتِلَ ، فَأَخَذَ الرَّايَةَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَدَفَعَهَا إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ . وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ رَايَةِ الْأَنْصَارِ ، وَاشْتَدَّتْ الْحَرْبُ ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ نَصْرَهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَصَدَقَهُمْ وَعْدَهُ ، بَعْدَ مَا حَمَلَتْ خَيْلُ الْمُشْرِكِينَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ . وَلَمَّا أَبْصَرَ الزُّمَاءُ الْخَمْسُونَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَتَحَ لِإِخْوَانِهِمْ قَالُوا : وَاللَّهِ مَا نَجْلِسُ هُنَا ، قَدْ أَهْلَكَ اللَّهُ الْمَدَنِيَّ ، وَإِخْوَانُنَا فِي عَسْكَرِ الْمُشْرِكِينَ ! فَتَرَكُوا مَقَامَ الَّذِي عَاهَدُوا إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْآلَ يَتْرَكُونَهَا وَتَنَازَعُوا وَفْشَلُوا ، وَعَصَوْا الرَّسُولَ ، فَأَوْجَفَتْ الْخَيْلُ فِيهِمْ قِتَالًا ، وَلَمْ تَكُنْ تَقَالُ مِنْهُمْ ، وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِهَزِيمَةِ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ لَهُمْ ، وَصَرَخَ صَارِخٌ : الْآلَ إِنْ عَمِدُوا قَدْ قُتِلَ ، وَكَانَ الصَّارِخُ الشَّيْطَانُ ، وَخَلَصَ الْعَدُوُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقُدِفَ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى وَقَعَ لِسْقَهُ ، فَأَصِيبَتْ رِبَاعِيَّتُهُ

(١) يَهْدِي النَّاسَ : يَهْدِيهِمْ .

وَكَلِمَتِ شَفَّتُهُ ، وَشُجَّ فِي وَجْهِهِ ، وَجَعَلَ الدَّمُ يُسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ ؛ فَجَعَلَ
 عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْسَحُ الدَّمَ بِيَدِهِ وَيَقُولُ : « كَيْفَ يَفْلَحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَهُ
 نَبِيِّهِمْ بِدَمِهِ ! ؛ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ » ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ : ﴿ لَيْسَ لَكَ
 مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ ^(١) .

وَكَانَ الَّذِي جَرَحَ شَفَّتَهُ ؛ وَكَسَرَ رِبَاعِيَّتَهُ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ . وَشَجَّهَ
 عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شِهَابِ الزُّهْرِيِّ فِي وَجْهِهِ ، وَجَرَحَ ابْنَ قُمَيْتَةَ وَجْنَتَهُ ؛ فَدَخَلَتْ حَلَقَتَانِ
 مِنْ حَلَقِ الْمَقْفَرِ فِي وَجْنَتِهِ ؛ وَوَقَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَفْرَةٍ مِنْ الْحُفَرِ الَّتِي
 عَمَلَهَا أَبُو عَامِرٍ لِيَقَعَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ . فَأَخَذَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِيَدِهِ
 وَرَفَعَهُ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ حَتَّى اسْتَوَى قَائِمًا . وَمَصَّ مَالِكُ بْنُ سِنَانٍ وَالِدُ
 أَبِي سَمِيدٍ الْخُدْرِيِّ الدَّمَ مِنْ وَجْهِهِ ثُمَّ أَزْدَرَدَهُ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
 « مَنْ خَالَطَ دَمِي لَمْ تُصَبِّهِ النَّارُ » . وَنَزَعَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِحْدَى الْحَلَقَتَيْنِ مِنْ وَجْهِهِ
 الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَسَقَطَتْ ثَنِيَّتُهُ . ثُمَّ نَزَعَ الْأُخْرَى فَسَقَطَتْ
 ثَنِيَّتُهُ الْأُخْرَى .

وَكَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ يَقُولُ : وَاللَّهِ مَا حَرَصْتُ عَلَى قَتْلِ رَجُلٍ قَطْرًا
 حَرَصِي عَلَى قَتْلِ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ - وَهُوَ أَخُوهُ . وَلَمَّا غَشِيَهُ الْقَوْمُ ، قَالَ
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ رَجُلٍ يَشْتَرِي لِنَا نَفْسَهُ ؟ » ، فَقَامَ زِيَادُ بْنُ
 السَّكَنِ فِي خَمْسَةِ نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ : عُمَارَةُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ السَّكَنِ -
 فَقَاتَلُوا دُونَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا بَعْدَ رَجُلٍ ، يُقَتِّلُونَ دُونَهُ حَتَّى
 كَانُوا آخِرَهُمْ زِيَادٌ أَوْ عُمَارَةُ ؛ فَقَاتَلَ حَتَّى أَثْنَحَتْهُ الْجِرَاحَةُ . ثُمَّ فُاتَتْ ^(٢) فَتَةً مِنَ
 الْمُسْلِمِينَ فَأَجْهَضُوهُمْ ^(٣) عَنْهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَدْنُوهُ مِنِّي » .
 فَوَسَدَهُ قَدَمُهُ ، فَفَاتَ وَخَذَهُ عَلَى قَدَمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَتَرَمَسَ

(١) آل عمران ١٥٨ (٢) فاءت : رجعت (٣) أجهضوهم : أزالوهم .

(٢) فاءت : رجعت

(١) آل عمران ١٥٨

أبو دُجَانَةَ الْأَنْصَارِيُّ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقَعُ النَّبَلُ فِي ظَهْرِهِ
وَهُوَ مُنْعَنٌ عَلَيْهِ حَتَّى كَثُرَ فِيهِ النَّبَلُ .

وَرَفَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ عَنْ قَوْسِهِ ، حَتَّى انْدَقَتْ
سَيْبَتُهَا ، وَأَصِيبَتْ يَوْمُهُ عَيْنُ قِتَادِهِ ، فَرَدَّهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
بَعْدَ أَنْ سَالَتْ عَلَى خَدِّهِ ، فَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْنَيْهِ وَأَنْظَارَهَا ، وَجُرِحَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ
ابْنُ عَوْفٍ عَشْرُونَ جِرَاحَةً ، وَهُشِمَ فَمُهُ .

وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ عَرَفَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ الْهَزِيمَةِ ، وَتَحَدَّثَ
النَّاسُ بِأَنَّهُ قَدْ قُتِلَ ، كَتَبَ بَنُ مَالِكِ الْأَنْصَارِيُّ ، قَالَ : عَرَفْتُهُ بِقَيْنِيهِ تَزْهَرَانُ ^(١)
تَحْتَ الْمَغْفَرِ ، فَنَادَيْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ! فَأَشَارَ إِلَيَّ أَنْ أَنْصِتَ وَلَمَّا عَرَفَ الْمُسْلِمُونَ بِهِ نَهَضُوا بِهِ ، وَنَهَضَ مَعَهُمْ نَحْوُ
الشَّعْبِ ، مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَالْحَارِثُ بْنُ الصَّمَّةِ وَرَهْطٌ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ . فَأَمَّا أَسْمَدُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الشَّعْبِ ، أَدْرَكَهُ
أَبِيُّ بَنٍ خَلْفَ وَهُوَ يَقُولُ : أَيْنَ مُحَمَّدٌ ؟ لَانْجُوتُ إِنْ نَجَا ! فَقَالَ الْقَوْمُ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيْعَاطُ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَّا ؟ فَقَالَ : دَعُوهُ ، فَلَمَّا دَنَا تَنَاوَلَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخُرْبَةَ مِنَ الْحَارِثِ بْنِ الصَّمَّةِ ، وَانْتَفَضَ بِهَا انْتِفَاضَةً
تَطَايَرُ عَنْهُ النَّاسُ تَهَابِيرَ الشُّعْرَاءِ ^(٢) عَنْ ظَهْرِ الْبَعِيرِ إِذَا انْتَفَضَ ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَهُ
بِهَا فَطَعَنَهُ فِي عُنُقِهِ طَعْنَةً تَدَاعَى مِنْهَا عَنْ فَرْسِهِ . وَكَانَ أَبِي ثِيَابِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ فَيَقُولُ : يَا مُحَمَّدُ ، عِنْدِي فَرَسٌ أَعْلَفُهُ كُلَّ يَوْمٍ فَرَقًا ^(٣)
مِنْ ذُرَّةٍ أَقْتُلْتُكَ عَلَيْهِ ، فَيَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بَلْ أَنَا أَقْتُلْتُكَ عَلَيْهِ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى » .

فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى قَرِيشٍ وَقَدْ خُدِشَ فِي عُنُقِهِ خَدْشًا غَيْرَ كَبِيرٍ ، فَقَالَ : قَتَلَنِي
مُحَمَّدٌ ، فَقَالَ لَهُ : ذَهَبَ وَاللَّهِ فَوَادُكَ ، وَاللَّهِ مَا بَكَ مِنْ بَأْسٍ ، قَالَ : إِنَّهُ قَدْ كَانَ

(١) تَزْهَرَان : تَضْيَتَان

(٢) الشُّعْرَاء : ذَبَابٌ لَهُ لَذَعٌ .

(٣) الْفَرْق : نَوْعٌ مِنَ الْمَسْكَاكِيلِ .

قال لي بركة : أبا أمية فوالله لو بصق علي لقتلني ، فأت بـسرف^(١) وهم قائلون به . وعانت عالية من قرش ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إني لا ينبغي لم أن يفلونا ، فقاتل عمر ورهط من المهاجرين حتى أهبطوهم ، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ قاعداً من الجراحة ، وصلى للمسلمين خلفه قودا .

وفي الصحيح من حديث البراء ، أن أبا سفيان قال : إن لنا العز ولا عز لكم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أجيئوه ، قالوا : ما نقول ؟ قال : قولوا : « الله مولانا ولا مولى لكم » .

وفيه أيضا أن أبا سفيان أشرف فقال : أفي القوم محمد ؟ فقال : لا تجيبوه . فقال : أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ قال : لا تجيبوه . قال : أفي القوم ابن الخطاب ؟ فلم ألبس يجيبه أحد قال : إن هؤلاء قد قتلوا ، ولو كانوا أحياء لأجابوا ، فلم يملك عمر نفسه ، فقال : كذبت يا عدو الله ، قد أبقي لك ما يخزيك ، فقال أبو سفيان : هلم إلي ياعمر ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : آتني فانظر ما شأنه ، فجاءه ، فقال له أبو سفيان : أنشدك الله يا عمر ! قتلنا محمدا ؟ فقال عمر : اللهم لا ، وإني أسمع كلامك الآن ، قال : أنت أصدق عندي من ابن قتيبة وأبر .

وأنصرف أبو سفيان ومن معه ، وقال : موعدكم بدر للعام القابل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قل : نعم ، هو بيننا وبينك موعد » . وتوجه المشركون إلى مكة ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتبس عه حرة في القتلى ، فوجده بطن الوادي ، قد بقر بطنه عن كبده ، وجدع أنفه وأذناه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى مارأى : « لولا أن تحزن

(١) سرف : موضع على ستة أميال من مكة .

صَفِيَّةُ ، وَتَكُونُ سُنَّةٌ مِنْ بَعْدِي ، لَزَكَّتُهُ حَتَّى يَكُونَ فِي بَطُونِ السَّمَاعِ
وَحَوَاصِلِ الطَّيْرِ ، وَلَئِنْ أَظْهَرَ فِي اللَّهِ عَلَى قَرِيشٍ فِي مَوْطِنٍ مِنَ الْمَوَاطِنِ لَأَمَثَلَانِ
بِثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْهُمْ » ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ
مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ * وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ (١) .

فَعَمَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَصَبَرَ وَنَهَى عَنِ الْمَثَلَةِ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسُجِّيَ بِبُرْدَةِ حَبْرِيَّةٍ ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ ، فَكَبَّرَ سَبْعَ
تَكْبِيرَاتٍ . ثُمَّ أَتَى بِالْقَتْلِ يُوضَعُونَ إِلَى جَنْبِ حِزَّةٍ ، وَصَلَّى عَلَيْهِمْ وَعَلَيْهِمْ مَعَهُمْ ،
حَتَّى صَلَّى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ صَلَاةً .

وَأَنْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ رَاجِعًا ، وَكَانَ يَوْمُ
أَحَدٍ يَوْمِ السَّبْتِ النِّصْفِ مِنْ شَوَّالٍ ، سَنَةِ ثَلَاثٍ مِنَ الْهِجْرَةِ ، وَكَانَ مِمَّا أَنْزَلَ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْقُرْآنِ فِي شَأْنِ أَحَدٍ سِتُونَ آيَةً مِنْ آلِ عِمْرَانَ ، فِي طَاعَةِ مَنْ
أَطَاعَ وَنِفَاقِ مَنْ نَافَقَ وَصَفَتِهِ . وَاسْتَشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي يَوْمِ أَحَدٍ مِنْ
لِلْمُهَاجِرِينَ أَرْبَعَةً ، وَمِنَ الْأَنْصَارِ أَحَدٌ وَسِتُونَ رَجُلًا ، وَقُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
اِثْنَانِ وَعِشْرُونَ رَجُلًا .

وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ يُجِيبُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ عَنْ كَلِمَةٍ قَالَهَا يَوْمَئِذٍ ،
وَهُوَ مُشْرِكٌ قَبْلَ إِسْلَامِهِ :

أَشَافَتَكَ مِنْ أُمِّ الْوَلِيدِ رُبُوعٌ	بَلَا قِسْعُ مَا مِنْ أَهْلِيْنَ جَمِيعُ (٢)
عَفَاهُنَّ صَيِّفِي الرِّيحِ وَوَاكْفُ (٣)	مِنَ الدَّلْوِ رَجَافُ السَّحَابِ هُمُوعُ (٤)
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَوْقِدُ النَّارِ حَوْلَهُ	رَوَاكِدُ أَمْثَالِ الْحَمَامِ كُنُوعُ (٥)

(٢) ديوانه ٢٥٧ .

(٤) الدلوها : برج من بروج السماء .

(١) سورة النحل ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٣) الديوان : صيفي الربيع .

(٥) الديوان : « وقوع » .

خَدَعَ ذَكَرَ دَارٍ بَدَّدَتْ بَيْنَ أَهْلِهَا نَوَى فَرَّقَتْ بَيْنَ الْجَمِيعِ قَطُوعُ
وَقُلْ إِنْ يَكُنْ يَوْمًا بِأَخِيذٍ يَمُدُّهُ سَقِيهْ فَإِنَّ الْحَقَّ سَوْفَ بِشِيعِ
فَقَدْ صَابَرَتْ فِيهِ بَنُو الْأَوْسِ كُلِّهِمْ

وَكَانَ لَهُمْ ذِكْرٌ هُنَاكَ رَفِيعُ
وَحَامِي بَنُو النَّجَّارِ فِيهِ وَصَابَرُوا (١)
أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ لَا يَخْذُلُونَهُ
وَقَوُوا إِذْ كَفَرَتْ يَدَاكَ بِرَبِّكُمْ
بِأَيْدِيهِمْ يَبِضُّ إِذَا حَشَّ الْوَعَى (٢)
كَأَنَّهَا غَادَرَتْ فِي النَّفْعِ عَقِبَةً ثَاوِيَا (٣)
وَقَدْ غَادَرَتْ تَحْتَ الْعِجَاجَةِ مُسْنَدًا
بِكَفِّ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى نَلْفَقَتْ
أُولَئِكَ قَوْمٌ سَادَةٌ مِنْ فُرُوعِكُمْ
بَيْنَ يَمِيزِ اللَّهُ حِينَ يُعِزُّنَا
فَإِنْ تَذَكَّرُوا الْقَتْلَ وَحِمْرَةَ فِيهِمْ
فَإِنَّ جَنَابَ الْخُلْدِ مَنَزَلَةٌ لَهُ
وَقَتْلَكُمْ فِي النَّارِ أَفْضَلُ رِزْقِهِمْ

وَمَا كَانَ مِنْهُمْ فِي لِقَاءِ جَزُوعِ
لَهُمْ نَاصِرٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَشَفِيعُ
وَلَا يَسْتَوِي عَبْدٌ عَصَا وَمُضْمِعُ (٤)
فَلَا يَدَّ أَنْ يَرْدَى لَهُنَّ صَرِيعُ
وَسَعْدًا صَرِيحًا وَالْوَشِيحُ شُرُوعُ (٥)
أَبِيًّا وَقَدْ بَلَ الْقَمِيصَ نَجِيعُ (٦)
عَلَى الْقَوْمِ تَمَّا قَدْ يُتْرَنُ نَقُوعُ
وَفِي كُلِّ قَوْمٍ سَادَةٌ وَفُرُوعُ
وَإِنْ كَانَ أَمْرٌ يَاسَخِينُ فَطَظْمُ
فَتَمِيلُ نَوَى لِلَّهِ وَهُوَ مُطْمِئِنُّ
وَأَمْرُ الَّذِي يَقْضِي الْأُمُورَ سَرِيعُ
حَمِيمٌ مَعًا فِي جَوْفِهَا وَضَرِيعُ (٧)

- (١) الديوان : « وضاربوا » . (٢) الديوان : « سخين » ، أصله سخينة ، والسخينة : حساء يتخذ من دقيق وتمر ، وكانت قريش تكثر من أكلها ، فسميت به على طريق الزهر .
(٣) حش الوعى : اشتد وقوى . (٤) الديوان : « عثمان ثاويا » .
(٥) الوشيح : الرماح ، وشروع : مائلة للطعن . (٦) العجاجة : الفبرة . والنجيع : الدم .
(٧) الحميم : الحار . والضريع : نبت بالحجاز ذو شوك .

٤٢ - وقوله : وتَخَلَّفْتُ عن صَلَاةِ الْعَصْرِ في بنى قُرَيْظَةَ .

يشيرُ بذلك إلى مَنْ تَخَلَّفَ عن صَلَاةِ الْعَصْرِ في بنى قُرَيْظَةَ ، لأنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لما انصَرَفَ عن اتِّخَاذِ رَاجِعٍ إلى المدينة ، والمسلمون معهم وقد عَصَوْهُمُ الْحِصَارَ ، وَرَجَعُوا يَجْهَدُونَ ، فَوَضَعُوا السَّلَاحَ ، فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ الظُّهْرِ أَتَى جَبْرِيلُ رَسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَعْتَجِراً بِعِمَامَةٍ مِنْ إِسْتَبْرَقٍ^(١) ، على بَغْلَةٍ عَلَيْهَا رِجَالَةٌ ، وَعَلَيْهَا قُطَيْفَةٌ مِنْ دِيبَاجٍ ، فَقَالَ : غَفَرَ اللَّهُ لَكَ ، أَوْقَدْ وَضَعْتَ السَّلَاحَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ جَبْرِيلُ : فَمَا وَضَعْتَ اللَّاتِكَةَ السَّلَاحَ بَعْدَ ، وَمَا رَجَعْتَ الْآنَ إِلَّا مِنْ طَلَبِ الْقَوْمِ ، إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِكَ ، يَا مُحَمَّدَ الْمَسِيرِ إِلَى بنى قُرَيْظَةَ .

فَقَدِمَ رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ - كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ - بِرَأْيَتِهِ إِلَى بنى قُرَيْظَةَ ، وَأَبْتَدَرَهَا النَّاسُ ، فَسَارَ عَلَى رِضَى اللَّهِ عَنْهُ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَ الْحِصُونِ ، سَمِعَ مِنْهَا مَقَالَةً قَبِيحَةً عَلَى رسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، فَرَجَعَ حَتَّى لَقِيَ رسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِالطَّرِيقِ ، فَقَالَ : يَا رسولَ اللَّهِ ، لَا عَلَيْكَ إِلَّا تَدْنُو مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَخَابِثِ . قَالَ : « لَمْ أَظْنِكُ سَمِعْتَ لِي مِنْهُمْ أَدَى ؟ » قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : « لَوْ رَأَوْنِي لَمْ يَقُولُوا مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً » . وَلَمَّا دَنَا رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ حِصُونِهِمْ قَالَ : « يَا إِخْوَانَ الْفِرْدَةِ ، هَلْ أَخْرَاكُمُ اللَّهُ ، وَأَنْزَلَ بِكُمْ نِقْمَتَهُ ؟ » قَالُوا : يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، مَا كُنْتَ جَهُولاً .

وَمَرَّ رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِبَنِيهِ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي طَرِيقِهِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى بنى قُرَيْظَةَ ، فَقَالَ : « هَلْ مَرَّ بِكُمْ أَحَدٌ ؟ » قَالُوا : يَا رسولَ اللَّهِ ، مَرَّ بِنَا

(١) الاعتجار : أن يعمم الرجل دون أن يلحق ، أى من غير أن يضم من عمامته شيئاً تحت لحية . والإستبرق : نوع من الحرير .

دحية بن خليفة الكلبي على بقة بيضاء عليها رحالة ، وعليها قطعة من
ديباج . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذلك جبريل ، بُعث إلى بني
قريظة يزل بهم حصونهم ، ويقذف في قلوبهم الرعب » .

وتلاحق الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتى رجال من بعد العشاء
الآخرة لم يصلوا العصر ، تقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يصلّين
أحد العصر إلّا في بني قريظة » ، فصلوا العصر بها من بعد العشاء الآخرة ، فما
عابهم الله بذلك في كتابه ، ولا عنتهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقيل : إنّ العصر أدركت منهم جماعة ، فصلاها بعضهم ، ولم يصلها بعضهم
إلّا في بني قريظة بعد أن غابت الشمس ، ودُكر ذلك لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فلم يمتف أحدا من الطائفتين .

وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة خمسا وعشرين ليلة حتى
جهدم الحصار ، وقد قذف في قلوبهم الرعب . ثم إنهم نزلوا على حكم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأحرزوا دماءهم وأموالهم ^(١) .

* * *

٤٣ - وقوله : وَجِئْتُ بِالْإِفْكِ عَلَى عَائِشَةَ الصَّدِيقَةِ

يشير بذلك إلى واقعة الإفك على عائشة رضي الله عنها ، وكان من أمرها
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أقبل من غزوة بني المصطلق حتى إذا
كان قريبا من المدينة ، قال أهل الإفك في الصديقة المطهرة البرة ما قالوا .
وحديث عائشة رضي الله عنها ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا
أراد السفر أفرع بين نسائه ، فأتيهنّ خرج ستهنّ خرج بها معه ، فلما كانت
غزوة بني المصطلق خرج ستهنّ عليهنّ معه ، فخرج بي رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، وكان النساء إذ ذاك خيفاً ؛ إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْغُلَاقَ ^(١) ، لم يُهَيِّجَنَّ اللحم فيمقان . وكنت إذا رُحِلَ لي بهيري جلستُ في هودجِي ، ثمَّ يأتي القومُ ويحملونني ؛ يأخذون بأسفل الهودج ويرفعونه ، ويضعونه على ظهر البعير ، فيشدُّونه بحباله ، ثمَّ يأخذون برأس البعير وينطلقون به . فلما فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك ، وجَّه قاهلاً ، حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً ، فبات به بعض الليل ، ثمَّ أذن في الناس بالرحيل ، فأرتحل الناس ، وخرجتُ لبعض حاجتي ، وفي عنقي عقدٌ لي فيه جَزَعُ ظفاري ، فلما فرغت أنسل من عنقي ولأدري ، فلما رجعتُ إلى الرَّحْلِ ذهبتُ أَلْتَمِسُهُ في عنقي فلم أجده ، وقد أخذ الناس في الرَّحيل ، فرجعتُ إلى مكاني الذي ذهبتُ إليه فُلْتَمِسْتُهُ حتى وجدته ، وجاء القومُ الذين كانوا يرحلون لي البعير ، وقد فرغوا من رحلته ، فأخذوا الهودج ، وهم يظنون أنني فيه كما كنت أضنع ، فاحتملوه وشدُّوه على البعير ، ولم يشكوا أنني فيه . ثمَّ أخذوا برأس البعير وأنطلقوا به ، ورجعتُ إلى المعسكر وما فيه من داعٍ ولا محجب . فتلففت بحجابي ، ثمَّ اضطجعتُ في مكاني ، وعرفتُ أن لو أفتقدتُ لرجع إلي . فوالله إنِّي لاضطجعتُ إذ مرَّ بي صفوان بن المُعَظَّل السلمي . وكان قد تخلف عن المعسكر لبعض حاجاته ، فلم يلبث مع الناس - فرأى سوادِي ، فأقبل حتى وقف عليّ ، وقد كان يراني قبل أن يضرب علينا الحجاب ، فلما رآني قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! طعمينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ! وأنا متلفعة في ثيابي . ثمَّ قال : ما خلفك ، رحلك الله ! قالت : فما كلمته ، فترَّبَّ البعيرُ ثمَّ قال : اركبي ، واستأخر عني فركبتُ ، وأخذ برأس البعير وأنطلق سريعا يطلب الناس ، فوالله ما أدركنا الناس ، ولا أفتقدتُ حتى أصبحتُ ، ونزل الناس ، فلما اطمأنوا طلع الرجل يقودني فقال أهلُ الإهك

(١) الغلق ، جمع غلقة ، وهي ما فيه بلعة من الطعام إلى وقت الغداء ؛ تريد أن طماهن كان قليلا .

ما قالوا ، فارتجَّ العسكر ، والله ما أعلم بشيء من ذلك .

ثمَ قَدِمَا لِدِينَةِ ، فلم أَلْبَثُ أَنْ أَشْتَكَيْتُ شَكْوَى شَدِيدَةً ، وَلَا يَبْلُغُنِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ ، وَقَدْ انْتَهَى الْحَدِيثُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَلَا يَذْكُرَانِ لِي مِنْهُ قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا ، إِلَّا أَنَّنِي قَدْ أَنْكَرْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْضَ أَطْفِئَةٍ بِي ، كُنْتُ إِذَا أَشْتَكَيْتُ رَحِمَنِي وَلَطَفَ بِي ، فَلَمْ يَفْعَلْ بِي ذَلِكَ فِي شَكْوَايَ تِلْكَ ، فَأَنْكَرْتُ ذَلِكَ مِنْهُ ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَيَّ وَعِنْدِي أُمِّي تُمْرَضُنِي قَالَ : كَيْفَ تَبْكِينَ ؟ لَا يَزِيدُ عَلَيَّ ذَلِكَ ، حَتَّى وَجَدْتُ فِي نَفْسِي حِينَ رَأَيْتُ مَا رَأَيْتُ مِنْ جَفَائِهِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَوْ أَذْنَتَ لِي فَأَنْتَقَلْتُ إِلَى أُمِّي فَرَضْتَنِي ! قَالَ : لَا عَلَيْكَ ، قَالَتْ : فَأَنْتَقَلْتُ إِلَى أُمِّي ، وَلَا أَعْلَمُ لِي بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ حَتَّى نَقِهُتُ مِنْ وَجَعِي بَعْدَ بَعْضِ عِشْرِينَ لَيْلَةً ؛ وَكُنَّا قَوْمًا غُرَبَاءَ ، لَا نَتَّخِذُ فِي بُيُوتِنَا هَذِهِ الْكَنُفَ الَّتِي تَتَّخِذُهَا الْأَعَاجِمُ ، نَعْمَافُهَا وَنَكْرَهُهَا ، إِنَّمَا كُنَّا نَذْهَبُ فِي فَسْحِ الْمَدِينَةِ ، وَإِنَّمَا كَانَ النِّسَاءُ يَخْرُجْنَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ فِي حَوَائِجِهِنَّ ، فَخَرَجْتُ لَيْلَةً فِي بَعْضِ حَوَائِجِي ، وَمَعِيَ أُمُّ مِسْطَحَ ^(١) ، فَلَمَّا فَرَّغْنَا مِنْ شَأْنِنَا وَأَقْبَلْتُ ، عَثَرْتُ أُمُّ مِسْطَحَ فِي مِرْطِهَا ^(٢) ، فَقَالَتْ : تَعَسَّ مِسْطَحُ ! قَالَتْ : فَقَالَتْ : بئس ما قلتُ لرجلٍ من المهاجرين قد شهدَ بَدْرًا ! قَالَتْ : أَوْ مَا بَلَغَكَ الْخَبِيرُ يَا بَنْتَ أَبِي بَكْرٍ ؟ قَالَتْ : قُلْتُ : وَمَا الْخَبِيرُ ؟ فَأَخْبَرْتَنِي بِالَّذِي كَانَ مِنْ قَوْلِ أَهْلِ الْإِنْفِكَ . قَالَتْ : قُلْتُ : أَوْ كَانَ هَذَا ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ . قَالَتْ : فَوَاللَّهِ مَا قَدَرْتُ عَلَى أَنْ أَقْضِيَ حَاجَتِي وَرَجَعْتُ ، فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ أَبْكِي حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّ الْبِكَاءَ سَيَصْدَعُ كَبِدِي ، وَقُلْتُ لِأُمِّي : يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ ! تَحَدَّثَ النَّاسُ بِمَا تَحَدَّثُوا بِهِ وَلَا تَذْكُرِينَ لِي مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ! قَالَتْ : أَيْ بُلَّتِيهِ ؛ خَفَضَ عَلَيَّ الشُّانَ ، فَوَاللَّهِ لَقَمَّا كَانَتْ أُمْرَأَةٌ حَسَنَاءَ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا ، وَلَهَا ضَرَانَرُ ، إِلَّا أَكْثَرْنَ وَأَكْثَرَ النَّاسُ عَلَيْهَا !

(٢) المرط : الكساء .

(١) أم مسطح كانت خالة أبي بكر الصديق .

قالت : وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فخطبهم ، ولا أعلم بذلك ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : «أيها الناس ، ما بال رجال يؤذونني في أهلي ، ويقولون عليهم غير الحق ! والله ما علمت منهم إلا خيرا ! ويقولون ذلك في رجل ، والله ما علمت منه إلا خيرا ، وما يدخل بيتنا من بيتي إلا وهو ممي » . قالت : وكان كبير ذلك عند عبد الله بن أبي ، في رجال من الخزرج مع الذي قال مسطح وحمئة بنت جحش — وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تكن من نسائه امرأة ثم أصبني في المنزلة عنده غيرها . فأما زينب فعمها الله بدنيها ، فلم تقل إلا خيرا ، وأما حمئة فأشاعت بذلك ما أشاعت تضادني لأختها — فشقيت بذلك . فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة ، قام أسيد بن حضير ، فقال : يا رسول الله ، إن يكونوا من الأوس نكفهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج ، فمرنا بأمرك ، فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم . فقام سعد بن عبادة فقال : كذبت لعمر الله ، لا تضرب أعناقهم ! أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ، ولو كانوا من قومك ما قلت هذا . فقال أسيد : كذبت لعمر الله ، ولكنك منافق تجادل عن المنافقين . قالت : وتشاور^(١) الناس حتى كاد يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شر .

قالت : ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا علي بن أبي طالب وأسماء بن زيد واستشارهما . فأما أسماء فأثني على خيرا ، ثم قال : يا رسول الله ، أهلك ، ولا نعلم إلا خيرا ، وهذا الكذب والباطل . وأما علي فإنه قال : يا رسول الله ، إن الذماء لكثير ، وإنك لتقدر أن تستخلف ، وسلي الجارية ستصدقك . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة ليسألها ، فقام لها علي وهو يقول :

(١) تشاور الناس ، أي ثار بعضهم إلى بعض .

أصْدُقِي رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا ، وَمَا كُنْتُ أُعِيبُ عَلَى عَائِشَةَ شَيْئًا ؛ إِلَّا أَنِّي كُنْتُ أَعْجِنُ عَجِينِي ؛ فَأَمُرُهَا أَنْ تَحْفَظَهُ فَنَدَامَ عَنْهُ ، فَتَأَنَّى الشَّاءُ فَمَا كُلَّهُ .

— قُلْتُ : نَقَلْتُ مِنْ خَطِّ الشَّيْخِ شَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْمٍ الْجَوْزِيَّةِ : أَنَّ بَرِيرَةَ إِنَّمَا اشْتَرَتْهَا عَائِشَةُ وَأَعْتَقَتْهَا بَعْدَ ذَلِكَ —

قَالَتْ : ثُمَّ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدِي أَبُوَي ، وَعِنْدِي أُمْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَأَنَا أَبْكِي وَهِيَ تَبْكِي مَعِي ، فَجَلَسَ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا عَائِشَةُ ؛ إِنَّهُ قَدْ كَانَ مَا بَلَغَكَ مِنْ قَوْلِ النَّاسِ ، فَاتَّقِيَ اللَّهَ ، فَإِنْ كُنْتَ قَارِفَتِ^(١) سَوْءًا مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ فَتَوْبِي إِلَى اللَّهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ . قَالَتْ : فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَالَ لِي ذَلِكَ ، فَقَلَصَ^(٢) دَمْعِي حَتَّى مَا أَحْسَ مِنْهُ شَيْئًا ، وَأَنْتَظَرْتُ أَبُوَي أَنْ يُجِيبَا عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ فَلَمْ يَتَكَلَّمَا .

قَالَتْ : وَإِيمُ اللَّهِ لَأَنَا كُنْتُ أَحْقَرُ فِي نَفْسِي وَأَصْفَرُ شَأْنًا مِنْ أَنْ يُنْزِلَ اللَّهُ فِيَّ قُرْآنًا يُتْلَى فِي الْمَسَاجِدِ ، وَيُصَلَّى بِهِ ؛ وَاسْكَنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَوْمِهِ شَيْئًا يَكْذِبُ اللَّهُ بِهِ عَنِّي ، وَبِمَا يَعْلَمُ مِنْ بَرَأَتِي ، أَوْ يُخْبِرُ خَبْرًا ، فَأَمَّا قُرْآنًا يُنْزِلُهُ اللَّهُ فِيَّ ؛ فَوَاللَّهِ لَنَفْسِي كَانَتْ عِنْدِي أَحْقَرُ مِنْ ذَلِكَ .

قَالَتْ : فَلَمَّا رَأَيْتُ أَبُوَي لَمْ يَتَكَلَّمَا ، قُلْتُ لَهَا : أَلَا تُجِيبَانِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقَالَا : وَاللَّهِ مَا نَدْرِي بِمَاذَا نَجِيبُهُ ! قُلْتُ : وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَهْلَ بَيْتٍ دَخَلَ عَلَيْهِمْ مَا دَخَلَ عَلَى آلِ أَبِي بَكْرٍ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ ! فَلَمَّا اسْتَمْعَجَا عَلَيَّ اسْتَمْعَبْتُ فَبَكَيْتُ ، ثُمَّ قُلْتُ : وَاللَّهِ مَا أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ عَمَّا ذَكَرُوا أَبَدًا ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ لَنْ أَقَرُّتُ بِمَا يَقُولُ النَّاسُ - وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئةٌ مِنْهُ - لِأَقْوَانِ مَا لَمْ

(٢) قَلَصَ الدَّمْعُ : ارْتَفَعَ .

(١) قَارِفَتُ سَوْءًا ، أَيْ أَتَيْتُ ذَنْبًا .

يكن ، ولئن أنا أنكرتُ ما يقولُ الناسُ لا تصدّقوني . ثمّ التمسْتُ اسمَ يعقوبَ فما ذكرته . فقلتُ : ولكنّي أقول كما قال أبو يوسف : ﴿ فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ﴾ .

قالت : فوالله ما برح رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ، حتّى تفشاه من الله ما كان يتفشاه ، فسجّى بثوبه ، ووَضعتُ له وِسادةً أَدَمَ تحت رأسه . فأما أنا حينَ رأيتُ من ذلك ما رأيتُ ، فوالله ما فزعت ولا باليت ، قد عرّفتُ أنّي بريئةٌ ، وأنّ اللهَ غيرُ ظالمٍ ، وأما أبواي ، فوالذي نفس عائشة بيده ما سرّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتّى ظننتُ اتّخرجن أنفسها فرقا من أن يأتى من الله تحقيق ما قال الناس ، ثم سرّى عن رسول الله وجلس ، وأنه ليتحدّر منه مثلُ الجُمان في يومٍ شاتٍ ، فجعل يمسح العرق عن جبينه ويقول : أبشرى يا عائشة ، قد أنزل الله على من القرآن في ذلك .

ثم أمرَ بسطح بنِ أُمّانة وخمّة بنت جحش وحسان بن ثابت — وكانوا ممّن أفصح بالفاحشة — فضربوا حدّهم . قال الله تعالى : ﴿ إنّ الذين جاءوا بالإفك عصبةٌ منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل أمرى منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ﴾ (١) .

قيل : إنّهُ حسانُ وأصحابه ، ثم قال : ﴿ لو لا إذ سمعتموه ظنّ المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين ﴾ . أى هلاً قُلتُم إذ سمعتموه كما قال أبو بَ الأَنْصارى ، وصاحبه أم أيوب — وذلك أنّها قالت لزوجها : يا أبا أيوب ، ألا تسمع ما يقول الناسُ في عائشة ؟ فقال : بلى ،

ذلك الكذب ، أكننت يا أم أيوب فاعلته ؟ قالت : لا والله ، ما كنت لأفعله . قال : فعائشة والله خير منك — ثم قال تعالى : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنِّكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ .

فلما نزل هذا في عائشة قال أبو بكر — وكان يُنفق على مسطح لقربته وحاجته : والله لا أنفق على مسطح أبداً ، ولا أنفعه بفتح أبداً بعد الذي قال في عائشة ، فأنزل الله في ذلك : ﴿ وَلَا يَأْتِلُ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُوتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْنُوا وَلِيَصْنَحُوا أَلَّا تَحِبُّوا أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ : فقال أبو بكر رضى الله عنه : بلى والله ، إني والله لأحب أن يغفر الله لي ، فرجع إلى مسطح نفقته التي كان يُنفقها عليه ، وقال : والله لا أنزعها عنه أبداً .

وكان حسان قد عرض بصفوان بن المعطل بقوله :

أمسى الجلابيبُ قد عزّوا وقد كثروا

وأبن الفريعة أمسى بيضة البلد^(١)

فلما بلغ ذلك صفوان أعترض حسان فضر به بالسيف ، ثم قال :

تلق ذباب السيف عنك فإنني غلام إذا هوجيت لست بشاعر^(٢)

قالت عائشة : ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا عائشة أما والله ، فقد براك ؛ فقالت أمي : قومي إليه يا عائشة ، فقالت : والله لا قت إليه ، ولا أحمداً إلا الله .

(١) ديوانه ١٠٤ . والجلابيب : جمع جلباب ، وهو الإزار ؛ كنى بذلك عن اليلة . وبيضة البلد ، أى واحدها .

(٢) سيرة ابن هشام ٣ : ٣٥٢ .

وعن أبي إسحاق ، أن أبا بكر قال لمسطح ، واسمه عوف :

يا عوف ، وبِحْك هَلَّا قَلْتَ عَارِفَةً من الكلام ولم تتبع بها طَمَماً
أو أدركتْك حَمِيّاً معشراً أَنفٍ ولم تكن قاطعاً يا عوف مَقْطَعاً
أما جريت من الأقوام إِذ حَشَدُوا ولا تقول ولو عاينته قَدَعاً
لما رميت حصاناً غير مُقَرَفَةٍ أَمِينَةٍ الجَنِيبِ لم نعلم لها خضماً
فيمَن رَمَاهَا وكنتُم معشراً أَفْكَاً

في سَيِّء القول من لفظ الخفي سرُعاً
فأنزل الله وَحِيّاً في براءتها وبين عوف وبين الله ما صَحَّما
فإن أَعِشْ أَجْزِعُ عَوْفاً عن مَقَاتِلِهِ شَرَّ الجزاء إِذا أَلْفِيته تبما
ولما أنزل الله الآية : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ ﴾ . . .
إلى آخرها ، قال أبو بكر : بلى ، والله أَحَبُّ أن يَغْفِرَ اللهُ لى ، وعاد إلى ما كان
عليه من البرِّ لمسطح .

وما أحسن ما نقلته من خطِّ أبي الحسين الجزار مما نَظَّمه ، وأشار إلى هذه
الواقعة بقوله :

لا تقطعن عادةً بَرٍّ ولا تجعل عقابَ المرء في رزقه
واصفخ عن الجاني فإن الذى ترجوه عفو الله عن خلقه
وإن بدت من صاحب زَلَّةٍ فاستره بالإغضاء واستنقه
فإن إثمَ الإفك من مسطح يحط قدر النجم عن أفقه
وقد جرى منه الذى قد جرى وعوتب الصديق في حقه
وقد روى أنه سُئِلَ عن صفوان ، فوجد رجلاً حصوراً لا يأتى الدماء .
وقال بعض المسلمين في ذلك الوقت يذكُر حساناً وصاحبَيْه في فِرِّيتهم
على عائشة رضى الله عنها :

تقد ذاق حَسَّانُ الَّذِي كَانَ أَهْلُهُ وَحَمَّةٌ إِذْ قَالُوا هَجِرَا وَمِسْطَحُ
تَعَاظَرُوا بِرَجْمِ الْغَيْبِ زَوْجِ نَبِيِّهِمْ
وَسَخَطَةُ ذِي الْعَرْشِ الْكَرِيمِ فَأَبْرَحُوا
وَأَذَوْا رَسُولَ اللَّهِ فِيهَا فَخَلُّوا مَخَازِي تَبْقَى عَمُومُهَا وَفَضَحُوا
فَصَبَّتْ عَلَيْهَا مَحْصَبَاتٌ كَأَنَّهَا
شَايِبٌ قَطْرٍ مِنْ ذَوَى الْمَزْنِ سُمِّعَ

وقد ذكر أبو عمر بن عبد البر أن قوما أنسكروا أن يكون
حَسَّانُ خَاضَ فِي الْإِثْمِ وَجُلِدَ فِيهِ . وروى عن عائشة رضى الله عنها أنها
برأته من ذلك .

قلت : وَحَسَّانُ هُوَ الْقَائِلُ فِي عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تَزَنُّ بِرَبِيَّةٍ وَتَصْبِحُ غَزَنِي مِنْ لُحُومِ الْفَوَافِلِ ^(١)
عَقِيلَةٌ حَيٍّ مِنْ لَوْيٍّ بِنِ غَالِبٍ كَرَامِ الْمَسَاعِي مَجْدُهُمْ غَيْرُ زَائِلِ
مَهْدَبَةٌ قَدْ طَيَّبَ اللَّهُ خِيَمَهَا وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَبَاطِلِ
فَإِنْ كُنْتُ قَدْ فُلْتُ الَّذِي قَدْ زَعَمْتُ

فَلَا رَفَعْتُ صَوْتًا إِلَى أَنَا مِلِي !

وَحُكِيَ أَنَّ الْقَاضِي أَبَا بَكْرَ الْبَاقِلَانِيَّ ، تَوَجَّهَ رَسُولًا إِلَى بَعْضِ مُلُوكِ
النَّصَارَى ، فَسَأَلَهُ بَعْضُ الْأَفْئَاءِ بِحَضْرَةِ الْمَلِكِ : مَا قِيلَ فِي أَمْرَةِ نَبِيِّكُمْ ؟ فَقَالَ
بَدِيهَا : هِيَ أَمْرَتَانِ قِيلَ فِيهِمَا مَا قِيلَ ، أَنْتَ إِحْدَاهُمَا بَوْلَدٌ ، وَلَمْ تَأْتِ الْأُخْرَى
بَوْلَدٌ ؛ أَوْ كَمَا قَالَ .

(١) ديوانه ، ٣٢ . والريزان : الملازمة موضعها ، ذات الثبات والوقار ، ماترن : ماتتهم .
والفوافل : جم غافلة ؛ يريد أنها لا ترتفع في أعراض النساء .

قال الشيخ تقي الدين بن تيمية : أراد القاضي أبو بكر بهذا أن ظهور
براعة عائشة أفوتى من براعة مريم ، وكلاهما بريئتان رضى الله عنهما .

وحكى أن مساماً ناظر نصرانياً ، فقال له النصراني في خلال كلامه :
يا مسلم ، كيف كان وجه زوجة نبيكم عائشة في تخلفها عن الركب عند نبيكم
معتذرة بضياح عقدتها ؟ فقال المسلم : يا نصراني ، كان وجهها كوجه بنت
عمران لما أتت بعيسى تحمله من غير زوج .

وقال الأرجاني :

ما في جفائكم إذا أنا لم أكن سبب يعاف حديثه ويعاب
سخط النبي على البريء وما درى مما جناه الآفك الكذاب
حتى استبان له بوحي نارل أن الذي قال الوشاة كذاب

* * *

٤٤ — قوله : وأنفِتُ من إمارة أسامة بن زيد .

يشير بذلك إلى أسامة بن حارثة رضى الله عنهما . وذلك أنه لما كان يوم
الاثنين لأربع ليالٍ بقين من صفر ؛ سنة إحدى عشرة . أمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم الناس بالتهوض لقزو الروم . فدعا أسامة بن زيد ، فقال له : سِرْ إلى
موضع مقتل أبيك ؛ فأوطئهم الخيل . فقد وليتُك هذا الجيش فأغز صباحاً
على أهل أبي ؛ وحرّق عليهم ، وأسرع السير لتسبق الأخبار ؛ فإن أظفرك
الله ، فأقلّ اللبث فيهم ، وخذ معك الأدلاء ، وقدم العيون والطلائع .

فلما كان يوم الأربعاء بدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوجع ، فحتم
وصدع ، فلما كان يوم الخميس عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسامة لواء
بيده ، ثم قال : «أغز باسم الله وفي سبيل الله ؛ وقاتل من كفر بالله » ؛ فخرج

بلوائه معقودا ، فدفعه إلى بُرَيْدة بن الحَصِيب الأسلميّ ، وعسكر بالجَرْف ، فلم يبقَ أحدٌ من وجوه المهاجرين والأنصار إلاّ انتدب في تلك الغزاة ، منهم : أبو بكر ، وعمر ، وأبو عُبَيْدة بن الجراح ، وسعد بن زيد ، وقتادة بن النّمان ، وغيرهم ، فتكلم قوم وقالوا : يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأوّلين ! فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضباً شديداً ، وخرج وقد عصب رأسه بعصابة ، وعليه قطيفة ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : «أما بعد ، أيّها الناس ، ما قاله بلقنتى عن بعضكم في تأميرى أسامة ! وإنّ طعنتم في إمارة أسامة لقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله . وإيم الله إنّّه كان خليقاً للإمارة ، وإن ابنه من بعده خليقٌ للإمارة ، وإنّه كان لمن أحبّ الناس إلىّ ، وأنهما لخلاّن لكلّ خير . فاستوصوا به خيراً ؛ فإنّه من خياركم » .

ثم نزل فدخل بيته ، وجاء المسلمون بخُرُجون مع أسامة ، يودّعون رسول الله صلى الله عليه وسلم . وثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم في المرض ، فجعل يقول : أنفذوا بئس أسامة . فلما كان يوم الأحد اشتدّ الوجع برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل أسامة من مُعسكره ، والنبي صلى الله عليه وسلم ممّور ، وهو اليوم الذي لد^(١) فيه ، فطأطأ أسامةُ فقبله ، والنبي صلى الله عليه وسلم لا يتكلم ، فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يضعهما ، ثم دخل يوم الاثنين ورسول الله صلى الله عليه وسلم مُفِيق ، فقال له : اغدُ على بركة الله ، وودّعه أسامةُ وخرج ؛ فأمر الناس بالرحيل ، فينأى هو يريد الرُّكوب إذا أتته أمّ أيمن تقول : إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يموت ، فأقبل ومعه عمر وأبو عُبَيْدة ، فأنهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيموت ، فتوفّي حين زاعت الشمس يوم الاثنين ، لاثنتي عشرة ليلةً خلت من شهر

(١) أى جمّلوا الدواء في جانبفه .

ربيع الأوّل ، فدخل المسكر إلى المدينة ، ودخل بُرَيْدَةُ بِاللّوَاءِ حَتَّى أَتَى بِهِ
بَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ففَرَزَهُ عَنْهُ ، وَلَمَّا بُوِيَحَ أَبُو بَكْرٍ أَمْرَ بُرَيْدَةَ
ابْنُ الْحَصِيبِ أَنْ يَذْهَبَ بِاللّوَاءِ إِلَى بَيْتِ أَسَامَةَ لِيَمْضِيَ لَوَجْهِهِ ؛ فَلَمَّا ارْتَدَّتْ
الْعَرَبُ كُلُّهُمُ أَبُو بَكْرٍ فِي حَبْسِ أَسَامَةَ ، فَأَبَى (١) .

وَلَمَّا كَانَ هَلَالُ شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ ، سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ ، خَرَجَ أَسَامَةُ إِلَى
أَهْلِ أُبَيْنَى فِي عِشْرِينَ لَيْلَةً ، فَشَنَّ الْفَارَةَ عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ شِعَارُهُمْ : « يَامَنْصُورُ أُمْتُ » ،
فَقَتَلَ مِنْ أَشْرَفَ لَهُ ، وَسَبَى مِنْ قَدِيمٍ عَلَيْهِ ، وَحَرَّقَ فِي طَوَائِفِهَا بِالنَّارِ وَحَرَّقَ
مَنَازِلَهُمْ وَحَرَّثَهُمْ وَنَحَلَهُمْ ، وَصَارَتْ أَعَاصِيرُ مِنَ الدَّخَاخِينَ ، وَأَجَالَ الْخَيْلَ فِي
عَرَصَاتِهِمْ ، وَأَقَامُوا يَوْمَهُمْ ذَلِكَ فِي قَدَمَةٍ مَا أَصَابُوا مِنَ الْغَنَائِمِ ، وَكَانَ أَسَامَةُ
عَلَى فَرَسٍ أَبِيهِ سَبْحَةً ، وَقَتَلَ قَاتِلَ أَبِيهِ فِي الْفَارَةِ ، وَلَمَّا أَمْسَى أَمَرَ النَّاسَ
بِالتَّحِيلِ ، ثُمَّ أَغْذَى السَّيْرَ ، فَوَرَدَ وَادِي الْقُرَى فِي تِسْعِ لَيَالٍ ، ثُمَّ بَعَثَ
بَشِيرًا إِلَى الْمَدِينَةِ بِسَلَامَتِهِمْ ، وَوَصَلَ إِلَى الْمَدِينَةِ بِهَدَسَةٍ ، وَمَا أَصِيبَ مِنْ
الْمُسْلِمِينَ أَحَدٌ ، وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ فِي الْمُهَاجِرِينَ ، وَأَهْلُ الْمَدِينَةِ يَتْلَقُونَهُمْ سُرُورًا
بِسَلَامَتِهِمْ ، وَدَخَلَ عَلَى فَرَسِ أَبِيهِ سَبْحَةً ، وَاللّوَاءُ أَمَامَهُ يَحْمِلُهُ بُرَيْدَةُ حَتَّى
انْتَهَى إِلَى مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَدَخَلَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ
انْصَرَفَ إِلَى بَيْتِهِ .

قلت : قوله : « أُبَيْنَى » - بضم الهمزة ، وسكون الباء ، وبمدهانون مفتوحة ، وألف
مقصودة - على وزن فُرُبَى . وبعضهم يقول : يُبْنَى - بياء آخر الحروف بدل الهمزة -
قال أبو داود : وسمعت ابن أبي عمر المدني ، قال : سمعت أبا مسهر ، قيل له : أُبْنَى -
قال : نحن أعلم ، هي يُبْنَى فِلَسْطِينَ ، وهي التي بعث إليها رسول الله صلى الله

عليه وسلم زيدا أبا أسامة مع جعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رواحة ، فقتلوا جميعا . انتهى .

قلت : الذي في الحديث يردّ هذا القول ، وإنما هي ابْنِي البَقَاء ؛ لأنّ لفظ الحديث أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم دَعَا أسامة بن زيد وقال : « سِرْ إِلَى ابْنِي مَوْضِعَ مَقْتَلِ أَبِيكَ » .

وبعضهم قال : أبلَى باللام مكان النون ، وليس بشيء ، وإنما يُبْنَى بالنون ، فإنّها بساحِلِ عَقْلَان ، وهي المشهورة الآن بأن فيها قبرَ أبي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه .

وقد ذكر المسعودي^(١) في شرح المقامات : أنّ المهديّ لما دخل إلى البصرة رأى إياس بن معاوية وهو صبيّ ، وحلّفه وقُدّامه أربعمائة طليسان من العلماء وغيرهم ، فقال المهديّ : أفٍ لهذه العتّانين ؛ أما كان فيهم شيخٌ يتقدّمهم غيرُ هذا الحدث ! ثمّ قال له المهديّ : كم سيّدك ؟ فقال : سِنِّي - أطال الله بقاء أمير المؤمنين - سِنُّ أسامة بن زيد بن حارثة لما ولّاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جيشا فيهم أبو بكر وعمر . فقال : تقدّم ، بَارَكَ اللهُ فيك ، وكانت سنّه سبع عشرة سنة .

قلت : هذا غيرُ صحيح ؛ لأنّ إياسا توفّي في دولة بني أميّة سنة إحدى وعشرين ومائة ، والمهديّ تولّى الخلافة ، وبُويع عليها بمكّة في المسجد الحرام عند وفاة المفصور في ذِي الْحِجَّة ، سنة ثمان وخمسين ومائة ؛ والذي يَصِحُّ في مثل هذا أن يحيى بن أكشم وَلِيَ القضاء في زمن المأمون ببغداد وله عشرون سنة ، ولما ولي قضاء البصرة استصغروه ، فقال أحدهم : كم سِنُّ القاضي ؟ فقال : أنا أكبرُ من عتاب بن أسيد الذي ولّاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على أهل مكّة ، وأكبرُ من مُعاذ الذي وجّه به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم

(١) هو الإمام محمد بن عبد الرحمن بن محمد المسعودي الفنجديّ المتوفى سنة ٥٨٤ هـ . وانظر كشف الظنون .

قاضيا على أهل اليَمَن ، وأكبرُ من سوار بن كعب الذي وجه به عمر قاضيا على اليَمَن !

* * *

٤٥ — وقوله : وزعمتُ أن يبعثَ أبى بكرٍ كانت فلتة .

يشير بذلك إلى ماورد في كلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه . روى الزُّهْرِيُّ عن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كفت أقرىُّ عبد الرحمن بن عوف في خلافة عمر بن الخطاب ، فلما كان في آخر حجة حجتها عمر ، أتانا عبد الرحمن بن عوف ذات ليلة ، ونحن بمنى ، فقال : لورأيت أمير المؤمنين ؛ وقد أتاه رجل وقال : إن رجلا يقولون : لو قدمات أمير المؤمنين بايعنا فلانا ، فقال عمر : إني قائم في الناس فحذرهم هؤلاء الرهط الذين يريدون أن يفضبوا الناس ببعثهم ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن الحجَّ يجمع رعاة الناس وغوغاءهم الذين يغلبون على مجلسك ، وإن قلت قولاً فهم القومُ مقالةً لم تحفظ ولم يهوها ، ولم يعضوها مواضعها ، فيطرون بذلك كل مطير ، فلو أمهلت حتى تقدم المدينة وتنفرد بالمهاجرين والأنصار ، فقلت ماقات متمكننا ، كان أجدر بأن يحفظوا مقالتك ، وأن يهوها ويعضوها مواضعها . فقال : أما والله إن شاء الله تعالى ، لئن قدمت المدينة لأقومن بها في أول مقام أقومهُ بالمدينة .

قال : فقد منّا المدينة في عقب ذى الحجة ، فلما جاءت الجمعة هجرتُ لأدى حدثني ابن عوف ، ولا أرى أن أحداً قد سبقني ، فوجدت سميد بن عمرو ابن نفيل قد سبقني بالتهجير ، جالسا إلى جنب المنبر ، فصليت ، ثم جلستُ إلى جنبه تحك ركبتي ركبته ، فقلت : أما والله ليقولن أمير المؤمنين على هذا المنبر مقالةً لم يقلها أحد قبله ! فضرب سميد ، وقال : أى مقالة عسى

أن يقولها أمير المؤمنين لم يقلها أحد قبّله ! فلما زالت الشمس خرج عمر رضي الله عنه ، وجلس على المنبر ، وأذن المؤذن في أذانه . فلما فرغ قام عمر فخطب الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

أما بعد ، أيّها الناس ، فإنّي قائلُ مقالةٍ قد قدّر لي أن أقولها ، ولملها تكونُ بين يدي أجلى ، فن حفظها أو عقلتها أو وعّاها ، فليحدّث بها حيث أتمت به راحلته ، ومن لا فإنّي لا أحلّ لأحد أن يكذب عليّ .

إنّ الله بعث محمداً وأنزل عليه الكتاب ، وكان فيما نزل عليه آية الرّجم ، فقرأناها ووعيناها ، قرّج رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجعنا بعده ، فأخشي أن يطول بالناس زمان ، فيقول قائل : لا نجد الرّجم في كتاب الله عزّ وجلّ ، فيضلّوا بترك فريضة أنزلها الله . ألا إنّ الرّجم حقّ على من زنى إذا أحصن ، وقامت البينة ، أو كان الخبل ، أو الاعتراف .

ألا وإنا كنّا نقرا : لا ترغبوا عن آبائكم ، فإنّه كفرٌ بكم ، أن ترغبوا عن آبائكم . ألا وإنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، فإنما أنا عبدٌ ، فقولوا : عبده ورسوله » وقد بلغني أن قاتلاً يقول : لو مات عمرُ بايعتُ فلانا ، فلا يفتنّنّ امرؤُ منكم أن يقول : كانت بيعة أبي بكرٍ فلتته ، وليس فيكم من تقطع الأعناقُ إليه مثل أبي بكر ، وأنه كان من خيرنا ؛ حين توفّي رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع المهاجرون إلى أبي بكر ، وتخلّف عليّ والزبير ومن معهم في بيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتخلّف الأنصار في سقيفة بني ساعدة مع سعد بن عبادة . فقلتُ : يا أبا بكر ، انطلق بنا إلى إخواننا الأنصار ، فانطلقت أنا وأبو بكر وأبو عبيدة بن الجراح تؤمّمهم ، ولقينا رجلاً صالحاً من شهد بدرا : عويمر بن ساعدة ومن بن عدى ، فقالا : أين

يريدون يا معشر المهاجرين ؟ قلنا : نريد إخواننا الأنصار . فقالوا : لا عليكم ألا تأتوهم ، وأبرموا أمركم بينكم . فقلت : والله لأأتينهم ، فأتيتهم في سقيفة بني ساعدة ؛ فإذا هم مجتمعون على رجل مزمل بالثياب ، فقلت : من هذا ؟ فقالوا : سعد بن عبادة ، فقلت : ماله ؟ قالوا : مريض . فجلسنا وقام خطيبهم ، فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد ، فنحن الأنصار ، وكتيبة الإيمان ، وأنتم معشر المهاجرين رهط منا ، وقد دقت إلينا دافة^(١) منكم .

قال عمر : وإذا هم يريدون أن يحتزلونا من أصلنا ، ويختصوا بالأمر دوننا . قال عمر : فلما سكت أردت أن أتكلم بمقالة قد كانت أعجبني بين يدي أبي بكر ، فقال أبو بكر : على رسلك ! وكنت أعرف منه الحد ، فكرهت أن أغضبه ، وهو كان خيرا مني وأرفق ، وأوقر وأحكم . ثم تكلم ، فوالله ما ترك كلمة أعجبني مما قد زورت في نفسي إلا وقد قالها ، وأفضل منها حتى سكت ، ثم قال :

أما بعد ، فما ذكرتم من خير فهو فيكم معشر الأنصار وأنتم أهله وأفضل منه ، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش ، فهم أوسط العرب نسبا ودارا ، وقد رضيت لكم هذين الرجاين ، فبايعوا أيهما شئتم .

وأخذ بيدي ويد أبي عبيدة بن الجراح ، فما كرهت شيئا مما قال غيرها ؛ وكان والله لأن أقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك إلى إثم ، أحب إلى من أن أنامر على قوم فيهم أبو بكر ، اللهم إلا أن تغفر نفسي عند الموت .

قال : ثم قدم الحباب بن المذزر (رجل من الأنصار) ، فقال : أنا جدُّ يلها

(١) الدافة : التوم يسرون جماعة . وانظر اللسان .

«مُحَكِّكٌ ، وَعُذِّقُهَا الْمَرْبِّبُ» ^(١) ، مَنَا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ يَامُشَرُ الْمُهَاجِرِينَ ،
وإِنْ شِئْتُمْ أَتَدْنَا الْحَرْبَ جَذْعَةً ^(٢) .

قال : وكثُرَ اللَّغَطُ ، وارتفعت الأصوات حتى خشيت الاختلاف . فقلتُ :
ابسط يدك يا أبا بكر ، فبسط يده ، فبايعته ، وبايعه أبو عبيدة ، وبايعه
المُهَاجِرُونَ وبايعه الأنصار ، ونزلما على سعد ، فقال قائل : فقتلتم سعدا . فقلتُ :
قتل الله سعدا . قال عمر : فوالله ما وجدنا فيمن حضرنا أوفى من مبايعة أبي
بكر ، وخشينا إن نحن فارقنا اليوم ولم تسكن بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعة ؛
فإما بايعناهم على ما لا نرضى ، وإما خالفناهم فيكون فساد .

رواه يونس بن يزيد بن الزهري مطوَّلاً ، وزاد فيه :

قال عمر : فلا يفترن أمرؤ أن يقول : إن بيعة أبي بكر كانت فلتة فتمت ،
فإنها قد كانت كذلك إلا أن الله وثق شرها ، فمن بايع رجلاً من غير مشورة
فإنه لا يبايع هو ولا الذي يبايعه تفرقة يقتل .

* * *

ومن أدلة القرآن على خلافة أبي بكر قوله تعالى : ﴿ أَفَأَمَّا مَاتَ أَوْ قَتَلَ
انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي
اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ . ظهر تأويل هذا حين انقلب أهل الردة على أعقابهم ،
فلم يضر ذلك دين الله ولا أمة نبيه صلى الله عليه وسلم . وكان أبو بكر يسمى
أمير الشاكرين لذلك ؛ وفي هذه الآية دليل على صحة خلافته ؛ لأنه هو
الذي قاتل المقلبين على أعقابهم ؛ حتى ردهم إلى الدين الذي خرجوا منه .
وكان في قوله تعالى : ﴿ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ دليل على أنهم سيظفرون

(١) جذيل : تصغير جذل ، وهو عود ينصب الابل الجربى تحتك به فتستقي . والمحكك
الذي كثرت الاحتكاك به حتى صار أملس . والمرجب المدعوم بالرجة ، وهي خشبة ذات شعبتين
والمراد أنه من أصحاب الرأي الشديد .

(٢) الجذعة : الشابة الفتية ، يريد : الحروب والغارات .

بمن ارتدّ ، وتكفل النعمة عليهم فيشكرون ، فتحرّضه إياهم على الشكر والشكر لا يكون إلاّ على نعمة - دليل على أن بلاء الرّدّة لا يطول ، وأن الظنّ بهم سريع كما كان .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ ﴾ ^(١) دليل على صحّة خلافتِهِ .
لأنّه هو الذي دَعَا الأعْرَابَ إلى جهادِ بنى حنيفة ، وكانوا أولى بأسٍ شديد ، ولم يقاتلوا الجزية ، وإِنَّمَا قَاتَلُوا لِيُسْلِمُوا ، وكان قتالهم بأمر أبي بكرٍ وفي سُلْطَانِهِ .

ثم قال تعالى : ﴿ فَإِنْ تَطَيَّرُوا بِؤْتِكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ ^(٢) ، أوجب عليهم الطاعة لأبي بكرٍ رضي الله عنه ، وكان ذلك في الآية كالنصّ على خلافتِهِ .
وفي زواج عليّ رضي الله بالحنفيّة أمّ ولده محمد بن الحنفية - وهي من سَبَابَا عسكر أبي بكرٍ رضي الله عنه من بنى حنيفة - دليل قويّ في الرّدّ على الرافضة ؛ فإنّ عليّاً لو لم يعمّد صحّة خلافتِهِ لم يتزوَّج من سَبِيهِ .

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ ^(٣) .
وقد بين في سورة الحشر من الصادقون ؟ فأمر الذين تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ أن يكونوا معهم تبعاً لهم ، فحصلت الخلافة في الصادقين بهذه الآية ، فاستحقوها بهذا الاسم ، ولكن ليس في الصادقين مَنْ سَمَاهُ اللَّهُ تعالى الصّديق إلاّ أبو بكر ، وكانت له خاصّة ، ثمّ للصادقين من بعده .

ولابن زنجويه رحمه الله تعالى مُصَنَّفٌ كبير في فضائل أبي بكرٍ ، جَوَّدَ فِيهِ ماشاء ، وما أَحَقَّ أبا بكرٍ الصديق بقولِ مَرْوَانَ بْنِ أَبِي الْجَنْدُبِ فِي التَّوَكُّلِ :

كَانَتْ خِلَافَةُ جَعْفَرٍ كَنَبْوَةِ جَاءَتْ بِهَا طَلَبٌ وَلَا يَتَبَخَّلُ

وَهَبَ إِلَهُ لَهُ الْخِلَافَةَ مَهْلًا وَهَبَ الرِّسَالَةَ لِلنَّبِيِّ الْمُرْسَلِ
 وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ مِرَاجٍ: كَانَ جَوَارِي جَارٍ يُتَمِّمُ بِالنَّشِيعِ ، وَمَا بَانَ ذَلِكَ
 عَلَيْهِ فِي حُلٍّ مِنَ الْأَحْوَالِ إِلَّا فِي هَجَاءِ امْرَأَتِهِ ، فَإِنَّهُ قَالَ وَقَدْ طَلَّقَهَا :
 مَا كُنْتُ مِنْ شَكْلِي وَلَا كُنْتُ مِنْ

شَكْلِكَ يَا طَالِقَةَ الْبَيْتِ
 غَلَطْتُ فِي أَمْرِكَ أَعْلُوطةً فَأَدْرَكْتَنِي بِيَمَّةٍ الْفَلَتَةِ
 وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ إِجَازَةً صَفَى الدِّينُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنُ سَرَايَا الْحَلِّيُّ ،
 مَا كُتِبَ بِهِ إِلَى صَاحِبِهِ أَبِي بَكْرٍ بْنُ الْقَاسِمِ السَّلَامِيِّ :
 فَلْتَةُ كَانَ مِنْكَ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ يَا أَبَا بَكْرٍ عَقْدَ بَيْعَةٍ وَدَى
 فَلِهَذَا إِذَا تَقَادَمَ عَهْدٌ بَيْنَنَا حَلَّتْ عَنْ وَقَائِي وَعَهْدِي
 وَمَا أَخْرَجَهُ أَبُو الْعَلَاءِ الْمَعَرِّيُّ مَخْرَجَ الْأَفَازِ ، قَوْلُهُ :
 شَهَدْتُ بَأَنَّ الْكَلْبَ لَيْسَ بِنَاجٍ
 يَقِينًا وَأَنَّ اللَّيْثَ فِي الْغَابِ مَا زَارُ^(١)

وَأَنَّ قَرِيشًا لَيْسَ فِيهِمْ خِلَافَةٌ
 وَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ شَكَا الْخَيْفَ مِنْ عُمرٍ
 وَتَفْسِيرُ هَذَا الْكَلَامِ : الْكَلْبُ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ خَلْفَ الْجُوزَاءِ يُسَمَّى
 كَلْبُ الْجُبَارِ ، وَالْكَلْبُ مِسْمَارٌ فِي قَائِمِ السَّيْفِ ، إِلَى جَانِبِهِ مِسْمَارٌ آخِرُ يُقَالُ
 لَهُ الْمَجُوزُ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

وَعَجُوزَ رَأَيْتُ فِي فِمْ كَلْبٍ جَعَلَ الْكَلْبُ الْأَمِيرَ جَمَالًا
 وَالْكَلْبُ أَيْضًا مِسْمَارٌ فِي الرَّحْلِ ، وَاللَّيْثُ : ضَرْبٌ مِنَ الْعَنَاقِبِ قَصِيرٌ

(١) هَذَا الشَّعْرُ مِمَّا لَمْ يَذْكَرْ فِي الدِّيَوَانِ ، وَذَكَرَهُ الْقَفْطِيُّ فِي إِنْبَاءِ الرِّوَاةِ : ١ : ٧٩ ،
 وَذَكَرَ بَعْدَهَا :

وَأَنَّ عَلِيًّا لَمْ يَصْلَ بِصَحْبِهِ وَمَا هُوَ وَاللَّهُ الْعَظِيمُ مِنَ الْبَشَرِ

الأزجل ، كبيراً لعيون ، يصيد الذباب وثباً ، وقريش : دابة من دواب
البحر ، جميع دواب البحر خاضعة لها ، وبها سميت القميلة ، قال الشاعر :
وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا
والبسكر : الفتي من الإبل ، وأبوه الحمل . وعمر جمع عُمرة ، وهي زيارة
البيت . ويقال : رجلٌ عمر إذا كان كثيرَ الاعتار ، ورجلٌ عمر إذا كان
طوبلَ العمر .

قال الباسخرزي صاحب الدُمية^(١) : كتبتُ إلى الشيخ أبي بكر
الإسفراييني :

أبو بكرِ الصديق في العهد مؤنسي
إذا غاربي خوفُ المعادين في الفارِ
عرَضْتُ عليه دينَ ودِّي فما نأى
ولم يثَلَثْ من جُعودٍ وإنكارِ
ولم تك مني بيعة الودِّ فلتة
فيزعمُ أن الأمر متفق طارِ
لذلك لم أمتعه من خالص الهوى عِقلاً وإخلاص الهوى رُعيً الجارى
وبائع يزوي قبلَ هذا مُدِهناً على أبا بكرٍ وراويه في النارِ
وقد صُدْتُ عن أمثال ذلك بيمتي
ففي النصيح إعلافي موافقٍ إسراري

قلت : فكتب هو إلى :

سماً على في سماء العلاء وغيره ملتصق بالزغام
أنا أبو بكرٍ سيوى أنني [معتقد أن علياً إماماً]^(٢)

(١) الدمية ١٦٩ . (٢) تسكوة من الدمية ، وهذا الشطر سقط من جميع الأصول .

وقال علاء الدين الكلبي :

خَضْرُكُ يَامَنْ حَوَى بِهَجَّتِهِ محاسناً ما اجتمعن في البذر
أضعف من حجة النواصب في أن إمام الهدى أبو بكر
وقال القاضي زين الدين بن الوردي ردّاً عليه :

خَضْرُكُ يَامَنْ حَوَى بِهَجَّتِهِ محاسناً ما اجتمعن في عبد
أضعف من حجة الروافض في دعـ
واهم أن منهم المهدي

* * *

٤٦ — وقوله : ورويت رمحي من كتيبة خالد .

يشير بذلك إلى قول أبي شجرة الشامي ، وهو بيت قاله في شعر له :

ورويت رمحي من كتيبة خالد وإني لأرجو بعدها أن أعمراً

وذلك أن العرب أما ارتدت بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
تقدم أبو بكر إلى خالد بن الوليد ، وجبّزه في جماعة من المهاجرين والأنصار
والعرب لقتال أهل الردة ، وتوجه خالد إلى بني حنيفة ، وقاسى في قتالهم
شدائد ، وقتل مسيلة الكذاب ، وقتل من المسلمين جماعة ، وباغت الأخبار
أبا بكر ، فكتب إلى خالد بن الوليد :

أما بعد ، فإن أظفرك الله ببني حنيفة فأقلل اللبث فيهم حتى تنحدر إلى
بني سليم ، فتطأهم بها رطاة بعرفون بها مامنهم ، فإنه ليس بطن من العرب
أنا أعيط عليه مني عايهم ؛ قدم قادمهم يذكر إسلاما ، ويريد أن أعينه ؛ فأعنته
بالظفر والسلاح ، ثم جعل يعتز الناس . فإن أظفرك الله فلا ألومك
فيهم أن تحرقهم بالنار ، وتهول فيهم بالقتل حتى يكونوا نكالا لهم .

قالوا : فجعل ابن الوليد يبعث الطلائع أمامه ، وسمعت بنو سليم
 بإقبال خالد ، فاجتمع منهم بشر كثير يعترضون له ، وهاهم بنو عَصِيَّةَ
 فاستقبلوا من بقي من العرب مرتدًا ، وكان الذي يجمعهم أبو شجرة بن عبد
 العزيز ، فاتمى خالد إلى جمعهم بالجوامع مع الضبج ، فصاح خالد في أصحابه ،
 وأمرهم بلبس السلاح ، ثم صفهم ، وصفت بنو سليم . وقد كل المسلمون
 وعجف كراعهم وخفهم ، وجعل خالد يلي القتال بنفسه حتى أثنى فيهم
 القتل . ثم إنه حمل عليهم حملة واحدة فهربوا ، وأسر منهم كثيرا ، فجعل
 يضرب أحدهم على عاتقه فيجزله ، ويضرب الآخر في وسطه .
 وفي حديث سُفْيَانَ بْنِ أَبِي العُجَّاء : أنه حطَّر لهم حظائر ، فأحرقهم
 بالنار ، وأصاب أبو شجرة السلمي يومئذ في المسلمين ، وجرح جراحات كثيرة ،
 وفي ذلك يقول شمره الذي من جملة :
 * وَرَوَيْتُ رُنْحِي مِنْ كَتِيبَةِ خَالِدٍ *

وأما آدم خالد بن الوليد على أبي بكر رضي الله عنه ، كان أول ما سأل
 عنه خبر بني سليم ، فأخبره خالد بما اتفق ، فحمد الله وأثنى عليه . ثم إن
 أبا شجرة بعد ذلك أسلم ، ودخل فيما دخل فيه الناس ، وجعل يعقذر ويحصد
 أن يكون هو الذي قال الشمر المذكور .

وكان أبو شجرة السلمي من فتاك العرب ، أتى إلى عمر بن الخطاب بعد
 الردة يستحمله ، فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا أبو شجرة السلمي ، فقال له عمر :
 أي عدو نفسه ، ألسن القاتل حين ارتدت :

وَرَوَيْتُ رُنْحِي مِنْ كَتِيبَةِ خَالِدٍ وَإِنِّي لَأَرْجُو بَعْدَهَا أَنْ أُعْمَرَ^(١)
 وَعَارَضْتُهَا شَهَاءً تَخْطُرُ بِالْقَفَا تَرَى الْبَيْضَ فِي حَافَاتِهَا وَالسَّنُورَ^(٢)

(١) من مقطوعة له في تاريخ الطبري ٣ : ٢٦٦ ، والبيتان في كامل المبرد ١ : ٣٨٨ .

(٢) شهاء ، من الشبهة ، وهو بياض في خلاله سواد ، وتخطر من الخطران ، وهو
 الاهتزاز ، والسنور : كل سلاح فيه حديد .

ثم انحنى عليه عمر بالدرة ، فسعى إلى ناقتة فحلَّ عقالها ، وأقبلها حرةً
بنى سليم ، بحث السير هرباً من الدرة ، وهو يقول :

قد ضنَّ عَنَّا أبو خنصٍ بفائله وكلَّ مخبطٍ يوماً له ورقٌ^(١)
مازاله يضرُّ بني حتى خذبت له وحال من دون بعض الرغبة الشنق^(٢)
ثم التفت إليها وهي جاثية^(٣) مثل الطريدة لم ينبت لها ورق^(٤)
أوردتها الخلل من شوران صادرة^(٥) إني لأزرى عليها وهي تنطقي
يطير مرواً خطاها عن مناسمها كما تنفقد عند الجهد الورق
إذا يمارضها خرق تعارضه ورهأ فيها إذا استعجلتها خرق
ينوء آخرها منها بأولها مريح اليدين بها نهضة العنق^(٦)

* * *

٤٧ - وقوله : ومزقت الأديم الذي باركت يد الله عليه .

يشير بذلك إلى قتل عمر بن الخطاب ، قال عبد الله بن الزبير ، عن أبيه :
غدوت مع عمر بن الخطاب إلى السوق وهو متكئ على يدي ، فلقني
أبو لؤلؤة ، غلام المغيرة بن شعبة ، فقال : ألا تكلم مولاي أن يضع عني
من خراجي ؟ قال له : كم خراجك ؟ قال : دينار ، قال : ما أرى أن أفعل ،
إنك لعامل محسن ، وما هذا بكثير . ثم قال له عمر : ألا تعمل لي رحي ؟
قال : بلى . فلما وثق قال أبو لؤلؤة : لأعمن لك رحي يتحدث بها ما بين
المشرق والمغرب . قال : فوقع في نفسي قوله ، فلما كان وقت النداء للصلاة
الصبح ، خرج عمر إلى الناس يؤذنه للصلاة .

قال ابن الزبير : وأنا في مصلاي ، وقد اضطجع عدو الله أبو لؤلؤة ،

(١) الأبيات في تاريخ الطبري ٣ : ٢٦٧ والمخط : ضرب ورق الشجر حتى ينجى عنه .

(٢) الشفق : الحواف وهو الإشتاق .

(٣) الطبرى : ثم ارعوت إليها وهي جاثية .

(٤) الطريدة : أصل العنق . (٥) حرة شوران ، من حرار الحجارة

(٦) وفي البيت إقواء .

فضر به بالسكّين ستّ طعّمات ، إحداهنّ من تحت سرّنه وهى التى قتلتّه ، فصاح عمر : أينَ عبدُ الرحمن بن عوف ؟ فقالوا : ها هوذا ، فأمره أن يُصلّى بالناس ، واحتَمَلوا عمر ، فدخلوا به منزله ، فقال لابنه عبد الله : اخرج فانظر من قتلتى ، فخرج فقال : من قتل أمير المؤمنين ؟ فقالوا : أبو لؤلؤة غلامُ المميرة بن شُعبة . فرجع فأخبرُ عمر ، فقال : الحمد لله الذى لم يحمل قتلى بيدي رجلٍ يحاجّنى بـ « لا إله إلا الله » .

وقال غيره : جاءه بسكّين له طرّفان ، وطعن معه اثني عشر رجلاً . فقال عمر : دونكم السكّب ، فإنه قد قتلتنى . وماجّ الناسُ بعضهم فى بعض ، فرمى عليه رجل من أهل العراق برنسا ، ثم برك عليه ، فلما رأى أنه لا يستطيع أن يتحرك وجأ نفسه فقتلها .

وكان أبو لؤلؤة مجوسياً ، وقيل : نصرانياً أزرق ، واسمه قيروز .

وقال ابن عبد البر عن عمر إنّه قال حين احتضر ، ورأسه فى حجر عبد الله ابنه :

ظَلَمْتُ لِنَفْسِي غَيْرَ أَنِّي مُسْلِمٌ أَصَلَّيْ صَلَاتِي كُلَّهَا وَأَصُومُ
وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : نَاحَتْ الْحَنَّ عَلَى عَمَرَ قَبْلَ أَنْ يُقْتَلَ
بِثَلَاثٍ ، فَقَالَتْ :

أَبْعَدُ قَتِيلٍ بِالْمَدِينَةِ أَظْلَمْتُ	لَهُ الْأَرْضُ تَهْتَزُّ الْعِضَاهُ بِأَسْوَفِي !
جَزَى اللَّهُ خَيْرًا مِنْ إِمَامٍ وَبَارَكْتَ	يَدُ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْأَدِيمِ الْمُرَقِي
فَمَنْ يَسْعَ أَوْ يَرْكَبَ جَذَا حَيٍّ نِعَامَةٍ	لِيُدْرِكَ مَا قَدَّمْتَ بِالْأَمْسِ يُسَبِّحِي
قَضَيْتَ أُمُورًا ثُمَّ غَادَرْتَ بَعْدَهَا	بَوَاقٍ فِي أَكْلامِهَا لَمْ تُفَقِّحِي
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ وَفَاتَهُ	بِكَفِّ سَبَبَتِي أَزْرَقَ الْعَيْنِ مُطْرَقِي (١)

(١) السببى : النمر الجريء . والمطرق : الحق . والبيت فى اللسان منسوب إلى الشماخ .
وانظر الاستيعاب ١١٥٧ .

وما أحسن ما نقلت من خط علاء الدين الكندي الوداعي ، على
لسان صديق يسمى عمر يهوى مليحاً في أذنه لؤلؤة :

قد قلتُ أما مرَّ بي مُقرطٌ يحكي القمرَ
هذا أبو لؤلؤةٍ منه خذوا ثأر عمرَ

وقالت عائكة ابنة زيد بن عمرو بن نفيل ؛ امرأة عمر بن الخطاب
ترثيه :

وأبجمني فيروز لادرّ دره بأبيض تالٍ للكتاب منيب
رءوف على الأدنى غليظ على المــــدا

أخي ثقة في النائبات مجيب
متى ما يقل «لا» يكذب القول فعله سريع إلى الخيرات غير قطوب

* * *

٤٨ - وقوله : وضحيّت بالأشمط الذي عنوان السجود به .

يشير بذلك إلى قتلة عثمان بن عفان ، وسبب ذلك أنه قد كان وفد عليه
قوم من مصر ، فيهم محمد بن حذيفة بن عتبة بن ربيعة في جُند ، وكفانة بن
بشر التميمي في جُند ، وابن عدس البلوي في جُند ، ومن أهل البصرة حكيم
ابن جبلة المبدئي ، وسدوس بن عيسى السني ، ونفر من الكوفة ، منهم
الأشتر بن الحارث النخعي ، فاستمعَبُوهُ فأعتبهم وأرضاهم ، ثم إنهم وجدوا
بعد أن انصرفوا إلى مكة كتاباً من عثمان ، عليه خاتمه إلى أمير مصر : إذا
أتاك القوم فأضرب أعناقهم .

فعادوا به إلى عثمان رضي الله عنه ، خلف لهم أنه لم يأمرؤ به ولم يعلم ؛ قالوا :
إن هذا عليك شديد ، يؤخذ خاتمك من غير علمك ! فإن كنت غلبت على
أمرك فاعتزل .

فَأَبَى أَنْ يَقْتُلَ وَأَبَى أَنْ يُقَاتِلَهُمْ ، وَنَهَى عَنْ ذَلِكَ ، وَأَغْلَقَ بَابَهُ ،
فَحُوصِرَ أَكْثَرُ مِنْ عَشْرِينَ يَوْمًا وَهُوَ فِي الدَّارِ ، فِي سِتْمَاةٍ رَجُلٍ ، وَقَالَ لِمَبِيدِهِ :
مَنْ أَغْمَدَ سَيْفَهُ فَهُوَ حُرٌّ . ثُمَّ لَانْتَهَمَ دَخْلُوا عَلَيْهِ مِنْ دَارِ بْنِ حَزْمِ الْأَنْصَارِيِّ ،
فَضْرَبَهُ نِيَارُ بْنُ عِيَاضِ الْأَنْصَارِيِّ بِمِشْقَصٍ فِي وَجْهِهِ ، فَسَالَ الدَّمُ عَلَى مَصْحَفٍ
فِي حِجْرِهِ ، ثُمَّ أَخَذَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بِحِمِيَّتِهِ ، فَقَالَ : دَعِ لِي لَحِيْقِي ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ
كَانَ أَبُوكَ يَكْرَهُهَا ! فَاسْتَحْيَا وَخَرَجَ . ثُمَّ دَخَلَ رُومَانُ بْنُ سِرْحَانَ ، أَرْزَقَ
قَصِيرَ مَمَةٍ خِنْجَرَ ، فَاسْتَقْبَلَهُ بِهِ ، وَقَالَ : عَلَى أَيِّ دِينٍ يَا تَمَثَلُ ؟ فَقَالَ لَهُ :
لَسْتُ بِتَمَثَلٍ ، وَلَكِنِّي عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، وَأَنَا عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا
مُسْلِمًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ .

قال : كَذَبْتَ ، وَضْرَبَهُ فِي صُدْغِهِ الْأَيْسَرِ فَقَتَلَهُ ، وَأَدْخَلَتْهُ امْرَأَتُهُ نَائِلَةً
بَيْنَهَا وَبَيْنَ شِيَابِهَا .

وَدَخَلَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ مَعَهُ السَّيْفُ مَصْلَةً ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أَقْطَعَنَّ
أَنْفَهُ ، فَمَالَجَ الْمَرْأَةَ ، فَكَشَفَ عَنْ ذِرَاعَيْهَا ، وَقَبِضَتْ عَلَى السَّيْفِ ، فَقَطَعَ لَهَا مَامَهَا ،
فَقَالَتْ لِفَلَّامٍ لِعُثْمَانَ مَعَهُ سَيْفٌ ، يَقَالُ لَهُ رِبَاحٌ : أَعْنِي عَلَى هَذَا ، فَضْرَبَهُ
بِالسَّيْفِ فَقَتَلَهُ . وَأَقَامَ عُثْمَانُ يَوْمَهُ ذَلِكَ مَطْرُوحًا إِلَى اللَّيْلِ .

وقيل : إِنْ الَّذِي قَتَلَهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بِمِشْقَصٍ : وَقِيلَ : بَلْ قَتَلَهُ سُودَانُ
ابْنِ حِرَانَ . قِيلَ : بَلْ رُومَانُ الْيَمَانِيُّ ، وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ .

وقال ابن عبد البر^(١) : وَأَكْثَرُهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ قَطْرَةَ مِنْ دَمِهِ وَقَعَتْ عَلَى
الْمَصْحَفِ ، عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ﴾^(٢) . انْتَهَى .

وقيل : أَخَذَ ابْنُ أَبِي بَكْرٍ بِحِمِيَّتِهِ يُرْزَاهَا وَيَقُولُ : مَا أَغْنَى عَنْكَ مَعَاوِيَةُ !
مَا أَغْنَى عَنْكَ ابْنُ أَبِي مَرْحٍ ! مَا أَغْنَى عَنْكَ ابْنُ عَامِرٍ !

وقال كنانة مولى صفية بنت يحيى : شهدتُ مقتلَ عثمان ، فأخرج من الدارِ أربعة من شبابِ قُرَيْش ، مضرَّجين بالدِّماء ، كانوا يذبُّون عن عثمان : الحسن بن عليّ وعبد الله بن الزُّبير ومحمد بن حاطب ومروان ابن الحُكم .

وقال أبو هريرة : إنِّي لمُحْصِرٌ مع عثمان في الدار ، فرُمِيَ رجلٌ مِنَّا ، فقلت : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، الآن طابَ الضراب ، قَتَلُوا مِنَّا رجلاً ، قال : عَزَمْتُ عَلَيْكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ إِلَّا رَمَيْتُ سَيْفَكَ ، فَرَمَيْتُهُ وَلَا أَدْرِي أَيْنَ هُوَ حَتَّى السَّاعَةِ ! وكان معه في الدارِ مَنْ يُدافع عنه : عبد الله بنُ عمر وعبد الله بنُ سلام وعبدُ الله بنُ الزُّبير والحسنُ بنُ عليّ وأبو هُرَيْرَةَ ومحمد بن حاطب وزيدُ بن ثابتٍ ومروان بن الحُكم ، في طائفة .

وعن مالك ، أن عثمان لما قُتِلَ ، أُنْفِيَ على المِزْبَلَةِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

من ستره الموتِ صِرْفًا لا مزاج به فليأت مأذبةً في دارِ عثماناً ^(١)
ومنها :

ضحوا بأشْمَطَ عنوان السجود يقطع الليل تسبيحاً وقرآناً ^(٢)
لنسمنَ وشيكا في ديارهمُ الله أكبرُ يائِراتِ عثماناً
وفيه يقول أيضاً :

إن تَمَسَّ دارِ بني عثمان موحشةٌ ^(٣)
بابٌ صريعٌ وبابٌ موحشٌ خربٌ ^(٤)

(١) ديوانه ٤٠٩ ، وفيه : « ما سدن » . (٢) الأشمط : أبيض الشعر .

(٣) الديوان : « دار ابن أروى » . (٤) ديوانه ٢٢ ، وفيه : « وباب مخرق » .

فقد يصادف باغى الخير حاجته فيها ويأوى إليها الجود والحسب
 وقيل : إنه كتب وهو محصور إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه :
 أما بعد ، فقد بلغ السيل الزبى ، وجاوز الحزام الطيبين ^(١) ، وطمع في من
 لا يدفع عن نفسه ، ولم يعجزك كثير ، ولم يبلغك كعب ، فأقبل إلى علي أي
 أمر بك أحبت :

فإن كنت ما كولا فكن خيرا كل وإلا فأدركني ولما أمر ^(٢)
 ومثل هذا البيت قول الآخر :

فإن كنت مقتولا فكن أنت قاتلي فبعض منايا القوم أكرم من بعض
 وقال ابن عمر : أذنب عثمان ذنبا عظيما يوم التقي الجمعان بأحد ، فعفا
 الله عنه ، وأذنب فيكم ذنبا صغيرا ، فقتلتموه .

وقال الحسن : سمعت عثمان يقول : يا أيها الناس ، ما تنقمون علي ، وما من
 يوم إلا وأنتم تنقمون فيه خيرا .

قال الحسن : شهدت مناديه ينادى : يا أيها الناس ، اغدوا على
 أعطياتكم فيفقدون ، فيأخذونها وافية . يا أيها الناس ، اغدوا على أرزاقكم
 فيأخذونها وافية ، اغدوا على أكسيتكم فيفقدون ، فيأخذون الحلل . اغدوا على
 السمن والعسل . أرزاق داره ، وخير كثير .

ومن البين أن ما على وجه الأرض مؤمن يخاف مؤمنا إلا يوده ويفصره
 ويألفه ، فلو صبر الأنصار على الأمر لو سمعهم ما كانوا فيه من العطاء والرزق ،
 ولكنهم لم يصبروا ، فسلوا السيف فصار عن الكفار مفهودا ، وعلى المسلمين
 مسلولا إلى يوم القيامة ^(٣) .

(١) الأطباء للخيال : موضع الأخلاف في الناقة .

(٢) البيت للمزق العبدى ، واسمه شأس بن نهار ، وانظر المؤلفات المختلفة لأحمد ١٨٠ .

وكامل المبرد ١ : ١٧ . (٣) الاستيعاب ٤١ : ١ .

قلت : يراد بهذا الكلام في الإسلام ، وإلا فقد تزوج بمقبوب عليه السلام
بنتي خاله لابان بن بهراز وراحميل هي أم يوسف وأخيه بنيامين .

وعثمان هو ذو النورين ، وزوج الأبتتين ، وصاحب الهجرتين .

ولما دُفن دُفن بشيابه في دِمَائِهِ لم يُعْسَل ، ودُفن بالبقيع . وقيل :
صلى عليه مروان ، ونائلة وأُمّ البنين زوجته ؛ وهما اللتان دَلَّمَا في حُفْرَتِهِ
على الرجال الذين نَزَلُوا في قَبْرِهِ ، ولَحَدُوا لَهُ ، وَغَيَّبُوا قَبْرَهُ .

وكانت قِتْلَتُهُ بالمدينة يومَ الْجُمُعَةِ لثمانِ عشرةٍ - أو سبعِ عشرةٍ - خلت
من ذى الحِجَّةِ ، سنة خمسٍ وثلاثين للهجرة ، وكانت ولايته اثنتي عشرة سنة
إلا اثنتي عشرة ليلة .

وفي ذلك يقول أيمن بن خريم بن فاتك الأسدي :

تَعَاقَدَ الدَّاجِمُو عُمَانَ ضَاحِيَةً فَأَيَّ ذَبَحَ حَرَامَ وَيْلَهُمْ ذَبَحُوا ! (١)
ضَحَّوْا بِعُمَانَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَلَمْ يَخْشَوْا عَلَى مَطْمَحِ الْكَفِّ الَّذِي طَمَحُوا
فَأَيَّ سَنَةٍ كَفَرُ (٢) سَنَ أَوَّلُهُمْ وَبَابُ كُفْرٍ عَلَى سُلْطَانِهِمْ فَتَحُوا !
مَاذَا أَرَادُوا أَهْلَ اللَّهِ سَقَمَهُمْ بِسَقِّكَ ذَاكَ الدَّمِ الزَّاكِي الَّذِي سَقَحُوا
إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَتَلَهُ سَقَمًا لَقُوا أَنَامًا وَخُسْرَانًا وَمَا رَبَّحُوا

وقال بعضهم :

كَعَمْرُ أَبِيكَ فَلَا تَكْذِبَنَّ لَقَدْ ذَهَبَ الْخَيْرُ إِلَّا قَلِيلًا (٣)
لَقَدْ سَفِهَ النَّاسُ فِي دِينِهِمْ وَخَلَّى ابْنُ عَقَّانٍ شَرًّا طَوِيلًا
وَدَخَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ وَحَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ وَالنَّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ عَلَى أَمِيرٍ

(١) الاستيعاب ١٠٥١ وروايته : « ضحوا بعثمان في الشهر الحرام ضحى » .

(٢) الاستيعاب : « سنة شر » .

(٣) الاستيعاب ١٠٥٢ ونسبهما إلى بعض بني نهشل .

للمؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال كعب بن مالك : أخبرنا عن
عثمان : أقتل ظالما فنقول بقولك ، أم قُتِلَ مظلوما فنقول بقوانا ، أو نَكَلُّكَ
إلى الشبهة ؟ فالمعجب من يقيِّدنا وشكِّك ، وقد زعمت العرب أن عندك
علم ما اختلفنا فيه ، فهاتِه نعرفه ، ثم قال :

فَكَفَّ يَدَيْهِ ثُمَّ أَغْلَقَ بَابَهُ وَأَيَقَنَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِضَافِلٍ ^(١)
وَقَالَ لِمَنْ فِي دَارِهِ لَا تُقَاتِلُوا عَمَّا اللَّهُ عَنْ كُلِّ امْرِئٍ لَمْ يُقَاتِلِ
فَكَيْفَ رَأَيْتَ اللَّهَ صَبَّ عَلَيْهِمُ السَّدَاوَةَ وَالْبِفَضَاءَ بَعْدَ التَّوَاصِلِ
وَكَيْفَ رَأَيْتَ الْخَيْرَ أُدْبِرَ عَنْهُمْ وَوَلَّى كِدَابَارَ السَّحَابِ الْجَوَافِلِ ^(٢)

فقال لهم علي رضي الله عنه : لكم عندي ثلاثة أشياء : استأثر عثمان فأساء
الأثرة ، وجزعتم فأساءتم الجزع ، وعند الله ما تختلفون فيه إلى يوم القيامة .
فقالوا : لا ترضى بهذا العرب ، ولا تهذرننا به . فقال علي رضي الله عنه : أترد
على بين ظهري المسلمين بلا نية صادقة ، ولا حجة واضحة ! اخرجوا عني فلا
تجاوروني في بلدنا فيه .

فخرجوا في يومهم حتى أتوا معاوية ، فقال : لكم الكفاية والولاية .
وأعطى حسان ألف دينار وكعب بن مالك ألف دينار ، وولى الزمان بن بشير
خص ، ثم نقله إلى الكوفة بعد .

قال إسحاق بن عيسى : أعيد عليا بالله أن يكون قتل عثمان ، وأعيد عثمان
بالله أن يكون عليا قاتله .

قلت : ذهب إلى معنى الحديث في قوله صلى الله عليه وسلم : « أشدُّ أهل النار
عذابا من قتل نبيا ، أو قتل نبي » .

(١) الاستيغاب ١٠٥٠ ، وقال : « وتنسب لحسان أو للوايد بن عتبة » .

(٢) الاستيغاب : « كدبار السحاب الجوافل » .

قال ياقوت في مُعْجَم البلدان : وَجِدَ عَلَى خَشْبَةٍ مِنْ خَشَبِ غُمدان لما هدمه
عُمان مَكْتُوبٌ برصاص مصبوب في خشبة : « اسلم عُمدان ، هادِمْكَ مقتول »
فهدمه عُمانُ فُقُتِلَ (١) .

وَحُكِيَ أَنَّهُ أَتَى بِهِ لِعَمْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوان بِسُكْران ، فقال له : ما شربت ؟ فقال :
مَعْمَقَةٌ كانت قَرِيشٌ تَهَافُهَا فلما اسْتَحَلَّت قَتَلَ عُمانَ حَلَّتِ
فقال : مع من شربت ؟ فقال :
شربتُ مع الشُّعْرا بِكَاسِ رَوْبَةٍ وأُخْرى مع الْجُوزاء لما اسْتَقَلَّتِ
وقال له : فإِمْ عَرَبَذْتَ ؟ فقال :
سَقَوْنِي وقالوا : لا تُفَنِّ وَلَوْ سَقَوْا جِبَالَ حُنَيْنٍ ماسِقَوْنِي أَفَنَنْتِ
وقال ابن عَبدون في رائيته :

وَحَضَبْتُ شَيْبَ عُمانَ دَمًا
وَحَطَّطْتُ إِلَى الزَّيْبِ وَلَمْ تَسْتَحْيِ مِنْ عُمرِ (٢)

* * *

٤٩ - وقوله : وبذلتُ لِقِطام :

ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَعَبْدًا وَقِينَةً وَضَرَبَ عَلِيٌّ بِالْحُسَامِ الْمُسَمِّمِ

يشير بذلك إلى قَتْلَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وذلك أَنَّ عَلِيًّا لما
قاتل الخوارج بالتهَرَّانِ ، واستأصل جمهورهم ، ولم يَنْجُ مِنْهُمْ إِلَّا الْيَسِيرُ ،

(١) معجم البلدان ٦ : ٢٠٣ .

(٢) البسامة ٣٠٠ .

انقلب له من بقاياهم عهد الرحمن بن ملجم ، وتعاهد الخوارج على قتل علي بن أبي طالب ومعاوية وعمر بن العاص رضى الله عنهم ، وخرج منهم ثلاثة نفر لذلك ، ودخل ابن ملجم الكوفة فاشترى لذلك ^(١) سيفاً ، وسقاء السم - فيما زعموا - حتى لفظه ، فقبل ذلك لعلي رضى الله عنه ، فأحضره ، فقال له : لم تسقى سيفك السم ؟ قال : لعدوى وعدوى . فحلى عنه ، وكان في خلال ذلك يأتي علياً فيسأله ويستحمله ، إلى أن وقعت عينه على قطام - وكانت جميلة رائعة - فأعجبته ، فخطبها ، فقالت : لقد آليتُ ألا أتزوج إلا على مهر لا أريد سواه ، فقال : ما هو ؟ فقالت : ثلاثة آلاف وعبد وجارية ، وقتل علي ابن أبي طالب ، فقال : والله ما أتيتُ إلا للفتك به ، ولا أفدنى هذا المهر غير ذلك ؛ ولكن لما رأيتك آثرت تزويجك ، فقالت : ليس إلا الذي قلت لك ، فقال : وما بُقيتي منك ! إن أنا قتلت علياً أعلم أني لم أفت ، فقالت : إن قتلتَه ونجوت ، فهو الذي أردت من تبليغ شفاء نفسي ، وتهنئة لك العيش مني ، وإن قُتلت فما عهد الله خير من الدنيا وما فيها ، فقال لها : لك ما شرطت ، ثم قال :

ثلاثة آلاف وعبد وقينة وضرب علي بالهسام المستم ^(٢)
فلا مهر أعلى من علي وإن غلا ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم

فقالت : أرى من يشد ظهرك ، فبعثت إلى ابن عم لها يدعى وردان ابن مجالد ، فأجابها . ولقي ابن ملجم شبيب بن شجرة الأشجعي ، فقال له : يا شبيب ، هل لك في شرف الدنيا والآخرة ؟ فقال : وما هو ؟ قال : تساعدني على قتل علي بن أبي طالب ، فقال : شكلك أمك ! لقد جئت شيئاً إدا !

(١) ساقطة من ط

(٢) الاستيعاب ١١٣١ ، وفيه : « المصم » ، وقبله هناك :

قَلَمَ أَرَّ مَهْرًا سَاقَةً ذُو سَمَاحَةٍ كَمَهْرٍ قَطَامٍ فِي فَصِيحٍ وَأَعْجَمَ

كيف تقدر على ذلك ؟ قال : إنه رجل لأحرس له ، ويخرج إلى المسجد منفردا فتمكّن منه ، وقد كمنّا له في المسجد فنفقته ، فإن نجونا نجونا ، وإن قتلنا فقد سعدنا بالذكر في الدنيا وبالجنة في الآخرة ؛ فقال : ويلك ! إنّ عليا ذو سابقة في الإسلام مع النبيّ صلى الله عليه وسلم ؛ والله ما تنشرح نفسي لقتله ، فقال : ويلك ! إنه حكم الرجال في دين الله ، وقُتل إخواننا الصالحين ، فنقتله ببعض من قتل : فلا تشكّن في دينك . فأجابه ، وأقبل حتى دخلا على قطّام ، وهي معتكفة في المسجد الأعظم ، في قبة ضربتها نفسها ، فدعت لها ، وأخذتا سيفهما ، وجلسا قبالة السّدة التي يخرج منها على رضى الله عنه . فخرج إلى صلاة الصبح ، فبدره شبيب فضربه فأخطأه ، وضربه ابن مُلجَم على رأسه وقال : الحكم لله يا عليّ ، لا لك ولأصحابك ! فقال عليّ : فزت ورب الكعبة^(١) لا يفوتنكم الكلب .

فشدّ الناس عليه من كل جانب فأخذوه ، وهرب شبيب خارجا من باب كعدة ، فقال عليّ رضى الله عنه : فإن متّ فاقتلوه ولا تملّوا به ، وإن لم أمت فالأمر لي في العفو أو القصاص .

واختلف أهل العلم بالأخبار : هل قُتل في الصلاة ، أو قبل الدخول فيها ؟ وهل استخلف من أتمّ بهم الصلاة ، أو هو أتمّها ؟ والأكثر على أنّه استخلف جمعة بن هبيرة ، فصلى بهم تلك الصلاة .

وعن عثمان بن صُهَيْب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعليّ : « من

(١) بملها في ط : « قوله رضى الله عنه : « فزت » يحتمل أن يكون من قولهم : فاز الرجل ، إذا مات ، ويحتمل : من قولهم : فزت بالشهادة ، وأصل المفازة الهلاك ، وسميت المفازة بذلك على التنازل ، كما يقال للدين : سليم .

أَشَقَى الْأَوَّابِينَ ؟ » قال : الذي عَقَرَ الدَّاقَةَ ، قال : « فَمَنْ أَشَقَى الْآخِرِينَ ؟ »
 قال : لا أدري قال : « الذي يَضْرِبُكَ عَلَى هَذَا ^(١) » - يعني نافوخه -
 « فَيَخْضِبُ هَذِهِ » ، يعني لِحْيَتَهُ .

وكان على رضى الله عنه إذا رأى ابن ملجم قال :

أُرِيدُ حَيَاتَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي عَذِيرَكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادٍ ^(٢)

وكان على رضى الله عنه كثيرا ما يقول : مَا يَمْنَعُ أَشَقَاها أَنْ يَخْضِبَ هَذِهِ
 مِنْ هَذَا - ويشير إلى لِحْيَتِهِ وَرَأْسِهِ - خَضَابَ دِيمٍ لَا خَضَابَ عِطْرِ وَعَنْبَرٍ .
 وعن سُكَيْنَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَاهُ يَقُولُ : جَاءَ ابْنُ مُلْجَمٍ يَسْتَحْمِلُ
 عَلَيَّاهُ ، فَحَمَلَهُ ثُمَّ قَالَ :

أُرِيدُ حَيَاتَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي عَذِيرَى مِنْ خَلِيلَى مِنْ مُرَادٍ

أَمَا إِنْ هَذَا قَاتِلِي ؟ قِيلَ : فَمَا يَمْنَعُكَ مِنْهُ ؟ قَالَ : إِنَّهُ لَمْ يَقْتُلْنِي بَعْدَ .

وقال بكر بن حماد يَرْنِي عَلِيًّا بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

وَهَزَّ عَلَىَّ بِالْعِرَاقِينَ لِحْيَةً مُصِيبَتُهَا جَلَّتْ عَلَى كُلِّ مَسْلَمٍ ^(٣)
 وَقَالَ سَيَأْتِيهَا مِنَ اللَّهِ حَادِثٌ يُخَضِّبُهَا أَشَقَى الْبَرِيَّةِ بِالدَّمِ -
 فَبَاكَرَهُ بِالسَّيْفِ شَلَّتْ يَمِينُهُ لَشَوْمَ قِطَافٍ عِنْدَ ذَلِكَ ابْنُ مُلْجَمٍ
 فَيَا ضَرْبَةً مِنْ خَاسِرٍ خَلَّ سَعْيُهُ تَبَوَّأَ مِنْهَا مَقْعَدًا فِي جَهَنَّمَ -

وَأَجْتَمَعَ الْأَطْبَاءُ لَعَلَّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَكَانَ أَبْصَرَ مِنْهُمُ بِالْأَطْبَاءِ أَثِيرُ بْنُ
 عَمْرٍو السَّكُونِيُّ ، وَكَانَ صَاحِبَ كَسْرَى يَتَطَبَّبُ لَهُ - وَهُوَ الَّذِي تُنْسَبُ إِلَيْهِ

(١) د: « يضرب على هذا » . (٢) لعمر بن ميمون بكرب ؛ وانظر اللآلئ ١٣٨

(٣) الاستيعاب ١١٣١ .

صحراء أنير^(١)، فأخذ أنير رئة شاة حارّة ، فتدبّع عرقاً منها فاستخرج به ، فأدخله في جراحته على ، ثم نفخ العرق فأستخرج به ، فإذا عليه بياض الدماغ ، وإذا الضربة قد وصلت إلى أم رأسه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أعهد عهدك فإنك ميت .

ولما مات على رضي الله عنه ، أحضر ابن ملجم ، وجاء الناس بالنفط والبورى ، وقطعت يده ورجلاه ، وكُحلت عيناه ، ثم قطع لسانه ، ثم أحرق في قوصرة .

وقيل إنه قُطعت يده ورجلاه ولم يقاوه ، بل أخذ يتلو القرآن ، فلما أرادوا قطع لسانه ، أمتنع عن إخراجِه ، فتدبّعوا في ذلك ، فقيل له : قُطعت يداك ورجلاك ولانألمت وما امتنعت ؛ فما هذا الامتناع عند قطع لسانك ! قال : لئلا يفوتني من قراءة القرآن شيء وأنا حي . فشقوا شدة ، وأخرجوا لسانه بكلاّب وقطعوه .

وكانت قتله على رضي الله عنه ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة ، عند صلاة الصبح .

وقد اختلف في تاريخ قتله وسنّه ، فقيل : لثلاث عشرة ليلة الجمعة . وقيل : ثمان عشرة . وقيل : أوّل ليلة من العشر الأواخر . وقيل : وعمره سبع وخمسون سنة . وقيل : ثمان وخمسون سنة . وقيل : ثلاث وستون ، وقيل : خمس وستون . وقيل : أربع وستون وتسعة أشهر وستة أيام - وقيل : أربعة عشر يوماً .

واختلف في مكان قبره ، قيل : في قصر الإمارة بالكوفة ، وقيل : في رحبة الكوفة ، وقيل : في نجف الحيرة ، وقيل : إنه وُضع في صندوق ، وأكثروا عليه من الكافور ، وحمل على بهير يربدون به المدينة ، فلما كانوا

(١) صحراء أنير ، بالنصير ، بالكوفة ، ذكره ياقوت وأورد الخبر .

ببلاد طَيِّئٍ أَنَاخُوا البمير، ^(١) فَأَخَذَتْهُ طَيِّئٌ، وَدَفَنُوهُ بِأَرْضِهِمْ.
وَقَالَ الْمُبَرِّدُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ: أَوَّلُ مَنْ حُوِّلَ مِنْ قَبْرِ إِلَى قَبْرِ عَلَى بَنٍ
أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَالَتْ عَائِشَةُ لَمَّا بَلَغَهَا قَتْلُهُ: لَتَصْنَعِ الْعَرَبُ مَا شَاءَتْ بِمَدَنِهِ، فَلَيْسَ لَهَا
مَنْ يَنْهَاهَا.

وَكَانَ ابْنُ مُلْجَمٍ قَدْ قَرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - وَكَانَ مِنَ الْعَبَادِ.
قِيلَ إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَتَبَ إِلَى عُمَرُو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ: أَنْ قَرَّبَ النَّاسَ إِلَى دَارِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُلْجَمٍ؛ لِيَعْلَمَ النَّاسُ الْقُرْآنَ وَالْفَقْهَ.
فَوَسَّعَ مَكَانَ دَارِهِ، ثُمَّ كَانَ مِنْ شَيْمَةِ عَلِيٍّ، وَشَهِدَ مَعَهُ صَفَيْنَ، ثُمَّ فَعَلَ بِعَدِ
هَذَا كُلَّهُ مَا فَعَلَهُ.

وَعِنْدَ الْخَوَارِجِ أَنَّ ابْنَ مُلْجَمٍ مِنْ أَفْضَلِ الْأَمَّةِ، وَكَذَلِكَ النَّصِيرِيَّةُ
يَعْتَظُمُونَهُ. قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ حَزْمٍ: يَقُولُونَ إِنَّ ابْنَ مُلْجَمٍ أَفْضَلُ أَهْلِ
الْأَرْضِ؛ لِأَنَّهُ خَلَّصَ رُوحَ اللَّاهُوتِ مِنْ ظُلْمَةِ الْجَسَدِ وَكُنْهِهِ.

وَعِنْدَ الرِّوَاغِضِ أَنَّهُ أَشَقُّ الْخَلْقِ فِي الْآخِرَةِ؛ وَهُوَ عِنْدَ أَهْلِ السَّنَةِ مِمَّنْ
تَرْجُو لَهُ النَّارَ، وَيَجُوزُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَتَجَاوَزُ عَنْهُ، وَحُكْمُهُ حَكْمُ قَاتِلِ عُمَانَ
وَالزَّبِيرِ وَطَلْحَةَ وَسَعِيدِ بْنِ جَبْرِ وَعُمَارَ وَخَارِجَةَ وَالْحُسَيْنِ؛ فَكُلُّ هَؤُلَاءِ
نَبْرَأُ مِنْهُمْ وَنَبْغِضُهُمْ فِي اللَّهِ تَعَالَى، وَنَبْكِلُ أُمُورَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

وَفِيهِ يَقُولُ عُمَرَانُ بْنُ حَطَّانٍ:

يَا ضَرْبَةً مِنْ تَقِيٍّ مَا أَرَادَ بِهِ - إِلَّا لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي الْمَرْشِ رِضْوَانًا ^(٢)

(١-١) ساقط من ط

(٢) كامل المبرد ٣ : ١٦٩ ، وفي زيادات طبعة أوروبا : «فله الفقيه الطبري فقال : =

إني لأذكره يوماً فأحسبه
أدنى البرية عند الله ميزانا
وقال بكر بن حماد :

قل لابن ملجم والأقدار غالبية :
قتلت أفضل من يمشي على قدم
وأعلم الناس بالإسلام ثم بما
صهر النبي ومولاه وناصره
وكان منه على رغم الحسود له
وكان في الحرب سيفاً ماضياً كراً
ذكرت قاتله والدمع منحدراً
إني لأحسبه ما كان من بشر
أشقى مراد إذ عدت قبائلها
كما قر الناقة الأولى التي جلبت
قد كان يخبرهم أن سوف يخضبها
فلا عفا الله عنه ما تحم له
لقوله في شقي ضل مجترماً
يا ضربة من بقي ما أراد بها

هدمت وبلك للإسلام أركاناً^(١)
وأول الناس إسلاماً وإيماناً
سن الرسول لنا شرعاً وتبلياناً
أضحت مناقبه نورا وبرهاناً
مكان هارون من موسى بن عمران
ليناً إذا لقي الأقران أقراناً
فقلت سبحان رب العرش سبحاناً
يخشى العباد ولكن كان شيطاناً
وأخسر الناس عند الله ميزاناً
على ثمود بأرض الحجر خسراناً
قبل النية أزماناً وأزماناً
ولا سقى قبر عمران بن حطاناً
ونال ما ناله ظلماً وعدواناً :
إلا ليبلغ من ذي العرش رضواناً

يا ضربة من شقي ما أراد بها
إني لأذكره يوماً فالعنه
وقال محمد بن أحمد الطيب يرد على عمران بن حطان :

يا ضربة من غدير صار ضاربها
إذا تفكرت فيه ظلت ألمه
أشقى البرية عند الله إنساناً
وألتم السكب عمران بن حطاناً

بل ضربة من غويٍ أوردته لظي
كأنه لم يرد قصداً بصريته
فسوف يلقى بها الرحمن غضباً
إلا ليصلي عذاب الخلد ميزاناً

وما أحسن قول ابن عبدون في قصيدته :

وآيتها إذ فدت عمراً بخارجة
وقال البحتري :

ولا عجب للأشد إن ظفرت بها
فجربة وحشي سقت حمزة الردى
كلاب الأعادي من فصيح وأعجم
وموت علي من حسام ابن ملحجم
وقال عماره اليماني يذكر الأربعة :

أودى علي وعثمان بمخلبها
ومن أراد التأسي في مصيبتها
ولم يقيها أبو بكر ولا عمر
فلسوري برسول الله مقتبر

وما أحسن قول شيخ الشيوخ شرف الدين :

أدرك كاس خمر صرفاً فني
ولا تفتننا تكن ثالثاً
حياة المدام حياة الأود
لأشقى ثمود وأشقى مراد
وأنشدني من لفظه شيخنا الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد
الذهبي فقال :

إذا قرأ الحديث على شخص
فما جازي بإحسان لائي
وأخلى موضعاً لوفاة مثلي
أريد حياتي ويريد قتي
فغبت عنه وجنته فأنشدته لنفسه :

خليك ماله في ذا مراد
فدُم كالشمس في عليا محلل

وَقَضَى أَنْ تَعِيشَ مَدَى الْإِلَهِ وَأَنْتَ لَا تَمَلْ وَأَنْتَ تَمَلِ
فَأَعْجِبْهُ قَوْلِي :

• خَلِيلُكَ مَالَهُ فِي ذَا مَرَادٍ •

لأنه تمام البيت الذي ضمنه .

• • •

٥٠ - وقوله : وكتبْتُ إلى عمر بن سعد أن جمعِجْ الحسين .

يشير بذلك إلى قتلة الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وذلك أنه لما أخذت البيعةُ إيزيد بن معاوية لم يُبايعه الحسين ، وكان أهل الكوفة كتبوا إلى الحسين يدعونه إلى الخروج زمن معاوية وهو بأبي ، فقدم قومٌ منهم إليه ، ثم غلب على رأيه ، فخرج ومعه من أهل المدينة تسعة عشر رجلاً من نساء وصبيان ، وتبعه محمد بن الحنفية ، وأعلمه أن الخروج ليس برأي . فأبى الحسين ، فحبس محمد ولده ، وخرج من مكة متوجهاً إلى العراق في عشر ذي الحجة ، سنة [ستين]^(١) .

فكتب يزيد إلى عبيد الله بن زياد : إن حسينا صائرٌ إلى الكوفة ، وقد أبغى به زمانك من بين الأزمان ، وبلادك من بين البلدان ، وعندها تهتق أو تعود عبداً .

فندب له عبيد الله بن زياد وعمر [بن سعد] بن أبي وقاص ، فقاتلهم ، فقال الحسين : يا عمر ، اختر مني إحدى ثلاث : أما تركتني أرجع ، أو سئرتني إلى يزيد فأضع يدي في يده ، فيحكم في بما يرى ؛ فإن أبيت فسئرتني إلى الترك فأقاتلهم حتى أموت .

فأرسل^(٢) عمر بذلك إلى ابن زياد ، فهم أن يسيره إلى يزيد ، فقال شمر

ابن ذى الجوشن : لا أيتها الأمير ، إلا أن ينزل على حُكِّكَ ، فأرسل إليه ، فقال الحسين : والله لا أفعل . وأبطأ عمر عن قتاله ؛ فأرسل إليه ابن زياد أن جفجج بالحسين — قال الأصمعي : معناه احبسْه ، وقال ابن الأعرابي : ضيق عليه .

وجيئَ إليه شمرًا وقال : إن تقدم عمرُ وقاتل وإلا فاقْتله ، وكن مكانه . فقاطوه إلى أن أصابه سهمٌ في حَفْكَه ، فسقط عن فرسه ، فنزل إلى الحسين^(١) شمر بن ذى الجوشن — وقيل غيره — فاحتز رأسه . إنا لله وإنا إليه راجعون !

وقُتِل معه يوم عاشوراء إخوته بنو أبيه : جعفر وعقيل ومحمد والمُبَاس الأكبر بنو علي ، وابنه الأكبر علي ، وهو غير عليّ زين العابدين ، وابنه عبد الله بن الحسين ، وابن أخيه القاسم بن الحسن ، ومحمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وأخوه عون ، وعبد الله وعبد الرحمن ابنا مسلم بن عقيل رضى الله عنهم .

ونُحِلَ رأسُ الحسين إلى يزيد ، فوضعه في طست ، وجعل يَسْكُتُ ثَنَايَاهُ بقضيب في يده ، ويقول : إنه كان حسنَ الشَّعر ، فقال زيد بن أرقم : ارفع قضيبك ، فطالما رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يَلْثُمُ موضِعَه ، فقال : إنك شبيح قد خَرِفْتَ . فقام زيدٌ يجرُّ ثوبه .

وعن محمد بن سوقة^(٢) بن عبد الواحد القرشي ، قال : لما أُتِيَ يزيدُ برأس الحسين ، تناوله بقضيب ، فكشَفَ عن ثَنَايَاهُ ، فوالله ما البردُ بأبرد من ثَنَايَاهُ ، ثم قال :

(١) م : « فنزل إليه شمر بن ذى الجوشن » .

(٢) ط : « سراقه »

نُفِلَتْ هَامًا مِنْ رِجَالِ أَعَزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَى وَأَظْلَمًا^(١)

فَقَالَ رَجُلٌ كَانَ عِنْدَهُ : يَا هَذَا ارْزُقْ قَضِيْبَكَ ، فَوَاللَّهِ لَرُبَّمَا رَأَيْتُ شَفَقَتِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَانَهُ ، فَرَفَعَهُ مِنْهُمَا مَضْضًا .

وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ شَرَفُ الدِّينِ الْمُبَارَكُ مَسْتَوْفَى إِزْبِلَ ، مِنْ حِمْلَةِ قَصِيْدَةٍ :

أَتَجَحَّدُ قَتْلَهُ وَتَرَاهُ إِنَّمَا وَقَدْ أَقْبَلْتَهُ بِالطَّفِّ شِعْرًا
وَتَقْرَعُ بِالْقَضِيْبِ نَتِيْقَتَهُ أَرَاكَ أَتَيْتَهَا نَكْرَاءَ بَكْرًا

وَذَكَرَ ابْنَ سَعْدٍ : أَنَّ جَسَدَهُ دُفِنَ حَيْثُ قُتِلَ ، وَأَنَّ رَأْسَهُ كَفَّنَهُ يَزِيدُ ، وَأَرْسَلَهُ إِلَى الْمَدِيْنَةِ ، فَدُفِنَ عِنْدَ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

قَالَ شَيْخُ فَاشِمُسِ الدِّينِ الذَّهَبِيُّ : وَعُلِقَ الرَّأْسُ - عَلَى مَا قِيلَ - بِدِمَشْقَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَمَكَثَ الرَّأْسُ فِي خَزَائِنِ السَّلَاحِ حَتَّى وَلَّى سُلَيْمَانُ ، فَبِمَثَلِهِ فَجَبِيءٌ بِهِ ، وَقَدْ بَقِيَ عَظْمًا أَبْيَضَ ، فَجَعَلَهُ فِي سَقَطٍ وَطِيْبَةٍ وَكَفَّنَهُ ، وَدَفَنَهُ فِي مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ ، فَلَمَّا دَخَلَتِ الْمَسْجِدُودَةُ نَبَشُوهُ وَأَخَذُوهُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَكَانِهِ الْآنَ مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ .

وَرَوَى عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْمَرْزُوقِ ، أَنَّهُ قَالَ : لَوْ كُنْتُ فِي قَتْلَةِ الْحُسَيْنِ ، وَأُمِرْتُ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ لَمَا فَعَلْتُ ؛ حَيَاءً أَنْ تَقَعَ عَيْنِي عَلَى مُحَمَّدٍ^(٢) .

لَمَّا قُتِلَ قَالَتْ مَرْجَانَةُ ابْنَةُ عُمَيْدِ اللَّهِ مِنْ زِيَادٍ : يَا خُبَيْثُ ، قَاتِلَ ابْنِ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٣) لَا يَرَى الْجَمَّةَ أَبَدًا .

وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : انْظُرُوا ابْنَ دَعِيْثَا ، قَتَلَ ابْنَ نَفِيْثَا .

(١) لِلْحَصِينِ بْنِ الْحَاجِمِ الْمُرِّي ، دِيْوَانُ الْخَمَاسَةِ ١٩٩ - بِشَرْحِ الرَّزْزُوقِ .

(٢) ط : « حَيَاءً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَقَعَ عَيْنِي عَلَى عَيْنِهِ » .

(٣) م : « يَا خُبَيْثُ ، قَتَلَ ابْنَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ » .

وعن رأس الجالوت أنه قال : والله إن بني وبين داود سبعين
أباً ، وإن اليهود لَتَلْقَانِي فتمظمني ، وأنتم ليس بدينكم وبين نبيكم إلا آب
واحد ، وقتلتم ولده .
وقيل : إن الحسين رمى بدمه^(١) نحو السماء ، وقال : أطلب بدم ابن بنت
نبيك .

وكان قد توجه نحو الأنرات ، فدمر ضواله ، وحالوا يدينه وبين الماء . وأشار
بذلك رجل من بني أبان بن دارم ، فقال الحسين رضى الله عنه : اللهم أظمئه ؛ فما
لبث الأباني إلا قليلا حتى رنى وإنه ليؤتى بعص يروى عدة ، فيشر به ، فإذا
نزع عن فيه قال : استقوني فقد قتلتني العطش ، فانقذ بطنه كأ نقياد البعير .

وقال الزبير : قتله سنان بن أبي أس النجفي ، وأجهز عليه خوئي بن يزيد
الأصبحي من حمير ، وقتل معه سبعة عشر شاباً . قال محمد بن الحنفية : كلهم
قد ارتكضوا في رحم فاطمة .

وقيل : إن النبي صلى الله عليه وسلم رأى في نومه كأن كلباً أبقع ولغ في
دمه ؛ فلما قتل الحسين - وكان شمر بن ذى الجوشن به وضح - ففسرت رؤياه .
وقال أبو الأسود الدؤلي - ويروى غيره :

أيرجو ممشرٌ قتلوا حسينا شفاعه جده يوم الحساب
وقال بعض الشعراء :

عبدٌ شمسٍ قد أضمرت لبنيها شم حراً يشيب منه الوليد
فأبن حربٍ للمصطفى ، وابن هندٍ اعلى ، ولالحسين يزيد
وقال الخفافى من أبيات :

يا أمةً كفرت وفي أفواهاها القرآن فيه ضلالها ورشادها
أعلى النابر تملنون بسببه وبسيفه نصبت لكم أحقادها

(١) د : « رمى يديه » . (٢) م ، ط : « أضمه » .

تلك الضفائرُ بينكم بَذْرِيَّةُ قُتِلَ الحُسَيْنُ وما حَبَّتْ أَحقادُها
وقال أبو الحسين الجزار :

وبعدُ عاشوراءَ بذكرُني رُزءُ الحُسَيْنِ فَلَيْتَ لَمْ يَعدِ
وَلَيْتَ عَيْنًا فِيهِ قَدْ كَحَلْتُ بِمَسْرَةٍ لَمْ تَحُلْ مِنْ رَمَدِ
ويبدأ به لثامَةٌ خُضِبَتْ مَقْطُوعَةٌ مِنْ زَنْدِهَا بِيَدِي
يَوْمَ سَبِيلِي حِينَ أَذْكَرُهُ أَلَّا يَدُورَ الصَّبْرُ فِي خَلْدِي
أَمَّا وَقَدْ قُتِلَ الحُسَيْنُ بِهِ فَأَبُو الحُسَيْنِ أَحَقُّ بِالكَمَدِ

ولقد أحسن في البيت الثالث والخامس كل الإحسان .

وقال أحمد بن عيسى الهاشمي من ولد الواثق ، يَعْتَذِرُ مِنَ الكَحَلِ فِي يَوْمِ
عاشوراء :

لَمْ أَكْتَحِلْ فِي صَبَاحِ يَوْمِ أَرِيقَ فِيهِ دَمُ الحُسَيْنِ
إِلَّا إِحْزَانٍ وَذَلِكَ أَنِّي سَوَدْتُ حَتَّى يَبَاضَ قَيْنِي

وقال عمارة اليماني :

غصبت أمةً لِرِثِّ آلِ مُحَمَّدٍ سَفَهًا ، وَشَنَّتْ غَارَةَ الشَّانِ
وَعَدَّتْ تَخَالَفَ فِي الْخِلَافَةِ أَهْلَهَا وَتَقَابَلَ الْبِرْهَانُ بِالْبَهْتَانِ
لَمْ يَقْتَنِعْ حُكَّامُهُمْ بِرُكُوبِهِمْ ظَهَرَ التَّفَاقُ وَغَارَبَ الْمُذْرَانِ
وَقَعُودُهُمْ فِي رُتْبَةِ نَبَوِيَّةٍ لَمْ يَبْذِنِهَا لَهُمْ أَبُو سُفْيَانَ
حَتَّى أَضَافُوا بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ أَخَذُوا بِشَأْرِ الْكُفْرِ فِي الْإِيمَانِ
فَأَتَى زِيَادٌ فِي الْقَبِيحِ زِيَادَةً تَرَكْتَ يَزِيدَ يَزِيدُ فِي الصُّفْيَانِ

وقيل لابن الجوزي وهو على المنبر : كيف يقال إن يزيد قتل الحسين
وهو بدمشق ، والحسين قتل بكر بلاء من أرض العراق ! فأنشد :

سَهْمٌ أَصَابَ وَرَامِيهِ بِذِي سَلَمٍ مَنْ بِالْعِرَاقِ لَقْدَ أَبْعَدَتْ مَرَمَاكَ^(١)

وقد رثاه من المتقدمين والمتأخرين خَلْقٌ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ، وخسوا فيه القصائد المشهورة ، فمنهم الموفق الحكيم المعروف بالورل ، خمس الدريدية مرثية فيه ، والسراج الوراق خمس فيه قصيدتي أبي تمام إحداها قوله :
أَصَمَّ بِكَ النَّاعِي وَإِنْ كَانَ أَسْمَعًا^(١)

والأخرى قوله :

أَيُّ الْقُلُوبِ عَالِمَكَ لَيْسَ تَنْصَدِعُ^(٢)

وقال رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز الحنبلي : اجتمعت بمحمد المرأة - يعني أبا العلاء الممرى - فقال لي : ^(٣) سمعت في مرأى الحسين بن علي رضي الله عنهما مرثية تكتب ؟ ، فقلت : قد قال بعض فلاحي بلادنا أبيتانا تمجز عنها شيوخ تنوخ ، فقال : ماهي ؟ قلت : قوله ^(٤) :

رَأْسُ ابْنِ بَنْتٍ مُحَمَّدٍ وَوَصِيهِ	لِلْمُسْلِمِينَ عَلَى قَنَاقٍ يُرْفَعُ
وَالْمُسْلِمُونَ يَنْظُرُونَ وَبِمَسْمَعٍ	لَا جَاوِزَ فِيهِمْ وَلَا مُسْتَرْجِعُ
أَبْقَظَتْ أَجْفَانًا وَكَتَبَتْ أُنْمَتَهَا	وَأُنْمَتٌ عَيْنًا لَمْ تَكُنْ بِكَ تَهْجَعُ
مَارُوضَةٌ إِلَّا تَمَتَّتْ أَنْتَهَا	لَكَ تَرْبَةٌ وَيُخَطُّ قُرْبُكَ مَوْضِعُ

فقال الممرى : ما سمعت أرق من هذه .

* * *

٥١ - قوله : وتمثلت عندما بلغني ما بلغني من وقعة الحرة :

ليت أشياخي ببذر شهدوا جزع الخرج من وقع الأسل

(١) ديوانه ٣٧٤ وبقينه :

* وَأَصْبَحَ مَقْنَى الْجُودِ بَعْدَكَ بَلَقَمًا *

(٢) ديوانه ٣٧١ ، وبقينه :

* وَأَيَّ دَمْعٍ عَلَيْكُمْ لَيْسَ يَمْتَنِعُ *

(٣ - ٣) ساقط من ط .

يشير بذلك إلى يزيد بن معاوية وما فعله بأهل المدينة في واقعة الحرة ، وسبب ذلك أن أهل المدينة أخرجوا عثمان بن محمد بن أبي سفيان ، عامل يزيد بن معاوية من المدينة ، وخلصوا يزيد ، وابعوا عبد الله بن حنظلة [الغسيل] ، وحاصروا بني أمية ومن رأى رأيهم من قريش ، وكانوا نحو (١) من ألف رجل ؛ حاصروهم (٢) في دار مروان . فكتب بنو أمية كتابا إلى يزيد على يد حبيب بن كره ، وهو : أما بعد ، فإننا حصرنا في دار مروان بن الحكم ، ومنعنا من العذب ، ورمينا بالجبوب (٣) ، فياغوثاه ! ياغوثاه !

قال حبيب : فوصلت إلى يزيد ، فأدخلت عليه وهو على كرسي ، واضع رجله في ماء في طست من وجم التفرس ، فقرأه وقال :

لقد بدّلوا الحلم الذي من حجيتي فبدلت قومي غلظة بليان
ثم بعث إلى عمر بن سعد ، فأقرأه الكتاب ، وأمره بالمسير إليهم ، فقال :
إنما هي دماء قريش تهراق بالصعيد ، فلا أحب أن أتولى ذلك ؛ يتولاها من هو
أبعد منها مني .

فبعث إلى مسلم بن عقبة - وهو شيخ كبير ضعيف - وخرج مُنادي يزيد
بالفاس : أن سيروا إلى الحجاز . وبعث مع مسلم اثني عشر ألف رجل ،
وخرج يزيد يتصفّح الخيل ويُنشد :

أبلغ أبا بكر إذا الليل سرى وهبط القوم على وادي القرى
عشرون ألفا بين كهل وفتى أجمع سكران من القوم ترى
أم جمع يقظان نفى عنه الكرى يا عجباً من ملحد يا عجباً !
* مُخادع بالدين يفتقو بالقرى *

(١) الجبوب : الأرض الغليظة ، وفي الأصول : « الجبوب » ، وما أثبتته من تاريخ الطبري

وجَهَّزَ الجَيْشَ ، وَقَالَ لِمُسْلِمَ بْنِ عُقْبَةَ : أَدْعُ الْقَوْمَ ثَلَاثًا ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ وَإِلَّا
فَقَاتِلْهُمْ ، فَإِذَا ظَهَرَتْ فَأَبِجْهَا ثَلَاثًا بِمَا فِيهَا مِنْ مَالٍ أَوْ زِينَةٍ ^(١) أَوْ سِلَاحٍ أَوْ طَعَامٍ فَهُوَ
لِلجَنْدِ . فَإِذَا مَضَتْ الثَّلَاثُ فَكَتُفْ عَنْ النَّاسِ ، وَأَنْظُرْ إِلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ فَكَتُفْ
عَنْهُ ، وَأَسْتَوْصِ بِهِ خَيْرًا ، وَأَذَنْ مَجْلِسَهُ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ فِي شَيْءٍ تَمَّا دَخَلُوا فِيهِ .
وَلَمَّا بَلَغَ الْجَيْشُ الْمَدِينَةَ ، خَرَجَ بَنُو أُمَيَّةَ بِأَتْقَالِهِمْ ؛ حَتَّى لَقُوا مُسْلِمَ بْنَ
عُقْبَةَ بِوَادِي الْقُرَى ، وَأَتُوا الْمَدِينَةَ مِنْ قِبَلِ الْحَرَّةِ . وَلَمَّا أَصْبَحَ نَادَى : يَا أَهْلَ
الْمَدِينَةِ ، إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَزْعُمُ أَنَّكُمْ الْأَصْلَ ، وَيَقُولُ : إِنِّي أَكْرَهُ هِرَاقَةَ
دِمَائِكُمْ ، وَإِنِّي أَوْجَلُّكُمْ ثَلَاثًا ، فَمَنْ أَرَعَوَى وَرَحَعَ قَبْلَنَا مِنْهُ ، وَانصَرَفَتْ
عَنْكُمْ ، وَسِرْتُ إِلَى هَذَا الْمُلْجِدِ الَّذِي كَانَ بِمَكَّةَ ، وَإِنْ أُبَيِّتُمْ كَدًّا
قَدْ أَعْدَرْنَا إِلَيْكُمْ .

وَلَمَّا انقَضَتِ الْمُدَّةُ قَالَ : أَتَالْمَوْنُ أَمْ تُحَارِبُونَ ؟ قَالُوا : بَلْ نُحَارِبُ ،
وَتَقَابَلَ الْعَرِيقَانِ ؛ فَقَتَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْفَسِيلِ وَأَخُوهُ لَأْمَهُ مُحَمَّدُ بْنُ ثَابِتٍ
ابْنُ قَيْسِ بْنِ شِمَاسٍ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ حَزْمِ الْأَنْصَارِيِّ وَجَمَاعَةٌ مِنْ كِبَارِ
الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ .

وَكَانَ مُسْلِمُ بْنُ عُقْبَةَ ضَعِيفًا ؛ فَكَانَ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسَى وَيَحْمِلُهُ الْغُلَامَانِ بَيْنَ
الْأَصْفَيْنِ يَحْرَضُ النَّاسَ عَلَى الْقِتَالِ ، إِلَى أَنْ كُلُّ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَتَفَنَّى أَكَابِرُهُمْ ،
وَأَبَاحَ مُسْلِمُ بْنُ عُقْبَةَ الْمَدِينَةَ ثَلَاثًا ، يَقْتُلُونَ [النَّاسَ] ^(٢) وَيَأْخُذُونَ الْأَمْوَالَ .
ثُمَّ لَمَّا بَاعَ النَّاسُ لِيَزِيدَ ، وَمَنْ تَابَى أَوْ تَلَسَّكَ قَتَلَهُ ^(٣) .

وَلَمَّا فَرَغَ مُسْلِمُ بْنُ عُقْبَةَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، تَوَجَّهَ إِلَى مَكَّةَ لِقِتَالِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
الزَّيْبِرِ ، وَخَلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ رَوْحُ بْنُ زُرَيْعٍ الْجُدَامِيُّ . فَوَصَلَ مَكَّةَ ، وَحَاصَرَ
أَبْنَ الزَّيْبِرِ ، وَأَدْرَكَتْهُ الْوَفَاةُ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي لَمْ أَهْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا قَطُّ بَعْدَ
شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

(١) الطبري . « أَوْرَقَةٌ » ، وَالرَّفَقَةُ : الدَّرَاهِمُ . (٢) مِنَ الطَّبَرِيِّ .

(٣) انْظُرْ خَبَرَ الْوَقْعَةِ فِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ ٥ : ٤٨٢ - ٤٩١ .

أحبَّ إلى من قَتَلَ أهل المدينة ، ولا أرجى عندي في الآخرة . ومات ، فكانت وقعة الحرة يوم الأربعاء لليلة ثمانية من ذي الحجة سنة ثلاثٍ وستين .
وقال محمد بن أسلم الأنصاري الساعدي يوم الحرة :

إن تقتلونا يومَ حرةٍ واقِمِ ففحنُ على الإسلامِ أوّلَ من قَتَلَ^(١)
ونحن تركناكم ببدْرٍ أذلةً وأبنا بأسلابٍ لنا فيكم نفلُ
فإن ينج مفا عائدُ البيتِ سالما فما نالنا منكم وإن شئنا جَلَلُ
وكان يزيد قد كتب إلى أهل المدينة :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد يا أهل المدينة ، فإنني أنظر تسكماً حتى
لا نظرة ، ورفقت بكم حتى عجزت عنكم ، وحملتكم على رأسي ثم على
عيني ثم على نحري . وإني والله إن وضعتكم تحت قدمي لأطأنكم وطأةً
أجملكم فيها أحاديث ترتل مع أحاديث عادٍ ونمود . ثم قال :

أظنَّ الحِلْمَ دَلَّ على قَوَمِي وقد يُستجَلُّ الرَّجُلُ الحَلِيمُ^(٢)
ومارستُ الرجالَ ومارسُوني فمـ—وجَّ على ومستقيمُ

وقيل : إنَّ هذا البيتين لماوية رضى الله عنه ، قالهما متمثلاً بهما
في بعض وقائعه^(٣) .

ولما استكمل يزيد ، حرّض جنده ، وأركبهم برية الحجاز ، وكتب ورقة
لطيفة ، وأرسل بها رسولا إلى ابن الزبير مفردا ، يسبق القوم ، وفيها
من شعره :

استغفر ربك في السماء فإنني أدعو إليك رجال عاكٍ وأشمر^(٣)

(١) معجم البلدان ٣ : ٢٦٣ ، وحرّة واقم ، إحدى حرقى المدينة .

(٢) الصواب أن الشعر لقيس بن زهير العبسي من مقطوعة له في ديوان الحماسة ١ : ٣٩٧

(٣) المسعودي ٣ : ٧٩ ، وفيه « ادعوا إليك في السماء فإنني » .

ورجال كلب والسكون وخدمها وجُذام تقدمها كتابُ حمير
كيف النجاة أبا خبيب منهم فاحتل لنفسك قبل يأتي عسكري

وبالغ أبو بكر الخوارزمي فيما كتب به إلى جماعة الشيعة بنيسابور ، لما
قصدهم واليهما محمد بن إبراهيم ، من جملة رسالة مطوّلة . قال أمير المؤمنين
ويعسوب الدين عليه السلام : المَحَن إلى شِيعَتِنا أَسْرَعَ من الماء إلى الخدور ^(١) .
هذه مقالة أُسِّست على الحن ، وولد أهلها في طالع الزهّاز والفن ، لحياة
أهلها نَفَص ^(٢) ، وقلوبهم حشوها غصص ، والأيام عليهم متحاملة ، والدنيا
عنهم مائلة ، وإذ كنّا شيعة أمتنا في بعض الفرائض والشّن ، وننبع آثارهم
في كل قبّيج وحسن ؛ فينبغي أن ننبع آثارهم في كلّ المحن .

غصبت سيّدتنا فاطمة صلوات الله عليها ميراث أبيها صلوات الله
وسلامه عليه يوم السقيفة ؛ وأخر أمير المؤمنين رضي الله عنه عن الخلافة ،
وسمّ الحسن رضي الله عنه سِرّاً ، وقُتل أخوه كرّم الله وجهه جَهْراً ،
وصاب زيد بن علي بالكُناسة ، وقُطع رأس يحيى بن زيد في المعركة ،
وقُتل أبناه محمد وإبراهيم على يد عيسى بن موسى العبّاسي ، ومات موسى
ابن جعفر في حبس شارون الرّشيد ، وسمّ عليّ بن موسى على يد المأمون ،
وهزّم إدريس بفتح ^(٣) حتّى وَقَعَ إلى الأندلس فريدا ، ومات عيسى بن زيد
طريدا شريدا ، وقُتل يحيى بن عبد الله بعد الأمان والأيمان ، وبعد تأكيد
الأمّود والضّان ؛ هذا غير فعل يعقوب بن الأيثم بعلوّية طبرستان ، وغير
قتل محمد بن زيد والحسن بن القاسم الدّاعي على أيدي آل ساسان ، وغير ماصنعه
أبو السّاج في علوية المدينة ؛ حلهم بلا غطاء ولا وطاء ، من الحجاز إلى سامرا .
وهذا بعد قتل قتيبة بن مسلم الباهلي لأبن عمر بن عليّ حين أخذه بأبويه ،

(١) الحدور : المكان ينحدر منه (٢) النقص : كدر العيش .

(٣) فتح : واد بركة .

وقد ستر نفسه ، ووارى شخصه ، يصانع حياته ، ويدافع وفاته ، ولا كما فعله الحسين بن إسماعيل المصعبي بمجبي بن عمر الزيدى^(١) خاصة ، وما فعله مزاحم ابن خاقان بملوكة الكوفة كافة ؛ وحسبكم أن ليس في بيضة الإسلام بلد إلا وفيها لنزيل طالبي تربة^(٢) ، تشارك في قتلهم الأموي والعباسي ، وأطبق عليهم المدنانى والقحطانى .

فليس حتى من الأحياء نعرفه من ذى يمان ولا بكر ولا مضير
إلا وهم شركاء في دمائهم كما تشارك أيسار على جزر
وهذا البيت الذى أستشهد به يزيد في وقعة الحرّة ، وهو :

* لَيْتَ أَشْيَاخِي يَبْدُرُ شَهْدُوا *

قائله عبد الله بن الزبيرى .

* * *

٥٢- وقوله : ورجمت الكعبة ، وصلبت العائد على التنية .

يشير بذلك إلى واقعة عبد الله بن الزبير رضى الله عنه ؛ وذلك أنه كان فارس قریش في زمانه ، بُويع بالخلافة سنة أربع وستين ، وحكم الحجاز واليمن ومصر والعراق وخراسان وأكثر الشام ، فضاق عطن عبد الملك ابن مروان منه ، فجاء الحجاج إليه ؛ وقال : رأيت في نومي كأنني علقت عبد الله بن الزبير وساخته ؛ فقال : أخرج إليه ، فأنت له .

فخرج الحجاج إلى مكة فيمن معه من العسكر ، فأحاط بها ، ونصب المنجنيق على أبي قبيس . وكان ابن الزبير قد نصب فسطاطا عند البيت فاحترق ، فطارت منه شرارة فاحترق البيت ، واحترق قرنا الكبش الذى فدى به إسماعيل ، ثم إنه جدد عمارة البيت .

(١) في الأصول : « الزائد » ، وما أثبتته من الرسائل .

(٢) الرسائل : « ترة » .

ولما نصب الحجاج المنجنيق رمى به الكعبة على ابن الزبير وعلى من معه في المسجد ، وجعل ابن الزبير على الحجر الأسود بيضة ترد عنه ، ودام الحصار ستة أشهر وسمع عشرة ليلة .

ولما كان قبل قتله بعشرة أيام دخل على أمه وهي شاكية ، فقال لها : كيف تجدينك يا أماه ؟ قالت : ما أجدني إلا شاكية ، فقال لها : إن في الموت لراحة ، قالت : لعلك تمنيت لي ! ما أحب أن أموت حتى آتي على أحد طرزيك ، إما قُتِلت فاحسبتيك ، وإما ظفرت بعدوك فقررت عيني ؛ قال عروة : فالتفت إلى وضحك .

ولما كان في اليوم الذي قتل فيه دخل عليها في المسجد ، فقالت : يا بني ، لا تقبلنّ منهم خطة تخاف فيها على نفسك الدّل مخافة القتل ؛ فوالله لضربة بالسيف في عز خير من ضربة بالسوط في مدلة ، فقال لها : إنما أخاف المملة ، قالت : يا بني ، إن الشاة لا يضرّها ساخها بعد الذبح .

فخرج وقد جعل له مصراع عند الكعبة - وكان تحته - فأتاه رجل من قريش فقال : ألا تفتح لك باب الكعبة فتدخلها ؟ فقال عبد الله : من كل شيء تحفظ أهلك إلا من نفسه ، والله لو وجدوكم تحت أستار الكعبة لقتلوكم . وهل حرمة المسجد إلا كحرمة البيت ! ثم قال :

ولست بمبتاع الحياة بسبّة

ولامرتق من خشيّة الموت سأمًا^(١)

ثم شدّ عليه أصحاب الحجاج ، فقال : أين أهل مصر ؟ فقالوا : هم هؤلاء من هذا الباب ، فقال لأصحابه : اكسروا أعناق سيوفكم ولا تميّلوا عني ؛ فإني

(١) لابن حاتم الرمي من الفضلية ١٢

في الزَّعِيلِ الْأَوَّلِ ، فَفَعَلُوا . ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِمْ وَحَلَوْا مَعَهُ ، وَكَانَ يَضْرِبُ بِسَيْفَيْنِ
فَلَمَحَ رَجُلًا فَقَطَعَ يَدَهُ . وَانْهَزَمُوا ، فَجَمَلَ يَضْرِبُهُمْ حَتَّى أَخْرَجَهُمْ مِنَ الْمَسْجِدِ ،
فَجَعَلَ رَجُلٌ أَسْوَدَ يَسْبُغُهُ ، فَقَالَ : اِصْبِرْ يَا بَنِي حَامٍ ؛ ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِ فَصَرَعَهُ . ثُمَّ
دَخَلَ عَلَيْهِ أَهْلُ حِمَصَ مِنْ بَابِ بَنِي شَيْبَةَ ، فَشَدَّ عَلَيْهِمْ ، وَجَمَلَ يَرْجُزُ وَيَقُولُ :
لَوْ كَانَ قَرْنِي وَاحِدًا كَفَيْتُهُ أَوْرَدْتُهُ الْمَوْتَ وَقَدْ رَكِبْتُهُ ^(١)

إِلَى أَنْ أَخْرَجَهُمْ مِنَ الْمَسْجِدِ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْأُرْدُنِّ مِنْ بَابٍ آخَرَ
فَجَعَلَ يَضْرِبُهُمْ بِسَيْفِهِ حَتَّى أَخْرَجَهُمْ مِنَ الْمَسْجِدِ ، وَهُوَ يَقُولُ :
لَا عَمَلِي بِفَارَةٍ مِثْلَ السَّيْلِ لَا يَنْجِي قَتَامُهَا حَتَّى اللَّائِلِ
فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ حَجْرًا مِنْ نَاحِيَةِ الضَّفَا ، فَأَصَابَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، فَانْكَسَ رَأْسُهُ
وَهُوَ يَقُولُ :

وَأَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمَى كَلُومُنَا

وَأَسْكَنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقَطَّرُ الدِّمَاءُ ^(٢)

ثُمَّ اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَزَالُوا يَضْرِبُونَهُ حَتَّى قَتَلُوهُ ؛ وَلَمَّا قُتِلَ كَبُرَ أَهْلُ
الشَّامِ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ : الْمَسْكُورُونَ عَلَيْهِ يَوْمَ وَلَدٍ ، خَيْرٌ مِنَ الْمَكْبُورِينَ
عَلَيْهِ يَوْمَ قُتِلَ .

قُلْتُ : لِأَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ الْمُهَاجِرُونَ الْمَدِينَةَ أَقَامُوا مَدَّةً لَا يُؤَلِّدُ لَهُمْ ، فَقَالُوا :
سَحَرَتْنَا الْيَهُودُ ، حَتَّى كَثُرَتِ الْمَقَالَةُ فِي ذَلِكَ ، فَلَمَّا وَلَدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ بَعْدَ
الْهِجْرَةِ بِالْمَدِينَةِ كَبُرَ الْمُسْلِمُونَ تَسْكِبِيرَةً وَاحِدَةً حَتَّى ارْتَجَّتِ الْمَدِينَةُ .
وَقُتِلَ مَعَهُ مَائَتَانِ وَأَرْبَعُونَ رَجُلًا ، مِنْهُمْ مَنْ سَالَ دَمُهُ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ

(١) لدويد بن زيد ، وانظر طبقات الشعراء لابن سلام ، ٢٨ ، والرواية هناك :

لَوْ كَانَ لِلدَّهْرِ بَسَلِيٌّ أَبْلَيْتُهُ أَوْ كَانَ قَرْنِي وَاحِدًا كَفَيْتُهُ

(٢) لالحصين بن حمام ، ديوان الحماسة - بشرح التبريزي ١ : ١٩٢ .

وَأَخَذَهُ الْحَجَّاجَ وَصَلَبَهُ مِنْكَسًّا ؛ وَآلَى الْحَجَّاجُ أَنَّهُ مَا يُنْزِلُهُ حَتَّى تَنْشَفَعَ فِيهِ
أُمُّهُ ؛ فَلَمْ تَفْعَلْ ، فَبَقِيَ مَصْلُوبًا عَلَى الشَّيْئَةِ سَنَةً ، فَمَرَّتْ أُمُّهُ بَعْدَ سَنَةٍ تَحْتَ جَذْعِهِ ،
فَقَالَتْ : أَمَا أَنْ هَذَا الرَّاكِبِ هَذِهِ الْمِطْيَاءُ أَنْ يَتَرَجَّلَ ! فَيَقَالُ : إِنَّهُ قَبِيلٌ لِلْحَجَّاجِ :
إِنْ هَذَا الْكَلَامُ شِفَاءَةٌ فِيهِ ؛ فَأَنْزَلَهُ .

وَقِيلَ : بَلْ رَحَلَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَسَأَلَهُ
إِنْزَالَهُ عَنِ الْخَشْمَةِ ؛ فَأَذِنَ لَهُ .

وَلَمَّا بُشِّرَتْ أُمُّهُ بِذَلِكَ ؛ قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ : فَدَعَتْ بَمَرْثَكِ^(١)
وَشَبَّ يَمَانِي ؛ وَأَمَرْتَنِي بِنَفْسِهِ ، فَكُنَّا لَا نَتَنَاوَلُ عَضْوًا إِلَّا جَاءَ مَعَنَا ؛
فَكُنَّا نَقِيلُ الْمَضُوعَ وَنَضَعُهُ فِي أَكْفَانِهِ ، وَنَتَنَاوَلُ الْمَضُوعَ الَّذِي بِيَمِهِ
فَنَفْسِلُهُ وَنَضَعُهُ فِي أَكْفَانِهِ حَتَّى فَرَّغْنَا مِنْهُ . ثُمَّ قَامَتْ فَصَلَّتْ عَلَيْهِ ، وَمَا أَتَى
عَلَيْهَا بَعْدَ ذَلِكَ جُمُعَةٌ حَتَّى مَاتَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا . وَكَانَتْ تَقُولُ : اللَّهُمَّ لَا تُمَتِّعْنِي
حَتَّى تُقَرِّ عَيْنِي بِجُثَّتِهِ .

وَقِيلَ : إِنَّهُ لَمَّا جَاءَ بِهِ إِلَيْهَا وَضَعَتْهُ فِي حِجْرِهَا ، فَحَاضَتْ ، وَدَرَّ ثَدْيُهَا .
فَقَالَتْ : حَنَنْتُ عَلَيْهِ مَوَاضِعُهُ ، وَدَرَّتْ عَلَيْهِ مَرَاضِعُهُ .

وَكَانَتْ قَتَلَتْهُ سَنَةً ثَلَاثَ وَسَبْعِينَ لِلْهِجْرَةِ .

وَقِيلَ : إِنْ أُمُّهُ صَلَّتْ عَلَيْهِ وَحَمَلَتْهُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَدَفَنْتَهُ فِي الْمَدِينَةِ فِي دَارِ
صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ ؛ ثُمَّ زِيدَتْ دَارَ صَفِيَّةَ فِي الْمَسْجِدِ ، فَهُوَ مَدْفُونٌ مَعَ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

وَكَانَ كَثِيرَ الصَّلَاةِ ، كَثِيرَ الصَّيَامِ ، شَدِيدَ الْبَاسِ ، كَرِيمَ الْجِدَاتِ وَالْأَمْهَاتِ
وَالْخَالَاتِ .

قَالَ مَالِكٌ : إِنْ ابْنَ الزُّبَيْرِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ مَرْوَانَ ، وَكَانَ أَوْلَى بِالْأَمْرِ
مِنْهُ وَمِنْ أَبِيهِ .

(١) المَرْتَكُ ، كَلِمَةٌ فَارْسِيَّةٌ ، وَهُوَ دَوَاءٌ بِخَفِيفٍ ، وَانْظُرِ الْعَرَبِ وَحَوَاشِيهِ ٣١٧ .

وقال علي بن زيد الجلعاني : إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فِيهِ خِلَالٌ لَا تَصْلُحُ مَعَ
الْخِلَافَةِ ، لِأَنَّهُ كَانَ بَخِيلًا ، ضَيِّقَ الْعَطْنِ ، سَيِّئُ الْخُلُقِ حَسُودًا ، أَخْرَجَ مُحَمَّدَ
أَبْنَ الْحَنْفِيَّةِ ، وَنَفَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْعَبَّاسِ إِلَى الطَّائِفِ ، وَكَانَ يُسَمَّى حَمَامَةَ الْمَسْجِدِ
لِمَلَاظِمَتِهِ لَهُ .

وقال عمرو بن دينار : كَانَ أَبُو الزُّبَيْرِ يَصَلِّي فِي الْحِجْرِ وَحِجْرِ الْمُنْجَبِقِ
يُصِيبُ طَرَفَ ثَوْبِهِ ، فَمَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ .

قال ابن اسحاق : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَعْظَمَ سَجْدَةً بَيْنَ عَيْنَيْهِ مِنْ
أَبْنِ الزُّبَيْرِ .

وقيل : إِنَّهُ جَاءَتْهُ شُرْفَةٌ مِنْ شُرَفِ الْمَسْجِدِ ، فَوَقَعَتْ عَلَى رَأْسِهِ فَصَرَعَتْهُ
وَهُوَ يَمْتَلِئُ :

أَسْمَاءُ يَا أَسْمَاءُ لَا تَبْكِيْنِي لَمْ يَبْقَ إِلَّا حَسْبِي وَدِينِي

* وَصَارِمٌ لَأَنْتَ بِهِ يَمْنِي *

وهو أول مولودٍ وُلِدَ بالمدينة في الإسلام ، وأمه ذات النطاقين أسماء
بنتُ أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وخالته عائشة أم المؤمنين ، رضي الله
عنهم أجمعين .

وكان يلقب بالمائد - يعني أنه عاذ بالبيت ، وأستجار به ، ولهذا قال محمد
ابن كثير مخاطباً به : لَمَّا حَبَسَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ فِي سَجْنِ عَارِمَ :

تُخَبِّرُ مَنْ لَا قِيَتَ أَنَّكَ عَائِدٌ

بل المائد المحبوس في بطن عارم ^(١)

وَمَنْ يَلْقَى هَذَا الشَّيْخَ بِالْخُفِّ مِنْ مَنِي

مَنْ النَّاسِ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ ظَالِمٍ

(١) معجم البلدان : ٩٤ ، قال : « وَلَا أَعْرِفُ مَوْضِعَهُ وَأُظَنُّهُ بِطَائِفِ » .

سَمِىَ النَّبِىُّ انْصَافِيَّ وَأَبْنُ عَمِّهِ

وَفَسَّكَ أَغْلَالِ وَقَافِي مَغَارِمِ

أَبِى فَمَوْ لَا يَشْرَى هُدًى بِضَلَالَةٍ وَلَا يَتَّقَى فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَا يَمِ

قلت : هؤلاء أدباء العرب ؛ هم الأدباء ، وكتابتهم هم الكتاب الألباء ،
قد تفرّدوا بهذه الطريقة العربية ، واستظلّوا هذه الفصوص الوريقة ، وأسهبوا
حى هذه الرياض الأنيفة ، ووصلوا من مجازات هذه الصناعة إلى الحقيقة ،
وآووا المعانى الغريبة ، وانتاشوا الألفاظ العريقة ، وجلسوا من الآداب على
فرشها الوثيرة ، وتمسكوا بعراها الوثيمة . ألا ترى إلى ابن زيدون من قوله :
« وما أراى إلّا لو أمّرت بالشُّجود لآدم فأيدت واستكبرت .. » إلى آخر هذا
الفصل ، كيف سرد الذنوب السكائنة فى الزمان ، والوقائع المتشابهة ؛ من
الآيب كل نقيصة وما آخاها ، وكل مصيبة وما والاها ، حتّى أطرب الأسماع ،
وسلم يتفرّده الإجماع .

وهكذا فعل الوزير الكاتب أبو بكر بن سعيد بن القبطارية البطليوسى
فى رقعة كتبها إلى الوزير أبى الحسين بن سراج :

ولولا عوائقُ الزّمانِ لطارتُ إليه بجَنَاح ، أو لا مَنْطِيتُ أعناقَ الرِّياح ،
ولاستبَطأت السَّلاهِيبُ ، وأستَهْجَنتُ الجُرْدَ اليمانيب ، ولم أرضُ بالذى
يَنْفُخُ فى البرى ، وأستَقْصَرتُ بريدَ الشَّرَى بالليل خيلَ بربرا ، ولا رَتَحَاتُ
السُّكُوكِ ، وحمّتُ إليك قلباً كقلبِ المقرب ، ولا تَخَذتُ الجُرّةَ سبيلاً ،
وسُهِيلاً دليلاً ، ولقدتُ البدرَ المنير ، وركبتُ الشَّعْرَى العبُور ، وتترسّستُ
بالثُّرَيَّا ، وطعمتُ بالسَّكَّ ؛ هذا لو أردتُ البرّ ، ومُقاساةَ السَّهْلِ منه والوعر .
ولا تَخَذتُ السَّمَكَةَ سفينةً ، وأقمتُ لها من النِّعَامِ ألواحاً ، وعُطَّارِدَ مَلاحاً ،

وشرّعتها بالغُيوم ، وسمرتها بالنجوم ، وجدّفتُ بالفرّقدَيْن ، وحماتُ من
 آمالي فيها من كلّ زوجين أُندين ، واعتصمتُ بالقوة والحوّل ، وخالفتُ كلّ
 من سَبَقَ عليه القول ، واستعدتُ من شيطانٍ لا كسل وهو رَجيم ، وقلت :
 ﴿ بِسْمِ اللَّهِ جِجْراها ومرساها إِنْ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

ومن رسالة لأبي عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد ، قال : فأومأت إلى
 الجوزاء بكنتي أَنْ تَأْمَلِي ، وإلى المواء أَنْ أَقْبَلِي ، وقلت : الهجرة في عيني
 أَنْ تَكُونَ لِي مَنَدِيلًا ، وصفرُ الزُّرْقَانِ عِنْدِي أَنْ أَتَخَذَهُ وَكِيلًا ^(١) .

٥٣ -- وقوله : لَكَانَ فِيمَا جَرَى عَلَيَّ مَا يَحْتَمِلُ أَنْ يُسَمَّى نَكَالًا ،
 وَيُدْعَى وَلَوْ عَلَى الْمَجَازِ عِقَابًا .

وَحَسْبُكَ مِنْ حَادِثٍ بَاصِرٍ تَرَى حَاسِدِيهِ لَهُ رَاحِمِينَ

يريد بذلك أنه لو كنتُ أتيتُ بهذه الذنوب التي عدّتها ؛ من تكبّر إبليس
 على آدم وعدم السجود ، وكنتُ مثلُ ابنِ نوح ، ولم أركبْ معه في السفينة
 وقلتُ ماقاله ، وكنتُ مثلُ فرعون الذي كفر وبني صرّحاً ليطلع فيه إلى
 إله موسى ، وكنتُ مثلُ الذين عكفوا على المجل ، فسكفروا بحدِ الإيمان
 بموسى ، ومثلُ الذين اعتدّوا في السَّبْتِ من بني إسرائيل ، وكنتُ مثلُ الذين
 خالفوا طالوت من بني إسرائيل ، وشربوا من النهر الذي نهاهم عنه ، وكنتُ
 كعُذَارٍ في ثمودَ الذي عقرَ الناقة ، وكنتُ كأبرهةَ بن الصّباح صاحب
 القيل الذي قاده لحرب ^(٢) السكبة ، وكنتُ من جملة قريش الذين تعادوا على
 مهاجرة بني هاشم وبني عبد مناف ، ومنهم من نسكا حيمهم ، وبهميم
 وشرائهم ، وكتبوا صحيفةً بذلك ، وعلّقوها في السكبة ، وأقامَ رسولُ الله

(٢) ط : « الحراب » .

(١) « إكبيلا » .

صلى الله عليه وسلم هو وأهله في الشَّبِّ محصورين سنتين أو ثلاث ، وكنتُ
 مِّنْ تَأَوَّلٍ فِي بَيْعِهِ الْعَقْبَةِ ، وكنتُ مِّنْ نَّهَرَ إِلَى الْعَيْرِ بَيْدَر ، وكنتُ كَابِن
 أَبِي رَأْسِ الْمُنَاقِقِينَ الَّذِي انْخَزَلَ بِنْتُ النَّاسِ يَوْمَ أَحَدَ ، وكنتُ مِّنْ تَخَلَّفَ
 عَنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ فِي بَنِي قَرَيْظَةَ ، وكنتُ مِّنْ جَاءَ بِالْإِنِّكَ عَلَى عَائِشَةَ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وكنتُ مِّنْ أَنْفٍ مِنْ إِمَارَةِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ، وَقَدْ جَهَّزَهُ
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرِيَّةٍ فِيهَا مِثْلُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ ، وكنتُ مِّنْ قَالَ:
 إِنَّمَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ فَلَمَّةً ، وكنتُ مِثْلُ الَّذِي قَالَ : « وَرَوَيْتُ رُمُحِي مِنْ
 كَتِيبَةِ خَالِدٍ » ، وكنتُ مِثْلُ أَبِي لَوْلُؤَةَ الَّذِي مَرَّقَ الْأَدِيمَ الَّذِي بَارَكَتْ يَدُ اللَّهِ
 عَلَيْهِ ، وَقَتَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وكنتُ مِّنْ ضَجَّى بِالْأَشْمَطِ الَّذِي عَنَوَانُ السَّجُودِ
 بِهِ ، قَتَلَ عُمَانَ بْنَ عَمَّانٍ ، وكنتُ مِثْلُ ابْنِ مَلْجَمٍ قَاتِلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي
 طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وكنتُ مِثْلُ عَمِيدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ إِذَا كَتَبَ إِلَى عُمَرَ
 ابْنِ سَعْدَانَ جَمْعَ بِالْحُسَيْنِ ، وكنتُ مِثْلُ يَزِيدٍ ، وَقَدْ جَرَى بِالْحَرَّةِ مَا جَرَى ،
 وَتَمَثَّلَ بِذَلِكَ الْبَيْتِ ، وكنتُ مِثْلُ الْحِجَاجِ الَّذِي هَدَمَ الْكَعْبَةَ بِالْمَنْجَنِيْقِ ،
 وَصَلَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ الْمَأْدُودَ بِالْبَيْتِ . . . لَكَانَ فِي الَّذِي جَرَى عَلَى مَا فِيهِ
 جَزَاءٌ وَكَفَايَةٌ ، وَكَانَ نَكَالًا وَعِقَابًا وَلَوْ عَلَى الْحِجَازِ .

وقد اختصر هذه الأشياء الممدودة ، وَالذُّنُوبُ الْمَذْكُورَةُ ، وزاد عليها
 كُلَّ مَا يُمْكِنُ زِيَادَتُهُ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيُّ ، واختصر هذا وما بعده فِي بَيْتٍ
 وَاحِدٍ ، وَهُوَ :

وإن كان ذنبي كلَّ ذَنْبٍ فَإِنَّهُ تَحَا الذَّنْبُ كُلَّ اللَّحْوَ مِنْ جَاءَ تَائِبًا^(١)
 وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ: رَبُّ ذَنْبٍ مَقْدَارُ الْعُقُوبَةِ عَلَيْهِ إِعْلَامُ الذَّنْبِ بِهِ ، وَلَا يُجَاوِزُ
 بِهِ حَدَّ الْارْتِيَاعِ إِلَى الْإِيقَاعِ .

وأما قوله :

• وحسبك من حادثٍ بامرئ * البيت

فهو للمُتَبَيِّن . وقال في مثل هذا ابنُ عَنِين :

ضَنَيْتُ بِهِ حَتَّى رَثْتُ لِي عَوَازِي وَرَقِي لِمَا أَلْقَى الْعَدُوَّ الْمُنَاصِبُ
وَمَا كُنْتُ تَمَنَّيْتُ يَسْتَكِينُ لِحَادِثٍ وَلَكِنْ سُلْطَانُ الْهَوَى لَا يُغَالِبُ
وقال أبو تمام :

وحسبك حَسْرَةً لَكَ مِنْ صَدِيقٍ يَكُونُ زِمَامُهُ بِيَدَيْ عَدُوٍّ^(١)
وقال أبو الطيّب :

كَفَى بِكَ دَاءٌ أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيًا وَحَسْبُ الْأَمْرِ أَنْ يَكُنْ أَمَانِيًا^(٢)
^(٣) وَنَقَلْتُ مِنْ خَطِّ السَّراجِ الْوَرَّاقِ يَذُمُّ عَبْدَهُ :

مَتَلَوْنَ الْأَخْلَاقَ حِرَبًا وَاتَّهَمًا^(٤) وَوَادَهُ يَمْتَازُ مِنْهُ الْقَارُ
وَيْسَى آدَابًا عَلَى وَدَائِي أَلْإِغْضَاءِ عَنْهُ، وَدَائِي الْإِصْرَارُ
وَلَهُ ذِكَاةُ إِيَّاسٍ فِي حَاجَاتِهِ وَإِذَا قَضَى لِي حَاجَةً فَجَمَارُ
وَرَقَادُ أَهْلِ الْكَهْفِ دُونَ رُقَادِهِ مَا جَنَّ لَيْلٌ أَوْ أَضَاءَ نَهَارُ
وَلَهُ فَضْلٌ مَلَأَ أَمَارِ الدُّجَى مِمِّهِ وَلَا مَتَحَدِّثِينَ سِرَارُ
وَمُسَائِلٌ : مَنْ ذَا ؟ وَمَا هَذَا الَّذِي تَحْتَ الْفِطَاءِ ؟ وَدَارُ مَنْ ذِي الدَّارِ ؟
وَدَخُولُهُ بَيْنَ الَّذِينَ تَضَارَبَا وَالْحَكْمُ بَيْنَهُمَا وَذَا مَدْرَارُ
وَمَسِيرُهُ لِدَوَى الْفُضُولِ لَمَلَّهُ يَمْتَازُ بَيْنَ الْقُومِ أَوْ يَمْتَارُ

(٢) ديوانه ٤ : ٢٨١

(١) ديوانه ٤٦٦

(٣) من هنا إلى الآخر ساقط من ط.

(٤) جمع حرباء : يريد أن أخلاقه متلوثة تلون الحرباء .

ومغيبه عني وإن ساءلته فجوابه لي ضجيرة ونفارة
ولكم أقول ولا تفيد مقالتي زنهارة من حرركاته زنهارة!

٥٤ - قوله : فكيف ولا ذنب إلا نائمة أهذاها كاشح ،
ونبأ جاء به فاسق .

يريد بذلك : فكيف يصدر في حق منك هذا كله من الذل والإبعاد
والجفاء والإقصاء والفضب والإعراض والصدّة ، ولا ذنب لي بعد هذا
كله إلا نائمة أهذاها كاشح - والكاشح الذي يضر لك المداوة - ونبأ
أنتك به فاسق ، وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ
تَصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾^(١) ، وقد قرئ : « فتثبتوا »
بالتاء ثالثة الحروف ، وأيضا بالتاء المثلثة ، وبالباء الموحدة ، والتاء ثالثة أيضا .
اغتاب الأعمش رجلا من أصحابه ، فطلع الرجل فعمه ذلك ، فقال بعض
أصحابه : أعلمه بما قلت حتى لا تكون غيبة ، فقال الأعمش : اسكت أنت
حتى لا تكون نائمة !

وفي المثل : أنتم من الصُّبح ، وأنتم من الجبل ، كقول الشاعر :
فإنسكا يا بني جنابٍ وجدتما كمن دبَّ يستخفي وفي العنقِ بلجل^(٢)
وأنتم من زُجاجةٍ على ما فيها ، وأنتم من ذُكاء ، وأنتم من جَوْزِي جوالق .
وقال الخفافى :

أما الوُشاة فقد أصابوا عندكم سُوقا ينفق كل قولٍ كاذبٍ^(٣)

(٢) لأوس بن حجر ، ديوانه ٧٢ .

(١) الحجرات ٦

(٣) ديوانه ١٤

فَلْتُمْ عَنْ صَائِرٍ ، وَرَقٌ — ذُنُومُ عَنْ سَاهِرٍ ، وَزَهْدٌ تُمْ فِي رَاغِبٍ
وَأَقْلَ مَا حَكَمَ الْمَالُ عَلَيْكُمْ سَوْءَ الْقَلْبِ وَسَمَاعُ قَوْلِ الْعَائِبِ

وقد وضع الحريري بعض مقاماته - وهي الثامنة عشر - في النعمة وذمها ،
فأجاد فيها ما شاء .

أوصت أعرابية ابنها ، وقد أراد السفر ، فقالت : أي بُنَيَّ ، إياك والنعمة ؛
فإنها تزرع الصفيحة ، وتفرق بين الحبين ، وإياك والتمريض للأمويوب ، فتتخذ
غرضاً ، وخليقاً ألا يثبت الغرض على كثرة السهام .
وفي الملل : النعمة إرثُ العداوة .

وقال عمر بن أبي ربيعة :

ولما التقينا سلمت وتبسمت
أمن أجل واشٍ كاشحٍ بنميمة
وقالت مقال المعرض المتجنب^(١)
مشى بيننا صدقة لم تكذب
قطعت حبال الوصل منا ومن يطعم
بذي وده قول الحرش يعتب^(٢)
وأحسن ابن الساعاتي فقال :

أنت فتلاق كل شيء ومثله
فجسمي رجفناها ، ووحدى وردفها
وفود الدجى من هامة الأفق مسود
لقد كتم الخلل والقلب والدجى
وقاي وقرطاه ، ودهني والعقد
فتم عليها الشعر والحلى والنهد

وقال ابن التلمساني :

تم بها حليها ومبسمها وطيب أنفاسها وواشيها

(١) ديوانه ٤٢٧ ، فيه : « مقال المعرض » .

(٢) يعتب ، على البناء للجهول ، أي يلام .

وأرى أنا أن هذا كله مأخوذ من قول أبي الطَّيِّب :

فَاقُ المايحة ، وهى منك هَتَكُهَا ومسيرُها فى اللَّيلِ وهى ذُكَا^(٢)
 قيل وما لأنى الحارث : ما شئتُ؟ فقال : أعين الرُّقَبَاءَ ، والسَّنة الوُشَاةُ ،
 وأكباد الحساد ، أخذ هذا بمضمونهم فنظمه :

قال لى عُوْدِي غداة أنونى ما الذى تشتهيه ؟ واجتهدوا بى
 قلت : مقلّى فيه لسانُ وُشَاةٍ قَطَمُوهُ فيه بصنغ عَجِيبِ
 وأضيفت إليه كَبْدُ حَسُودٍ فُقِمَّتْ فوقها عِيُونُ رَقِيبِ
 وقال آخر :

عندى لكم يوم التواضل دعوةٌ يامعشر الخُلَطَاءِ والنَّدَمَاءِ
 أشوى قلوب الحاسدين بها وأد سَنة الوشاة وأعين الرُّقَبَاءِ
 وأنشدنى لنفسه إجازة القاضى زين الدين عمر بن الوردى ، فقال :
 لى شَهْوَتَانِ أَحَبُّ جَنَمَهِمَا لو كانت الشَّهَوَاتُ مَضْمُونَةً
 أعناق عَذَالَى مَدْفُونَةٍ ومفاصل الرُّقَبَاءِ مُدْفُونَةٍ
 وقلت أنا فى هذه المادّة :

بنّا وما نُقَلِّمُنَا سِوَى قَبْلِ وريقُ فيه سُلَافٌ مُشْرُوبِ
 عِنا وما نَمَتِ الوشاةُ بِنَا لولا فضولُ الحليِّ والطَّيِّبِ

٥٥ -- قوله: وهم الهمَّازون المشاءون بنميم ، والواشون الذين لا يلبثون أن يصدعوا العصا .

هذا تفسير لما تقدم ، يعني أن هؤلاء ذكروهم الله في القرآن العظيم في قوله تعالى : ﴿ هَمَّازٌ مَّشَاءٌ بَنَمِيمٍ ﴾^(١) .

الهمَّاز المُعْتَاب الَّذِي يَأْكُلُ لَحُومَ النَّاسِ بِالطَّعْنِ عَلَيْهِمُ وَالنَّمِيمَةُ .

وقال الحسن : يُؤَلَّى شَذَقِيهِ فِي أَقْنَمِيَةِ النَّاسِ . وَالنَّمِيمِ وَالنَّمِيمَةُ وَاحِدٌ ، وَهُوَ نَقْلُ السَّحْلَامِ السَّيِّئِ ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ قَتَانٌ يَسْعَى بَيْنَ النَّاسِ بِالنَّمِيمَةِ لِيُفْسِدَ مَا بَيْنَهُمْ .
والمراد بقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُطْعِمُوا كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ﴾^(٢) الوليد بن المغيرة .
وَالْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَفْوْثٍ وَالْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيقٍ .

وقد جاء في السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ أَحَادِيثٌ كَثِيرَةٌ فِي ذَمِّ النَّمِيمَةِ ، مِنْهَا مَا هُوَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، وَهُوَ مَا رَوَاهُ حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ تَمَامٌ » .

وَعَنْ أَبِي عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِقَبْرَيْنِ ، فَقَالَ : « إِنَّهُمَا بَعْدَتَانِ ؛ وَمَا بَعْدَتَانِ فِي كَبِيرٍ ؛ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَبِرِي مِنَ الْبَوْلِ » . وَهَذَا لَفْظُ إِحْدَى رَوَايَاتِ الْبُخَارِيِّ . وَمَعْنَى « فِي كَبِيرٍ » هُنَا أَنَّهُ صَغِيرٌ فِي زَعْمِهِمَا ، وَإِلَّا فَهُوَ كَبِيرٌ فِي نَفْسِهِ .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أَلَا أَنْتَبِهُكُمْ مَا الْمَضَةُ ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ ، الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ »^(٣) . رَوَاهُ مُسْلِمٌ بِمَنْحِ الْعَيْنِ الْمُهِمَّةِ ،

(٣) صحيح مسلم ٢٠١٢

(١٥ - تمام المتن)

(٢) سورة القلم ١٠

(١) سورة القلم ١١

وسكون الضاد، وبمدها هاء، على وَزْنِ الْوَجْهِ. وَرُويَ الْعِصَّةُ بِكسر الميم،
وفتح الضاد على وزن الْعِدَّة، وهي الكَذِبُ والْبُهْتَانُ.

وقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم: «لعن الله المثلث»، فقيـل:
يارسول الله، وما المثلث؟ قال: «الَّذِي يَسْعَى بِصَاحِبِهِ إِلَى السُّلْطَانِ فِيهِلِكَ
نَفْسَهُ وَصَاحِبَهُ وَسُلْطَانَهُ».

وقولُ ابنِ زيدون رحمه الله تعالى: «والواشون الذين لا يلبثون أن يصدعوا
العصا»: الأصل فيه قول كثير عزة:

لَعَمْرُ أَبِي الْوَاشِينَ لَا عَمْرُ غَيْرِهِمْ لَقَدْ كَنَفُونِي خُطَّةً لَا أُرِيدُهَا
وَلَا يَلْبِثُ الْوَاشُونَ أَنْ يَصْدَعُوا الْعَصَا
إِذَا هِيَ لَمْ يَصْلُبْ عَلَى الْبَرَى عُوْدُهَا

كان الخُلَنجِيُّ الْقَاضِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، ابْنُ أُخْتِ عَلَوِيَّةِ الْمَغْنِيِّ، تَيَّاهَا صَليْفًا،
تَقَلَّدَ الْقَضَاءَ لِلْأُمَيْنِ. وَكَانَ عَلَوِيَّةٌ عَدُوًّا لَهُ، فَجَرَتْ لَهُ قَضِيَّةٌ فِي بَدَادَا، فَاسْتَعْفَى
مِنَ الْقَضَاءِ، وَسُئِلَ أَنْ يُوَلِّيَ بَعْضَ السُّكُورِ الْبَعِيدَةِ، فَتَوَلَّى قَضَاءَ دِمَشْقٍ أَوْ
جَنْصٍ، وَلَمَّا تَوَلَّى الْمَأْمُونُ الْخِلَافَةَ غَنَاهُ يَوْمًا عَلَوِيَّةٌ بِشَعْرِ الْخُلَنجِيِّ، وَهُوَ:

بَرِئْتُ مِنَ الْإِسْلَامِ إِنْ كَانَ ذَا الَّذِي أَتَاكَ بِهِ الْوَاشُونَ عَنِّي كَمَا قَالُوا
وَلَكِنِّهِمْ لَمَّا رَأَوْكَ غَرِيبَةً^(١) بِهِ جَرِي تَوَاصَرُوا بِالْزَمِيمَةِ وَأَحْتَالُوا
فَقَدْ صِرْتُ أَذْنًا لِلْوِشَاةِ سَمِيمَةً يَنَالُونَ مِنْ عَرْضِي وَلَوْ شِئْتُ مَا نَالُوا

فَقَالَ الْمَأْمُونُ: مَنْ يَقُولُ هَذَا الشَّعْرَ؟ قِيلَ: قَاضِي دِمَشْقٍ، فَأَمَرَ الْمَأْمُونُ
بِإِحْضَارِهِ، فَأَشْخِصْ، وَجَلَسَ الْمَأْمُونُ لِلشَّرْبِ، وَأَحْضَرَ عَلَوِيَّةٌ، وَدَعَا الْقَاضِي،
فَقَالَ: أَأَنْشِدْنِي قَوْلَكَ: «بَرِئْتُ مِنَ الْإِسْلَامِ..» الْأَبْيَاتُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ

(١) غَرِيبَةٌ: مُوَاعَاةٌ، وَفِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ: «سَمْرِيَّةٌ».

المؤمنين ، هذه آيات قُلْتَهَا منذ أربعين سنة ، وأنا صَبِيٌّ ، والذي أَكْرَمَكَ بالخلافة ، وورثك ميراث النبوة ، ما قُلْتُ شعراً منذُ أَكْثَرَ من عشرين سنة إلا في زهدٍ أو عتابٍ صدِّيق . فقال له : اجلس ، وناوله قدحَ نَبِيدٍ كان في يده ^(١) ، فأرتعدَ وبَكَى ، وأخذ القدح من يده وقال : والله يا أمير المؤمنين ، ما غَيَّرَتِ الماءُ بشيءٍ قطُّ مما يُخْتَلَفُ في تحاميله ، فقال : لعلك تريد نَبِيدَ التَّمَرِ ، أو نَبِيدَ الزَّيْبِ ! فقال : والله يا أمير المؤمنين لا أعرف شيئاً من ذلك . فأخذ المأمونُ القدح من يده ، وقال : أما والله لو شربت شيئاً من هذا لضربت عنقك ، ولقد ظننتُ أنك صادقٌ في قولك كله ، ولكن لا يتولى لي القضاء رجلٌ ، بدأ في قوله بالبراءة من الإسلام ؛ انصرفَ إلى منزلك . وأمرَ علويه فغَيَّرَ هذه السكامة ، وجعل مكانها : « حُرِّمَتْ مُنَايَ مِنْكَ ^(٢) » .

قُلْتُ : ما جرى للمأمون مع هذا القاضي المسكين على خلافِ المَعْمُود من حِلْمِهِ ، ومكارمِ أخلاقِهِ ، وكان غير هذا الفعل أولى به وبرياستِهِ ، ولكنَّهُ صَانٌ مَنْصِبِ الْقَضَاءِ وَوَقَرُهُ وَأَجَلُهُ ، فعفا الله عنه . وأما هذا القاضي الخُلَنجِيُّ رحمه الله فقد اخْتَلَجَ في خاطره من الوُشَاة ما أضرَّ به عند محبوبته وعند الخليفة ، وهذا من كَهْمَانَةِ الشُّعْرِ ، وتَمَا يَتَمَقُّ للشاعر وقوعه بعد مدَّةٍ مدَّةٍ . وأما علويه فأَعْلَهُ الله ، ولا أعلى له كعباً ، لقد أضرَّ بِحَالِهِ ، وعَظَلَهُ مِنَ حَلِيِّ الْقَضَاءِ .

قال الواثق يوماً لابن أبي دُوَادٍ : قد سعى بك عندي قومٌ ، قال : فما قُلْتَ لهم يا أمير المؤمنين ؟ قال : ما قال صاحبُ عَزَّةٍ :

وَسَعَى إِلَى بَمَيْبِ هَرَّةٍ نِسْوَةٌ جَعَلَ إِلَهُ خُدُودَهُنَّ نَمَالَهَا

(١) في الأغاني : « قدح نبيذ التمر أو الزبيب » .

(٢) الخبر في الأغاني ١١ : ٣٣٩ ، ٣٤٠ . وتاريخ الطبري ٨ : ٦٥٦ .

ونقلتُ من خطِّ القاضي محي الدين بن عبد الظاهر قوله :

يا من يَنْمُو ولا يُتِمُّ اللهُ مفعه ما خشي
ما في اقتدارك أن تشأ ، وفي اقتدارك أن تَشِي

وقال أبو سعيد الرستمي :

مالي وللواشين ، لا يهنيهم ما منعموه من النعيم وزخرفوا
أعيانهم سبب التهاجر بيننا فتماءلوا لي بالفراق وأرجفوا

وقال ناصر الدين حسن بن النقيب :

صدتْ وعلمتِ الصدودَ خيالها فحُرمتُ حتى في المنام خيالها
ما زالَ واشيها بزور حديثه فأصدَّها عن عهدِها وأحالها
وسعى فغيرها وعير في الهوى أخلاقها وطباعها وخالها

وقال غيره :

يانازحاً بوداده لما وشي وايش ، وليس من الفؤاد بنازح
ما كان أحسن شملنا ونظامه لو لم تكن تُصفي لقول الكاشح
إني لأعجب كيف يعزب عنك ما أضمرت فيك وأنت بين جوانحي

وقال ابن الساعاتي فأحسن :

ثلاثة منعتها من زيارتنا إذا دجى الليلُ خوف الكاشح الخنق
ضوء الجبين ، فوسواسُ الحلي ، وما تُبديه من عرق كالغدير العيق
هَبِ الجبين بفضل السكمِ استره والحلي تنزعهُ ، ما الشأن في العرق !

وقال عمارة اليماني :

وهاها لما نطقوا الواشون كم أذن سقى إليها بترداد المحال فم

وَنَقَلْتُ مِنْ خَطِّ السَّرَاجِ الْوَرَّاقِ :

كَمْ الزِّيَادَةُ فِي الدَّجَى فُضِيأُوهُ وَحُلِيَّةٌ وَشَذَاهُ ؛ كُلُّ قَدْ وَشَى
وَكَمْتُ وَجَدِي فِيهِ لَوْلَا أَدْمَعُ نَمْتُ بِمَا أَخْفِيهِ حَتَّى قَدْ فَشَا

٥٦ - وقوله : وَالْفَوَاةُ الَّذِينَ لَا يَتْرُكُونَ أَدِيمًا صَحِيحًا .

يشير بذلك إلى قول القائل :

وَلَا تُنْشِ سِرَّكَ إِلَّا إِلَيْكَ فَإِنْ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحًا
فَإِنِّي رَأَيْتُ غَوَاةَ الرَّجَا لَا يَتْرُكُونَ أَدِيمًا صَحِيحًا
وَبِمَضِ النَّاسِ يَزْعُمُ أَنَّ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لَعَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،
وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتَضِلُ بِهِمَا كَثِيرًا .

وَالْفَوَاةُ : جَمْعُ غَاوٍ ، وَهُوَ أَسْمُ فَاعِلٍ مِنَ الْفَى ، وَهُوَ ضِدُّ الرُّشْدِ .
وَقَوْلُهُ : « لَا يَتْرُكُونَ أَدِيمًا صَحِيحًا » ، أَيْ لَا يَدَعُونَ جِلْدًا صَحِيحًا ، بَلْ
يَفْرُونَهُ وَيُمِزُّقُونَهُ .

وَقَدْ جَمَعَ الْأَمِيرُ تَيْمُ بْنُ الْمَعْرِ جَمَاعَةً مِمَّنْ يَنْكُرُ عَلَى الْحَبِّ ، فَقَالَ :
أَوَانِسُ فِي أَثْوَابِهِنَّ وَفِي الْمَلَأِ غَصُونٌ ، وَفِي تَنْقِيهِنَّ بَدُورٌ (١)
فَهِنَّ الْمَنَى لَوْلَا رَقِيبٌ وَحَاسِدٌ عَدُوٌّ وَوَاشٍ كَاشِحٌ وَغَيُورٌ
وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْقَائِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ :

جُمِعْتُ لَدَى مِنَ الْفَرَامِ عَجَائِبُ خَلَقَنَ قَلْبِي فِي إِسَارٍ مُوَحِّشٍ
حِلٌّ يَصُدُّ ، وَعَاذِلٌ مَنَصِّحٌ ، وَمَعَانِدٌ يُوْذِي ، وَنَمَامٌ يَشِي

وما أحسن قول ابن الخياط :

فلا تعدل إلى الواشين نفعاً
وإن الودّ عندهم نفاقٌ
وللأقوال إن سمعت سهامٌ
فما نصحاً لمجدك بل مراداً
فليتك تسمع القولين حتى
فإن كلاماً أكثرهم كلامٌ (١)

إذا طأوتهم والحمد دَامُ
تَقَصَّر عن مواقعها سهامُ
لما قد ساءنى قعدوا وقاموا
يُبين في من الحق الخصامُ

وقول ابن عطية :

لا تسمعن من الحسود نَمِيمَةً
إن كان قد أوحى إليك تخرصاً
سل غيره عني لتعلم إفكهُ
لا يثبت الحق المبين لحاكمٍ

فكلامه ضربٌ من الهذيانِ
فالناس قد كذبوا على الرحمنِ
واسخط عليه ، فبالحالِ رماني
في الحق حتى ينطق الخصمانِ

٥٧ - وقوله: والسَّعَاةُ الذين ذكَّروهم الأحنف بن قيس، فقال:
ما ظنَّكَ بقومٍ الصدِّقِ محمودٍ إلا منهم!

السَّعَاةُ: جمعُ سَاعٍ، مِنَ السَّعَى، وهو الحركةُ مطلقاً، ولكن قد
غلبَ هذا في المُزَفِّ على مَنْ يذكُرُ النَّاسَ بالشَّوْءِ، وهو الَّذي يريد
للناسِ المواقِعَ.

أَشَدَّنِي لِنَفْسِهِ إِجَازَةً شَيْخُنَا الإمامُ شهابُ الدِّينِ أَبُو الثَّمَّاءِ محمودُ رحمه الله
تعالى، من قصيدةٍ مَدَحَ بها الصَّاحِبَ تاجَ الدِّينِ مُحَمَّدَ بنَ حنَّانٍ:

خَرَسَ السَّعَاةُ وَكَانَ قَبْلَ زَمَانِهِ لِكَلَامِهِمْ بَيْنَ الضُّلُوعِ كِلَامُ
وَتَجَنَّبُوا سُوقًا إِلَى سُوقٍ بِهِ نَفَقَ الصَّلَاحِ وَبَارَتْ الْأَنَامُ
وما أحسن قول القائل:

سَعَى إِلَيْكَ بِي الْوَائِي فَلَمْ تَرِنِي أَهْلًا لِكَذِبٍ مَا أَلْقَى مِنَ الْخَبَرِ
وَلَوْ سَعَى بِكَ عِنْدِي فِي الدُّكْرِ طَيْفُ الْخِيَالِ لِبُعْتِ النُّومَ بِالسَّهَرِ
وقد وَضَعَ لِهَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ شَيْخُنَا شهابُ الدِّينِ محمودُ رحمه الله بَيْتَيْنِ أَوَّلَيْنِ
وهما قوله:

يَا مُلْزِمِي بِذُنُوبٍ مَا أَحْطَتْ بِهَا عِلْمًا، وَلَا خَطَرْتُ يَوْمًا عَلَى فِكْرِي
صَدَّقْتُ فِيَّ أَبَاطِيلَ الظُّفُونِ وَكَمْ كَذَّبْتُ فِيكَ يَقِينَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ
وَأَمَّا قَوْلُ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ: «مَا أَقُولُ فِي قَوْمِ الصَّدِّقِ مُحمَّدٍ إِلَّا مِنْهُمْ»
فهذا قولٌ «فِي غَايَةِ الْبَلَاغَةِ الْجَامِعَةِ لِمُضَرِّبِ الْمَعَانِي، لِأَنَّ هَذَا غَايَةُ فِي»
الذِّمِّ لِلْأَسْمَاءِ، لِأَنَّهُمْ يُذَكَّرُونَ بِمَا يُحَمِّدُ بِهِ النَّاسُ؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ لَمَّا تَعَاطَوْا هَذَا

الصِّدْقُ الَّذِي أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى مَدْحِهِ ، وَمَدَحَهُ اللَّهُ ، وَرَسُولُهُ ^(١) وَأَكْبَرُ
النَّاسِ وَعُلَمَاؤُهُمْ ؛ وَتَلَبَّسَ بِهِ هَؤُلَاءِ الْأَنْذَالُ الْأَوْبَاشُ صَارَ مَذْمُومًا عِنْدَ
الْعُقَلَاءِ وَالرُّؤُسَاءِ ؛ وَصِدْقُ هَؤُلَاءِ السَّعَاةِ مَذْمُومٌ ، وَكَذِبُ الشُّعْرَاءِ مَحْمُودٌ .
قَالَ بَعْضُهُمْ فِي وَصْفِ الشُّعْرَاءِ : مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ الْاِفْتِضَاءِ ^(٢) مَحْمُودٌ إِلَّا
مِنْهُمْ ، وَالْكَذِبُ مَذْمُومٌ إِلَّا مِنْهُمْ .

وَدَفَعَ بَعْضُ السُّعَاةِ إِلَى الْأَمِيرِ ^(٣) السَّفَاحَ قِصَّةً بِسَاعِيَةٍ عَلَى بَعْضِ عُجَالِهِ ،
فَوَقَّعَ فِيهَا : « هَذِهِ نَصِيحَةٌ » ^(٤) لَمْ تُرَدِّ بِهَا مَا عِنْدَ اللَّهِ ، وَنَحْنُ لَا نَقْبَلُ قَوْلَ مَنْ
آثَرَ نَاعِي اللَّهِ .

وَكَتَبَ بَعْضُ شُهَدَاءِ الْأَهْوَازِ إِلَى الْوَزِيرِ أَبِي الْفَرَجِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ :
قَدِمَاتِ فُلَانٍ ، وَخَلَّفَ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ عَيْنِيًا ، وَلَمْ يُخَلِّفْ غَيْرَ طِفْلةً ، فَإِنْ
رَأَى أَسْتِعْرَاضَ الْمَالِ إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الطِّفْلةُ ، فَفِي عَقَارِهَا وَأَمْلَاكِهَا كِفَايَةٌ !
فَوَقَّعَ عَلَى ظَهْرِ كِتَابِهِ : « الطِّفْلةُ جَبَرَهَا اللَّهُ ، وَالْمَالُ ثَمَرَهُ اللَّهُ ، وَالسَّاعِي لِعِنَةِ اللَّهِ ،
لَا حَاجَةَ لِلسُّلْطَانِ إِلَى الْمَالِ » .

وَلَمَّا وُلِّيَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ دِمَشْقَ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي بَنِي أُمِّيَّةٍ أَلَبٌّ مِنْهُ
فِي حَدَائِثِهِ سَنَةً ؛ قَالَ أَهْلُ دِمَشْقَ : هَذَا غُلَامٌ شَابٌّ وَلَا عِلْمَ لَهُ بِالْأُمُورِ ،
وَسَيَسْمَعُ مِنَّا . فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ! عِنْدِي نَصِيحَةٌ ،
فَقَالَ : لَيْتَ شِعْرِي ، مَا هَذِهِ النَّصِيحَةُ الَّتِي ابْتَدَأْتَنِي بِهَا مِنْ غَيْرِ
يَدٍ سَبَقَتْ مِنِّي إِلَيْكَ ! قَالَ : جَارِي عَاصٍ ، مُخْتَلِفٌ مَعَهُ ^(٥) . فَقَالَ : مَا اتَّقَيْتَ
اللَّهَ ، وَلَا أَكْرَمْتَ أَمِيرَكَ ، وَلَا حَفِظْتَ جَارَكَ ، إِنْ شِئْتَ نَظَرْنَا فِيمَا تَقُولُ ،

(٢) م : « الافتصاد » .

(٤) ط : « النصيحة » .

(١) ط : « رسله » .

(٣) ط : « أمير المؤمنين » .

(٥) م : « فيه » .

فإن كنت صادقاً فيما قلت لم ينبغك ذلك عندنا ، وإن كنت كاذباً عاقبتك ،
وإن شئت أقتلناك ؛ قال : أقتلني ، قال : اذهب حيث شئت ، لا صحبتك
الله ! إني أراك شرَّ رجل . ثم قال : يا أهل دمشق ؛ لولا أنه لا ينبغى لوالى
أن يعاقب ^(١) قبل أن يعاتب ، كان لى فى ذلك رأى ، فلا يأتى أحدٌ منكم
بسماعة على أحدٍ بشيء ؛ فإن الصادق فيها فاسق ، والكاذب فيها بهائم .

وحكى أن أمير المؤمنين القادر بالله أحمد ، بينما هو ذات ليلة يمشى
فى أسواق بغداد إذ سمع شخصاً يقول لآخر : قد طالت علينا دولة هذا
المشؤم ، وليس لأحدٍ منا عنده رزق . فأمر خادماً كان بين يديه أن يتوكل
به ، ويحجزه بين يديه ، فسأله عن صفة ^(٢) فقال : إني كنت من السعاة
الذين يستمين بهم أربابُ هذا الأمر على معرفة أحوال الناس ؛ فذو لي
أمير المؤمنين أقصانا ، وأظهر الاستغناء عنا ، فعمطت معيشتنا ، وأنكسر
جاهنا عند الناس ؛ فقال : أتعرف من فى بغداد من السعاة ؟ قال نعم :
فأحضر كاتباً فكتب أسماءهم ، وأمر بإحضارهم . ثم إنه أجرى ^(٣) لكل
واحد معلوماً ، ونفاهم إلى النفور القاصية ، ورتبهم هنالك عيوناً على أعداء
الناس ، ثم اتفقت إلى من حوله ، وقال : اعلموا أن هؤلاء ركب الله
فيهم شراً ، وملا صدورهم حقداً على العالم ، ولا بد لهم من إفراغ ذلك الشر ؛
فالأولى أن يكون ذلك فى أعداء الدين ، ولا يُنفَص بهم على المسلمين .

قلت : وأعرف نظير هذه الواقعة [واقعة ^(٤)] ، اتفقت للسلطان الملك

(١) كذا فى ط ، م ، وفى الأصل : « يعاقب » .

(٢) ط : « صفة » .

(٣) ط : « وأجرى » .

(٤) من ط .

الناصر محمد بن قلاوون رحمه الله ، وهو أنه حضر في سنة ثمان وعشرين
وسبعمائة تاج الدين كاتب الفتاح أو غيره ، إلى الأمير علاء الدين مُغلطاي
الجمالى ، لما كان وزيراً ، وذكر عنده أناساً [معروفين] ^(١) بكل قبيح ،
والترم ^(٢) فيهم جملة من الذهب إذا صودروا ، وأخذت منهم وظائفهم .
فدخل الجمالى إلى السلطان وحكى له ما قاله ، فقال : أحضره ، فلما استحضره
سمع كلامه ، وقال له : هل لك علم بأحد في القاهرة يعرف شيئاً من هذه الأحوال ؟
فقال : نعم ، جماعة ، وعدم . فقال للوزير : خذ هذا عندك واستحفظ به ^(٣) ،
وأحسن إليه ، وإذا أحضر إليك كل هؤلاء الذين ذكرتهم عرّفني بهم .
فخرجوا من عنده ، وذكر له جماعة وهو يحضرهم إلى أن لم يبق منهم أحد ،
ودخل على السلطان وعرفه بهم ، فقال : اخرج الآن في هذه الساعة ، وجّهز
الجميع إلى قوص ، ولا تدع أحداً منهم في القاهرة فإن هؤلاء مناحيس ،
يرافعون الناس ، فنفاهم أجمعين .

قال معاوية يوماً للأحنف بن قيس في أمر بلغه عنه ، فأنكر الأحنف ؛
فقال له معاوية : النّمة بأخفى عنك ، فقال : النّمة لا يبلغ .

ووقع ذو الرياسمين في رقعة ساع ^(٤) : « نحن نرى قبول السّابقة شرّاً منها ؛
لأن السّماية دلالة ، والقبول إجازة ، وليس من دلّ على شيء وأخبر به ،
من قبله رأياه ، فانتقوا السّاعي ؛ فإنه لو كان في سماعه صادقاً لكان في
صدقه آمناً إذ لم يحفظ الحُرمة ، ولم يستر القوّة » .

ولما قبض أمير المؤمنين المستظهر بالله على الوزير أمين الدولة بن

(٢) م : « ألزم » .

(١) من د

(٤) ساقطة من ط .

(٣) ط ، د : « واحتفظ به »

جُهِدَ ، كَتَبَ إِلَيْهِ بِهَضُ الْأَشْرَارِ سِمَايَةً فِي الْوَزِيرِ ، وَأَغْرَاهُ بِهِ غَايَةَ الْإِغْرَاءِ ،
فَكَتَبَ الْمُسْتَظْهِرُ عَلَى الرِّقْعَةِ :

غَيْرَ مَا طَالِيَيْنِ ذَخْلًا وَلَكِنْ مَالَ دَهْرِي عَلَى أَنْيَاسٍ فَمَالُوا

وَقَالَ رَجُلٌ الْمُهْدِي : عِنْدِي لَكَ نَصِيحَةٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : لِمَنْ هِيَ ؟
لَنَا أَمْ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ أَمْ لِنَفْسِكَ ؟ قَالَ : لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : لَيْسَ
السَّاعِي بِأَعْظَمَ عَوْرَةٍ ، وَلَا أَقْبَحَ حَالًا مِنْ قَابِلِ سِمَايَةٍ ، وَلَا تَخْلُو مِنْ أَنْ تَكُونَ
حَاسِدَ نِعْمَةٍ ، فَلَا تُشْفِي غَيْظَكَ ، أَوْ عَدُوًّا فَلَا تُعَاقِبُ لَكَ عَدُوًّا . ثُمَّ أَقْبَلَ
عَلَى النَّاسِ فَقَالَ : لَا يَنْصَحُ لَنَا نَاصِحٌ إِلَّا بِمَا فِيهِ رِضَا اللَّهِ ، وَلِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ صَلَاحٌ ،
فَإِنَّمَا لَنَا الْأَبْدَانُ ، وَلَيْسَ لَنَا الْقُلُوبُ ، وَمَنْ أَسْمَتَ لَمْ نَكْتَسِفْ لَهُ ^(١) ، وَمَنْ
أَخْطَأَ أَقْلُنَا عَثَرَتْهُ ، إِنِّي أَرَى التَّنَادِيْبَ بِالصَّفْحِ أَبْلَغَ مِنْهُ بِالْعُقُوبَةِ ، وَالسَّلَامَةَ
مَعَ الْقَنُوءِ أَكْثَرَ مِنْهَا مَعَ الْمُجَاجَلَةِ ، وَالْقُلُوبُ لَا تَبْقَى لَوْلَا لَا يَنْهَظُفُ إِذَا اسْتَعْظَفَ ،
وَلَا يَغْفِرُ إِذَا قَدَرَ ، وَلَا يَغْفِرُ إِذَا ظَفِرَ ، وَلَا يَرْحَمُ إِذَا اسْتَرْحَمَ .

قَالَ : وَقَدْ كَانَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ صَلَاحُ اللَّهِ إِذَا جَاءَهُ أَحَدُ رَاتِعٍ
فِي كِتَابِهِ وَالْمُبَاشِرِينَ الَّذِينَ فِي بَابِهِ ، قَالَ : هَؤُلَاءِ قَدْ أَخَذُوا وَشَبِعُوا ،
لَا تَغْتَبِرُوهُمْ ؛ فَإِنَّ الَّذِي يَأْتِي مِنْ بَعْدِهِمْ يَكُونُ جَوْعَانٌ . وَمَا أَلْطَفَ قَوْلَ الْبَهَاءِ
زُهَيْرٍ وَأَرْقَاهُ ! قَالَ :

حَبِيبِي مَا هَذَا الْجَفَاءُ الَّذِي أَرَى وَأَيْنَ التَّمَافِي مِنْكُمْ وَالتَّعْظُفُ ^(٢)
لَكَ الْيَوْمَ أَمْرٌ - لَا أَشُكُّ - يَرِيدُنِي
نَعَمْ نَقَلَ الْوَاشُونَ عَنِّي بَاطِلًا
كَأَنَّكَ قَدْ صَدَقْتَ فِي حَدِيثِهِمْ
وَأَيْنَ التَّمَافِي مِنْكُمْ وَالتَّعْظُفُ ^(٢)
فَمَا وَجْهُكَ الْوَجْهَ الَّذِي كُنْتَ تُعْرِفُ
وَمِلْتَ لِمَا قَالُوا ، فَزَادُوا وَأَسْرَفُوا
وَحَاشَاكَ مِنْ هَذَا ، فَخُلِّقُكَ أَشْرَفُ

وقد كان قولُ الناسِ في الناسِ قبلنا
بمِشْكِ قل لي ما الذي قد صنَعْتُهُ
فإن كان قولاً صحَّ أُنِّي قُلْتُهُ
وهبْ أَنَّهُ قولٌ من الله مُنزَلٌ
وها أَنَا والواشي وأنت جِيعنا
وماكلٌ ساعٍ ولا كلٌّ نَمَامٌ
مثل ساعي سيف الدين بن المشد بن
قزل حيث يقول :

وَجَلَسَ رَاقٍ مِنْ وَاِشٍ يَكْدُرُهُ
وَمِنْ رَقِيبٍ لَهُ فِي الْأَوْامِ إِيْلَامٌ
مَا فِيهِ سَاعٍ سِرِّي السَّاقِي وَلَيْسَ بِهِ
عَلَى النَّدَايِ سِوَى الرِّيحَانِ نَمَامٌ
وَأُنْشَدَنِي صَفِيّ الدِّينَ لِنَفْسِهِ إِجَازَةً :

أَقُولُ وَطَرَفِ الذَّرَجِسِ الْفَضْلُ شَاخِصٌ
إِلَيْنَا ، وَلِلنَّمَامِ حَوْلِي إِيْلَامٌ
يَارَبِّ حَتَّى فِي الْخَدَائِقِ أَعْيُنٌ
عَلَيْنَا وَحَتَّى فِي الرِّيحَانِ نَمَامٌ !
وَقُلْتُ أَنَا :

قُلْتُ وَقَدْ أَصْبَحْتُ فِي رَوْضَةٍ
بِهِيَ حَبِيبِي قَدْ قَضَى دُيُونِي
بِاللهِ يَا مَنُثُورَنَا لَا نَشِيرُ
بِأَصْبَحَ قَطُّ إِلَى الْبَيْنِ
وَأَنْتَ يَا زَرْجِسُ غَمَضُ وَلَا
تَغَامِرُ النَّمَامَ بِالْعَيْنِ

وقد ذكر ابن المعتز أمثال هذه الجماعة الذين ذكرهم ابن زيدون في هذا
الموضع ، فقال من أبيات :

قَوْمٌ هُمْ كَدَّرُ الْحَيَاةِ وَسُقْمُهَا
عَرَضَ الْبَلَاءِ بِهِمْ عَلَى وَطَالَا (٣)
يَتَأْكَلُونَ ضَغْنِيَّةً وَخِيَّانَةً
وَيَرَوْنَ لَحْمَ الْغَافِلِينَ حَلَالًا
وَهُمْ فِرَاشُ الشَّرِّ يَوْمَ مِلْمَةٍ
يَتَهَامَتُونَ تَعَاشِيَا وَخَبَالًا

(١) الديوان : « وقد » . (٢) ط : « وخنورا » .

(٣) ديوانه ٢ : ٢٠ (مطبعة الخروسة) .

وَهُمْ غَرَابِيلُ الْخُلَيْثِ إِذَا وَعَوْا سِرًّا تَفَطَّرَ مِنْهُمْ أَوْ سَلَا
وَلَمَّا اتَّصَلَ ابْنُ زَيْدُونَ بِخُدَمَةِ الْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ ، وَتَمَكَّنَ مِنْهُ ، وَحَسَّنَتْ
حَالَتُهُ عِنْدَهُ ، أَلْقَى إِلَيْهِ بَعْضُ الْخُصَمَةِ رَقْعَهُ فِيهَا مَكْتُوبٌ :

لَا تَتَرَكَنَّ لِلنَّاسِ مَوْضِعَ شُبُهَةٍ وَأَحْزَمُ فَمِثْلِكَ فِي الْمَطَايِمِ يَحْزُمُ^(١)
قَدْ قَالَ شَاعِرٌ كِنْدَةً فِيمَا مَضَى بَيْتًا عَلَى مَرٍّ اللَّيَالِي يُعْلَمُ :
لَا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ
فَوَقَعَ الْمُعْتَمِدُ عَلَى ظَهْرِهَا :

كَذَبْتُ مُنَاكِمَ صَرَّحُوا أَوْ حَجَّجُوا الدِّينَ أَمْتَنُ ، وَالسَّجِيَّةُ أَكْرَمُ^(٢)
حَاوَيْتُمْ تَضْيِيقَ صَدْرِي لَمْ يَضُقْ وَالسَّمَرُ فِي ثَمَرِ الصُّدُورِ تُحْطَمُ
وَزَحَقْتُمْ بِمَحَالِكُمُ لِمَجْزَبِ مَا زَالَ يَنْبُتُ لِمَحَالٍ فِيهِزَمُ
أَنَّى رَجَوْتُمْ غَدْرَ مَنْ جَرَّبْتُمْ مِنْهُ الْوَفَاءَ وَجَوَرَ مَنْ لَا يَظْلُمُ !
أَنَاذِلِكُمْ ، لَا الْبَقَى يُشْمِرُ غَرْسَهُ عِنْدِي ، وَلَا مَبْنَى الصَّنِيعَةِ يُثْلَمُ

وَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ زَيْدُونَ ، فَصَنَعَ قَصِيدَةً لِلْمُعْتَمِدِ رَحِمَهُ اللَّهُ يَشْكُرُهُ فِيهَا ، مِنْهَا :

قُلْ لِلْبِقَاعَةِ الْمُتَنَتِّضِينَ قِسِيَهُمْ سَتَرُونَ مَنْ تَضْمِيهِ تِلْكَ الْأَسْمُهُمْ^(٣)
أَسْرَرْتُمْ فَرَأَى نَحْيَ غَيُوبِكُمْ شَيْحَانُ مَدْلُولٌ عَلَيْهِ مُلْكُهُمْ^(٤)

وَهَذَا الْفَصْلُ مِنْ قَوْلِهِ : « فَكَيْفَ إِلَّا نَعِيمةٌ أَهْدَاها كاشِح... » ، إِلَى
آخِرِهِ ، قَدْ اسْتَعْمَلَ مِثْلَهُ ابْنُ زَيْدُونَ فِي رِسَالَةٍ أُخْرَى ، كَتَبَ بِهَا ، وَهِيَ طَوِيلَةٌ^(٥) ،
جَاءَ مِنْهَا : « وَاللَّهِ مَا اسْتَعْجَزْتُ هَذَا بَعْدَ أَنْ هَتَكَ مِنْ سِتْرِي مَا هَتَكَ ، وَاتَّهَكَ

(١) مِنْ قَصِيدَةٍ فِي دِيوانِ ابْنِ زَيْدُونَ ٣٠٦ ، ٣١١ .

(٢) قَلَانِدُ الْعُقَيَّانِ ١٧ .

(٣) دِيوانُهُ ٣١٤ .

(٤) الشَّيْحَانُ : الْحَازِمُ الشَّجَاعُ .

(٥) مِنْ رِسَالَتِهِ الْبَكْرِيَّةِ الَّتِي كَتَبَهَا إِلَى أَسْتَاذِهِ وَصَدِيقِهِ أَبِي بَكْرٍ مُسْلِمَ بْنِ أَحْمَدَ عَاتِبًا ،

وَشَارِحًا مَوْقِفَهُ ؛ وَهِيَ فِي الْخَيْرَةِ ١ : ٣٠٥ ، وَهِيَ أَيْضًا فِي مُلْحَقِ دِيوانِهِ ٧٤٣ .

من حُرْمَاتِي مَا أَتَهَكَ ، إِذْ كُنْتَ أَقُولَ مَعْدُورًا ، وَأَنْفْتُ مَعْدُورًا^(١) ،
فَكَيْفَ ذَاكَ ، وَلَمْ يَخْذُ سَبَبٌ ، وَلَا عَرَضَ مِنْ مُوجِبٍ !
* وَمَالِي وَإِهْدَاءِ أَخْنَى ثُمَّ مَالِيَا *^(٢)

و ﴿ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾^(٣) . وَلَيْسَتْ هَذِهِ بِيَكْرٍ مِنَ الْفُتُومِ
الَّتِي دَخَلَ بِهَا بَيْنَ الْعَصَا وَلِحَائِهَا^(٤) .

فَإِنِّي رَأَيْتُ غَوَاةَ الرَّجَا لَ لَا يَتَرُكُونَ أَدِيمًا صَحِيحًا^(٥)

* * *

وَمَنْ يَأْذَنُ إِلَى الْوَائِسِينَ تُسَلِّقُ مَسَامِعُهُ بِالْسِّنَةِ حِدَادٍ^(٦)

وَيَا سَيْدِي :

لَوْ بَغِيزَ الْمَاءُ خَلْقِي شَرِيقُ كُنْتُ كَالْفَصَّانِ بِالْمَاءِ اعْتِصَارِي^(٧)

وَاللَّهِ مَا تَوَهَّمْتُ أَنِّي أُولَى مِمَّنْ يَزْعُمُ أَنِّي أَتَيْتُ مِنْهُ ، مَعَ انْصَالِي بِهِ
وَانْقِطَاعِي إِلَيْهِ ، وَارْتِسَامِي بِالْأَمِيلِ لَهُ ، وَالتَّعْوِيلِ عَلَيْهِ .

(١) المصدور : المريض بصدريه .

(٢) لصخر بن عمرو ، أخى الخنساء ، وصدريه :

« وَقَالُوا أَلَا تَهْجُو فَوَارِسَ هَاشِمٍ »

وبعده :

أَبَى الْهَجْوُ أَتَى قَدْ أَسَاءُوا كَرِيمِي وَأَنْ لَيْسَ إِهْدَاءُ أَخْنَا مِنْ شِمَالِيَا

(٣) سورة الزخرف ١٩ .

(٤) اللحاء : القشرة ، وأصله من المثل : « لاندخل بين العصا ولحائها » ، أى قشرتها .

(٥) قلبه :

وَلَا تُفْشِ سِرَّكَ إِلَّا إِلَيْكَ فَإِنَّ لِكُلِّ نَصِيحٍ فَضِيحًا

والبيتان ينسبان لعلى بن أبى طالب .

(٦) لأبى تمام ، ديوانه ٨١ .

(٧) لهدى بن زبد ، وانظر الأغاني ٢ : ١١٤ .

• إِنَّ الْمَارِفَ فِي أَهْلِ النَّهْيِ ذِمَّةٌ • (١)

وقال ابن زيدون من جملة قصيدة :

كَانَ الْوُشَاةُ وَقَدْ بُلِيَتْ بِإِفْكِهِمْ أَسْبَاطُ يَعْقُوبَ وَكُفَّتِ الدِّيَا (٢)

٥٨ - وقوله :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبُ

هذا البيت من جملة أبيات قالها النابغة الذباني - واسمه زياد بن معاوية -

يعتذر فيها إلى النعمان ويمدحه ، أوَّلها :

أَتَانِي أَيْتَ اللَّعْنِ أَنْكَ لَمْ تَنْي وَتِلْكَ الَّتِي أَهْتَمُّ مِنْهَا وَأَنْصَبُ (٣)

فَبِتُّ كَأَنَّ الْعَائِدَاتِ فَرَشْنَ لِي هَرَّاسًا بِهِ يُعَلِّي فِرَاشِي وَيَقْشَبُ (٤)

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبُ

لَئِنْ كُفَّتْ قَدْ بُلَغْتَ عَنِّي خِيَانَةً كَمُبْلَغِكَ الْوَاشِي أَغْشُ وَأَكْذَبُ

وَلَسَكُنِّي كُفْتُ أَمْرًا لِي جَانِبُ مِنَ الْأَرْضِ فِيهِ مَسْتَرَادٌ وَمَلْعَبُ (٥)

مُلُوكٌ وَإِخْوَانُ إِذَا مَا مَدَحْتُهُمْ أَحْكَمُ فِي أُمُومِهِمْ وَأَقْرَبُ

كَفَعْلِكَ فِي قَوْمٍ أَرَاكَ أَصْطَفَيْتَهُمْ فَلَمْ تَرْهُمْ فِي شُكْرِ ذَلِكَ أَذْنَبُوا

عَنِ الشَّعْبِي : قَالَ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : مَنْ أَشَقَرُ النَّاسِ ؟ قَالُوا : أَنْتَ

أَعْلَمُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : مَنْ الَّذِي يَقُولُ :

(١) لامتبي ، ديوانه ٣ : ٣٧٠ ، صدره :

* وَبَيْنَمَا لَوْرَعِيْتُمْ ذَاكَ مَعْرِفَةً *

(٢) ديوانه ٣٣١ .

(٣) ديوانه ١٢ . وَأَبَيْتَ اللَّعْنِ : أَبَيْتُ أَنْ تَأْتِيَ أَمْرًا تَلْعَنُ عَلَيْهِ ، وَالنَّصَبُ : لِإِعْيَاءِ .

(٤) الْعَائِدَاتُ : الزَّائِرَاتُ الْإِنْسَانَ فِي الْمَرَضِ . الْهَرَّاسُ : نَبْتُ لَهُ شَوْكٌ كَثِيرٌ . وَيَقْشَبُ :

يَخْلُطُ وَيَجِدُّ .

(٥) مَسْتَرَادٌ وَمَذْهَبٌ ، أَيْ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ .

إِلَّا سُلَيْمَانَ إِذْ قَالَ لِلَّهِ لَهُ قُمْ فِي الْبَرِّيَّةِ فَاحْدُدْهَا عَنِ الْفَنَدِ^(١)
وَحَيْسِ الْجَنِّ إِنِّي قَدْ أَذْتُ لَهُمْ يَبْنُونَ تَدْمُرَ بِالصُّفْحِ وَالْعَمَدِ^(٢)
قالوا : النابغة ، قال : فَمَنْ الَّذِي يَقُولُ :

أَتَيْتُكَ عَارِيًّا خَلَقًا نِيَّابًا عَلَى خَوْفٍ تُظَنُّ بِي الظُّنُونُ^(٣)
قالوا : النابغة ، قال : فَمَنْ الَّذِي يَقُولُ :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرِكْ لِنَفْسِكَ رِيَّةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبُ
قالوا : النابغة ، قال : فَهوَ أَشْعَرُ الْمَرْبِ .

وقد سَمِيَ الْجَاهِظُ هَذَا النُّوعَ مِنَ الْبَدِيعِ بِالْمَذْهَبِ الْكَلَامِيِّ .
وزعم ابن المعتز أنه لا يوجد منه شيء في السكائب العزيز . وهو كثير فيه إلى
الغاية ، ومنه قوله تعالى : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَٰهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(٤) ، وقوله :
﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذْ أَذْهَبَ كُلَّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ...﴾^(٥)
الآية ، وقوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ
عَلَيْهِ﴾^(٦) ، وقوله تعالى : ﴿وَحَاجَّةٌ قَوْمُهُ﴾ إلى قوله : ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا
آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾^(٧) .

والنابغة كان يتحدث مع الشَّعْمان في هذه الأبيات ، فيقول : أنت أحسنت
إلى قَوْمٍ قَمَدَحُوكَ ، وأنا أحسن إلى قَوْمٍ قَمَدَحْتَهُمْ ، فكما أن مَدْحَ أَوْلَئِكَ
لا تَعُدُّهُ ذَنْبًا ، فكذلك مَدْحِي لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيَّ لَا يَكُونُ لِي ذَنْبًا عِنْدَكَ .

(١) ديوانه ٢١ . والفند : الظلم ، وفي بعض روايات الديوان « فازجرها عن الفند » .

(٢) خيس ، أى ذلل ، ومنه سُمِيَ السَّجَنُ « مَخِيصًا » .

(٣) ملحى ديوانه ، القند الثمين ١٧٦ . (٤) سورة الأنبياء ٢٢ .

(٥) سورة المؤمن ٩١ .

(٦) سورة الروم ٢٧ .

(٧) سورة الأنعام ٨٠ - ٨٣ .

وقد روى عن ذى الشَّوْنِ المِصرى ، عن مالك بن أنس ، عن أبى الزبير ، عن جابر ، قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « من تَنَصَّلَ إليه ، ولم يَقْبَلْ لم يَرِدْ عَلَى الخَوْضِ » .

وسَخِطَ هَارُونُ الرَّشِيدُ عَلَى حُمَيْدِ الطُّوسِيِّ ، فدَعَا لَهُ بالَنْظَمِ والسَّيْفِ - وهو واقف - فلَمَّا أَخَذَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ لِيُضْرِبَ عُنُقَهُ ، بَكَى حُمَيْدٌ ، فقال هَارُونُ الرَّشِيدُ : مَا يُبْكِيكَ ؟ أَجَزَعَا مِنَ الْمَوْتِ ! قال : لا ، ولكن بَكَيْتُ لِأَن أَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى سَاخِطٍ ! فَضَحِكَ هَارُونُ الرَّشِيدُ ، وَأَنشَدَ :

* إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا خَادَعْتَهُ انْخَدَعَا *

ثم أَنَّهُ وَهَبَهُ لِلْحَسَنِ بْنِ قَحْطَبَةَ . وَذَكَرْتُ هَذَا بِقَوْلِهِ :

* إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا خَادَعْتَهُ انْخَدَعَا *

قِصَّةٌ جَرَتْ لِأَبَى الْحَسَنِ الْجَزَّارِ ، وَهِيَ أَنَّهُ تَوَجَّهَ مَرَّةً إِلَى عِنْدِ ابْنِ يَفْمُورَ بِالْمَحَلَّةِ ، وَأَقَامَ عِنْدَهُ مَدَّةً ، ثُمَّ إِنَّهُ أَعْطَاهُ وَزَوَّدَهُ ^(١) ، وَجَاءَ لِيُودِّعَهُ ، فَاتَّفَقَ أَنْ حَضَرَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَكَيْلُ ابْنِ يَفْمُورَ عَلَى إِقْطَاعِهِ ، فَقَالَ لَهُ : مَا أَحْضَرْتَ ؟ قَالَ : كَذَا وَكَذَا دِرْهَمًا ^(٢) ، فَقَالَ : أَعْطِهِ لِلْخَازِنْدَارِ ، قَالَ : وَكَذَا وَكَذَا غَلَّةً ، فَقَالَ : أَجْلِبْهَا إِلَى الشُّونَةِ ، قَالَ : وَكَذَا وَكَذَا خُرُوقًا ، فَقَالَ : أَعْطِهَا الْجَزَّارَ ، فَقَامَ الْجَزَّارُ وَقَبِلَ الْأَرْضَ ، وَقَالَ : يَا مَوْلَانَا ، كَمْ إِحْسَانٍ وَكَمْ تَفَضُّلٍ ^(٣) ! فَقَبَسَ ابْنُ يَفْمُورَ وَانْخَدَعَ ، وَقَالَ : خُدَّهَا .

وَمِثْلُ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَوْرَدَهُ ابْنُ زَيْدُونَ ، قَوْلُ الْعَبَّاسِ ابْنِ الْأَحْنَفِ ، وَهُوَ :

(٢) د ، م : « دراهم » .

(١) ط : « ورده » .

(٣) ط : « كم وكم تفضل » .

أَلَا جَعَلَ اللَّهُ الْفِدَى كُلَّ حُرَّةٍ لِنُفُوزِ الْمُتَى إِلَى بِهَا لَمَعْدَبُ^(١)
فَمَا دُونَهَا فِي النَّاسِ لِلْقَلْبِ مَطْلَبُ
وَلَا خَلْفَهَا لِلْقَلْبِ فِي النَّاسِ مَذْهَبُ

٥٩ - وقوله : والله ما غَشَّشْتُكَ بعد النصيحة .

الفِشَّ خلاف النصيحة ، كأنه شيء غَطَّى عليه . والنَّصَح ضد ذلك .
والنصح : الإخلاص ، والناصح : الخالصُ مِنَ النَّسْلِ . والقِشَّ أمرٌ مذمومٌ
منهى عنه ؛ وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
قال : « من حَمَلَ عَلِيمًا السَّالِحَ فَلَيْسَ مِنَّا ، ومن غَشَّشَا فَلَيْسَ مِنَّا » رواه
مسلم^(٢) .

وفي رواية : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ على صُبْرَةٍ طعام ،
فَادْخَلَ يَدَهُ فِيهَا ، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا ، فَقَالَ : مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ ؟
قَالَ : أَصَابَتْنَا السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : « أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ حَتَّى يَرَاهُ
النَّاسُ ! مَنْ غَشَّشَا فَلَيْسَ مِنَّا »^(٣) .

والنصيحة أمرٌ واجب ، قال الله تعالى إخبارًا عن نوح عليه السلام :
﴿ وَأَنْصَحْ لَكُمْ ﴾^(٤) ، وعن هود عليه السلام : ﴿ وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ
أَمِينٌ ﴾^(٥) .

(١) ديوانه ١٣ .

(٢) صحيح مسلم ٩٩ . والصبرة : الكومة المجموعة من الطعام .

(٣) م « فأصابته » (٤) الأعراف ٦٢ . (٥) الأعراف ٦٨ .

وفي مُسلم عن أبي رُقَيْة تميم بن أَوْس الدَارِيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « الدِّينُ النَّصِيحَةُ » ، قُلْنَا : لِمَنْ ؟ قَالَ : لِلَّهِ وَلِكُتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ » (١) .

وفي البخاريّ ومسلم ، عن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَالتَّقْضَاءِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ .

وفيهما عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » (٢) .

حكى أن القاضي الفاضل رحمه الله توجه يوما إلى دار العباد الكاتب ، فوجد آثارا أنكرها الفاضل من آلات مجالس الأنس ، فأنشده :

ما ناصحتك حفايا (٣) الودّ من أحدٍ

ما لم ينلّ بمكروهٍ من القذالِ

تحتبّي فيك تآبى أن تسأجني بأن أراك على شيء من الزللِ

فاستعيا المأد الكاتب رحمه الله ، ولم يعاود ما كان عليه من

تلك الحال .

حكى عن محمد بن المثنى بن الأجدع التمدانيّ ، قَالَ : دفع لي الحجاج آزاد مرد بن الهربد ، وأمرني أن أسخرجه منه مالا وأغلظ عليه ، فلما انطلقت به قال : يا محمد ، إن لك شرفا ودينا ، وإنّي لا أعطى على التمسر شيئا ، فاستأذني وارفق بي . قَالَ : ففعلت ذلك ، فادّيتني في أسبوع واحدٍ

(٢) صحيح مسلم ٦٧ .

(١) صحيح مسلم ٧٤ .

(٣) ط : « حفايا » .

خمسائة ألف . فباع ذلك الحجاج فأغضبه واشترعه من يدي ، ودفعه إلى رجل
غيري ، فدفق يديه ورجله ، فلم يعطهم شيئا . قال محمد بن المنقبي : فإني لأمر
يوما في الشوق ، إذا صائحٌ بي : يا محمد ! فألفت إليه ، فإذا به ممرضا على حمار
مدقوق اليدين والرجلين ، فملت إليه ، فقال : إنك وليت مني ما ولى هؤلاء
فأحسنت ، وإنهم صتموا بي ما ترى ، ولم أعطهم شيئا ، وها هنا خمسائة ألف
عند فلان ، فخذها فهي لك ، فقلت : لا آخذ على معروف صنعتها أجرا ؛ قال :
فأما إذ أبيت فاسمع حديث بعض أهل دينك عن نبيك صلى الله عليه وسلم
قال : « إذا رضى الله عن قوم أمطرهم المطر في وقتيه ، وجعل المال في سمحاتهم ،
واستكمل عليهم خيارهم . وإذا سخط عليهم استكمل عليهم شرارهم ، وجعل
المال في بخلاهم ، وأمطرهم المطر في غير وقتيه » . قال : فها وضعت ثوبي حتى
طلبني الحجاج ، فألقيته جالسا والسيوف في يده منتصبي ، فقال : ادن ، فدنوت
فقال : ادن ، فدنوت ، ثم صاح الثالثة : وبلك ! ادن ! لا أبالك ! فقلت :
مالي حاجة إلى الدنوّ والسيوف هكذا ! فضحك وأغمد سيفه ، وقال :
اجلس [حدثني] ما كان من حديث الخبيث ، فقلت : والله أيها الأمير
ما غشيتك منذ استنصحتني ، ولا كذبتك منذ استخبرتني ، ولا خفيتك
منذ أئتمنتني . . . ثم حدثته الحديث ، ولما صرت إلى ^(١) ذكر الرجل
الذي المال عنده ، أعرض عني بوجهه ، وأومأ إلي بيده ، قال : لا تسمه ،
إن للخبيث نفسا ، وقد سمع الأحاديث .

وقال بعض الفضلاء :

أَخْلَاؤُكَ الْفُرُّ السَّجَايَا مَا لَهَا حَمَلَتْ قَدَى الْوَاشِينَ وَهِيَ سُلَافُ

والفِشُّ فِي مَرَاةٍ ذَهْنِكَ كَيْفَ لَا يَبْدُو وَأَنْتَ الْجَوْهَرُ الشَّفَافُ
وقال :

أَنْتَ عَيْنِي وَلَيْسَ مِنْ حَقِّي عَيْنِي غَضُّ أَجْفَانِهَا عَلَى الْأَفْؤَادِ (١)

• • •

٦٠ - وقوله : ولا انحرفتُ عنك بمد الصَّاعِية .

الانحراف : الميل ، يقال : انحرف عنه وتحرف وأحزورف ، إذا مال ،
أو عدل عنه .

والصاعِية كأنها مصدر صغى ، يصفو صفواً وصاعِيةً ، تقول : أصغيتُ
إليه إذا ملت بسمعك نحوه ، وأصغيت الإناء إذا أملتَه ، وأصغيت الداقة إذا
مَّيَّلت رأسها للرجل .

قال الرَّشِيدُ يوماً ليزيد بن يزيد ، في لعب الشَّطرنج : كن علىَّ مع علي بن
عيسى ، فأبى ، وقال : إني خلقتُ ألا أكونَ عليك في جدٍّ ولا هزلٍ .

ومن هذه المادَّة قولُ الرشيد أيضاً : قلبُ العاشقِ عليه مع مَمَشُوقَتِهِ .
قال الأصمعي : فقلت : والله يا أمير المؤمنين ، قولك هذا أحسنُ من قول
عُرْوَةَ بنِ حِزَامٍ :

وإني لَتَعْرِوْنِي لِذِكْرِكَ رَوْعَةً لها بين جِلْدِي وَالْعِظَامِ دَيْبٌ (٢)
وما هو إلَّا أَنْ أَرَاهَا فُجَاءَةً فُتِّبَتْ حَتَّى مَا أَكَادُ أُجِيبُ
وَأَصْرِفُ عَنْ رَأْيِي الَّذِي كُنْتُ أُرْتَبِي
وَيَقْرُبُ مِنِّي ذِكْرُهَا وَيَفِيبُ

(١) لابن الرومي ، نقله في مختارات البارودي ١ : ٣١٧ .

(٢) انظر الأغاني ٢٠ : ١٥٤ (ساسي) ، واللائ ٤٠٠ ، ومصارع المشايخ ٢٠٩ .

وَيُضْمِرُ قَلْبِي ذِكْرَهَا فِيهِمْهَا عَلَى ، فَأَلِي فِي الْفَوَادِ نَصِيبٌ
فَقَالَ الرَّشِيدُ : مَنْ قَالَ ذَلِكَ وَهَذَا ، فَقَدْ قَلَبَهُ عِلْمًا .
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْحَمَاسِيِّ :

وَلَقَدْ أُرِدْتُ الصَّبْرَ عَنْكَ فَمَا قَنِي عَلَقَ بَقَلْبِي مِنْ هَوَاكَ قَدِيمٌ
يَبْقَى عَلَى حَدَثِ الزَّمَانِ وَرَبِيبِهِ وَعَلَى جَفَائِكَ إِنَّهُ لَسَكْرِيمٌ
وَقَوْلُهُ : « وَلَا أَنْحَرَفُ عَنْكَ بَعْدَ الصَّاعِيَةِ » ، أَنْشَدَنِي فِي هَذِهِ الْمَادَّةِ لِنَفْسِهِ
لِلشَّيْخِ صَفِيِّ الدِّينِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْحَلِّيِّ سَفَهَ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةً ، قَالَ :
لِلتَّارِكِ مَالِي تَرَكُ مَا دِينُ حُبِّي شِرْكُ
سَوَالِفٌ وَهَيُونَ تَشْكِي الْمَحِبِّ وَتَشْكُو^(١)
يُشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى قَوْلِ ابْنِ الرُّومِيِّ :

تَشْكِي الْمَحِبِّ وَتَشْكُو وَهِيَ ظَالِمَةٌ
كَالْقَوْسِ تُصَيِّبُ الرَّمَايَا وَهِيَ مِرْنَانٌ
وَقُلْتُ أَنَا فِي هَذِهِ الْمَادَّةِ الثَّانِيَةِ :

تَشْكِي الْمَحِبِّ وَتَشْكُو فَالْقَلْبُ لَا يَطْمَئِنُّ
كَالْقَوْسِ تُصَيِّبُ الرَّمَايَا وَبَعْدَ هَذَا تَبْنِ

* * *

٦١ - وَقَوْلُهُ : وَلَا نَصَبْتَ لَكَ بَعْدَ التَّشْيِيعِ فَيْكَ .

النَّصَبُ فِي اللَّغَةِ : مَصْدَرُ نَصَبْتُ الشَّيْءَ إِذَا أَقَمْتَهُ ، وَانْصَبْتُ لِفُلَانٍ إِذَا
عَادَيْتَهُ ، وَانْصَبْتَهُ الْحَرْبَ مُنَاصَبَةً ، وَالتَّشْيِيعُ هُوَ الدَّخُولُ فِي الشَّيْئَةِ ، وَهُمْ كُلُّ

(١) يُقَالُ : أَشْكَيْتُ فُلَانًا ، إِذَا فَعَلْتُ بِهِ نَعْلًا أَحْوَجَ إِلَيَّ أَنْ يَشْكُوكَ .

قومٍ أمرهم واحدٌ غيرُ مُختلف. وتشيع الرجل إذا ادَّعى دعوى الشيعة، وقال بمقاتلتهم. وقد جرى العرف بأن كلَّ من انحرف عن عليٍّ وبذيه يستحقُّ ناصبيًّا، وكلَّ من أحبَّ عليًّا وبذيه يستحقُّ شيعيًّا، فالناصبى ضدَّ الشيعى، وما أحسن قول الحظيرى الوراق فى ناصبى اسمه المفتح :

يافتح، يا أشهر كلِّ الورى باللؤم والخسة والكذب^(١)
كم تدعى شيعة آل النبي وأسمك يُذنبنا عن النصب

وكان إبراهيم بن المهديّ منحرفاً عن عليٍّ رضى الله، ولما مات إبراهيم ركب المعصم حتى صلى عليه، ثم قال للوائق: قم يا بنى حتى تبيحه، وقيل: بل لم يُصلَّ عليه تحرُّجا، وأمر الوائق بالصلاة عليه، وسأل عن وصيته، فوجده قد أمر بمالٍ عظيمٍ أن يفرَّق على أولاد الصحابة كلِّهم إلا أولاد عليٍّ رضى الله عنه. فقال الوائق: والله لولا طاعة أمير المؤمنين لما وقفتُ عليه، ولا انتظرتُ دفنه. ثم انصرف وهو يقول: منحرفٌ عن شرفه وخير الأهل، والله لقد واريته فى قبره كافراً. وأمر الوائق أن يفرَّق فى أولاد عليٍّ رضى الله عنه مالٌ فاضل، فأصاب كلَّ رجلٍ منهم أضعاف ما أصاب غيرهم من وصية إبراهيم.

قال يحيى بن أكرم: لو يُحسن أحدٌ من بنى العبَّاس إلى آل أبي طالب إحسان الوائق؛ مامات فيهم فقير.

وكان المتوكل منحرفاً عن العلويين، فأمر فى سنة ست وثلاثين ومائتين بهدم قبر الحسين رضى الله عنه، وهدم ماحوله من الدور، وأن يعمل مزارع،

ومنع الناس من زيارته ، وحُرِّثَ وبقي صَحْرَاءُ ، فمَأَلَمَ الناسُ لذلك ، وكتبوا
سُبْحَهُ على الحَيَّاطَانِ ، وهَجَّاهُ الشُّعْرَاءُ ؛ دَعِيلٌ وَغَيْرُهُ ، وفي ذلك يقول يعقوبُ
ابن السَّكَيْتِ - وقيل : لعلِّي بن أحمد البسَّامِي :

تالله إن كانت أُمِّيَّةٌ قد أَتَتْ قتل ابن بنتِ نبيِّها مظلوما
فلقد أتاهُ بنو أبيه ————— بِمِثْلِهِ هذا لَعَمْرُكَ قَبْرُهُ مَهْدُومًا
أَيُّقُوا على أن يكونوا شاركوا في قَتْلِهِ ، فتَتَّبِعُوهُ ربما

ودخل ابنه المنتصر رحمه الله عليه ليلةً ، وقد أمه رجلٌ قد تزَيَّا بزى على
ابن أبي طالب رضى الله عنه ، وقد كبر بطنه ، فقبَّضَ القَبْضَ في وجه المنتصر ،
فقال منه المتوكل ^(١) . وكان ذلك أحد الأسباب الباعثة للمنتصر على قتل أبيه
المتوكل ، على ما هو مذکور عند أهل العلم بالتواريخ وأيام الناس .

ولما تولى الخلافة المنتصر دَفَعَ إلى أحمد بن الخصب مالا جزيلا ،
وقال : فَرَّقْهُ في القَلَوِيِّينَ ، فقد نالهم جَفْوَةٌ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، سوف
ترى ما أفعل معهم ، فقال : إذا تسعد عند الله وعندى ، فإنى ما وليتكَ
الوزارة إلا لتُخْلِفَنِي فيهم ، وتنفقَ أحوالهم ، وتَقْضِيَ حوائجهم ، فقال يزيد
ابن المهلب :

ولقد بَرَرْتَ الطَّالِبِيَّةَ بِعَدَمِ ما ذَمُّوا زمانًا بدمهم وزمانًا ^(٢)
ورددت أُلْفَةَ هاشمٍ فرأيتهم بعدَ العداوة بينهم إخوانًا
لو يعلمُ الأسلافُ كيفَ بَرَرْتَهُمْ لرأوكَ أَثْقَلَ مِنْهُمْ ميزانًا
وكان عبد الله بن المعتز منجرفًا عن القَلَوِيِّينَ ، وله فيهم قصيدة
مطولة أولها :

(١) كذا في م ، وهو الصواب ، وفي الأصل ، ط « فقال المتوكل » وهو خطأ .

(٢) المسعودي ٣ : ١٣٥ .

أَلَا مَا لَيْتَنِي وَتَشْكَايَا تَشْكِي الْقَذَى ، وَبِهَا مَا بِهَا

وأجابه عنها صنفُ الدين الحلي من أهل عصرنا . ولابن سُكْرَةَ الهاشمي قصيدة ميمية ، يفخر بها على الطالبين ، فردَّ عليه أبو فراس بن حمدان بقصيدة في وزنها ورويها . ولابن المعتز غير قصيدة يذمُّ فيها الطالبين ، وهي موجودة في ديوانه .

وكان الملك الأفضل علي بن السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب كامل الفضائل ، يتظاهر بالتشيع لأجل الإمام الناصر ، صاحب بغداد ، فمن ذلك أنه كتب إليه لما تعصب عليه عمُّه العادل أبو بكر وأخوه العزيز عثمان ، قال :

ذِي سُنَّةٍ بَيْنَ الْأَيَّامِ قَدِيمَةٍ أَبْدَا أَبُو بَكْرٍ يَجُورُ عَلَى عَلِيٍّ

وكتب إليه أيضا :

مولاي إنَّ أبا بكر وصاحبَه عثمان قد غصبا بالسيف حقَّ علي وهو الذي كان قد ولَّاه والدُه عليهما ، فأستقام الأمر حين ولي خالفاه وخلاَّ عَمُّه ————— دَ بَيْمَتِهِ والأمر بينهما ، والنص فيه حلي

فانظر إلى حظَّ هذا الإمام كيف لقي

من الأواخر ما لاقى من الأوَّل

فكتب الإمام الناصر إليه جوابا :

وَأَقَى كِتَابُكَ يَا بَنَ يَوْسُفَ مُعَلِّناً بِالْحَقِّ يُخْبِرُ أَنَّ أَصْلَكَ طَاهِرٌ غَضَبُوا عَلَيَّا حَقَّةً إِذْ لَمْ يَكُنْ بِمَدِّ النَّبِيِّ لَهُ بِمَكَّةَ نَاصِرٌ فَاصْبِرْ فَإِنَّ غَدَاً عَلَى جِزَاءِهِمْ وَابْشِرْ فَنَاصِرُكَ الْإِمَامُ النَّاصِرُ

وكتب الصاحبُ شرفُ الدين بن عَمِينَ من الهند قصيدةً يقول فيها :
 هيهات أن آتي دِمَشقَ ومُلْكُها يعزى إلى غيرِ المليك الأفضَلِ
 ومن العجائب أن يقومَ بها أبو بكرٍ على علمِ الوصيةِ في علي
 مهلاً أبا حَسَنٍ فَنَلَّكَ سَجَابَةً صِيقِيَّةً عَمَّا قَلِيلٍ تَنَجَّلِي
 على أنه لما عاد إلى الشام ووجد العادِلَ في دِمَشقَ ، كتب له
 قصيدةً أوَّلُها :

ماذا على طَيفِ الأُحِبَّةِ لو سَرَى وعليهم لو سَاحَونِي بالكَرَى
 وقال في جملتها :
 ما في أبي بكرٍ لمن رامَ الهدى شكَّ يربُّ بأنه خيرُ الورَى
 ومن نظم المَلِكُ الأفضَلُ نور الدين علي بن السلطان صلاح الدين يوسف
 ابن أيُّوب رحمهم الله تعالى يقول :

أما آن للسمَدِ الَّذِي أنا طَالِبٌ لإدراكه يوماً يُرى وهو طَالِي
 وهَلَّا يُرِينِي الدهرُ أَيْدِي شَيْعِي تَمَكَّنَ يوماً من نَوَاصِي النَوَاصِبِ
 وما أحسنَ قولِ أبي الفتح نصر بن قِلاصٍ رحمه الله تعالى :
 وفي كَيْدِي - أَسْتَغْفِرُ اللهَ - لَوْعَةٌ إلى مَوْلَعٍ عَنِي بما هو مَوْلَعٌ
 يَنَاصِبُنِي في الحُبِّ والحُبُّ حَاكِمٌ يَجُوزُ لِي في النَاصِبِي تَشْيَعِي
 وكان الصالح بن رُزَيْك قد أُلْزِمَ الأثير بن بُنانٍ بِمالٍ دفعَ عليه لكونه كان
 يتولَّى أموالَ آلِهِ ، فأرسل إليه يَمْتُتُ بِقَدِيمِ الخِدْمَةِ ، والتَّشْيِيعِ المَوافِقِ لِمَذْهَبِهِ ،
 فقال الصالح :

أَيُّ ابنِ بُنانٍ بِهَتَانِهِ يَحْصَنُ بِالدِّينِ ما في يَدَيْهِ

برئت من الرّفض إلّا لهُ وَتُبْتُ من النّصب إلّا عليّه
 وكان قدر المال ستمين ألف دينار ، فأخذ منه اثني عشر ألفاً ، وترك له
 الباقي . وقال نصير الدين محمد بن الإخميميّ في شيعيّ صُفّع بدمشق في سوق عليّ :
 تَهَبْ عَلَيَّ كَمَا تَدْعَى كَذَبَ وَخَالِقَ مَخْلُوقِهِ
 فلو كنتَ تصدّق في حُبِّهِ حَمَاكَ من الصّفّع في سُوقِهِ
 قيل : إنَّ جُعْفِرَانَ الْمُوسَوِسَ كان يتشيع ، فقيل له يوماً : أنشئتُم فاطمة
 وتأخذ لك درهما ؟ فقال : لا ، إلّا أنّي أسبّ عائشة وأباها ، وأعطوني نصفاً .
 وقيل يوماً ليهول : أيُّما أفضل ، أبو بكر أو عليّ ؟ فقال : أمّا وأنا في
 كِنْدَةَ قَعْلِيّ ، وأمّا وأنا في بني ضَبّة فأبو بكر ؛ وكِنْدَةُ في الكوفة من غلاة
 الرّوافض ، وبني ضَبّة أهلُ نَصَبٍ ، وهم أصحاب الجمل .

قال سليمان بن زير^(١) : اجتمعتُ أنا وعشرة من المشايخ في جامع دِمَشق ،
 فيهم أبو بكر بن أحمد بن سعيد الطائيّ ، فقرأنا فضائلَ عليّ بن أبي طالب
 رضي الله عنه ، فوثب علينا قريب من مائة يَضْرِبُونَنَا ، وَيَسْتَحْبُونَنَا إِلَى الْوَالِي ،
 فقال لهم أبو بكر الطائيّ : يَا سَادَةَ ، اسْتَمِعُوا لَنَا ، إِنَّمَا قرَأْنَا الْيَوْمَ فضائلَ عليّ ،
 وَغداً نقرأ فضائلَ أميرِ المؤمنين معاوية رضي الله عنه ، وقد حضرَتني أبياتٌ
 فَإِنْ رأيْتُمْ أَن تَسْمَعُوهَا ، فَمَقُولُوا لَهُ : هَاتِ ، فَقَالَ^(٢) بِدِيهَا :

حُبُّ عَلِيٍّ كُلُّهُ ضَرْبُ يَرْجِفُ مِنْ خَيْفَتِهِ الْقَلْبُ
 وَمَذْهَبِي حُبُّ إِمَامِ الْهُدَى يَزِيدُ ، وَالِدَيْنِ هُوَ النَّصَبُ
 مَنْ غَيْرُ هَذَا قَالَ فَهَؤُلَاءِ مَرُوءٌ لَيْسَ لَهُ عَقْلٌ وَلَا لُبُّ

(٢) ط : « فَأَنْشَأَ » .

(١) م : « بن زيد » .

والناس من يَنْقُذَ لأهوائِهِمْ يَسْلَمْ ، وإِلَّا فَالْقَفَا نَهْبُ

قال : نَحَلُّوا عَنَا ، فقال أبو بكر الطائِي : والله لا أَقْتُ في بلدٍ يَجْرِي فيها
ما جَرَى ، نَمَّ إِنْهُ خَرَجَ مِنْهَا وَسَكَنَ حِمَصَ .

قال البَاخَرَزِي رحمه الله مصَنَّف دُمِيَّة القَصْرِ ، في ترجمة علي بن محمد
الجزري : وقع من بعض الجزائري إلى باخرز ، فارتبط بها للتأديب ، وبقى بين كبارها
موفور النصيب ، وبلغ من الغلو في التشيع مبالغا حفزه حتى أدرع الليل ، وشمر
الذيل ، وشده الأفتاد ، وطوى البلاد ، وأقام في مجاورة قبر معاوية بالشام
سنة جرداء ^(١) ، يطوف ببنيانه ، ويتبرك باستلام أركانه ، ووراء تملقه ذلك
أمر ، وخلخل رماهده وميض جمر ، ولم [يزل] ^(٢) ينتهر الفرصة حتى خلا وجهه
يوما من الأيام ، وانتفض عنه بعض هؤلاء الأقوام ، فنفض على القبر عيابه ،
وأسال فوقه مزاربه ^(٣) ، وألقى به جفينة ، وخلط بذي بطنه طينه ، وخرج منها
خائفا يترقب ، قال ربّ نجني من القوم الظالمين . وفي هذا المعنى يقول :

رَأَيْتُ بَنِي الطَّوَامِثِ وَالزَّوَانِي بَمَقْتٍ يَنْظُرُونَ إِلَى شَزْرَا
لَأَنِّي بِالشَّامِ أَقْتُ حَوْلَا عَلَى قَبْرِ ابْنِ هَنْدٍ كُنْتُ أُخْرَى
انتهى ما أوردّه البَاخَرَزِي .

وقلت أنا ردّا على هذا الشاعر الأحمق أخزاه الله تعالى :

أَتَحَسَبُ أَنْ ذَا يُرْضِي عَلِيًّا عَلَيْكَ وَقَدْ خَرَيْتَ جُرَيْتَ شَرًّا
وَكَيْفَ يَكُونُ وَجْهُكَ يَوْمَ تَأْتِي غَدًا ، وَيَقَالُ هَذَا وَجْهَ خَرًّا

(١) دمية القصر ٥٢ . (٢) في الأصل ؛ د : د جوداء وما أثبتته من الدمية

(٣) من الدمية (٤) كذا في الدمية .

ولكن كان هذا نقص عقل ودين ، من تحرى ما تجرأ

* * *

٦٢ - وقوله : ولا أزمعتُ بأمرٍ منك ، مع ضمان تكفّلت به
الثقة عنك .

قال الخليل : أزمعتُ على أمرٍ فأنا مُرْمِعٌ عليه ، إذا ثبتَّ عليه عزمك .
وقال الكسائي : يقال : أزمعتُ الأمر ، ولا يقال : أزمعتُ عليه .
والياس ضد الطمع . وتكفل تكفل من الكفالة ، وما أحسن قول أبي
الغضائمية :

ولربما أستيأستُ ثم أقولُ لا إن الذي ضمن التجاح كريم
وقول آخر :

لا زلت أسمعكم من وائق خجل
حتى أبليتُ فكنت الوائق الخجلاً
وقال أبو بكر الخوارزمي :

رمتُ بك الأعداء عن قوس غفيرة

وأصبح حب الناس مني معلّفاً

وصفرت عندي الخلق حتى حسبتني على كل من خاطبته مصدّقاً

وكتمتي أنقل إلى أهل مجلس ثناً مجلس من فيك قت مصدّقاً

وكنت متى ما أروعتك قصيدة غدوت بها أصدق نشيداً وأحذقاً

وكنت إذا استفتحتُ باسمك سفرة

تطائر عني نَحْسُهُ — وتفرّقاً

وكنيت متى أذكرك والكأس في يدي

صفت ، وغدا الداذي فيها ممتقا^(١)

وكنيت متى أحسذ غنييا على الفنى

ذ كرتك سيرا واستطلت لك البقا

وقال ابن الحياط الدمشقي :

أبعد تمسكى بفساك دهرأ وحبل نذاك ليس له انصرام^(١)

وكونى من دفاعك فى حصون منيعات الذواب لا ترام

وأخذى منك ميثاقا كريما وعهدا ما لأروته انفصام

ينال مراده منى حسودى ويمكن عاديا فى اهتضام

٦٣ - وقوله : وعهد أخذه حسن الظن عليك .

العهد لغة الأمان ، واليمين والمؤثق والذمة والحفاظ والوصية ؛ والمراد به هنا المؤثق ، وقد استعمار هنا الأخذ لحسن الظن عليه ، كأنه تناول حسن ظنه فيه ، وأخذته عليه ، واقتطعه منه ، وصار عنده فى قبضته . وحسن الظن بالله أمر قد ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ، وحث عليه ، فمن ذلك يقول الله تعالى : « أنا عند حسن ظن عبدي بنى فليظن بنى خيرا » .

وقد روى أبو نواس الحسن بن هانئ عن حماد بن سلمة ، عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يموتن أحدكم حتى يحسن الظن بالله ، فإن حسن الظن بالله ثمن الجنة » .
وروى عن بعض أهل البيت رضى الله عنهم أجمعين ، أنه قال عند نزاعه ،

(١) الداذي : نبت له حب مثل الشعير يتخذ منه شراب مسكر .

يَا بَنِيَّ ، اَقْرَبُوا عَلَيَّ شَيْئًا مِنَ الرُّخَصِ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى ، وَأَنَا أَحْسَنُ الظَّنِّ بِهِ .
 وقوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ ^(١) كُلَّ عَهْدٍ
 مِنَ الْعُقُودِ مِثْلَ عَهْدِ الْبَيْعِ وَالشَّرِكَةِ ، وَعَهْدِ النَّذْرِ وَالْيَمِينِ ، وَعَهْدِ الصَّلَاحِ ،
 فَإِنَّهُ يَجِبُ الْوَفَاءُ بِأَيِّ شَيْءٍ وَقَعَ مِنْ هَذِهِ الْعُقُودِ تَمَّا يَجْرِي ذَلِكَ بَيْنَ إِنْسَانَيْنِ ،
 إِلَّا إِذَا دَلَّ دَلِيلٌ مُنْفَصِلٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجِبُ الْوَفَاءُ بِهِ .

وقوله : ﴿ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ ، أَي مَطْلُوبًا مِنَ الْمُعَاهِدِ إِلَّا بِضَيْعِهِ ،
 وَقَدْ أَخْرَجَهُ مُخْرَجٌ ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ ^(٢) ، هَذَا
 سَوْأَلُهَا ، هُوَ تَقْرِيعُ لِمَنْ وَادَّ الْبَقَاةِ .

وكقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ
 اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِهْلِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ ﴾ ^(٣) هَذَا سَوْأَلُ لَهُ ، وَهُوَ
 تَقْرِيعٌ فِي الْبَاطِنِ لِمَنْ أَعْتَقَدَ ذَلِكَ وَتَوَيْخٌ لَهُ ، فَكَذَلِكَ سَوْأَلُ الْعَهْدِ نَفْسُهُ
 إِنَّمَا هُوَ تَوَيْخٌ لِمَنْ لَمْ يَفِ بِهِ وَمَنْ نَكَّهَهُ ، وَإِلَّا فَالْعَهْدُ نَفْسُهُ غَيْرُ مَسْئُولٍ قَطْعًا .
 أُنَشِدَنِي لِنَفْسِهِ إِجَارَةً شَيْخُنَا الْعَلَمَةُ شَهَابُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَمِنْ
 خَطِّهِ نَقَلْتُ :

قِيلَ مَا أَعْدَدْتُ لِلْحَافِفِ ، وَقَدْ جُمْتُ مَحَلَّهُ

قُلْتُ أَعْدَدْتُ مَعَ التَّوْحِيدِ حُسْنَ الظَّنِّ بِاللَّهِ

وَقُلْتُ أَنَا فِي ذَلِكَ :

ثُمَّ الْجَنَّةُ حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى

فَهُوَ عِنْدِي رَأْسُ مَالِي أَشْتَرِي مِمَّا تَعَالَى

(٢) التَّكْوِينُ ٨ .

(١) الْإِسْرَاءُ ٣٤ .

(٣) سُورَةُ الْمَائِدَةِ ١١١ .

وقال عبد الصمد^(١) بن بابك :

أصبحتُ ذائقةً بالوفرمك وإن قال المواذلُ ظنُّ ربِّما كذبا
إنَّ المنيَّ صممتُ عنكَ الفنى فأجِبْ

فالبجرُ يندبح فضلَ الرِّىِّ مَن شربا
فحسُنَ ظنِّي^(٢) استوفى مَدَى أَمَلِي وحسُنُ ذلك لم يُبقِ لى أربا

وما أطفَ قولَ السَّراجِ الوراق :

أقولُ وكفى على خضرِها وقد كاد يخفى سقاماً هَلَى
أخذتُ عليك عهدَ الهوى وما فى يدي منك يا خضرِ شَى

ومن قول ابن زيدون رحمه الله تعالى : «وَاللهَ ما غَشَّ شُكَّكَ بعدَ النصيحة ..»
إلى قوله : «وعهد أخذهُ حُسْنُ الظَّنِّ عَلَيْكَ» ، ثمَّ تسميه العَرَبُ وأربابُ البدیع :
الاستقصاء ، وهو أن يتناول البليغُ معنَى فيستقصيه ، ويأتى فيه بجميع عوارضه
ولوازمه ، وأوصافه الذاتية ، ولا يترك فيه لمن بعده ممَّن يتأمله فضلة . وكذا فعل
أَبْنُ زَيْدُون رحمه الله تعالى لما أراد أن يتبرأ عند ابن جَهْوَر من الذَّنوب ،
فقال : ما غَشَّ شُكَّكَ ، ولا انحرفتُ عنكَ ، ولا نصبتُ لَكَ ، ولا أزممتُ بأَسا
منك ، مع ثقتى بك ، وحُسْنِ ظَنِّي بك .. فقد استقصى فى التبريِّ من الذَّنوب
التي يتوهم وقوعها ، ولم يرض بذلك حتى قال : ومع براءتى من ذلك أنا لم
أبأس منك لحسن ظنى فيك ؛ وهذا [كمال الاستقصاء]^(٣) لذلك ، حتى يقرر
وجوب الرحمة له ، والعاطفة عليه . ومن أحسن ماورد فى الاستقصاء ، قوله

(١) ط : « عبد الملك »

(٢) ط : « ظن » .

(٣) من ط و د

تعالى: ﴿أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ ^(١) إلى قوله تعالى: ﴿فَاحْتَرَقَتْ﴾؛ لأنه بعد قوله: ﴿جَنَّةٌ﴾، لو اقتصَرَ على ذكرها لكان كافياً، فلم يقف عند ذلك حتى قال: ﴿مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾، لأن الجنة تُطْلَقُ على كلِّ شَجَرٍ يَسْتُرُ بِظِلِّهِ وَرَقَهُ الْأَرْضَ. فإذا قال: ﴿مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ كان مُصَابِ رُبُّهَا أَعْظَمَ. ثم لم يقف عند ذلك حتى قال: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، متممًا لوصفها بذلك، ثم كَمَّلَ وصفها بعد التَّثْمِينِ، بأن قال: ﴿لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾؛ وذلك لما عَلِمَ أَنَّ الْاِقْتِصَارَ عَلَى وَصْفِهَا بِالنَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ، لَا يَكُونُ ذَلِكَ وَصْفًا كَامِلًا، فَأَتَى بِكُلِّ مَا يَكُونُ فِي الْجَنَّاتِ لِيَشْتَدَّ لِلْأَسْفِ عَلَى فُسَادِهَا. ثم قال في وصف صاحب الجنة: ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾. ثم استقصى المعنى في ذلك بما يُوجِبُ تَعْظِيمَ الْجَنَّاتِ بقوله بعد وصفه بالكِبَرِ: ﴿وَلَهُ ذُرِّيَّتٌ﴾. ولم يقف عند ذلك حتى وَصَفَ الذَّرِيَّةَ بِالضَّعِيفِ. ثم ذكر استئصال تلك الجنة - التي ليس لهذا الذي أصابه الكِبَرُ وليس لذريته الضعفاء غيرها - بِالْهَلَاكِ فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ، حيث قال: ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ﴾؛ فلم يقتصر على ذكر الإعصار للعِلْمِ بأنه لَا يَحْصُلُ بِهِ سُرْعَةُ الْهَلَاكِ، فقال: ﴿فِيهِ نَارٌ﴾. ثم لم يقف عند ذلك أيضًا حتى قال: ﴿فَاحْتَرَقَتْ﴾؛ لاحتِمَالِ أَنْ تَكُونَ النَّارُ ضَعِيفَةً لَا تَقُومُ بِإِحْرَاقِهَا لِمَا فِيهَا مِنَ الْأَنْهَارِ وَرُطُوبَةِ الْأَشْجَارِ، فَاحْتَرَزَ عَنْ هَذَا الْاِحْتِمَالِ بقوله: ﴿فَاحْتَرَقَتْ﴾.

ومن أحسن ما وقع في الاستقصاء قول ابن الرومي:

وحديثها السَّحَرُ الْحَلَالُ لو أَنَّهُ لَمْ يَجْنِ قَتْلَ الْمُسْلِمِ الْمُتَعَزِّزِ ^(٢)

(١) سورة البقرة ٢٦٦.

(٢) أمالي القائل ١ : ٤٨.

إِنْ طَالَ لَمْ يُنْمَلْ وَإِنْ هِيَ أَوْجَزَتْ وَدَّ الْحَدَّثُ أَنَّهَا لَمْ تُوجَزِ
شَرَكُ الْقَوْلِ وَنَزْهَةٌ مَا مِثْلُهَا لِلطَّمْثِ وَعُقْلَةٌ الْمُسْتَوْفِزِ
وَمِنْ الْإِسْتِقْصَاءِ قَصِيدَةُ ابْنِ الرُّومِيِّ الْقَافِيَّةُ ، الَّتِي يَصِفُ فِيهَا الْجَارِيَةَ
السَّوْدَاءَ ، مِنْهَا قَوْلُهُ :

أَكْتَبَهَا الْحُبُّ أَنَّهَا صُفِيفَتْ صَبِغَةَ حَبِّ الْقُلُوبِ وَالْحَدَقِ
فَإِنَّهُ اسْتَقْصَى فِيهَا جَمِيعَ مَا تُوصَفُ بِهِ السَّوْدَاءُ مِنَ الْحَاسِنِ .
وَمِنْهُ (١) قَصِيدَةُ الْقَاضِي نَاصِحِ الدِّينِ أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ الْأَرْجَانِيِّ فِي السَّمْعَةِ
الَّتِي أَوَّلَهَا :

نَمَتْ بِأَسْرَارِ لَيْلٍ كَانَ يُخْفِيهَا وَأَطْلَعَتْ قَلْبَهَا لِلنَّاسِ مِنْ فِيهَا (٢)
فَإِنَّهُ اسْتَقْصَى فِيهَا جَمِيعَ مَا تُوصَفُ بِهِ السَّمْعَةُ مِنَ الْحَاسِنِ .



٦٤ - وَقَوْلُهُ : فَفِيمَ عَبَثَ الْجَفَاءُ بِأَذْمَتِي .

فَفِيمَ أَصْلُهُ : « فَفِي مَا » ، وَهَذِهِ مَا الْإِسْتِفْهَامِيَّةُ ، إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهَا حُرُوفُ الْجُرِّ
حُذِفَتْ أَنْفُهَا ، فَيَقَالُ : عَلَامٌ ، وَإِلَامٌ ، وَعَمٌّ ، وَمِمٌّ .

قِيلَ : إِنَّ بَعْضَهُمْ قَالَ لِبَعْضِ الْأَفَاضِلِ : بَمَا تُوصِفُنِي ؟ فَقَالَ : بَتَمْوِي اللَّهِ ،
وإِسْقَاطِ الْأَلْفِ .

وَقَوْلُهُ : « أَذْمَتِي » جَمْعُ ذِمَامٍ ، مِثْلُ زِمَامٍ وَأَزِمَةٍ ، وَسِنَانٍ وَأَسِنَّةٍ ،
وَالذِّمَامِ وَالذِّمَّةِ : الْحُرْمَةُ .

وكانت العرب تُراعى أمر الدِّمَّة ، وتُحافظ عليه ، ويتوخَّون الوفاء به ،
ولو جرت الدِّماء ، وقامت الحروب ودامت ؛ فمن ذلك أمر كُليب وإبل ،
فإنه كان يقول : قد أجرتُ وحشَ صحراء كذا وكذا ، فلا يتمرّض له أحد ،
ولا يُقدِّم على صيد ذلك الوحش أحدٌ أبداً ، وكان يمنع أن ترد إبلُ أحدٍ
مع إبله حتّى تصدُر إبله ، ثمّ ترد إبلُ الناس بعد ذلك ، ولذلك قال عبد الله
ابن محمد بن ورقاء الشَّيبانيّ من قصيدته المشهورة :

وعزُّ كُليبٍ كان ألدوثةً بها تدبّي من العزّ الأصيل المبانيا
يُجيرُ وحوشَ البِيد من أن تصيدها

رجالٌ ويحيى للوحوش الصَّحاريا
ويختصر الورْد المباح فتنتهي الـ
جماعةٌ عما عنه صرّح ناهيا

وعمر بن سكتان بن سليمان ، قتل أخاه وفاء لجاره ^(١) الكلابيّ ، حتّى قال
شاعرُ بني شَيْبَانَ :

قَتَلْنَا أَخَانَا بِالْوَفَاءِ لِجَارِنَا وَكَانَ أَبُونَا مِنْ تَجِيرٍ مُقَابِرُهُ
وَقَالَ غَيْرُهُ يردّ عليه بما فعلوا :

تَعُدُّ مُعَاذِرًا لَيْسَتْ بِشَيْءٍ وَمَنْ يَقْتُلْ أَخَاهُ فَقَدْ أَلَامَا

وقصة السَّمُوعِل بن عادياء مع الحارث بن أبي شمر وقُتل ولده بسبب
أذرع امرئ القيس ، ولم يدفع الأذرع ، وذبح ولده ، وهو يشاهده
من الحصن .

(١) ط : « مجاوره » .

ومن ذلك ما ذكره صاحب الأغاني^(١) ، قال : كان المهلب بن أبي صفرة
بخراسان ، فخرج إليه زياد الأعجم فمدحه ، فأمر له بجائزة ، وأقام عنده أياماً ،
قال : فإننا المشية تشرب مع حبيب بن المهلب في دار له وفيها حمامة ،
إذ سقطت الحمامة ، فقال زياد فيها :

تَفَقَّى ، أَنْتَ فِي ذِمِّي وَعَهْدِي وَذِمَّةُ وَالِدِي أَلَا تُضَارِي^(٢)
وَبَيْتِكَ أَصْلِحِيهِ وَلَا تَخَافِي عَلَى صُغُرٍ مُزْعَجَةٍ صِفَارِ
فَإِنَّكَ كُلَّمَا غَنَيْتِ صَوْنَنَا ذَكَرْتُ أَحَبِّي وَذَكَرْتُ دَارِي
فَإِنَّمَا يَقْتُلُوكَ طَلِبْتُ نَاراً لَهُ كَبَأٌ لَأَنَّكَ فِي جَوَارِي

فقال حبيب : يا غلام ، هات القوس ، فقال له زياد : وما تصنع بها ؟ قال :
أرمي جارك هذه . قال : والله لئن رميتها لأستعدين عليك الأمير ، فأتي
بالقوس فنزع فيها سهمها فقتلها ، فوثب زياد ، ودخل على المهلب ، فحدثه
الحديث وأشدّه السمر . فقال المهلب : عليّ بأبي بسطام ، فأتي بحبيب ،
فقال له : أعط أبا أمامة دية جارتك ألف دينار ، فقال : أطل الله بقاء الأمير !
إنما كنت ألقب : فقال : أعطه كما أمرت^(٣) ، فأعطاه ، فقال زياد :

فَلِلَّهِ عَيْفًا مَنْ رَأَى كَقَضِيَّةٍ قَضَى لِي بِهَا قَرَمُ الْعِرَاقِ الْمُهَلَّبُ
رَمَاهَا حَبِيبُ بْنُ الْمُهَلَّبِ رَمِيَّةً فَأَنْبَقَمَ بِالسَّهْمِ وَالسَّهْمُ يَغْرُبُ^(٤)
فَأَلَزَمَهُ عَقْلَ الْقَتِيلِ ابْنُ حُرَّةٍ وَقَالَ حَبِيبُ : إِنَّمَا كُنْتُ الْقَبْ
فَقَالَ : زِيَادٌ لَا يُرْوَعُ جَارُهُ وَجَارَةُ جَارِي مِثْلُ جَارِي^(٥) وَأَقْرَبُ

قال : فحمل حبيب إليه ألف دينار على كرهه منه ؛ وأنه يشرب يوماً
مع حبيب إذ عرِبَ عليه حبيب - وقد كان حبيب اضطغن عليه مما جرى

(٢) الأغاني : « إن لم تطاري » .

(٤) أنبتها : « قتلها في مكانها » .

(١) الأغاني ١٥ : ٤٨٣ ، ٣٨٤ .

(٣) الأغاني : « أمرك » .

(٥) الأغاني : « مثل جلدى » .

فأمر بشق قباء ديباج كان عليه ، فقام وقال :

أَمْرُكَ مَا لَدَى دِيْبَاجٍ خَرَّقَتْ وَحْدَهُ وَلَكِنَّمَا خَرَّقَتْ جِلْدَ الْمُهَلَّبِ

فبعث المهلب إلى حبيب فأحضره ، وقال : صدق زياد ، ما خَرَّقَتْ إِلَّا جِلْدِي ،
فدعني يهجونى ^(١) انتم طلب زيادا ، وسلَّ سَخِيمَتَهُ ، وأمر له بمالٍ وصرْفه .

وقال أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري : أخبرنا أبو أحمد ،
أخبرنا أبو الحسن البرمكي ، أنبأنا أحمد بن جعفر : حدثني محمد بن ناجية
الرصافي ، قال : كنتُ أحدَ من وقع عليه التهمة أيام الوائق بمالٍ مصر ،
فطلبني السلطان طالبا شديدا حتى ضاقت على الأرض برحمتها ، فخرجتُ إلى
البلاد مُرْتادا رجلا عزيزا ، منيع الدار ، أعوذُ به ، وأنزل عليه ، حتى انتهيتُ
إلى بني شيبان بن ثعلبة ، فدفعتم إلى بيت مشرف بظاهر رابية ، وإلى جانبه
فرسٌ مرَبوطٌ ، ورُمحٌ مَرَكُوزٌ ، يلمع سفاته ، فنزلتُ عن فرسي ، وتقدمتُ
فسلمتُ على أهل الخباء ، فردَّ عليَّ نساءٌ من وراء السَّجَفِ يرمقنني من خَلَلِ
الستور ، بهيون كميون أخشاف الظباء . فقالت إحداهن : اطمئن يا حضري .
فقلت : وكيف يطمئن المطلوب ، أو يَأْمَنُ المَرْعُوبُ ، وَقَلَّمَا يَنْجُوْهُ مِنَ السُّلْطَانِ
طَائِلُهُ ، والخوفُ غَالِبُهُ ، دون أن يَأْوِيَ إلى جبلٍ يعصمه ، أو معقلٍ يملأه !
فقالت : يا حضري ، لقد ترجم لسانك عن قلبٍ صغير ، وذنبٌ كبير ، وقد
نزلت بقاء بيتٍ لا يضامُ فيه أحدٌ ، ولا يَجُوعُ فيه كَيْدٌ ، ما دام لهذا الحيِّ
سَيِّدٌ أو لَبَدٍ . هذا بيتُ الأسود بن قنان ، أخواله كُتِبَ ، وأعمامه شيبان ،
مُملوكُ الحيِّ في ماله ، وسَيِّدُهُمْ في فِمالِهِ ، لا يَنَازَعُ ولا يَدَافِعُ ، له الجِوَارُ ،

(١) الأغاني « تبعث هذا على أن يهجونى » .

وموقد النار ، وطَّابَ الثَّارُ ، وبهذا وصفته أمانة بنتُ الجَلَّاحِ الكَلْبِيَّةِ
حيث تقول :

إِذَا شِئْتُ أَنْ تَلْقَى فَتَى لَوْ وَرَثَتُهُ بَكْلٌ مَمْدَى وَكَلَّ يَمَانِ
وَفِي يَوْمٍ جُودًا وَحَلْمًا وَسُودَدًا وَبَاسًا ، فَبِذَا الْأَسْوَدُ بْنُ قَنَانِ
فَتَى كَالْفَتَاةِ الرُّؤْدِ يُسْفِرُ وَجْهَهُ كَانَ تَلَالِي وَجْهِهِ الْقَمَرَانِ
أَغْرُ أْبْرَأُ ابْنِي نِزَارٍ وَبَعْرُبٍ وَأَوْثُقُهُمْ قَمَدًا بَكْلٌ مَكَانِ
وَأَوْفَاهُمْ عَهْدًا وَأَطْوَلُهُمْ يَدًا وَأَعْلَاهُمْ قَمَلًا بَكْلٌ مَكَانِ
وَأَضْرَبُهُمْ بِالسَّيْفِ مِنْ دُونِ جَارِهِ وَأَطْمَنُهُمْ مِنْ دُونِهِ بَسْفَانِ
كَأَنَّ الْعَطَايَا وَالْمَنَايَا بِكَفِّهِ سَحَابَانِ مَقْرُونَانِ مُؤْنِلِفَانِ

فقلت: الآن ذهبت عني الوحشة، وسكنت عني الروعة، فأني لي به! فقالت:
يا جارية، أخرجني فنادى مولاي. فخرجت الجارية، فما لبثت إلا هيمية حتى
جاءت وهو معها في جمع من بني عمه، فأريت غلاما قد اخضرَّ شاربُه، واختمطَّ
عارضُه، وخشن جانبه، فقال: أيّ المفهمين علينا أنت؟ فبدرت المرأة
فقلت: يا أبا مرهف، هذا رجلٌ نبت به أوطانه، وأزعجه سلطانُه، وأوحشه
زمانُه، وقد أحبَّ جوارك، ورغب في ذمتك. وقد صمنا له ما نصمن لمثله على
مثلك: فقال: بلى! الله فاك! قال: فأخذ بيدي، وجلس وجلس، ثم قال:
يا بني أبي وذوي رحى، أشهدكم أن هذا الرجل في ذمتي وجواري، فمن
أرادَه فقد أرادني، ومن كادَه فقد كادني، وما يلزمني في أمره من حالٍ إلا
ويلزمني مثله. فلم يسمع الرجلُ منكم ما يسكن إليه قلبه، وتطمئن إليه نفسه.
فما سمعت جواباً قط أحسن من جوابهم، قالوا بأجمعهم: ما هي بأول منة
مننت بها علينا، ولا أول يدٍ بيضاء طوقتنا بها، وما زال أبوك قبلك في

بِنَاءِ الشَّرَفِ لَنَا ، وَدَفَعَ الدَّمَ عَنَّا ، فَهَذِهِ أَنْفُسُهَا وَأَمْوَالُهَا بَيْنَ يَدَيْكَ ، ثُمَّ ضَرَبَ لِي قُبَّةً إِلَى جَانِبِ بَيْتِهِ ، فَهَازَتْ عَنْدَهُ عَزِيزًا مَمْنُوعًا حَتَّى صَنَحَ لِي مِنَ السُّلْطَانِ مَا أَمَلْتُ ، فَانْصَرَفْتُ إِلَى أَهْلِي .

وَكَانَ حَارِثَةُ بْنُ مُرَّةَ يُسَمَّى مُجِيرَ الْجَرَادِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ نَزَلَ بِفَنَائِهِ جَرَادٌ ، فَفَعَلَا الْحَيَّ^(١) إِلَيْهِ لِيَدْفَعَهُوهُ عَنْهُمْ ، فَدَفَعَهُمْ ، وَقَالَ لَهُمْ : مَا تَرِيدُونَ مِنْهُ ؟ قَالُوا : قَتَلَهُ ، لِأَنَّهُ نَزَلَ بِجَوَارِكِ ، فَقَالَ لَهُمْ : أَمَّا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ جَارِي ، فَوَاللَّهِ لَا تَصِلُونَ إِلَيْهِ أَبَدًا ، وَطَرَدَهُمْ عَنْهُ .

وَكَانَ ثَوْرُ بْنُ شَحْمَةَ الْقَنْبَرِيِّ يُسَمَّى مُجِيرَ الطَّيْرِ ، وَكَانَتِ الطَّيْرُ لَا تُصَادُ بِأَرْضِهِ وَلَا تُشَارُ .

وَالَّذِي وَقَعَ فِي عَصْرِ نَا أَيْضًا ، وَهُوَ أَنَّ الْأَمِيرَ شَمْسَ الدِّينِ قَرَأَ سُنُقُرَ لِمَا هَرَبَ مِنَ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قِلَافُونَ ، تَرَكَ رِفَاقَهُ وَجَاعَتَهُ لِمَا وَصَلَ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ بَيْوتِ مَهْنَأَ بْنِ عَدَسَى ، وَقَالَ : قَفُوا هَذَا ، وَلَا يَجِبُ مِنْكُمْ أَحَدٌ . وَتَوَجَّهَ هُوَ إِلَى الْبَيْوتِ ، فَقَصَّدَ بَيْتَ مَهْنَأَ وَدَخَلَ إِلَى كَامِلَةَ أُمِّ أَحْمَدَ ، زَوْجِ مَهْنَأَ ، فَرَفَعَ ثَوْبَهَا بِرَأْسِهِ ، وَدَخَلَ بِرَأْسِهِ تَحْتَهُ ، وَقَالَ لَهَا : الْجِيزَةَ ! فَقَالَتْ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ لَهَا : قَرَأَ سُنُقُرَ ، فَقَالَتْ : يَا أَبَا مُحَمَّدَ ، إِنَّ اللَّهَ أَجَارَكَ . وَلَمْ يَزَلْ عِنْدَهَا إِلَى آخِرِ النَّهَارِ ، فَحَضَرَ مَهْنَأَ مِنْ مَضِيدِهِ^(٢) ، فَتَلَقَّاهُ أُمُّ أَحْمَدَ ، وَقَالَتْ : تَرَى أَبَا مُحَمَّدَ قَدْ وَصَلَ إِلَيْنَا وَأَنْنِي قَدْ أَجْرْتُهُ ، فَقَالَ : يَا كَامِلَةَ ، إِنَّ اللَّهَ أَجَارَ مِنْ أَجْرَتِهِ . وَاجْتَمَعُوا وَتَلَقَّاهُ بِكُلِّ بَشَرٍ وَطَيْبٍ خَاطَرَهُ . فَلَمَّا حَضَرَ مُحَمَّدَ أَخُو مَهْنَأَ ، وَوَجَدَ قَرَأَ سُنُقُرَ ، قَالَ : يَا مَهْنَأَ ، أَبَشِّرْ بِالْخَيْرِ وَالسَّامِدَةِ مِنَ الْمَلِكِ النَّاصِرِ .

(١) ط : « فَمَدَى الْحَيَّ عَلَيْهِ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « تَصِيدُهُ » ، وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ ط ، م .

والله لأأخذن منه كلما أردنا ، فظهر قراستهم مئلاً مهناً إلى كلام محمد ، فقال : يا كاملة ، إني في حيرتك ! فقالت : يا مهناً ، وأبشٍ تتحدث عنك العرب غداً إلى يوم القيامة ، تجيرُ مثل قراستهم ومن معه من الملوك ، وتفدر بهم ! والله النار ولا العار . فقال : معاذ الله ! إني أجرت من أجرته ، والله ما عاد يصل إليه أحد بعد اليوم . فقال أخوه محمد : الأحد حرمنا يا مهناً نسيم الشام وبلاذه وخيره ! والله ما عاد أحدٌ منا يرى الشام . فقال مهناً : صار هذا الأمر وكان . فمعهما عاد قراستهم إلى جماعته ، وأحضر الأقرم والزرد كاش ومن معهم ، وجاءوا ونزلوا في بيوت مهناً ، وكتب من وقته إلى جرابند ملك التتار ، وقال : أحضرت ثلاثة ملوك من ملوك الشام ، فجهز لهم الأمانات لأحضرهم إليك ، فجهز ذلك ، وتوجه بهم مهناً ، وسلمهم لجرابند ، وبقي مهناً لا يدخل الشام مدة أربع وعشرين سنة ، إلى أن توجه بنفسه إلى السلطان الملك الناصر . ووفى بذيته لقراستهم ، وجرى عليه ما جرى في هذه المدة من قطع إقطاعهم وإتمامه ، ومناً بذته لصاحب مصر .

* * *

٦٥ - وقوله : وعاء الحقوق في مواتي .

عائ يميت عيشاً ، إذا فسد ، والمقوق ضد البر ، يقال : عاق والده وبره . والموات ينشد الناء ، جمع مائة ، وهي الحُرمة والوسيلة ، يقال : فلان يميت إليك بقرابة ، فالموات : الوسائل .

يروى أن الجهاج جلس يوماً لقتل أصحاب عبد الرحمن بن محمد ابن الأشعث ، فقام رجل منهم فقال : أصلح الله الأمير ! إن لي عليك حقاً ، قال : وما حقي ؟ قال : سببك عبد الرحمن يوماً ، فرددتُ عنك ؛ فقال :

مَنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ : أُنْشُدُ اللَّهَ رَجُلًا سَمِعَ ذَلِكَ إِلَّا شَهِدَ ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأُمَرَاءِ فَقَالَ : قَدْ كَانَ ذَلِكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، فَقَالَ : خَلُّوا عَنْهُ . ثُمَّ قَالَ لِلشَّاهِدِ : مَا مَنَعَكَ أَنْ تُنْذِرَ كَمَا أَنْكَرَ ؟ فَقَالَ : لَقَدْ دِيمَ بُغْضِي فَيْكَ ! فَقَالَ الْحَجَّاجُ : وَلِيُخَلَّ عَنْهُ لَصِدْقُهُ .

دَخَلَ عَلَى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى يَوْمًا حَاجِبُهُ ، فَقَالَ : إِنَّ بِالْبَابِ رَجُلًا يُزْعَمُ أَنَّ لَهُ سَبْعًا يَمُتُ بِهِ إِلَيْكَ ، فَقَالَ : أَدْخِلْهُ ، فَدَخَلَ شَابٌّ حَسَنٌ رَثَّ الْهَيْئَةِ ، فَسَلَّمَ ، فَأَوْرَى إِلَيْهِ بِالْجُلُوسِ فَجَلَسَ ، فَقَالَ لَهُ بَعْدَ سَاعَةٍ : مَا حَاجَتُكَ ؟ قَالَ : أَعْلَمْتُكَ بِهَارِثَةَ حَالِي ، قَالَ : نَعَمْ ، فَمَا الَّذِي يَمُتُ بِهِ ؟ قَالَ : وَلِأَدَةِ تَقَرُّبٍ مِنْ وَلَادَتِكَ ، وَجَوَارِئُ يَدْنُو مِنْ جَوَارِكَ ، وَأَسْمٌ مُشَقٌّ مِنْ أَسْمِكَ ، فَقَالَ : أَمَّا الْجَوَارِئُ فَيُمْكِنُ ، وَأَمَّا الْأَسْمُ فَقَدْ يُوَافِقُ الْأَسْمُ الْأَسْمَ ، وَلَكِنْ مَنْ أَعْلَمَكَ بِالْوِلَادَةِ ؟ قَالَ : أَخْبَرْتَنِي أُمِّي أَنَّهَا لَمَّا وَلَدَتْنِي ، قِيلَ لَهَا : وَلِدِي هَذِهِ اللَّيْلَةَ لِيَحْيَى بْنِ خَالِدٍ غَلَامٌ ، وَسَمَّاهُ الْفَضْلَ ، فَسَمَّيْتَنِي أُمِّي فَضِيلًا إِكْبَارًا لِأَسْمِكَ أَنْ تُدَحِّقَنِي بِهِ ، وَصَغَّرْتَنِي لِصِغَرِ قَدْرِي عَنْ قَدْرِكَ . فَتَبَسَّمَ الْفَضْلُ وَقَالَ : كَمْ أَنَى عَلَيْكَ مِنَ السَّنِينَ ؟ قَالَ : خَمْسٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً ؟ قَالَ : صَدَقْتَ هَذَا الْقَدْرَ أَعَدَّ ، قَالَ : فَعَلْتَ أُمُّكَ ؟ قَالَ : مَاتَتْ ، قَالَ : فَمَا مَنَعَكَ مِنَ الْحَقِّ بِنَا قَدِيمًا ؟ قَالَ : لَمْ أَرَ مِنْ نَفْسِي لِلْقَائِلِ أَنَّهَا كَانَتْ فِي عَامِيَّةٍ مَعَهَا حَدَائِقُ تَمْتَمُنِي مِنَ الْحَقِّ ^(١) بِالْمُلُوكِ ، وَعَلِيَ هَذَا يَقْلِبِي مِنْذُ أَعْوَامَ ، فَشَقِلْتُ بِمَا يَصْلُحُ لِلْقَائِلِ حَتَّى رَضِيتُ عَنْ نَفْسِي ، قَالَ : فَا نَصْلِحْ لَهُ ؟ قَالَ : لِلْكَبِيرِ مِنَ الْأَمْرِ وَالصَّغِيرِ ، قَالَ : يَا غَلَامُ ، أَعْطَاهُ لِسَكْلٍ سَنَةً مَضَتْ مِنْ سَنِيهِ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَأَعْطَاهُ عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ ، يَتَحَمَّلُ بِهَا إِلَى وَقْتِ اسْتِعَالِهِ . وَأَعْطَاهُ مَرْكُوبًا سَرِيًّا .

وقد رَوَى عن جابر بن عبد الله ، أنه قال : جاء رجلٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إن أبي أخذ مالي ، فقال صلى الله عليه وسلم : اذهب فأتني بأبيك . فنزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن الله عز وجل يُقرئك السلام ، ويقول لك : إذا جاءه الشيخُ فسَلِّه عن شيءٍ قاله ما سمعته أذناه ، فلما جاء الشيخُ قال له النبي صلى الله عليه وسلم : ما بالُ أبنِكَ يشكوك ؟ أتريد أن تأخذَ ماله ! فقال له : سَلِّه يا رسول الله ؛ هل أنفقتهُ إلَّا على عَمَلِهِ أو خَالَاتِهِ ، أو على نَفْسِي ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أيُّهَا الشَّيْخُ ، دَعْ عَنْكَ هَذَا ، أَخْبِرْنِي عَنْ شَيْءٍ قُلْتَهُ فِي نَفْسِكَ مَا سَمِعْتَهُ أَذُنُكَ ! فقال الشيخُ : يا رسول الله ، ما زالَ اللهُ يَزيدُنَا بِكَ يَقِينًا ، لقد قُلْتُ فِي نَفْسِي شَيْئًا مَا سَمِعْتَهُ أَذُنَايَ ، فقال : قل : فَأَنَا أَسْمَعُ ، فقال :

غَدَوْتُكَ مَوْلُودًا وَعَلَّمْتُكَ يَافِئًا تَعَلُّ بِمَا أَحَبُّو عَلَيْكَ وَتَهَلُّ
إِذَا لَيْلَةٌ ضَافَتْكَ بِالسُّقْمِ لَمْ أَبْتَ لِسُقْمِكَ إِلَّا سَاهِرًا أَتَمَلُّ
كَأَنِّي أَنَا الْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِالَّذِي طَرَقَتْ بِهِ دُونِي ، فَقَمِينِي تَهَلُّ
تَخَافُ الرَّدَى نَفْسِي عَلَيْكَ وَإِنِّي كَتَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ وَقْتُ مُؤَجَّلُ
فَلَمَّا بَاغَتْ السِّنُّ وَالْغَايَةَ الَّتِي إِلَيْهَا مَدَى مَا كُنْتُ فِيكَ أُوَمِّلُ
جَمَعْتُ جَزَائِي غِلَظَةً وَفُظَاطَةً كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمَنِيْمُ لِلْمَنَفْعِ
فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرَعْ حَقَّ أَبُوتِي فَعَلْتَ كَمَا الْجَارُ الْمُجَاوِرُ يَفْعَلُ

قال : فحينئذ أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بقلابَيْهِ ابْنِهِ ، وقال : « أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ »^(١)

* * *

(١) الحديث والخبر والشعر في كشف الخفا ومزيل الإلباس ص ٢٠٧ ، نقله عن البيهقي في الدلائل .

٦٦ - وقوله: وَتَمَكَّنَ الضِّيَاعُ مِنْ وَمَائِلِي !

الوَسَائِلُ : جمع وسيلة ، وهي ما يُتَقَرَّبُ بها إلى الغير ، وما أَحْسَنَ قوله :
« وَتَمَكَّنَ الضِّيَاعُ » ، كَانَ الضِّيَاعُ شَيْءًا ثَبَتَ وَاطْمَأَنَّ وَشَدَّ أَوَاحِيَهُ ،
وَأَحْكَمَ عَقْدَهُ ، حَتَّى لَمْ يَمْدُ يُرْجَى زَوَالُهُ ، وَلَا يُطْمَعُ فِي مَحْوِهِ . وما أَحْسَنَ
قَوْلَ ابْنِ الْخَلِّيمِيِّ :

كَلَّ الشَّدَائِدُ دُونَ مَا يُفِضِي إِلَى اسْتَخَاطِ مِثْلِكَ ، فَهُوَ تَمَّا يَسْهُلُ
لَسْتَ الْمَعْلُومَ إِذَا هَجَرْتَ وَلَا أَنَا أَيْضًا عَلَى طَلْبِي وَصَالِكَ أَعْدَلُ
إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكَ الْخُبْرُ وَسِمِلَةٌ مِنِّي ، بَأْيَةٍ حَالَةٍ أَتَوْسَّلُ !
وقول أبي سميد محمد بن محمد الرُّشْتَمِيِّ :
إِذَا لَمْ تَسْكُنْ لِي أَنْتَ عَوْنًا وَمُعَدِيًا

عَلَى الزَّمَنِ الْعَادِي عَلَى قَلْبٍ مَنْ لِي !
فَالَى رَجَاءٍ فِي سَوَاكَ وَلَا يُرَى يَمْرُ قَرِيبِي هَمْدُ غَيْرِكَ أَوْ يُحْلَى
وَهَلْ بَارِقٌ يُشْتَامُ إِلَّا مِنْ الْحَيَا وَهَلْ عَسَلٌ يُشْتَارُ إِلَّا مِنْ النَّحْلِ !

وما أَحْسَنَ قَوْلَ ابْنِ التَّمَاوَيْذِيِّ يَمْدَحُ الْقَاضِي الْفَاضِلَ :
فَاسْتَجَلَّ أَبْكَارَ الْمَدِيحِ عَرَائِسًا أَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ غَيْرَ عَوَاطِلِ (١)
أَبْرَزْتُهُنَّ عَلَى عُلَاكَ سَوَافِرَا وَجَعَلْتُهُنَّ إِلَى نَدَاكَ وَسَائِلِي
فَاجْلِسْ لَهَا وَارْفَعْ حِجَابَكَ دُونَهَا وَاسْمَعْ إِلَى إِنْشَادِهَا وَتَطَاوُلِ
وَاعْرِفْ لَهَا تَأْمِيكَهَا بِأَمْنٍ يَرَى كَرَمًا عَلَى الْمَأْمُولِ حَقَّ الْآمَلِ

وقد خالفت الناس في التوسل وقلت :

أَرَدْتُ حَبْلَكَ يَبْدُو إِذَا كَانَ ذَنْبِي هَائِلًا
فَهَلْ رَأَيْتَ خِلَافِي خَلَى الذَّنُوبَ وَسَائِلًا

* * *

٦٧- وقوله : ولم ضاقت مذاهبي ، وأكدت مطالبي !

لم ضاقت ، استفهام عن العلة في ضيق مذاهبي ، كأنه قال : ولأى علة ضاقت بي السبل ، حتى ما أجد مضطرباً !

والمذاهب : الطرُق ، واحدها مذهب . وذهب فلان مذهباً حسناً ، أى اختار طريقاً حسناً . وأكدت ، الإكداء المنع ، من قوله تعالى : ﴿ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴾ ^(١) ، أى ومنع القليل . وأكدي الحافر ، أى بلغ الكدية من الأرض ، فلم يمكنه أن يحفره بمسد ذلك ، وأكدت الأرض إذا أبطأ نباتها .

وقال بعض الأعراب :

لقد بَخِلْتُ - حتى لو آتَى سألْتُها

قدَى المَين من ضاحي التراب لَهَضَتْ

فإن بَخِلْتُ ، فالْبُخْلُ منها سَجِيَّةٌ

وإن بَذَلْتُ أعطت قليلاً وأكدت

وما أحسن قول شريف الدين بن عنين :

وأقبلتُ أَجْتَابُ البلادَ كأنني

قدَى حالَ دونَ النَّومِ في أعينِ الرُّمِدِ

أَكْدُ وُبُكْدَى الدهرُ لي كلَّ مطلبٍ

فيا بؤسَ دَهْرِي ، كم أَكْدُ وكم يُكْدِي !

وقال محمد بن أحمد الخياط الدمشقي :

نَهَضْتُ يَدِي مِنَ الْأَمَالِ لَمَّا رَأَيْتُ زَمَامَهَا بِيَدِ الْقَضَاءِ
وَمَا تَنَفَّكَ مَعْرِفَتِي بِحَظِّي تَرَبُّنِي الْيَأْسَ فِي نَفْسِ الرَّجَاءِ

وقال أبو إسحاق الغزي :

فَكَيْفَ عَلَى بَحْتِي غَفَلْتُ وَلَمْ تَشْمُ غَوَادِيكَ غُفْلًا ، وَهِيَ كَاشِفَةُ الْمَحْضِلِ
وَمَا ظَافَتِي إِلَّا أَطْرَاحُكَ حَرَمَةً
شَكَتْ مِنْكَ صَدَّ الْعَاشِقِينَ عَنِ الْمَذَلِ

ومما يناسب هذه الكلمات على الجملة دون التفصيل قول أبي القمّاهية :

تَذَكَّرْ أَمِينَ اللَّهِ حَقِّي وَحُرْمَتِي وَمَا كُنْتُ تُؤَلِّينِي ، لَعَلَّكَ تَذَكَّرُ
لِيَالِي تَذَنِّي مِنْكَ بِالْفَرْبِ مَجْلِسِي وَوَجْهُكَ مِنْ مَاءِ الْبَشَاشَةِ يَقْطُرُ
فَمَنْ لِي بِالْعَيْنِ الَّتِي كُنْتُ مَرَّةً إِلَى بَهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ تَنْظُرُ !

وقال عبد الصمد بن بابك :

أَلَا يَا عَامَرَ الْأَمَالِ مَالِي أَشِيمُ الْطَّرَفِ فِي أَمَلٍ خَرَابِ !
أَفُوتُ مَطَارِحَ الْأَمَلِ انْتِظَارًا وَأَسْرَحُ بَيْنَ سُقْمِي وَاغْتِرَابِي
أُرَاعُ وَلَا أُرَاعِي وَالْأُمَانِي لَقِيَ بَيْنَ اكْتِثَابِ وَأُرْتِيَابِ
وَكَمْ كَسَرٍ جَبَرَتْ فَبَكَانَ طَوْقًا عَلَى نَحْرِ الدُّعَاءِ الْمُسْتَجَابِ

٦٨ - وقوله : وعلام رضيتُ من المركبِ بالتعليق ، بل من
الغنيمةِ بالإياب !

هذان مثالان أوردتهما يستفهم عن حاله ، فقال ذلك . والمثل الأول لفظه :
« أرض من المركبِ بالتعليق » ^(١) . معناه أرض من عظيمِ الأمرِ بصغيره ، وهو
يُضرب في القناعةِ بإدراك بعض الحاجة . والمركب هنا يجوز أن يكون بمعنى
الركوب ، أى أرضَ بذلك رُكوبك بتعليق أمتعتك عليه ، ويجوز أن يراد به
الركوب ، أى أرض منه بأن تتعلق به أمتعتك .

والمثل الثاني ، وهو قولهم : « قَنِعتُ من الغنيمةِ بالإياب » ، أول من
قاله امرؤ القيس نظماً ، وهو :

وقد طَوَّفتُ في الآفاقِ حَتَّى قَنِعتُ من الغنيمةِ بالإيابِ ^(٢)

وهو من قصيدة أوَّلها :

أرانا موضعين لأمرٍ غيَّبِ ونُسَجَّرُ بالطعامِ وبالشرابِ
والإياب هو العود والرجوع ، وهو مثل قولهم : قَنِعتُ من الغنيمةِ بالسلامة ،
ومنه قول الطُّغْرانيّ :

والدَّهرُ بِعَكْسِ آماليّ وَيُقِنِّعُنِي من الغنيمةِ بَعْدَ الكَدِّ بِالْقَفْلِ
وهو أحسن من الأوَّل ؛ لأنَّه زاد فيه قوله : « بعد الكد » ، يعنى أنى قَنِعتُ
من الغنيمة بعد ما كدَدْتُ نَفْسي وأتعبْتُها بِالْقَفْلِ ، وهو الرُّجوع . وقلتُ
أنا رَدًّا على الطُّغْرانيّ :

تَقولُ « يَعْكِسُ آماليّ » وأنتَ كما تَراه في عالمٍ في التُّربِ مُسْتَقِلِّ
أما تَرى الشَّمْسَ تَلْقَى عَكْسَ مَقْصِدِها

في كُلِّ يومٍ ، ولولا ذاك لم تُقَلِّ

(١) المبدائي ١ : ٣٠٠ ، قال : « أى أرض من عظيم الأمور بصغيرها ، يضرب في
القناعة بإدراك الحاجة » .
(٢) ديوانه ٩٩ .

وقلتُ في ذلك أيضا :

لا يَعْجَبُ المرءَ لِعَكْسِ العُنى ما فِكرُهُ في مِثْلِ ذا نافعٍ
والأَنْجَمُ السَّبْعُ المَلَأَ ما نَحَتْ من عَكْسِها بالفاكِ القاسِعِ

وقال عبدُ الله بنُ أبي عُيَيْنة :

إذا نحنُ أبْناءُ سَالِمِينَ بأنفسِ كِرَامٍ رَجَتْ أَمْرًا نَخَابَ رَجَاؤُها
فأنفُسُنا خَيْرُ الغَنِيمةِ أَنها تَمُوتُ ، وفيها ماؤُها وحَيَاؤُها

وما أحسنَ قولَ أبي الطَّيِّب :

أَغْرَ ، أعداؤُه إذا سَلِمُوا بالهَرَبِ أَسْتَكْثَرُوا الَّذِي فَعَلُوا^(١)

وقولُ البَحْثَرِيِّ :

ولَكِنِّي أَغْلِي نَحْلَكَ أن أَرى مَدْلًا ، وَأَسْتَحْيِيكَ أن أَعْظَمًا^(٢)
وكانَ رَجَائِي أن أَعُودَ مَمْلُوكًا فَأَضْحَى رَجَائِي أن أَعُودَ مُسْلَمًا

وقلتُ أنا في مَنى قولِ امرئِ القيسِ : « قَنِعْتُ من الغَنِيمةِ بالإِيَابِ » :

قَنِعْتُ بِالْعُودِ إلى مَنزَلِي وَذَلِكَ دَأْبُ المرءِ في خِيَمَتِهِ
كَالْحَجَرِ المُلَقَى إلى صَاعِدٍ لَيْسَ لَهُ هَمٌّ سِوَى عَوْدَتِهِ

وقد أخذتُه من قولِ أبي الطَّيِّب :

وما أنا غَيْرُ سَهْمٍ في هَوَاءٍ يُعُودُ وَلَمْ يَجِدْ فِيهِ امْتِساكا^(٣)
وقد اختلفَ أَهْلُ النَظَرِ في هذا المَوْضِعِ ، فقال قومٌ : إنَّ السَّهْمَ وَالْحَجَرَ
وغيرَها إذا رَمِيَ به ، وصعدَ وتَناهى صَعُودُهُ ، كانَ له في آخِرِ صَعُودِهِ لَبِثَةٌ ،
نَمَّ يَتَصَوَّبُ مِنْحَدِرًا .

(١) ديوانه ٢ : ٢١٣ ، وأغْرَ خيرٌ لِمَبْدَأِ مَحذُوفٍ ، أى هو أغْرَ . (٢) ديوانه ٢٢٨

(٣) ديوانه ٢ : ٣٩٦ .

وقال آخرون : لا بُدَّ له هناك ، ولمَّا أوَّل وقتِ حُدُورِهِ آخِرَ وقتِ صُعودِهِ . والأوَّل ذهب إليه الرئيس أبو علي بن سينا ، وقد أوضحتُ هذا في شرح لامية المَجَمِّ في قوله : « والدَّهْرُ يَمَكِسُ آمَالِي » ... البيت

* * *

٦٩ - وقوله : وأنى غابني المغائب ، وفخر على العاجز الضعيف ، ولطممتني غير ذات سوار !

وهذه ثلاثة أمثلة من أمثلة العرب ، فالأوَّل من بيت شعرٍ لا مَرِيءَ القيس ، وهو :

وإنَّك لم تَفخَرَ عَلَيَّ كفاخِرٍ ضِعْفٍ ، ولم يَغْلِبْكَ مِثْلُ مُغْلَبٍ ^(١)
يريد بذلك أنه أشدَّ ما على الإنسان أن يَفخَرَ عليه فاخر ضعيف ، وأن يغلبه مُغْلَبٌ ، وهو المَغْلُوب ، وهذا من قصيدته التي أوَّلها :
خاملي مرَّابى على أمِّ جُنْدُبٍ نَفَضَ لُبَانَاتِ الْفَوَادِ الْمَغْدَبِ ^(٢)
وبعد البيت الأوَّل :

وإنَّك لم تَقْطَعْ لُبَانَةَ عَاشِقٍ بِمِثْلِ غَدَوٍ أَوْ رَوَاحٍ مُؤَوَّبٍ ^(٣)
والبيت الأوَّل كذا رويناه عن شيخنا العلامة أثير الدين أبي حيان رحمه الله تعالى ، صحَّفه ابن زيدون ، فقال : « وفخر على العاجز الضعيف » ، فجعل ألفه عينا مهملة ، والحاء المعجمة جيمًا ، والرَّاء زايًا ، وهو تصحيف حسن ، أفادَ المعنى قوَّة لقوله : « العاجز الضعيف » .

وقول امرئ القيس :

وإِنَّكَ لَمْ يَغْلِبْكَ مِثْلُ مَقْلَبٍ البيت

قيل لأنَّ القلبَ والمَاجزَ الضميفَ إذا قَدَّرَا لم يُبقيا . وقيل : إنَّ ذلكَ أشدُّ ذُلًّا على المَغْلُوبِ ، وهو الأَقْرَبُ . وكان في الشُّعراءِ الأَقْدَمِينَ وَمَنْ بَدَّهم جاعةٌ غَلَبَهم مَن دُوَّهم ، فإنَّ نابغةَ بنى جَمْدَةَ غَلَبَ عليه أوْس بنُ مفرَّاءَ القُرَيْمِيُّ وليلى الأَخْيَلِيَّةُ ، ولم يَكُونَا قَرِيبَيْنِ مِنْهُ .

ومِنْهم الزُّبْرُقانُ بنُ بُدْرٍ ، غلبه عَمْرُو بنُ الأَهمِّ ، ووَاقِئُهَا بين يَدَيَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مشهورة (١) .

وقال يونس بن حبيب : وكان البَهِيثُ مَغْلَبًا في الشُّعْر ، غَلَابًا في الْخُطَبِ .
ومن الْمَغْلَبِينَ في الإسلامِ أيضًا بَشَّارُ بنُ بُرْدٍ ، غَلَبَهُ حَمَادُ عَجْرَدٍ ولم يَكُنْ مِنْ أَكْفَائِهِ ، وقد هَجَاهُ وَأَنْكَاهُ ، وَمَا قَالَ فِيهِ :

لَهُ مُقَلَّةٌ عَمِيَاهُ وَأَسَتْ بَصِيرَةٌ إِلَى الْإِيْزِمِ تَحْتَ الثَّيَابِ تُشِيرُ
عَلَى وَدِّهِ أَنْ الْحَجِيرَ تَغْمِيكُهُ وَأَنْ جَمِيعَ الْمَالَيْنِ حَجِيرُ
وَعَلَيْهِ أَيْضًا أَبُو الشَّعْمَقِ ، وَلَيْسَ بِقَرِيبٍ مِنْهُ ؛ وَكَانَ يُضَارِعُهُ فِي كُلِّ
سَنَةٍ بِمَائَتَيْ دِينَارٍ ، وَمِنْ قَوْلِهِ فِيهِ :

هَلَّلِيْنَهُ هَلَّلِيْنَهُ
طَمْنُ قِشَاقٍ لَمِيْنَةٍ (٢)
إِنَّ بَشَّارَ بْنَ بُرْدٍ تَيْسٌ أَعْيَى فِي سَفِيْنَةٍ

ومِنْهم عَلِيُّ بنُ الْجَنْهَمِ ، هَجَاهُ أَبُو السَّمْطِ مَرْوَانُ بنُ أَبِي الْجَنْجُوبِ فغَلَبَهُ ،
وَهُودُونَةُ ، وَهَجَاهُ الْبُحْتَرِيُّ أَيْضًا ، فَغَلَبَهُ الْبُحْتَرِيُّ ، وَكَانَ عَلِيٌّ أَفْذَعَ لِسَانًا مِنْهُ .

(١) انظر الخبر في الميداني ١ : ٢٧ (٢) الأغاني ٣ : ١٩٥ .

وأبو تمام هجاء ابن المذل فقلبه ، وأبو تمام هو ما هو . وهجا
ابن حجاج أبا الطيب ، فقلبه وأخرجه من بغداد .

وقولُ امرئ القيس : « وَلَمْ يَفْلِكْ مِثْلَ مُغَلَّبٍ » أخذه أبو تمام
الطائي فقال يصف الخمر :

وضميمة فإذا أصابتْ قُدْرَةً فَتَكَتْ كَذَلِكَ قُدْرَةُ الصُّمَّةَاءِ^(١)
وقال عُمارةُ اليماني :

وَارْتَحَمَتَا مِنِّي لِيَدِي جَلْدَةً صَحِيحَةً تَحْتَكُ بِالْأَجْرَبِ
مِنْ سَفَهِ الدُّنْيَا وَمِنْ لُؤْمِهَا جُرْأَةً مَغْلُوبٍ عَلَى أَغْلَابِ
والمثل الثالث هو قولهم : « لَوْ غَيْرُ ذَاتِ سِوَارٍ لَطَمْتَنِي » .

قال الأصمعي : هذا المثل يروى على هذا الوجه ، وذلك أن حاتمًا الطائي
مرَّ ببلاد عَنَزَةٍ في بعض الأشهر الحرم فناداه أسير لهم : يَا أَبَا سَفَانَةَ ، أَكُنِي
الإِسَارَ وَالْقَمَلَ ، فقال : وَيْحَكَ ! أَسَأْتُ أَنْ نُؤْهِتَ بِاسْمِي فِي غَيْرِ بِلَادٍ قَوْمِي .
فساوم القوم فيه ، فقال : أَطْلِقُوهُ وَحَطُّوا يَدَيَّ فِي الْقَيْدِ مَكَانَهُ ، فجاءته امرأة
فلطمته ، فقال : لَوْ غَيْرُ ذَاتِ سِوَارٍ لَطَمْتَنِي ! يعني أَنِّي لَا أَقْتَصِرُ مِنَ النِّسَاءِ ،
فمَرِّف ، فمَدَدِي نَفْسَهُ فِدَاءً عَظِيمًا . ومعنى المثل : لَوْ لَطَمْتَنِي مَنْ كَانَ كُفْتًا لِي
لَمَانَ عَلَيَّ ، وَلَكِنْ لَطَمْتَنِي مَنْ هُوَ دُونِي . وقيل : فِي تَفْسِيرِهِ : لَوْ لَطَمْتَنِي حُرَّةٌ ،
جَعَلَ السَّوَارَ عَلَامَةً لِلْحُرَّةِ ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ قَدَّمَا تُبْلِسُ الْإِمَاءَ السَّوَارَ ،
ومن قول الشاعر :

وَلَوْ أَنِّي بُلِيتُ بِهَاشِمِيٍّ خُمُولَتُهُ بَنُو عَبْدِ الْمَدَانِ^(٢)
لَمَانَ هَلِيَّ مَا أَلْقَى وَلَكِنْ تَعَالَوْا فَانْظُرُوا بَعْنَ أَبْتِلَانِي

(١) ديوانه ٣ .

(٢) لأعبل المزاحي ، وانظر ديوانه ١٥٧ .

وقال الفرزدق :

ولئن حرّاماً أن أسبّ مقاعِماً بأبائي الشُّمَّ السِّكرامِ الخضرِ
أولئك أبائي فجنّني بمثلهم وأبمد أن أهجو عبداً بدارِ
ولكنّ نهضاً لو صببتُ وسبّني بنو عبدِ شمسٍ من مَنافٍ وهاشمٍ

٧٠ - وقوله : وَمَالِكَ لَمْ تَمْنَعْ مِنِّي قَبْلَ أَنْ أَفْتَرِسَ ، وتَدْرِكُنِي وَلَمَّا أَمَزَّقُ .

هذا الاستفهام معناه الإغراء والحضُّ والحثُّ على إنجاده ، والسرعة إلى
إلى إنقاذه من هذه الشدة .

وما أحسن قول بعض العرب يرثي قومه :

وقد غادروني بعدُهم لَحْمَةُ الْعِدَى وَطَعْمَةُ مَا تَبَغَى الْخُصُومُ الْعَوَاثُ
أضامُ فلا يأوي لَضِيْمِي مَانِعٌ وَأُظْلَمَ لَا يَأْتِي لَصَوِيِّي غَائِثُ
وأعطى بِكَفِّي الْقَلِيلِ مِنَ الْأَذَى وَقَدْ كَانَ يَخْشَانِي الْأَلْدُ الْمَاغِثُ (١)
وحيدٌ بنفسِي لَا أَلَايْمُ مَنْزِلَا

كما أَعْتَزَلَ النَّسْكَ الْإِمَامَ الطَّوَامِثُ (٢)

وقال أبو سعيد محمد بن محمد الرُّسْتَمِي :

فَخُذْلِي مِنْ أُنْيَابِ دَهْرِي بِمَاجِلٍ مِنَ النَّهْرِ دَانٍ ، أَكْرَمُ النَّصْرِ عَاجِلُهُ
وقوله : «وتدركني ولما أمزق» مأخوذة من بيت الهزق العبدي ، وهو :

(١) الماغث : الرجل الذي يلاح الناس وبلادهم .

(٢) الطامث : المرأة الخائض .

فَإِنْ كُنْتُ مَا كَوْلًا فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ
وَلَا فَأَدْرِكُنِي وَلَمَّا أُمِرْتُ^(١)

وقد تقدّم في قصة عثمان بن عفان رضى الله عنه ما كتب به إلى علي
ابن أبي طالب رضى الله عنه ، ومن جملة هذا البيت . وهذا البيت لشأس بن
نهار العبدي ، وبه لقب الممزق ، ولذلك قال عباد بن شأس بن نهار :

أَنَا الْمَزَّقُ أَعْرَاضَ اللِّثَامِ كَمَا كَانَ الْمَزَّقُ أَعْرَاضَ اللِّثَامِ أَبِي
وَمَنْ كَلَامُ الْقَاضِي الْفَاضِلِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : فَلَوْلَا أَنَّ الْإِيلَ كَانَ يَسْتَفِيدُ
بِدُجَاهٍ ، وَأَدْرِكُنِي بِالرَّجَاءِ وَلَمَّا أُمِرْتُ ، وَالتَّهَارُ أَنْضَجَنِي بِالنَّدَاءِ وَلَمَّا أُخْرِقْتُ ،
لَكَانَ الزَّمَنُ فِي زَمَنِهِ قَدْ خَلَعَ الْجُلْدِيْدَيْنِ ، وَلَمْ يَمَيِّزِ الْمَيْنُ فِيهِ بَيْنَ الْخَيْطَيْنِ .
وَحُسِّكَ أَنْ الْمُجْبِرَ السَّوْلَى هَجَا قَوْمًا مِنْ بَنِي حَنْظَلَةَ ، فَأَقَامُوا عَلَيْهِ
الْبَيْتَةَ عِنْدَ نَافِعِ بْنِ عَلْقَمَةَ الْكِنَانِيِّ ، فَأَمَرَ بِطَلْبِهِ لِيُقِيمَ عَلَيْهِ الْحَدَّ وَقَالَ لَهُمْ :
إِنْ وَجَدْتُمُوهُ فَأَقْبِمُوا عَلَيْهِ فِي مَلَا مِنْ النَّاسِ يَشْهَدُونَ ، لِئَلَّا يَدَّعَى عَلَيْهِمْ تَجَاوُزَ
الْحَدِّ ، فَهَرَبَ الْمُجْبِرُ لِيَلَا حَتَّى أَتَى نَافِعًا ، فَوَقَّفَ لَهُ مُتَفَكِّرًا حَتَّى خَرَجَ مِنَ
الْمَسْجِدِ ، ثُمَّ تَمَلَّأَ بِثَوْبِهِ ، وَقَالَ :

إِلَيْكَ سَبَقْنَا السَّوْطَ وَالسَّجْنَ تَحْتَنَا حِيَالُ يُسَامِينِ الظَّلَالِ وَلُقَحَّ^(٢)
إِلَى نَافِعٍ لَا نَرْتَجِي مَا أَصَابَنَا تَعَوُّمُ عَلَيْنَا السَّانِحَاتُ وَتَبَرَحَ
فَإِنْ كُنْتُ مُجْلُودًا فَكُنْ أَنْتَ جَالِدِي
وَإِنْ أَلُكُ مَذْبُوحًا فَكُنْ أَنْتَ تَذْبِيحُ

فَقَالَ لَهُ : انْجُ بِنَفْسِكَ ، فَإِنِّي سَأَرْضِي خُصُومَكَ . ثُمَّ لَمَّا بَقِيَ إِلَيْهِمْ
وَأَرْضَاهُمْ عَنْهُ .

(١) طيقات الثمراء ٢٣٢ ، واسم الممزق شأس بن نهار بن أسود .

(٢) الأغاني ، ٩٣ : ٦٠ . حِيَالُ جمع حَائِل ، والحَائِلُ : الناقة التي ضربها الفحل فلم تحمل .
ولُقَحَّ : جمع لَاقَحَ ، واللاقح : الناقة الحامل . وَيُسَامِينِ الظَّلَالِ : يبارينها .

وَحُكِيَ أَنَّ الصَّاحِبَ شَمْسَ الدِّينِ بْنِ السَّلْمُوسِ ، كَانَ يَكْرَهُ الْأَمِيرَ
 شَمْسَ الدِّينِ قَرَّاسُنْقَرُ ؛ فَحَضَرَ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ إِلَى دِمَشْقَ ، وَبَلَغَ قَرَّاسُنْقَرُ
 عَمَلَ الْوَزِيرِ عَلَيْهِ ، فَحَصَلَ مِنَ التَّقَادُمِ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْأَكَادِيشِ ^(١) الْمَلِيحَةِ ،
 وَالنِّيَاقِ الْفَرِييَةِ ، وَحَضَرَ لَيْلًا إِلَى دِمَشْقَ ، وَمَا أَصْبَحَ السَّلْطَانُ
 الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ بِالْقَهْصَرِ الْأَبْلَقِ إِلَّا وَقَرَّاسُنْقَرُ قَدْ مَلَأَ الْمِيدَانَ الْأَخْضَرَ
 بِالْأَكَادِيشِ وَالنِّيَاقِ وَالْهُجْنِ ، وَهَذَا أَخَذَ بَعْنَانُ الْكَدِيشِ ، وَعَلَى رَأْسِهِ
 كُوفِيَّةُ الْأَوْشَاقِيَّةِ ^(٢) ، فَلَمَّا رَأَى السَّلْطَانُ قَبِيلَ الْأَرْضِ ، وَقَالَ : يَاحُونَدُ ^(٣) ، قَدْ رَجَعَ
 الْمُلُوكُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ خِدْمَةِ الْإِصْطِطِلَاتِ السَّعِيدَةِ ، كَمَا كَانَ أَوَّلًا فِي
 أَيَّامِ الشَّهِيدِ ، وَهَذِهِ التَّقْدِيمَةُ قَدْ سَقَتْهَا إِلَى الْإِصْطِطِلَاتِ وَالْفَاخَاتِ السَّعِيدَةِ .
 فَقَالَ السَّلْطَانُ : لِأَيِّ شَيْءٍ فَعَلْتَ هَذَا ؟ فَقَالَ : يَاحُونَدُ ، بَلَّغَنِي أَنَّ ابْنَ
 السَّلْمُوسِ يَحْمِلُ عَلَيَّ ، وَيُضَيِّرُ عَلَيَّ خَاطِرَ مَوْلَانَا السَّلْطَانِ ، وَقَدْ جِئْتُ أَنَا
 بِنَفْسِي ، وَيَا كُنِّي السَّمْعَ ، وَلَا يَا كُنِّي الْكَلْبَ ؛ فَأَعْجَبَ السَّلْطَانُ ذَلِكَ مِنْهُ ،
 وَقَبِلَ تَقْدِيمَتَهُ ، وَعَفَا عَنْهُ ، إِلَّا أَنَّهُ تَوَلَّى نِيَابَةَ حَلَبِ الْأَمِيرِ سَيْفِ بَكْبَانِ الطَّبَاحِيِّ ،
 وَتَوَجَّهَ هُوَ مَعَ السَّلْطَانِ إِلَى مِصْرَ .

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الصَّابِي فِي أَبِي الْوَرْدِ الْجَنْدَادِيِّ :

وَمَنْ عَجَبَ الْأَيَّامَ أَنْ صُرُوفَهَا تَسُوهُ أَمْرًا مِثْلِي بِمِثْلِ أَبِي الْوَرْدِ
 فَيَالَيْتَهَا اخْتَارَتْ نَظِيرًا وَأَنَّهُ

رَمَانِي بِشَنْعَاءِ الدَّوَاهِي عَلَى عَمَدٍ

فَكَمْ بَيْنَ مَقْفُورِ الْكَلَابِ وَإِنْ نَجَا

ذَلِيلًا وَمَقْتُولِ الضَّرَاعِمَةِ الْأَسَدِ

(١) الْأَكَادِيشُ : جَمْعُ أَكْدُوشَ ، وَهِيَ ضَرْبٌ مِنَ الْخَيْلِ . وَانْظُرْ دُوزِي .

(٢) كُوفِيَّةٌ أَوْ قَاشِيَّةٌ ، مَنَسُوبَةٌ إِلَى الْأَوْقَاشِ ، وَهِيَ الَّتِي يَتَوَلَّى رُكُوبُ الْخَيْلِ لِلرِّيَاضَةِ .

صَبِيحُ الْأَعَشَى ٩ : ٤٤٤ .

(٣) خُونَدُ : لَفْظُ تَرْكٍ ، وَمَعْنَاهُ السَّيِّدُ أَوْ الْأَمِيرُ ، وَانْظُرْ حَوَاشِيَ السَّلُوكِ ٤٤٤ .

٧١ - وقوله : أَمْ كَيْفَ لَا تَنْضَرُّمْ جَوَانِحُ الْأَكْفَاءِ حَسَدًا لِي عَلَى الْخُصُوصِ بِكَ .

تَنْضَرُّمْ : تَتَوَقَّد . والجَوَانِحُ : جمع جَانِحَةٍ ، وهى الأَضْلَاعُ الَّتِى تَحْتَ الثَّرَائِبِ مِمَّا يَلِ الصَّدْرُ .

وَالْأَكْفَاءُ : جمع كَافٍ ، وهو الرَّجُلُ الَّذِى يَكْفِيكَ مَا أَهَمَّكَ مِنَ الْأُمُورِ ، وَالَّذِى هُوَ كُفٌّ لِفَيْدِهِ فِي الْحَسَبِ وَالنَّسَبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَهُوَ عَدِيلُهُ .
وقوله صلى الله عليه وسلم : « الْمُسْلِمُونَ تَسْكَافَاءُ دِمَائِهِمْ » ، وَلِذَلِكَ قِيلَ : إِنْ أَنْ أَبَا الرَّبِيعِ الْفَتَوَى ، قِيلَ لَهُ : أَيْسُرُكَ أَنْ تَحْتَكِ ابْنَةَ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ؛ قِيلَ : وَلَكِ أَلْفُ دِينَارٍ ، قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، قِيلَ : وَلَكِ الْجَنَّةُ . فَأُطَارِقُ مَلِيًّا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ : عَلَى الْأَلَّةِ تَلَدَ مِنِّى ، وَأُشَدَّ :

تَأْبَى لِيَفْضُرَ أَعْرَاقُ مُمَهَّدَةٍ مِنْ أَنْ تَفَاصِبَ قَوْمًا غَيْرَ أَكْفَاءٍ (١)
فَإِنْ يَكُنْ ذَلِكَ حَتْمًا لَا مَرَدَّ لَهُ فَاذْكُرْ حُدَيْفَ فَإِنِّى غَيْرُ أَبَاءِ

وَيَقَالُ : فَلَنْ كَفَّ فُلَانٌ ، وَكُفُّوهُ بَضْمُ الْكَافِ وَالْفَاءِ . وَقَدْ قُرِئَ بِهِمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ . وَالْكَفَاءُ فِي النِّكَاحِ عِنْدَ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَاجِبَةٌ ، فَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ أَنْ يَرْوِّجَ الْمَرْأَةَ مِنْ غَيْرِ كَفٍّ إِلَّا بِرِضَاهَا ، وَرِضَا سَائِرِ الْأَوْلِيَاءِ ، فَإِذَا رَضُوا بِإِسْقَاطِ الْكَفَاءَةِ صَحَّ النِّكَاحُ ، خِلَافًا لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، حَيْثُ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الْكَفَاءَةَ شَرْطٌ فِي الصَّحَّةِ ، وَقَالَ الْأَصْحَابُ : وَسَبِيلُ مَنْ مَلَكَ الطَّرِيقَ الْقَطْعُ فِي بَطْلَانِ مَذْهَبِهِ ، وَأَضْمَحِلَالُ رَأْيِهِ أَنْ يَقُولَ رَادًّا عَلَى الْخُصْمِ : فَقَدْ تَزَوَّجَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) الشعر والخبر بتفصيل أوسع فى الكامل للبدر ٢ : ٢٠٥ .

وأبوه كافر ، وأبوها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والكفافة سبعة أمور ، وهي : الدين ، والنسب ، والصناعة ، والحربة ،
والنقاء من الميوب ، واليسار على أحد الوجهين ، والألا يكون الزوج
مولى الزوجة أو أهلها ؛ فمولى قریش ليسوا بكفائهم . وفي وجه أنهم
أكفاء ، لأن موالى القوم منهم ، وقد نظم ذلك بعض الأفاضل فقال :

شرط الكفافة ستة قد حررت^١ ينبئك عنها بيت شعر مفرد^٢
نسب ودين صنعة حربة^٣ فقد الميوب وفي اليسار تردد^٤

وما أحسن قول القائل :

إِنْ يَحْسُدُونِي فإِنِّي غَيْرُ لَأَنَّهُمْ
قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حَسَدُوا^(١)
أَنَا الَّذِي وَجَدُونِي فِي حُلُوقِهِمْ
لَا أَرْتَقِي صَدْرًا مِنْهَا وَلَا أَرِدُ

ويقال : إن بعض الفضلاء حسده جماعة من أهل عصره ، واتفقوا أن
كتبوا فيه تحضرا ، وشهدوا عليه فيه بشهادات تؤدي إلى تكفيره ،
وأستفتوا عليه أهل العصر في ذيل المکتوب ، وأحضره إلى الشيخ تقي الدين
ابن دقيق العيد ليكتب فيه بالتكفير ، فأخذته وكتب :

حَسَدُوا النَّفَى إِذْ لَمْ يَمَالُوا سَمِيَهُ فَالْكَلُّ أَعْدَاءُ لَهُ وَخُصُومُ^(٢)
فَلَمَّا رَأَوْا مَا كَتَبَ بِهِ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى تَوَقَّفُوا ، وَتَفَلَّتْ شَوْكَتُهُمْ
وَعَزَائِمُهُمْ ، وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ .

(١) أمالي المرتضى ١ : ٤١٤ ونسبها إلى السكيت بن زيد ، وهما أيضا في شرح المختار من
شعر بشار ٦٧ وشرح نهج البلاغة ١ : ٣١٨ من غير نسبة .
(٢) لأبي الأسود الدؤلي ، ملحق (ديوان) هـ

وقال الشاعر :

إِنَّ الْقَدَمَ فِي حِدْقِي بِهِنَمَتِهِ أَنِّي تَوَجَّهَ مِنْهَا فَهُوَ تَحْسُدُ
وَأَسْتَدْنِي لِنَفْسِهِ إِجَازَةَ الشَّيْخِ صَفِيِّ الدِّينِ عَبْدِ الْمَزِينِ الْحَلِيِّ :

مولاهِ دَعْوَةٌ عِبْدٍ غَيْرِ مُفْتَنٍ بِشِمْرِهِ ، وَلَهُ الْحُسَادُ قَدْ شَهِدُوا
قَدْ صُنْتُ شَمْرِي وَكُلُّ النَّاسِ تَخَطُّبُهُ

وَذَاكَ لَوْلَاكَ لَمْ يَمُحَ بِهِ أَحَدٌ
بِكَ انْتَصَرْتُ عَلَى الْأَيَّامِ مُنْتَهِيًا

وَصَارَ لِي فَوْقَ أَيْدِي الْحَادِثَاتِ يَدٌ
وَكَيْفَ تَعْجِزُ كَفِّي أَنْ أُنَالَ بِهَا

هَامَ السَّائِكِ ، وَأَنْتَ الْبَاعُ وَالْمَقْصُدُ

وَكُتِبَتْ أَنَا إِلَى مَنْ أَحْسَنَ إِلَيَّ ، أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ :

تُبَالِغْ فِي حُبِّي إِذَا كُنْتُ حَاضِرًا فَأَزْدَادُ إِضْمَاعًا بِذَاكَ وَإِسْمَاعًا
وَأَنْتَ تَنْتَنِي بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ فَيَزْدَادُ قَدْرِي بِالْمَرَاتِبِ إِضْمَاعًا
وَكَانَ الْوَرَى مِنْ قَبْلِهِ أَيْرُخُونِي فَصَيَّرَهُمْ لِي بَعْدَ ذَلِكَ حُسَادًا

٧٢- وقوله : وَتَمَقَّطِعُ أَنْفَاسُ النُّظَرَاءِ مُنَافَسَةً فِي الْكَرَامَةِ
عَلَيْكَ .

أَنْفَاسُ جَمْعُ نَفْسٍ ، وَقَدْ تَمَقَّطِعَ الصُّعْدَاءُ ، وَكُلُّ ذِي رِيَّةٍ يَتَمَقَّطِعُ ، وَدَوَابُّ^(١)
الْبَحْرِ لَا رِثَاتَ لَهَا . وَالنُّظَرَاءُ جَمْعُ نَظِيرٍ ، وَهُوَ الْمَائِلُ .

(١) ط : « وَذَرَاتُ الْمَاءِ لَا رِثَةَ لَهَا » .

والمناقسة : غاية الرغبة في الشيء ، على وَحْدِهِ المباراة لغيرك .

كتب القاضي الفاضل رحمه الله إلى الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وقد بلغه كلام عن الملك العادل : قد بلغ للملوك ما أنكره المولى العادل من الإكرام ، وتوالى الإنعام بعد الإنعام ، ونسى أن آثار السيوف طاحت وبقيت آثار الأقدام . وكم للخادم من موقف مشكور ، يعجز عنه السيف المشهور ، والعلم المنشور . والعادل يمتن نفسه ؛ فأدام الله أيام مولانا ما دامت السموات والأرض ، وإن تقدم الملوك فهو أكبر مراده ، وإن تأخر لشقوته فما يخرج الأمر عن السادة الملوك من أولاده .

قلت : إنما كتب القاضي الفاضل بهذا الفصل لأن العادل قال وقد بلغه تواتر الإنعام على القاضي الفاضل : وكم للقاضي الفاضل ، القاضي الفاضل ! أيسر يعمل الفاضل حتى يستحق هذه الإنعامات !

وكان الملك الناصر صلاح الدين رحمه الله يقول : والله ما فتحت البلاد إلا بأقلام القاضي الفاضل .

وقال أبو الطيب في مدح كافور :

وغير كثير أن يزورك راجلٌ فيرجع منك للعراقي واليا^(١)

* * *

٧٣ - وقوله : وقد زأني اسمُ خِدْمَتِكَ ، وزَهَانٍ وَسَمٌ نِعْمَتِكَ

زَهَى : الزَّهْوُ : المنظر الحسن ، يقال : ذَهَى الشَّيْءُ لَعَيْنِكَ ، وزَهَى الرجلُ فهو مَزْهُوٌ ، أى تَكَبَّرَ ، والعَرَبُ لا تَنطِقُ بهذا الفِعلِ إِلَّا مُعْجَرًا لِمَا لَمْ يُسَمِّ فاعِلُهُ .

والوسم : العلامة ، هذا من باب المُفَالِطَةِ والمكابرة ، وهو ضربٌ من سِحْرِ الكلام ، وهو أن يقول الخاطبُ لمن يريد استمالته العنقَ عليه ، والانتقاد له مفالطاً : أتفصل بى هذا ، ومازلت فى بَرِّكَ وحُسنِ صنيعِكَ ، وجهيلٌ معروفك ! وما أحسنَ قولَ أبى جعفر الخزاز فى المعتمد بن عباد :

ومازلتُ أُجْنِي مِنْكَ وَالدهرُ مُجِلٌّ وَلَا ثَمَرٌ يُجْنِي وَلَا زَرْعٌ يُحْصَدُ
تَمَارِ أَيْادٍ دَانِيَاتٍ فُطُوْفُهَا لِأَغْصَانِهَا ظِلٌّ عَلَى مَمْدُدُ
يُرْسَى جَارِيًا مَاءُ الْمَسْكَرِمِ تَحْتَهَا وَأَطْيَارٌ شُكْرِى فَوْقَهَا تَقَرَّدُ
وقولُ البُحْتَرِيِّ :

أَلَنْتَ لى الأَيَّامَ مِنْ بَعْدِ قَضَوَةٍ وَعَاتَبْتَ لى دَهْرَى الْمَسَى فَأَعْتَبَا^(١)
وَالْبَسْتَنِى الْمُقْمَى الَّتِى غَيَّرْتُ أُخَى عَلَى ، فَأَمْسَى نَارِحَ الْوُدِّ أَجْنَبَا
وقال أبو فراس بن حمدان :

أَمَّا أَيْادِيكَ عِنْدِي فَهِيَ وَاضِحَةٌ مَا إِنْ تَرَأَى يَدَ مِنْهَا تَسْوِقُ يَدَا
لَمْ لَا أُمْدُ يَدِي حَتَّى أَنْالَ بِهَا مَدَى الشُّجُومِ ، إِذَا مَا كُنْتُ لى عَضْدَا
وقال أيضاً :

وإِنَّكَ لَمَوْلَى الَّذِى بَكَ أَفْتَدِي وَإِنَّكَ لِلنَّجْمِ الَّذِى بَكَ أَهْتَدِي^(٢)

(١) ديوانه ١ : ٥٦

(٢) ديوانه : ٨٠ نشرة الدهان

وَأَنْتَ الَّذِي بَلَغْتَنِي كُلَّ رُتَبَةٍ مَشَيْتُ إِلَيْهَا فَوْقَ أَعْنَاقِ هُمُودِي
فِيَا مُلَيْسِي الثَّمَنِي الَّتِي جَلَّ قَدْرُهَا لَقَدْ أَخْلَقْتَ تِلْكَ الشَّيَابُ فَجَدُّدِ
وَقَالَ أَيْضًا :

أَلْبَسْتَنِي نَعْمًا عَلَى نَعْمٍ وَرَفَعْتَ لِي عَلَا عَلَى عِلْمٍ
وَعَلَوْتَ بِي حَتَّى مَشَيْتُ عَلَى بُسْطٍ مِنَ الْأَعْنَاقِ وَاللَّامِ
وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

لَا تَهْجُرُوا مَنْ لَا تَمُودَ هَجَرَكُمْ وَهُوَ الَّذِي بَلَّيَانِ وَصَلِكُمْ غُدِي
وَرَفَعْتُمْ مِقْدَارَهُ بِالْإِسْدَا حَاشَاكُمْ أَنْ تَقْطَعُوا صِلَةَ «الَّذِي»
وَقَالَ أَبُو سَمِيدٍ تَحْمَدُ الرُّسْتَمِيُّ :

وَوَسَائِلِي مَا قَدْ عَلِمْتَ وَلَايَةَ مَذَكْتُ أَعْمَدُهَا وَصَفْوُ وَدَادِ
هَذَا وَحُرْمَةِ خِدْمَةِ مَرْعِيَّةٍ لِلْأَبْعَدِينَ قَرِيبَةِ الْمِيلَادِ
مَازَلْتُ مِنْ أِبْرَادِهَا مَتَوَشِّحًا بِمَقُوفٍ يُزْهِى عَلَى الْإِبْرَادِ
وَقَالَ ابْنُ الْمَعْلَمِ :

أُمُولَايَ نُمَاكَ الَّتِي مَلَأَتْ يَدِي فَطَالَتْ ، وَجَدُّوكَ الَّتِي نَوَّهَتْ بِأَسْمِي
وَكَيْفَ - وَقَدْ شَيْدَتْ مَجْدِي وَزِدْتَنِي عَلَى الرَّسْمِ - لَا أَجْزِيكَ مِنِّي عَلَى الرَّسْمِ
وَمِنْ رِسَالَةٍ كَتَبَ بِهَا صَالِحُ بْنُ صَالِحِ الشَّنْعَرِيِّ :

وَلَسْتُ أَضْرِبُ الْمَثَلَ فِي سُقُوطِي عَلَيْكَ ، وَأُنْجِذُ بِي إِلَيْكَ ؛ وَاسْكُنِي
أَقُولُ : أَسْقَطُ سُقُوطَ الطَّلِّ عَلَى الرِّيَاضِ ، وَأَنْزِلُ بِنَجْدِكَ تَرْثِينَ
الْجَمَالَ بِالْبَيَاضِ .

٧٤ - وقوله : وَأَبْلَيْتُ الْبَلَاءَ الْجَمِيلَ فِي سِمَاطِكَ ، وَقُمْتُ الْمَقَامَ
الْمَحْمُودَ فِي بَسَاطِكَ .

أَبْلَيْتُ : جَرَّبْتُ وَأَخْبَرْتُ ، وَالْبَلَاءُ : الْاِخْتِبَارُ ، وَالْمَقَامُ بَيْنَ السَّمَاطَيْنِ
مِنَ الْمَقَامَاتِ الزَّائِلَةِ الدَّاحِضَةِ ، حَتَّى قَالَ أَعْرَابِيٌّ :

بَرَّيْتُ إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ كُلِّ صَاحِبٍ
أَصَاحِبُهُ إِلَّا حِمَاسَ بْنِ نَائِلٍ^(١)

وَوَضَّيْتُ بِهِ بَيْنَ السَّمَاطَيْنِ أَنَّهُ سَيَنْجُو بِحَقِّي أَوْ سَيَنْجُو بِبَاطِلِ

وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّشْتَمِيُّ :

وَمَا كُنْتُ - لَوْلَا طَيْبُ ذِكْرِكَ - شَاعِرًا

وَلَا مُنْشِدًا بَيْنَ السَّمَاطَيْنِ فِي حَقْلِ

وَلَسَكِنْتَنِي أَقْضَى بِهِ حَقِّي نِعْمَةً سَرَتْ مَثَلًا لَنَا وَسَمَتْ بِهِ عَقْلِي

وَقَالَ كَالُ الدِّينِ بْنِ النَّبِيِّ :

أَلَمْ تَرَنِي بَيْنَ السَّمَاطَيْنِ مُنْشِدًا كَأَنِّي عَلَى شَاهِ أَرْمَنِ أَنْتِ الدُّرَّ^(٢)

فَقَوْلُهُ : « وَأَبْلَيْتُ الْبَلَاءَ الْجَمِيلَ » أَيُّ بِمَدِّ صَبْرِهِ عَلَيْهِ ، وَاجْتِبَارِهِ لَهُ ، وَتَجَرُّبَتِهِ لَهُ
فِي مَوَاطِنِ الْبَلَاءِ .

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْأَمِيرِ شَدِيدِ الْمُلْكِ بْنِ مُعَيْزٍ :

يَجْنِي فَأَعْرِفْ مَا يَجْنِي فَأُنْكِرُهُ وَيَدْعِي أَنْتِ الْجَانِي فَأَهْتَرِفُ
وَكَمْ مَقَامٍ لِمَا يُرْضِيهِ قَتُّ عَلَى جَمْرِ الْقَضَى وَهُوَ عِنْدِي رَوْضَةٌ أَنْفُ

(١) المقدم ٣ : ١٥ من غير نسبة ، وفيه « عراك بن نائل » .

(٢) ديوانه ٥١ .

وقول أبي الحسين الجزار :

لست أنسى وقد وقفتُ فأنشدتُ
كل بيت يزرى على خلف الأه
ببديع يحار في نظمه الطأ
ومديح مانال جودته قد
قمت وسط الإيوان بين يدي مَدَا
ت قصيداً يفوق نظم الجمان
مر بالحسن وهو شيخ ابن هاني
تُ بل مُسلم صريع النواني
ما زياد في خدمة الثممان
ك تسامى على أنوشروان

وما أحسن مامت به أبو تمام بقصائده ، فقال :

وَأَيْنَ قَصَائِدِي لِي فِيكَ تَأَبَّى
مِنَ السَّخْرِ الْحَلَالِ لِمُجْتَمِعِهِ
وقال ابن قلاؤس من مرثية :

ولمّا مرّ بي نحوّه الوجدُ قاعداً
وقتُ بها بين السّماطين مُمَوِّلاً
ولم أستطع عقر أعقرت القوافي
أقلّ المراني أن تسدّ المرازيا

وقال ابن الساعاتي :

أردّد لحظ ظني في وجوه
وقد أعدت جفون الغيد حظي
وكم لي فيك من عذراء زفت
من الغيا الحسان بلا شبيه
من الآمال كاسفة الصبح
ولست بالراض ، ولا الصّحاح
لفهمك في غدوّ أو رواج
فكيف يفوتها حظّ القباح

٧٥ - وقوله :

أَلَسْتُ الْمُوَالِي فِيكَ غُرَّ قَصَائِدٍ هِيَ الْأَنْجُمُ اقْتَادَتْ مَعَ اللَّيْلِ أَنْجُمًا
تَنَابُ يُظَنُّ الرُّوضُ مِنْهُ مَنُورًا ضَحَى وَيَخَالُ الْوَشْيُ فِيهِ مَنَمًا

الموَالِي : اسمُ فاعِلٍ ، من وَآلَى الشَّيْءَ ، إِذَا اتَّبَعَهُ بِعَقْبِهِ .

وَاقْتَادَتْ : « افْتَعَلَتْ » من الْقَوْد . مَنُورًا « مَنَعَلًا » من التَّنُورِ المَوْشَى ، وهو الزَّهْر .

وَالْوَشْيُ هُوَ ضَرْبٌ مِنْ حُلْمِلِ الْحَرِيرِ ذُو أَلْوَانٍ ، وَالْمَنَمُ هُوَ الثَّوْبُ الْمَوْشَى ، وَهُوَ ذُو الْأَلْوَانِ ، وَلَا يَدَّ فِي تِلْكَ الْأَلْوَانِ مِنْ لَوْنِ الْبَيَاضِ .

وَهَذَانِ الْبَيْتَانِ مِنْ قَصِيدَةٍ لِلْبُحْتَرِيِّ ، يَعَاتِبُ بِهَا الْفَتْحَ بْنَ خَاقَانَ أُولَاهَا :

يَهُونُ عَلَيْهَا أَنْ أَيْتَ مُتَيْمًا أَعَالِجُ وَجْدًا فِي الضَّمِيرِ مَكْتَمًا^(١)
وَقَدْ جَاوَرَتْ أَرْضَ الْأَعَادِي وَأَصْبَحَتْ

حَتَّى وَصَلَهَا مَذْ جَاوَرَتْ أَبْرَقَ الْحَمَى

وَقِيلَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ ، يَلِيقُ بِهِذِهِ الرَّسَالَةُ لَوْ أَوْرَدَهُ ،

وَهُوَ :

أَعِمْذُكَ أَنْ أَخْشَاكَ مِنْ غَيْرِ حَادِثٍ تَبَيَّنَ أَوْ جُرِّمَ إِلَيْكَ تَقْدَمًا

(١) القصيدة في ديوانه ٢ : ٢٢٧ - ٢٣٠

وبعد البيتين اللذين في الرسالة يقول البحترى :

ولو أننى وقّرتُ شعْرى وقارَه وأجلّلتُ مدْحى فيك أن يُتَهْصَا
لأَكْبَرْتُ أن أُوِىَّ إليك بِاصْبَح تضرّعُ ، أو أذِنِي لمَعْدِرَةٍ فَمَا
وكان الذى يَأْنِي به الدهرُ هَمِينًا على ، ولو كان الجِمامُ المَقْدَمَا
أَعِدُّ نَظْرًا فَمَا تَسَخَّطْتَ هل تَرَى مقالاً دَنِيًا ، أو فَمالاً مَذْمُومًا
حياءٌ فلم يَذْهَبْ بى الفى مَذْهَبًا بميداً ، ولم أركب من الأمر مَقْظَمًا
ولم أعْرِف الدَّنبَ الذى سَوَّيْتَنِي بِهِ

فَأَقْبَلَ نَفْسِي خَسِرَةً وَتَنَدَّمَا
ولو كان ما خُسِرْتَهُ أو ظَنَنْتَهُ لما كان غَرُورًا أن أُلُومَ وَتَكْرُمَا

وهذا البيتان لأبى عبادة البُحْتَرى مأخوذان من قول أبى تمام (١) :

ووالله لا أنفك أهدى شوارداً إليك تحملن النساء البجلاً
تخال به بُرداً عليك مُحَبَّرًا وتحسبها عقدا عليك مُفَصَّلاً
الذين السَّلوَى وأطيبُ نَفْحَةٍ من المسكِ مَفْقُوتًا وأبسرُ حِمْلًا
أخفَ على قلب وأثقلَ قِيَمَةً وأقصرَ فى سَمْعِ الجَلِيسِ وأطولاً

وقوله : « هى الأنجم أفتادت مع الليل أنجما » أخذَه البُحْتَرى أيضاً :

منه فى قوله :

أَصِيحٌ تَسْتَمِيعُ حُرَّ القَوافي فَإِنَّمَا كَوَاكِبُ إِلَّا أَنَّهُنَّ سُمُودُ
ولا تُمْسِكُنِ الإِخْلَاقَ مِنْهَا فَإِنَّمَا يَلْدُ لِبَاسُ البُرْدِ وَهُوَ جَدِيدُ

إِلَّا أن البُحْتَرى قَصَّرَ عن أبى تمام كلَّ التَّقْصِيرِ .

٧٦ - وقوله : وهل لبس الصباح إلا بُرداً طرزته بفضائك .

قد جرت العادة بين البلغاء وفرسان البيان وأرباب النثر والنظم أن يستعمروا للثناء - وهو شيء يُدرك بالسمع - أشياء تُدرك بحاستي البصر والشم ، فيقولون : ثناء كأنه المسك الأذفر ، أو زهر الروض الأنضر ، أو كالنجوم الزاهرة ، أو البرود المرقومة ، أو كأنفاس النسيم السحرية . ومن هذا وأمثاله ، لأنهم يريدون المبالغة فيما وصفوه ^(١) .

قال الإمام نحر الدين : الاستمارة ذكر الشيء باسم غيره ، وإثبات ما فيه له لأجل المبالغة في التشبيه ، ووجه تشبيه الثناء بالمسك ، وبأنفاس الرياض في السحر ، هو أن الثناء الحسن يقال فيه : فلان طيب الثناء ، فاستعاروا له رائحة المسك ، وأنفاس الرياض ، فقالوا : ثناء كالسك ، ووجه تشبيه الثناء بالكمواكب والصباح وبغير ذلك ، هو أن الثناء الحسن يقال فيه : إنه لا يخفى وصف فلان على أحد ، ولا أوضح للعين من النجوم ، ومن الصباح . ووجه تشبيه الثناء بالبرود المرقومة هو أن الثناء الحسن يقال فيه : فلان يحوك أوصاف فلان ، وينسجها على منوال غريب ، ويرقم برودها ، وما يريدون بذلك إلا المبالغة ، لأنه صار بحيث يدرك بعد حاسة السمع بحاستي البصر والشم .

وما أحسن قول محمد بن غالب الرضافي :

أجري حديثك ثم أعلم أنه قولٌ يقال وعرفه مشوم
أما إذا قالوا : ثناء يهز الأعطاف ، ويضطرب الأسماع ، فهو على أصله فيما يدرك بحاستي السمع ؛ نعم يستعمرون له سجع الحمام وتفريده ، وأصوات المثاني والمثالث ، ونفثات الألحان .

(١) م : « وصف » .

فقول ابن زيدون رحمه تعالى : « وهل لبس الضبيح إلا بُرداً طرّزته
بنضائك » ، من هذا الباب الذي قدّمته ، وكذلك ما بعده إلى قوله : « وبثّ
المسك إلا حديثنا إذعته عن محمّدك » .

وما أحسن قول ابن عنين :

يُهدى إليك من الشّاء ملابساً تصفّو وتصفّو من قذى الأطماع^(١)
مصقولة الألفاظ يلقاها النقي من كلّ جارحة بسمع واعـ

٧٧ - وقوله : وتقلّدت الجوزاء إلا عقداً فصلّته بما تركـ

الجوزاء أحد البروج الاثني عشر ، وهى عدة كواكب ، ومن
صورته ثلاثة كواكب ، صفت على قدر واحد في الهيئة والبعد يسمى منطقة
الجوزاء ، وإياها قصد ابن زيدون .
وفصلّته : جعلته فضولاً .

والمآثر جمع مأثرة ، وهى الكرامة ، لأنها تؤثر ، أى يتحدّث بها وتذكر
فى الناس .

وما أحسن قول أبى بكر يحيى بن بقى الأندلسى :

عليك أبا عبد الإله خلقتها لها البدر طوق والنجوم دلائل
وماهى إلا الدهر فى طول عمرها وإن لم يكن فيها الضحى والأصائل
قلت : إلا أنه هجّن البيت الثانى بنقى الضحى والأصائل عنها ؛
ولو قال :

* وَحُسْنُ الثَّنَا فِيهَا الضُّحَى وَالْأَصَائِلُ *

لَكَانَ قَدْ كَمَلَ نَسَبُهُ ، وَحُمِلَ نَهْجُهُ .

وقال شرف الدين بن عثيمين :

ومقتصرٍ عن بعض ما أنفذه

شُكْرِي وَإِنْ كُنْتُ الْفَصِيحَ الْمُسَهِّبَا ^(١)

ولو أنني نظمتُ فيكَ قلائدَ الـ جَوَازِاءِ كُنْتُ أَجَلَ مَنَها مِنْصَبَا

وقال حسان بن المصيصي الشبلي :

وجدتُ مَعَالِيكَ أَصْلًا لَشِعْرِي وَهَلْ يُنْظَمُ الْبَرُّ لَوْلَا النَّصَاحُ ^(٢)

لَكَ الْفَضْلُ إِنْ طَابَ شُكْرِي وَنَشْرِي

بَطِيبِ الرِّيَاضِ تَطِيبُ الرِّيحِ

٧٨ - وقوله : واستملى الربيع إلا ثناء مَلَأَتْهُ مِنْ حَامِئِكَ .

تقول : أُمِلِتُ الْكِتَابَ أَمْلِيهِ ، وَأَمْلَأَتْهُ أَمَلُهُ ؛ لَفَتَانِ جَيِّدَتَانِ جَاءَ بِهِمَا الْقُرْآنُ الْحَمِيدُ . وَأَسْتَمِلِيهِ الْكِتَابُ ، سَأَلْتُهُ أَنْ يَمْلِيَهُ عَلَيَّ ، أَيْ يَقُولَ لَكَ بِمَا فِيهِ ، وَقَدْ أَتَى بِالْجِنَاسِ بَيْنَ قَوْلِهِ : «مَلَأَتْهُ» وَ«أَسْتَمِلِي» ، وَهُوَ جِنَاسٌ أَشْتَقَاقٌ عَلَى قَوْلٍ ، وَاسْتِمَارَ الاسْتِمْلَاءُ لِلرَّبِيعِ ، وَالْمَحَلُّ لِلْحَاسِنِ ، فَأَحْسَنَ فِي كُلِّ ذَلِكَ . وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ أَبِي فِرَاسٍ بْنِ حَمْدَانَ :

وَمَا زَالَتْ رِيَّاحُ الشَّعْرِ شَتَّى فَمِنْ رَيَّا الْمَهْبُوبِ وَمِنْ سَمُومِ
مَنْحَتِكَ مِنْ مُحَاسِنِهَا بَدِيمًا مَقِيمِ الزَّهْرِ سَيَّارِ الدَّسِيمِ

(١) ديوانه ٤٠ . (٢) النصاح : السلك الذي ينظم الحرز .

وقال أبو سعيد محمد بن محمد الرستمي :

قَرِيبُ كَسَاهُ الْمَزْنُ أَثْوَابَ رَوْضَةٍ

فَرَأَتْ أَعَالِيَهُ وَرَقَّتْ أَسَافِلُهُ

يَطِيبُ عَلَى الْأَيَّامِ رِيًّا نَشِيدِهِ وَأَطِيبَ مِنْ رِيَّاهُ مَا أَنْتَ فَاعِلُهُ

وقال ابن المعلم :

وَلَمْ يَكُ إِلَّا عَاطِلًا فَكَسَوْتَهُ حُلِيَّ بِيَوَاقِيتِ الْمَلَاءِ تَرَصَّعُ

كَذَاكَ أَكْتَسَى مِنْ تَشْرِكِ الشَّمْرِ نَفْعَةً

وَهَا هِيَ فِي أَعْطَافِهِ تَتَضَوَّعُ

وقال بعضهم :

حَدَّثْتُ عَنْكَ غُصُونِ الْبَانِ فَاَنْمَطَقْتُ

وَمَالَ بِالشُّكْرِ مِنْهَا كُلَّ مَيَّادٍ

لَمْ يَبْقَ فِي الرَّكْبِ مِنْ لَاهِزِهِ طَرَبٌ

إِلَى لِقَائِكَ حَتَّى سَرُّحَةِ الْوَادِي

* * *

٧٩ - وقوله : وبث المسك إلا حديثا أذعته في محامدك .

بث الخبر وأبثه بمعنى نشره ، يقال بثتلك سرى ، أى أظهرته لك وبثت

الخبر فانبث ، أى انتشر . وذاع الخبر ، يذيع ذيعا وذيوعا وذيوعة

وذيعانا ، أى انتشر ، وأذاعه غره ، أى أفشاه . وفي الحديث « ليسوا

بالمذاييع البذر » .

والحامد جمع محد ضد الذمة ، وقد استعمار الحديث لرائحة المسك ، وهى

استعارة حسنة .

(١) البذر : جمع بذور ، يقال : بذرت الكلام بين الناس كما تبذر الحبوب ، والحديث في

ابن الأثير ١ : ١١٠ .

وما أحسنَ قولَ أبي عبد الله محمد الرضا في رحمه الله :

هذه مِساغى ابن حربون وكيف بها

فبارها شرفاً يا نجم أو صار
فهل نسائمٍ منك تنثرون معي أم تقطفون معي أكمّامَ أزهارى
حتى لقد خلّفتنى شفتيت بينهم خمرأ فمن بين محوٍ وختار
وقوله أيضاً :

أجروى حديثك ثم أعجب أنه قولٌ يقال وعرفه مشمومٌ
فكلُّ أرضٍ من ثنائك شائعٌ عبقٌ كما ولجَ الرياض نسيمٌ
يسرى فلا يخفى على مستنشقٍ ولو أنه عن أذنه مكثومٌ
يطوى فينتثر الثناء بطيئه ذكرُ الكريم بعفٍ نخومٌ
وقال ابن حيّوس :

وطيبُ ثناء طَبَقِ الأرضَ فاكنتُ

مشاركها من عرفه والمغارب^(١)

وقوله أيضاً :

أعانت على إدراك ما تستحقّه طريقُك المثلّى وهمتك البكر^(٢)
والثناء هو العمر الثانى المديد الباقى الخلد .

وقال الحادّة :

فأئمنوا علينا لا أبا لأيسكم بأحساننا إن الثناء هو الخلد^(٣)
وقال الشاعر :

وإذا التفتى لاقى الحمام وجدته لولا الثناء كأنه لم يؤلّد

(١) ديوانه ١ : ٢٦٠ .

(٢) ديوانه ١ : ٢٤٥ .

(٣) البيان والبيان ٣ : ٣٢٠ .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَابِنَةِ هَرَمِ بْنِ سِيَّانِ الْمُرِّيِّ :
مَا وَهَبَ أَبُوكَ لَزُهَيْرٍ ؟ قَالَتْ : أَعْطَاهُ مَالًا وَأَنَا نَأَى عَنْهُ الدَّهْرُ ، فَقَالَ عُمَرُ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لَكِنَّ مَا أَعْطَاكُمْوه لَا يُفْنِيهِ الدَّهْرُ .

وَقَالَ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ :

أَوْدَى وَمَا أَوْدَتْ مَنَاقِبُهُ وَمِنْ الرِّجَالِ مَعْمَرُ الذَّكْرُ^(١)
وَقَالَ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لابْنِ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ : مَا كَانَ جَدُّكَ
قَيْسُ بْنُ مَعْدِي كَرَبَ أَعْطَى الْأَعْمَشِيَّ ؟ فَقَالَ : أَعْطَاهُ مَالًا وَظَهْرًا وَرَقِيقًا
وَأَسْمَاءَ نَسَبَتُهَا ، فَقَالَ معاوية : لَكِنَّ مَا أَعْطَاكَم الْأَعْمَشِيَّ لَا يُنْسِي .
وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ :

ذَكَرَ النَّبِيُّ عُمَرُ الثَّانِي وَحَاجَّتُهُ مَا قَانَهُ ، وَفُضُولُ الْمَيْسِ أَشْفَالُ^(٢)
وَقَالَ الْفَسَّرُونَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾^(٣) :
أَيُّ ثَنَاءٍ حَسَنًا .

وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الْفَرَزِيُّ :

الدَّالُ يُفْنِيهِ الزَّمَانُ وَإِنَّمَا يَبْقَى لَكُمْ مَا خَلَدَتْهُ شَوَارِدِي
وَقَوْلُهُ أَيْضًا :

فَشْهُبُ الدَّارِ رِيٍّ لِلْأَفُولِ طُلُوعُهَا وَشْهُبُ الْقَوَافِي مَالُهَا أَفُولُ
وَقَدْ خَالَفَ النَّاسَ أَبُو تَمَّامٍ الطَّائِيَّ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ ، فَقَالَ :
لَنْ يَبْقِيَ لِي فِيكَ آثَارُ مَنْطِقِي لَقَدْ بَقِيَ آثَارُ كَفَيْكَ فِي دَهْرِي^(٤)

(٢) ديوانه ٣ : ٧٨٨

(٤) ديوانه ١٤٤

(١) ديوانه ٣٧٣

(٣) سورة الشعراء ٨٤

لَقِيتَ هُرُوفَ الدَّهْرِ دُونِي تَابِعَا
 لِأَمْرِ الْمُلَا وَأَخْتَرْتَ شُكْرِي عَلَى عُذْرِي
 فَأُولَيْتَنِي فِي النَّائِبَاتِ صَنَائِعًا كَأَنَّ أَيْدِيهَا فُجِرْنَ مِنَ الْبَحْرِ
 خَلَاتِي لَوْ كَانَتْ مِنَ الشَّعْرِ سَمَّجَتْ
 بَدَأَتْهَا مَا اسْتَحْسَنَ النَّاسُ مِنْ شَعْرِي
 فَمَلَّمَتَنِي أَنْ أُلْبِسَ الْحَدَّ أَهْلَهُ وَذَكَرَتَنِي مَا قَدْ نَسِيتَ مِنَ الشُّكْرِ
 وَقَالَ عُمَارَةُ الْيَعْنَى فِي الْمَادَّةِ الْأُولَى :

وَأَيْنَ الثِّيَابِ الْمُدْهَبَاتِ قَشِيمَةً وَلِي مُدْهَبَاتِ فَيْكِ لَيْسَتْ بِأَسْمَالِ
 سَمَّيَلِي عَلَى قُرْبٍ جَدِيدٍ فَعَالِكُمْ وَتَبَقَى عَلَى مَرٍّ الْجَدِيدَيْنِ أَقْوَالِي
 وَيُعْطَلُ جَيْدِي مِنْ حُلِيِّ نَدَاكُمْ وَجَيْدُ مَعَالِيكُمْ بِهَا أَبَدًا حَالِي
 وَقَالَ ابْنُ دَرَّاجٍ الْقَسَّاطِيُّ :

أَبَا الْأَصْبَغِ الْمَعْنَى هَلْ أَنْتِ مُصْرَخِي؟
 وَهَلْ أَنْتِ لِي مَعْنٍ وَهَلْ أَنْتِ لِي مُعَلٍّ (١)
 فَأَكْسُولُكَ الْإِيَّامِ مِنْ خَزٍّ مَا شِئِي وَأَمَّا سَمْعُ الدَّهْرِ مِنْ سِحَرٍ مَا أَمَلِي!

٨٠ — وقوله : مَا يَوْمٌ حَلِيمَةٌ بِسَرٍّ .

هَذَا مَثَلٌ مِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ ، وَأَصْلُهُ أَنَّ حَلِيمَةَ بِنْتَ الْخَارِثِ بْنِ أَبِي
 شَيْمٍ ، كَانَ أَبُوهَا قَدْ وَجَّهَ جَيْشًا إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ مَاءِ السَّاءِ ، فَأَخْرَجَتْ لَهُمْ حَلِيمًا
 فِي مِرْكَنٍ فَطَيَّبَتْهُمْ .

قَالَ الْمُبَرِّدُ : هُوَ أَشْهُرُ أَيَّامِ الْعَرَبِ ، يُقَالُ : أَرْتَفَعَ فِي هَذَا الْيَوْمِ مِنْ

العجاج ما غطى عين الشمس ، حتى ظهرت الكواكب . وهو يُضرب في كل أمرٍ متعظيمٍ مشهور ، قال النابغة في وصف السيوف :

تُورُن من أزمان يوم حليلة

إلى اليوم قد جُرِّبَ كلَّ التُّعَارِبِ (١)

تَقْدُ السُّلُوقُ المضاعف نسجه و يُوقِدُن بالعُفَّاح نارَ الحُجَّابِ

وذكر عبد الرحمن بن الفضل عن أبيه ، قال : لما غزا المنذر بن ماء السماء غزاه التي قُتِلَ فيها ، وكان الحارث بن جبلة الأكبر ملك غسان يخافه ، وكان في جيش المنذر رجلٌ من بني حنيفة يقال له : شير بن عمرو ، وكانت أمه من غسان ، فخرج يتوصل بجيش المنذر ، يريد أن يحلّق بالحارث بن جبلة ، فلما تدانوا سار حتى لحق بالحارث ، فقال : أتاك ما لا تطيق ، فلما رأى ذلك الحارث ، ندب من أصحابه (٢) مائة رجل اختارهم رجلاً رجلاً ، فقال : انطلقوا إلى عسكر المنذر فأخبروه أنا ندين له ، ونعطيه حاجته ، فإذا رأيتم منه غيرةً فأهملوا عليه . ثم أمراً ابنته حليلة بنت الحارث فأخرجت لهم مراكباً فيه خلوق (٣) ، فخرجت إليهم فخلقتهم ، وهي من أجمل النساء ، حتى مر عليها فتى منهم ، يقال له : لبيد بن عمرو ، فذهبت لتخلقه ، فلما دنت منه قبلها ، فلطمته ، وأنت أباهما فأخبرته الخبر ، فقال لها : وبلاك ! اسكّتي عنه ، فهو أراجمهم عندي ، وأكفؤهم . ومضى القوم ومعهم شير بن عمرو الخنفي ، حتى أتوا المنذر ، فقالوا : له أتيناك من عند صاحبنا ، وهو يدّين لك ، ويُعطيك

(١) ديوانه ٦ .

(٢) ط : « رجاله »

(٣) الماركن : لئاء يتخذ الماء وغيره ، والخلوق : ضرب من الطيب ؛ قيل : هو الزعفران .

حَاجَتِكَ ، فَنَبَّاشِرُ أَهْلِ عَسْكَرِ الْمُنْذِرِ بِذَلِكَ ، وَغَفَلُوا بِعَضِّ الْفَنَلَةِ ، فَحَمَلُوا عَلَى الْمُنْذِرِ فَقَتَلُوهُ ، فَقِيلَ : لَيْسَ يَوْمُ حَلِيمَةَ بِسَمَرٍ ؛ فَذَهَبَتْ مَثَلًا .
 قَالَ أَبُو الْيَمَنِثِمِ : ^(١) « إِنَّ الْعَرَبَ تَسْمِي بَلْقَيْسَ حَلِيمَةَ الْعَرَبِ » .

* * *

٨١ - وَقَوْلُهُ : وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَكُنْكَ سَلِيمًا ، وَلَا حَلِيمَتِكَ عَطِلًا ،
 وَلَا وَثْمَتِكَ غَفَلًا .

أَكُنْكَ : أَصْلُهُ أَكْسُوكَ مِنَ الْكِسْوَةِ ؛ وَلَكِنْ حُذِفَتْ الْوَاوُ لِادْخُولِ الْجَازِمِ عَلَى الْفِعْلِ الْمَضَارِعِ ، تَقُولُ : لَمْ أَغْزُكُمْ ، وَلَمْ أَجْفُكُمْ ، وَلَمْ أَنْحُكُمْ ، وَأَصْلُهُ : أَغْزَوْكُمْ ، وَأَجْفَوْكُمْ ، وَأَنْحَوْكُمْ .

سَلِيمًا أَيْ مَسْلُوبًا ، تَقُولُ : سَلَبْتُ الشَّيْءَ أَصْلُهُ سَلَبًا إِذَا أَعْرَيْتَهُ ^(٢) عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ . وَقَوْلُهُمْ : نَخْلٌ سَلِيبٌ لَا حِلَّ عَلَيْهِ ، وَشَجَرٌ سَلِيبٌ لَا وَرْقَ عَلَيْهِ ، وَسَلِيبٌ « فَعِيلٌ » بِمَعْنَى مَفْعُولٍ ، مِثْلُ : قَتِيلٌ وَجَرِيحٌ ، بِمَعْنَى مَفْعُولٍ وَجَرُوحٍ .

حَلِيمَتِكَ أَلْبَسْتُكَ الْحِلِّيَّ ، [وَالْعَطِلُ الْمَصْدَرُ مِنَ الْعَطَلِ ، تَقُولُ : عَطَلْتُ الْمَرْأَةَ إِذَا خَلَا جِيدُهَا مِنَ الْقَلَانِدِ ^(٣)] فَهِيَ عَطِلٌ ، وَعَاطِلٌ ، وَمِعْطَالٌ .

وَالْوَسْمُ : الْعَلَامَةُ ، تَقُولُ : وَوَسَمْتُهُ وَسَمًا وَسَمَةً ، إِذَا أَثَرَتْ فِيهِ بِسْمَةً أَوْ كَتَبَتْ .

وَالْعُفْلُ ، يُقَالُ : أَرْضٌ عُفْلٌ لَا عِلْمَ بِهَا ؛ وَلَا أَثَرَ عِمَارَةٍ ، وَدَابَّةٌ عُفْلٌ

(١-١) ط : « إِنَّ بَلْقَيْسَ تَسْمِي حَلِيمَةَ الْعَرَبِ » .

(٢) ط : عَرَيْتَهُ .

(٣) تَكْمَلَةٌ مِنْ ط .

لأَسِمَةٍ عليها ، وقد أغفلتها إذا لم تَسْمِها . وقد أَسْتَمَارَ الكسوة والتَّحْلِيَةَ
للنِّسَاءِ ، والمُطَلَّةُ والإغفالُ له ، وهى أَسْتَمَارَةٌ جَيِّدَةٌ . وما أَحْسَنَ قولُ أبى
الحُسَيْنِ الجَزَارِ رحمه الله تعالى :

ولقد كسوتك من قَرِيضِي حُلَّةً جَلَّتْ من التَّضْيِيقِ والتَّرْفِيعِ -

حَسُنَتْ بَرَقَمٌ من خِلَالِكَ فَأَغْتَدَتْ

كَالتَرَوْضِ فِي الدَّسْهِيمِ والتَّوْشِيعِ

والأصل في هذه المادة كلها قولُ أبى الطَّيِّبِ :

وأَخْلَقَ كَافُورٍ إِذَا شَتُّ مَدَحِهِ

- وَإِنْ لَمْ أَشَأْ - تُعَلِّيْ عَلَى وَأَكْتُبُ^(١)

وقوله أيضا :

وما أَنَا وَخَدِي قَلْتُ ذَا الشَّرِّ كَلَّهُ

وَلَكِنْ لَشِعْرِي فِيكَ مِنْ نَفْسِهِ شِعْرٌ^(٢)

وقول الغَزَّيِّ :

يَدَايَ تَكْتُبُ مَا تُمْلِي مَفَاقِبَهُ

فِي خَاطِرِي قَبْلَ كَتَبِ الْمَدْحِ فِي صُحُفِهِ

وما أَحْسَنَ قولُ الأميرِ تَمِيمِ ابْنِ الْمُغَزِّ :

وَسَارَ بِمَدْحِي فِيكَ كُلُّ مَهْجَرٍ

وَعَنَى بِهِ فِي السَّهْلِ وَالْوَعْرِ مِنْ يَبْدُو^(٣)

(١) ديوانه ١ : ١٨١

(٢) ديوانه ١ : ١٥٨ .

(٣) ديوانه ١٠٥ .

وصاعَتْ لَهُ عَيْنَاكَ حُسْنًا وَزِينَةً
وَحَيْكَ لَهَا مِنْ حَتَّى الْفَاظِ بُرْدُ
وَلَيْسَ لِكُلِّ النَّاسِ يُسْتَحْسَنُ النَّفَا
كَأَيْسَ فِي كُلِّ الطُّلَى يَحْسُنُ الْعَقْدُ (١)

ومن هذه المادة قول أبي الطيب :

أَنْتَ يَا فَوْقَ أَنْ تُعْزَى عَنِ الْأَخْ بَابِ فَوْقَ الَّذِي يُعْزَى عَقْدُ (٢)
وَبِالْفَاظِ أَهْتَدَى فَإِذَا عَزَّ الْكَ قَالَ الَّذِي لَهُ قَلَتْ قَبْلَا
وَقَالَ :

لَكَ الْحَمْدُ فِي الدَّرِّ الَّذِي لِيَ لَفْظُهُ فَإِنَّكَ مُمُطِّهِه وَإِنِّي نَاطِمٌ (٣)
وَهُوَ مَا خُوذُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ الرُّومِيِّ :
وَدُونِكَ مِنْ أَطَاوِيلِ مَدِيحَا غَدَا لَكَ دُرُّهُ وَلِيَ النِّظَامُ
وَقَوْلِ ابْنِ الْعَلَمِّ :

تَجَدُّهُ صَاغَ حُلَى الْمَجْدِ لَهُ فَالْحُلَى بِالْأَلِيهِ الْمُحَلَّى
أَيُّ فَضْلٍ لِي بِشِعْرِي عِنْدَ مَنْ فَضْلُهُ عِنْدِي أَعْلَى سِعْرِ فَضْلِي
وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ الطَّائِيُّ :

أَنَا مِنْ كَسَاكَ مَحَبَّةً لَا حُلَّةَ حَبَرَ الْقَصَائِدِ فُوقَتْ تَقْوِيمَا (٤)
مَتَمَجَّلٌ هَلَّاكَ نَظْمَ قَصَائِدِ صَارَتْ لَأَذَانِ الْمُلُوكِ شُفُوفاً

(١) الطلى : جم طلية ، وهى الفنى .

(٢) ديوانه ٣ : ١٢٣ .

(٣) ديوانه ٣ : ٣٩١ .

(٤) ديوانه ٢٠٨ .

وقوله أيضا :

لقد زِدْتَ أَوْضاحِي امتداداً ولم أَكُنْ
بِهَيْمًا ولا أَرْضِي مِنَ الْأَرْضِ نَجْهًا^(١)
ولكنْ أَيْادٍ صادفتني جِساءُها
وقال أبو إسحاق الفزري :

والواصفوك بما خُولتَ من شيمٍ
مَثُوا إِلَيْكَ بِشَيْءٍ مِنْكَ مُسْتَرْقٍ^(٢)
وقوله أيضا :

مَعَانِيكَ فِي الْأَشْمارِ تَنْظِمُ نَفْسَها
وَمَنْ لَمْ يَخْفِهِ السَّجَلُ وَالشُّطُنُ اسْتَقَى
وقوله أيضا :

وما أَنَا فِي مَدْحِكَ إِلَّا كَأَسْحَرٍ
وَقَالَ أَبُو نُخَيْلَةَ فِي مَسْأَلَةِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ :

وَأَلْقَيْتَ لَمَّا أَنْ أَتَيْتُكَ زَائِرًا
وَنَوَّهْتَ مِنْ ذِكْرِي وَمَا كَانَ خَامِلًا
وَلَكِنْ بَعْضُ الذِّكْرِ أَنْبَهُ مِنْ بَعْضِ

وقال أبو الفتيان بن حَيَّوْسَ :

وَهَلْ بِالَّذِي يَأْتِي إِلَى الْوَصْفِ حَاجَةٌ
وَأَخْبَارُهُ فِي الْقُرْبِ وَالشَّرْقِ تُشِيرُ^(٤)
وَلَكِنَّهُ بِالشَّعْرِ يَزْدَادُ بَهْجَةً
كَأَزْدَادِ حُسْنِ الرُّوضِ وَهُوَ مَنْوَرٌ
وقال أيضا :

يَا عَاطِفَ النُّعْمَى عَلَى أَصِغَرِ لَمَّا
يَهْتَرُ مِنْ طَرَبٍ لَهُ عِطْفًا كَأَ

(١) ديوانه ٢٥٢ ، والأوضح : الفرر .

(٢) أمالي القالي ١ : ٣٠ .

(٣) ديوانه ٢٧٣ .

(٤) ديوانه ٤١٩ .

مَدَحًا إِذَا نَشِرتْ تَضَوَّعَ نَشْرُهَا قَدْ كِدْتُ أَطْوِي ذِكْرَهَا لَوْلَا كَا
كُرْهَتْ بِدَائِمِهَا سِوَاكَ وَأَقْبَلَتْ تَنْشَأُ فَيْكَ لَأَنَّهُمَا تَهَوَّا كَا
فَالْيَوْمَ أَلْفَى دُرُّهُ وَصَفَكَ نَاطِمًا مَتَى ، وَصَادَفَ دُرُّهُ سَبَّأَا كَا

وقال أبو عبد الله محمد بن أحمد الخازن :

وَمِنْ سُقَيَّا سَحَابِكَ جَادَ طَبْعِي وَلَوْلَا الْغَيْثُ لَمْ يَنْبُغْ قَلْبِي
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ ابْنِ سَنَاءِ الْمَلِكِ :

حُلِيَّتُهَا مِنْ حِلَاهَا وَهِيَ عَاطِلَةٌ وَأَحْسَنُ الْخُلَى حَلَى صَيْغٍ مِنْ عُطَلٍ
وَإِنْ تَحَلَّتْ فَوْسَوْاسُ الْخُلَى بِهَا خِصَامُ مَا بَيْنَ ذَلِكَ الْخَصْرُ وَالْكَفَلِ
وقول ابن الشَّبل البغدادي :

مَلِكٌ تُمِينُ الْمَادِحِينَ صِفَاتُهُ فَيَصُيْبُ قَائِلَهُمْ بَغِيرَ تَقْوَلٍ
وَالسَّيْفُ لَوْلَا جَوْهَرُهُ فِي حَدِّهِ لَمْ تَبْدُ مِنْهُ فَضِيلَةٌ لِلصَّيْقَلِ

* * *

٨٢ - وقوله : بَلْ وَجَدْتُ أَجْرًا وَجِصًّا فَبَنَيْتُ ، وَمَكَانَ
الْقَوْلِ ذَا سَعَةٍ فَقُلْتُ .

يعني أَنَّهُ لَا فَضْلَ لِي فِي مَدَائِحِكَ ، لِأَنِّي فِيهَا كُنْتُ وَجَدْتُ أَجْرًا وَجِصًّا
فَبَنَيْتُ بَيْتًا^(١) مِنْ ذَلِكَ ، وَشَيْدَ مَكَانًا ، وَلَكِنْ لِي فِي ذَلِكَ بَعْضُ فَضْلٍ ، كَمَا
قَالَ الْخَفَّاحِيُّ :

وَلِي فِيكَ مِنْ غُرِّ الْقَوَائِفِ قِصَائِدُ تُقْبَلُ أَفْوَاهُ الرُّوَاةِ لَهَا رَشْفَا^(٢)
بَنِيَتْ بِهَا طَيْبُ النَّسِيمِ إِذَا هَفَا وَيُنْشَرُهَا نَوْرُ الرِّيَاضِ إِذَا رَقَا
وَمَا أَدْعَى هَذَا السَّكْلَامَ لِأَنَّهُ صِفَاتِكَ إِلَّا أَنِّي أَحْسَنُ الْوَصْفَا

وقول ابن المعلم :

أخذت منك الذي أئني عليك به فأنت لا أنا بالثمعي مؤلفه

فما أمت بشعر فيك أنظمه للمدح فيك ؛ ولا سجع أصنفه

وقوله : « وجدت أجراً وجصاً فبنيت » . جاء مثل هذا لأبي حفص

ابن بُرْد الأكبر القرني ، فقال من جملة رسالة : وأبو الربيع من علم لسانه

قال ، وبني به صرحاً وطال ، وأنه أشد بناء الكلام حرصاً ، ما وجد أجراً

وجصاً ، فن أوثقه برّاً ، طوقه تبرا ، ومن حتم عليه ثياب الفضل من طراز

الإكرام ، نزع إليه بحباد الحمد من مرابط الكلام .

وقوله : « ومكان القول ذاسمة » هو معطوف على قوله : « بل وجدت

أجراً » ، وهو يشير بهذا إلى قول أبي الطيب :

وقد وجدت مكان القول ذاسمة فإن وجدت لساناً فائلاً فقل

وهذه من قصيدته التي مدح بها سيف الدولة ، وأولها :

أجاب دَمْعِي وما الداعي سِوَى طَلَلٍ دَعَى فَلْبَاهَ قَبْلَ الرُّكْبِ وَالْإِبِلِ (١)

وقبل البيت الذي أشار إليه :

ليت للدائح تستوفي مناقبه فما كُتِبَ وأهلُ الأعْصَرِ الأوَّلِ

خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به في طلعة الشمس ما يُفْهِمُكَ عن زُحَلِ

وكُفْتُ قد كتبت جواباً إلى شيخنا الإمام الحافظ ، فتح الدين محمد

ابن محمد بن سيّد الناس رحمه الله تعالى ، عن كتاب بعثته إلى من الديار

المصرية ، وأنا يومئذ مُقيمٌ بصنّند ، فجاء من جملة جوابي إليه (٢) :

(١) القصيدة في ديوانه ٣ : ٧٤ - ٨٨

(٢) من رسالة له ذكرها في الواقي بالوفيات ١ : ٢٩٩

وقد أثبت على تلك الروضة ، ولو وفقت لأثبت وما أثبت ، ووقفت
عند قدرتي فما أجبت ، ولكن اتقعت وما استعيت ، على أني لو وجدت
لساناً قائلاً قلت : فإني وجدت أول البيت .

ومن مادة ابن زيدون ماقاله ابن المعلم :

أرئيتي ما أصوغ عليك مدحي وعلمي سماحك ما أقول
فجنتك بالذي أوليت أني بما أنا عن سواك به بخيل
وقوله أيضاً :

علمتها أيامكم مذهب الشكر ر فيها نحن بينكم وفد شكر
وأرئتنا طرق المديح معاليكم ، ومنها جاءت معاني الشعر
وقول أبي إسحاق الفزري :

ولما جال في عليك فكري وجدت القول متسع المجال
وسابقي المديح وصار لتظلي به أجرى من المال الزلال
وقول ابن حيموس :

ولو في غير بحر ك غصت عاماً لأعوز فيه ذ الدّر الثمين^(١)
وقوله أيضاً :

لما اعتمدت بالقريض أطاعني ولو اعتمدت به سواك عصاني^(٢)
وقول الرستمى :

وإذا مادموت شعري فيه طرب المدح وأستهل النسب

(١) ديوانه ٩٦٢

(٢) ديوانه ٦٤١

وقال عُمارة اليماني :

مَلَأَ الجوارحَ فاللسانَ بِمَحْمَدِهِ مُسْتَعْدِمٌ وكذا الفؤادَ لودِّهِ
وقمتُ مدائحُنا عليه لأنَّها ما عندها إلَّا الَّذي مِن عِنْدِهِ

وقال ابن قلاؤس :

ومنكَ وفيكَ تَلْتَضِمُ القوافي وَمَن وَجَدَ الْمَقَالَ الرَّحْبَ قَالَا

وَأُنشِدَنِي لِنَفْسِهِ أَجَازَةَ الشَّيْخِ ضَفِيَّ الدِّينِ عَبْدُ الْعَزِيزِ الْحَلِّي :

اسْتَجَلِ دِرًّا أَنْتَ لُجَّةُ بَحْرِهِ وَأَلْبَسْ ثِيَاءَ أَنْتَ نَاسِجُ رِدِّهِ
يَزْدَادُ حُسْنًا كُلَّمَا كَرَّرْتَهُ كَالْتَّبَرِ يَظْهَرُ حُسْنُهُ فِي نَقْدِهِ

وَأُنشِدَنِي لَهُ أَجَازَةً أَيْضًا :

لَا فَضْلَ لِي فِي نَظَائِمِ دُرِّ فَضْلِكُمْ بِقِيَمَةِ الدَّرِّ لَا بِالسَّلَكِ يُمْتَبَرُ
لَمْ تَزِهِ صِنْمَتُهُ إِلَّا بِصِنْمَتِكُمْ تَزْهِي الْخَائِلُ أَيْ يَهْطِلُ الْمَطَرُ

وَأُنشِدَنِي لَهُ إِجَازَةً أَيْضًا :

لَيْسَ لِي مِنْ صِفَاتِ مَجْدِكَ خَيْرٌ هِيَ أَبَدْتُ أَنَا بِدَيْعِ الْمَعَانِي
كُلَّمَا أَبْدَعْتَ سَجَابَاكَ مَعْنَى نَظَمْتُ فَسَكَّرْتِي وَخَطَّ بَنَائِي

وقول ابن حمّوس :

وَلَنْ شَعَرْتُ فَإِنْ آثَرَ مَا أَرَى مِنْ مَآثِرَاتِكَ يُنْطِقُ الْجُلُودَا^(١)
الْفَتِيهَنْ جَوَاهِرًا مُمَثَوْرَةً وَعَلَى الْقَوَافِي أَنْ يَصْرُنَ عُمُودَا

فَلَكَ الْفَرِيدُ وَقَدْ وَجَدَتْ نِظَامَهُ وَلَى النَّظَامُ وَقَدْ وَجَدَتْ فَرِيدَا

وقال محمد بن الحداد المغربي :

ومنكَ أَخَذْنَا الْقَوْلَ فِيكَ جِلَالَةً وَمَا طَابَ مَا هِ الْوَرْدُ إِلَّا مِنَ الْوَرْدِ

٨٢ - قول: وَحَاشَاكَ أَنْ أَعِدَّ مِنَ الْعَامِلَةِ النَّاصِبَةِ

يقال: حاشاك، وحاشا فلان. يقال: حاشا لله، وقرئ: ﴿حاشَ لله﴾^(١) بلا ألف اتباعاً للكتاب، والأصل «حاشا» بألف، وحاشا كلمة يُسْتَنْتَى بها. وقوله: «أَعِدَّ مِنَ الْعَامِلَةِ النَّاصِبَةِ» يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾^(٢)، المراد بذلك وجوه اليهود والنصارى، أو جميع الكفار، وجوه عملت في الدنيا ونصبت، أي تعبت في أعمال لا تنفعها في الآخرة؛ لأن الرهبان ينصبون بصيام النهار وقيام الليل، ويتركون ملاذهم.

وقيل: عاملة ناصبة في النار، تجرّ سلاسلها وأغلاها في النار كخوض الإبل في الوحل.

وقال الحسن: لم يعمل الله في الدنيا، فأعمالهم وأنصبتهم في الآخرة، ينقلهم من عذاب إلى عذاب، أو يجزّون على وجوههم، ويكلفون ارتقاء جبل من حديد في النار. أو تكبروا في الدنيا عن طاعة الله، فأعمالهم وأنصبتهم في الآخرة بأنواع العذاب.

وما أحسن قول هبة الله بن الفضل الطلميب:

أَمْدَحُهُ طَوْرًا، وَأَهْدِي بِهِ طَوْرًا، وَلَا أَطْمَعُ فِي رِفْدِهِ

مِثْلَ إِمَامٍ بَيْنَ أَهْلِ الْقُرَى صَلَّى بِهِمْ وَالزَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ

وما أحسن قول القائل:

ذَلِكَ الَّذِي قَرَحْتُ بَطُونُ جَفْوَنِهِ مَرَهَا وَتَرَبُّهُ أَرْضِهِ وَنُ أَمْدِ

وقيل البحتري:

وَبَدْرًا أَضَاءَ الْأَرْضَ شَرَفًا وَمُفْرَبًا وَمَوْضِعَ رَجُلٍ مِنْهُ أَسْوَدُ ظُلْمٍ^(٣)

(٢) الفاشية ٢، ٣

(١) مودة يوسف ١٣

(٣) ديوانه ٢: ٢٧٢

وتول الآخر :

أنا في ذمة السحاب وأظمى ! إن هذا لَوْحَةٌ في السحابِ

وقد ذكرت بهذا البيت مالى في هذه المادة :

يا حبيبي الذى أرى فيه عُمرى ضاع منى وفاق بالصدّ صدري
أنت أظلمتني ووجهك بادٍ أفي هذا يليق قط بمدر !

وقال أبو سعيد محمد بن محمد الرستمي :

من الناس من يعطى المزيّد على الفنى
ويُحرّم مادونَ الفنى شاعرٌ مثلى
كما ألحقت واوٌ بعمرٍ ومزيدةٌ
وضُويقٌ بِسمِ الله في ألفِ الوصلِ

٨٤ - وقوله : وأَكُونُ كَالذُّبَالَةِ الْمَنْصُوبَةِ تُضِيءُ لِلنَّاسِ وَهِيَ
تَحْتَرِقُ .

الذُّبَالَةُ : الفَتِيلَةُ ، والجمعُ الذُّبَالُ ؛ ويشير بذلك إلى قول العباس بن
الأحنف :

أَحْرَمَ مِنْكَ مَا أُقُولُ وَقَدْ نَالَ بِهِ الْعَاشِقُونَ مَا عَشِقُوا (١)
صُرْتُ كَأَنِّي ذُبَالَةٌ نَصِبتُ تَضِيءُ لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ

(١) ديوانه ١٩٧

قال الرّياشيّ - وقد ذكر عنده العباس بن الأحنف : والله لو لم يُقَل
إلا هذين البيتين لكفاه .

وقال الشاعر :

وفتيّة الصّباح تحرق نفسها وتضئُ لاسّارى وأنت كذا
ومن هذه المادّة قول أبي الحسّين الجزار :

أحملُ قلبي كلّ يومٍ وليلةٍ هو ما على من لا أفوزُ بخيره
كما سَوَّدَ القصارُ في الشّمس وجهه حريصاً على تبْييض أثوابٍ غيره
ويقرّب من هذا :

ومن أين لي صبرٌ وفي كلّ ساعةٍ
أرى حسّناً في موازين أعدائي
ومنه أيضاً :

إذا نحّسَ الثلاثي أمّتْ به —

عُدّت مساوي قلّ لي كيف أعذرُ !

وما أحسن ما قاله ابن المظفر محمد بن عليّ الواعظ الدوري :

يتوبُ على يدي قومٌ عُصاةٌ أخافتهم من الباري ذنوبُ
وقلبي مُظلمٌ من طولٍ ما قد جنى ، فأنا على يدٍ من أتوب !
كأنّي شمعةٌ ما بين قومٍ تضيءُ لهم وبحرقها اللّهبُ
كأنّي مخيطٌ يسكو أناساً وجسمي من ملايسهم سليبُ

وقال أبو طالب بن زيادة :

تستضيئون بي فأهلك وخذى فسكّاني ذبالةً في سراجٍ

وقد ذكر الحافظ شهر يار بن شيرويه في كتاب الفردوس الأعلى : أنبأنا
 أبي حمزة الله تعالى ، أنبأنا أبو علي بن النعمان البغدادي ، حدثنا أبو علي بن
 شاذان ، حدثنا محمد بن الحسن بن مقسم العطار ، حدثنا إدريس بن عبد الكريم
 القرني ، حدثنا الحكم بن موسى ، حدثنا محمد بن مسلمة الحراني ، عن
 جعفر بن مخارق ، عن إبراهيم ، عن الحسن ، عن جندب بن عبد الله
 رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « العالم بغير عمل
 كالصباح يحرق نفسه ويضي للناس » . وقال : « مثل العالم الذي يعلم الناس الخير
 ويتسى نفسه كممثل السراج يضي للناس » ويحرق نفسه » . رواه الطبراني عن
 أحمد بن المعلى الدمشقي ، عن هشام بن عمار ، عن علي بن سليمان السكابي ، عن
 الأعمش ، عن أبي تميمه ، عن جندب بن عبد الله قال : قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ... الحديث .

* * *

٨٥ - وقوله : فَلكَ المثلُ الأعلى ، وهو بك وبى - فيك - أولى .

يشير بذلك إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَهُ المثلُ الأعلى فى السَّمواتِ والأَرْضِ
 وَهُوَ الغَزيرُ الحكيمُ ﴾ (١) . والمثلُ الأعلى الصفة العليا ، قال ابن عباس
 رضي الله عنهما : هي أن ليس كمثل شيء ، أو هي أنه لا إله إلا هو .

وما أحسن قوله : « وهو بك وبى فيك أولى » ؛ كأنه يقول : هو بك
 أولى وهو بى كذلك إذا كان فيك ، فكلًا الحاكين مخصوص بك .

وما أحسن ما يُنسب إلى الإمام الشافعي رضي الله عنه :

قالوا يزورك أحدٌ وتزوره قلتُ الفضائلُ لا تُفارق منزلةً
إن زرتُه فلفضله ، أو زارني فبفضله ؛ فالفضلُ في الحالين له

وقال ابن صردر :

لك المثل الأعلى بكل فضيلة إذا ملأ الراوي بها الفور أتمها
لألى من بحر الفضائل إن بدت اغائصها صلى عليها وسدا

وقال أبو بكر بن عمار :

لك المثل الأعلى وما أنا حادث ولا أنا ممن غيرته الحوادثُ
أظن الذي بيني وبينك غيرت حلاوته عنى الرجال الأخابثُ

وقال الوزير أبو حفص عمر بن شهيد :

لك المثل الأعلى إذا ذكر الندى ودغ هرما فيما سمعت وحاتما
وقلت أنا من جملة أبيات :

كريم تخطى الناس من أهل عصره أجابهم قولاً ، وأحلامهم قملأ
إذا عصابة ما بيننا ذكر الندى يسكون له من جوده المثل الأعلى

٨٦- وقوله : وَلَعَمْرُكَ مَا جِئْتُمْ أَنَّنَا صَرِيحُ الرَّأْيِ أَنَّا نَحْوَلُ ، إِذَا
بَلَغْتَنِي الشَّمْسُ وَنَبَأَ بِي الْمَنْزِلُ .

لَعَمْرُكَ ، اللامُ لتأكيد الابتداء ، وتقديره « وَحَيَاتِكَ قَسَمِي » .
نَبَأَ بَهْلَانٍ مَفْرُوحٌ إِذَا لَمْ يُوَافِقْهُ ، وكذلك فِرَاشُهُ ، وهو يشير بذلك إلى
قول أبي تمام من قصيدة مَدَحَ بها محمد بن عبد الملك الزيات وبُعَاثِهِ :
وإِن صَرِيحَ الرَّأْيِ وَالْحَزْمِ لَأَمْرِي
إِذَا بَلَغْتَنِي الشَّمْسُ أَنِّي نَحْوَلُ^(١)

وهذا من قصيدة عاتب فيها ابن الزيات ، وأولها :
هَلْ نَافَعَنَا أَنْ تَقُولَ وَتَقْمَلَا
وَنَذْكُرَ بَعْضَ الْفَضْلِ مِنْكَ فَتَفْضَلَا
ومنها :

سَأَقْطَعُ أَمْطَاءَ الْمَطَايَا بِرَحْلَةٍ إِلَى الْوَطَنِ لِأَقْرَبِي هَجْرًا وَمَوْصِلًا
وَقَفْتُ بِهُلُولٍ عَلَى رَجُلٍ فَقَالَ لَهُ : خَبَّرْتَنِي عَنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ :
* وَإِذَا نَبَأَ بِكَ مَنْزِلٌ فَتَحْوَلِ *

كيف هو عندك ؟ قال : جيّد ، قال : فإن كان في الحبس كيف يتحوّل ؟
فانقطع الرجل ، قال بهلول : الصواب قول الآخر :
إِذَا كُنْتَ فِي دَارٍ يَسُوءُكَ أَهْلُهَا
وَلَمْ تَكُنْ مَكْبُولًا بِهَا فَتَحْوَلِ

وما أحسن قول مفن بن أوس المزني :

وفي الناس إن رئت جبالك واصل

وفي الأرض عن دار القلي متحول^(١)

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته

على طرف الهجران إن كان يعقل

ويزكب حد السيف من أن تضيمه

إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل

وكنت إذا ما صاحب رام ظننتي

وبدل سوءا بالذي كان يفعل

قابت له ظهر اللجن فلم أقم على ذاك إلا ريثما تحول

وقال عنزة العبسي في رواية بعضهم :

احذر محل سوء لا تحلل به وإذا نبأ بك منزل فتحول^(٢)

وقول ابن الخياط الدمشقي :

لا تسكن رحيلي من دياركم ليس الكريم على ضيم بصبار^(٣)

يأبى لي الضيم فرسان الخلاج وما حبرت من غرر تهدى وأشمار

وقول ابن العميد :

متى لفظتني دار قوم تركتها وسرت ولي منها ومن أهلها بد

وقول الآخر :

ونبت بنا أرض العرا ق فاحناها بمحنة

(١) ديوانه ٥٩ ، ٦٠

(٢) القند الثمين ١٨١

(٣) ديوانه : ١٥٦

غير الرّحيل كفى البلاء دَ برحلة الفضلاء هُجْنَه

وقال ابن المنير الطّرا بلسي من أبيات طويلة في هذا المعنى :

وإذا الكريمُ رأى الخمولَ زبيلَه في منزلٍ فالخزمُ أن يتحوّلاً
كاليدُر لما أن تضاعلَ جدّ في طلب السكّالِ فحازَه متنفلاً
سَقَمها لحلك إن رضيت بمشرب

رَنّي ، ورزقَ الله قد ملأ الفلا

فارق ترُق كالسيفِ سُلّ فبان في

مَتَنِيه ما أخفى القرابُ وأخلا

للفقر لا للفقر هبها إنما مَعْنَاك ما أغناكَ أن تموتَ سلا

لا ترض من دُنياك ما أدناكَ من دَنَسٍ ، وكن طيفاً جلاً ثم انجلى

وقال أبو بكر الخورازمي :

لِمَ لا أجانس دَهْرِي في ثقلِيه لم لا أبادِلُ إنساناً بإنسانٍ

لِمَ لا أحاكي حَبِيباً في مَقالتيه

ما اليومُ أوّلَ توديعي ولا الثاني

لِمَ لا أقارِضَ ما قد قاله حَسَنُ

وصلاً بوصلي وهجراناً بهجران

وأنشد أبو محمد غانم من شعراء الذخيرة هذين البيتين :

وإذا الدّيارُ تفسّكتُ عن حالها فذرِ الدّيارَ وأسرعِ التّحويلاً^(١)

ليس المَقامُ عليكَ حتماً واجِباً في بِلادَةٍ تدعُ العزيزَ ذليلاً

وسئل الزيادة عليها فقال :

لا يَرْضَى حُرّاً بمنزلٍ ذلّةٍ لو لم يجد في الخلفين مقيلاً

فاخصص لودك من خبرت وفاءه لا تتخذ إلا الوفي حليلاً
فلقد خبرت الناس منذ عرفتهم فرأيت جنس الأوفياء قليلاً

وقلت أنا:

سافر تنل عزاً فامسك الوري إلا دماً في سرّة الغزلان
والرمح لما فارق الوطن اغتدى بدؤابة خفقت وتاج سينان

وقلت أيضاً:

سافر تنل رتب المفاخر والعلاء كالدرّ سار فصار في التيجان
وكذا هلال الأفق لو ترك الشرى

ما فارقته معة النقص — ان

وقلت أيضاً:

سافر فإن الليث لما غاب عن غاب حواه أشبع الأشبالاً
والسيف لو لزم المقام بجفنه ماراع أعداء وراق صقلاً
وكذاك بدر التّم لو ترك الشرى
أبصرته طول الزمان هلالاً

٨٧ - وقوله : واصفح عَنِ الْمَطَامِعِ الَّتِي تُقَطِّعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ .

يشير بذلك إلى قول البهيمث المجاشعي :

طَمِعْتَ بَلَيْلِي أَنْ تَرَعَ وَإِنَّمَا تُقَطِّعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ الْمَطَامِعُ^(١)
وقول أبي الفتح البستي :

فَكَمْ دَقَّتْ وَشَقَّتْ وَأُسْتَرْقَتْ فَضُولُ الْعَيْشِ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ
قال أبو عبيدة : وفي بعض الأحاديث : « إِنَّ الْعَهْمَاءَ الزُّلَاءَ الَّتِي لَا تَنْبُتُ
عَلَيْهَا أَقْدَامُ الْعُلَمَاءِ الطَّمَعِ »^(٢) .

وفي الأمثال المولدة : أَخْرِجِ الطَّمَعَ مِنْ قَلْبِكَ ، تَحُلَّ الْقَيْدُ
مِنْ رَجُلِكَ .

وفي الأمثال الحكيمة : أَكْثَرُ مَصَارِعِ الْعُقُولِ تَحْتَ بَرُوقِ الْمَطَامِعِ .
وقال أبو القتايبية :

* أَذَلَّ الْخُرْصُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ *^(١)

قال ابنُ عائشة : عَتَبْتُ عَلَى ابْنِ شُبْرَمَةَ يَوْمًا فِي شَيْءٍ ، فَلَقِمْتُهُ دَاخِلًا
مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ يَرِيدُ مَجْلِسَ الْحُكْمِ وَأَنَا خَارِجٌ ، فَقَامَتْ مَعْرُضًا لَهُ :

طَمِعْتَ بَلَيْلِي أَنْ تَرَعَ وَإِنَّمَا ... الْبَيْتُ

فَقَامَتْ مَعْرُضًا ، وَتَرَكَ^(٢) مَا قَصَدَتْ :

(١) في أبيات ستة في معجم البدان ٧ : ١٣٢

(٢) ديوانه ٥٥ ، وأوله :

* تَعَالَى اللَّهُ يَا سَلَمَ بْنَ عَمْرٍو *

(٣) م : « تَارَكَ » .

وبأيت ليلي في الخلاء ولم يسكن

شهودي على ليلي عدول مقانس

وقال الأصمعي : سمعت أعرابياً يقول : إن الآمال قطعت أعناق الرجال ؛
كالسرأب غر من رآه ، وأخلف من رجاه .

وقال الشريف الرضي :

لم يشتمل قلبي الزجاء ولم يكن طارفي جنبية كل برقي نار^(١)
وأيت أن ترد المطالب همتي
أو أن يسف إلى المطامع طأري

وقال أبو الفتح البستي :

يامن عقدت به الزجاء ولم يكن لي منه إزفاد ولا إيناس
إن كان قد جرح المطامع عفتي
فوراء ذلك الجرح يأس يأسو

وتما ينسب إلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه :

إذا عوفى المرء في جسمه وخوله الله قلباً قنوعاً
وألقى المطامع عن نفسه فذاك النقي ولو مات جوعاً

وقال ابن نباتة السعدي :

أرضى وأقنع بالآمال كاذبة فما يضرك لو ألقيت أطاعي
قد كان يعرف وجه الدل في نظري ويظهر المجر والتقصير في باعي
وقال أبو رؤح ظفر الهروي :
ولو أن أطراف الرماح وفين لي
لأخذت حق الدهر من أبنائه

هَمَّ مُورِقَةٌ جَفَوْنِي كَمَا أَرَخَى الظَّلَامَ عَلَى ذَيْلِ خِيَابِهِ
هَمَّ النَّفُوسِ مَنُوطَةٌ بِعَنَائِهَا وَالْمَرْءُ يَخْدَعُهُ لِسَانُ رَجَائِهِ

وقال الأمير أبو الفضل الميكالي :

دَعِ الحِرْصَ وَأَقْنَعِ بالكِفَافِ مِنَ الْفَنَى
فَرَزَقُ الْفَتَى مَا عَاشَ عَنْهُ بِمِيشِهِ
وَقَدْ يَهْلِكُ الْإِنْسَانُ كَثْرَةَ مَالِهِ
كَأَيُّذْبِجِ الطَّائُوسِ مِنْ أَجْلِ رِيشِهِ

وعن عبد الله بن الحسن قال : أَنشِدَ الْأَمُونُ بَيْتَ أَبِي الْعَهَاةِ يَخَاطَبُ
سَلْمًا الْخَاسِرَ :

تَعَالَى اللَّهُ يَا سَلَمُ بْنُ عَمْرِو أَذَلَّ الحِرْصَ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ

فقال : إِنَّ الحِرْصَ لَمُفْسِدَةٌ لِلدِّينِ وَالْمَرْوَةِ ، وَاللَّهُ مَا عَرَفْتُ مِنْ رَجُلٍ
قَطَّ حِرْصًا وَلَا شَرًّا ، فَرَأَيْتُ فِيهِ مُصْطَنَمًا ؛ فَبَلَغَ ذَلِكَ سَلْمًا فَقَالَ : وَبُلَى عَلَى
الْحَقِّ الزَّئْدِيقِ ، جَمَعَ الْأَمْوَالَ فَسَكَنَ زَاهَا ، وَعَبَأَ الْبِدْرَ فِي بَيْتِهِ ، ثُمَّ تَزَهَّدَ
رِيَاءً وَنِفَاقًا ، وَأَخَذَ يَهْتَفِ بِي إِذَا أَنَا تَصَيَّدْتُ لِلطَّلَبِ .

قال المدائني : كَانَ أَبُو الْأَسْوَدِ يَدْخُلُ عَلَى هُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ وَيَشْكُو
أَنْ عَلَيْهِ دَيْنًا لَا يَجِدُ إِلَى قَضَائِهِ سَبِيلًا ، فَيَقُولُ لَهُ : إِذَا كَانَ غَدًا فَارْفَعْ إِلَى
حَاجَتِكَ ، فَإِنِّي أَحَبُّ قَضَاءِهَا ، فَيَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنْ غَدٍ فَيُذَكِّرُهُ وَعْدَهُ ،
فَيَتَفَقَّلُ عَنْهُ ، ثُمَّ يَمْلَأُ دُهُ فَلَا يَصْنَعُ فِي أَمْرِهِ شَيْئًا ، فَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ :

دَعَانِي أَمِيرِي كَيْ أَقُولَ بِحَاجَتِي فَقُلْتُ فَمَارَدَ الْجَوَابَ وَلَا اسْتَمَعَ (١)

فقلتُ ولم أحسُّ بشيء ولم أصُنْ
كلامي ، وبعضُ القولِ ماضٍ أو نَفَعُ
وأجمعتُ يأساً لا لبانة بعده ولليأس أدنى للعفان من الطمع

وفي المثل : الطمع الكاذب يدق الرقبة ، قاله خالد بن صفوان لأنه
كان قد بنى دكاناً مربعاً لا يسع غيره ، ولا يصل الرجل إليه . وكان إذا
تعدى قعد عليه وحيداً يأكل لبخله ، فجاء أعرابي على جمال ساوى الدكان
ومد يده إلى طعامه ؛ فبينما هو يأكل إذ هبت ريحٌ فحركت شيئاً هنالك ،
فنفّر البعير فانذقت رقبتُهُ ، فقال خالد : الطمع الكاذب يدق الرقبة .

* * *

٨٨ — وقوله : فلا أستوطئ العجز ، ولا أطمئن إلى الغرور .

استوطأت المركب إذا وجدته وطيباً ، أى لقينا سهلاً .
والعجز ضد القدرة ، والطمأنينة : السكون ، والغرور : ما اغتربه من
متاع الدنيا . وفي المثل : العجز وطىء ، أى وثير ، يضرب لمن أستوطأ
مركب العجز ، وقعد عن طلب المكاسب ، ولمن ترك حقه مخافة الخصومة .
وفي المثل أيضاً : العجز ريبة ؛ يعنون أن من أقر بالعجز على نفسه ،
فهو مريب ، قال بعض الشعراء :

خاطرٌ بنفسك لا تقعد لمعجزةٍ	فليس حُرٌّ على عجزٍ بمقدور
إن لم تنل في مقامٍ ما تطالبه	فأبل عذراً بادلاج وتهجير
لم يبلُغ المرء بالإحجام همته	حتى يُبأشِرَها منه بتهجير
حتى يواصل في أنحاء مطلبيها	سهلاً بحزنٍ وإيجاداً بتهجير

وفي المثل : أغرَّ من الدُّبَاءِ في الماء . الدُّبَاءُ : القرع .
ويقال أيضا : لا يُغَرِّكَ الدُّبَاءُ ، وإن كان في الماء .
قال حمزة الأصفهاني : لا أعرفُ معنى هذين المثلين .

قال الميبداني : معنى الأول منتزع من الثاني ؛ لأنَّ أعرابياً تناول قرعاً مطبوخاً ، وكان حارّاً فأحرقَ قَمَهُ ، فقَالَ : لا يُغَرِّكَ الدُّبَاءُ ، وإن كان [نشوءه] في الماء ^(١) .

ويقال أيضا : أغرَّ من سراب .
ويقال أيضا : أغرَّ من الأمانى .

وقال الشاعر :

إِنَّ الْأَمَانِيَّ غَرَّرَ وَالذَّهْرُ عُرِفَ وَنُكِرَ

• مَنْ سَابَقَ الدَّهْرَ هَتَرَ •

ويقال أيضا : أغرَّ من ظبي مقمر ، لأنَّ الخُشْفَ ^(٢) يفتَرُّ بالليل القمر ، فلا يحتز حتى تأكله السباع .

وقال ابن سناء الملك :

ولكم وجدتُ الموتَ حُلَا	وأ حينَ ذُقتُ الدَّلَّ مرّاً
ولكم أَعْيَرُ بالفُرورِ	نَمَمٌ ففَطَلْتُ وَكُنْتُ غَرّاً
سَاسِيرُ عَنْهُمْ طَائِماً	فوسى الهلالُ يعودُ بَدْرَا
وأجِدُّ لى رزقاً وإخوَا	نا ومَنْزِلَةً وعَمْرَا

(١) الميبداني ٢ : ٦٤

(٢) الخشف : الظبي أول مايولد .

٨٩ - وقوله : ومن الأمثال المضروبة : خامري أم عامر

وهذا من الأمثال المضروبة تقول العرب : خامري حَصَاجِرُ ، أُنَاكِ مَا تُحَاذِرُ^(١) . وَحَصَاجِرُ اسْمٌ لِلضَّبُعِ يَقَعُ عَلَى الذِّكْرِ وَالْأُنْثَى . وَمِنْ أَسْجَاعِهِمْ فِي مِثْلِ هَذَا : لَيْمُ تُرْعَ يَا حَصَاجِرُ ، كِفَاكِ مَا تُحَاذِرُ ، ضُبَارِمُ مُحَاطِرُ ، تَرْهَبُهُمُ الْقَسَاوِرُ - بِمَعْنَى الْأَسُودِ - وَهَذَا جَمِلٌ مَثَلًا لِمَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا فِي نَقْضِهَا عَقُودَ الْأُمُورِ بِإِيرَادِ الْبَلَاءِ عَقِيبَ الرِّخَاءِ . ثُمَّ يَسْكُنُ إِلَيْهَا مَعَ عِلْمِهِ بِأَنَّ مِنْ عَادَتِهَا أَنْ تَسْلُبَ مَا وَهَبَتْ كَمَا تَغْتَرُّ الضَّبُعُ بِقَوْلِ الْقَائِلِ : خَامِرِي أُمَّ عَامِرٍ^(٢) ، وَأُمُّ عَامِرٍ كُنْفِيَةُ الضَّبُعِ ، وَهِيَ مِنْ أَشْهَرِ كُنْفَاهَا .

وقوله : « خَامِرِي أُمَّ عَامِرٍ » : هَذَا مِنَ الْأَمْثَالِ الْمَضْرُوبَةِ لِلنَّافِلِ الْمَغْرُورِ . وَفِي الْمَثَلِ أَيْضًا : لَا أَوْ كَوْنُ كَالضَّبُعِ تَسْمَعُ اللَّذْمَ فَتَخْرُجُ حَتَّى تُنَادِيَ .

وقوله : « خَامِرِي » ، أَيْ تَسْتَرِي ، كَأَنَّهُ مِنَ الْخَمَارِ ، وَزَعَمُوا أَنَّهَا أَحَقُّ الدُّوَابِّ ؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا أَرَادُوا صَيْدَهَا رَمَوْا فِي جَحْرِهَا بِحَجَرٍ ، فَتَحْسِبُهُ شَيْئًا تَصِيدُهُ ، فَتَخْرُجُ لِتَأْخُذَهُ فَتُقْتَصَادُ . وَيُقَالُ لَهَا : أَبْشَرِي بِجَرَادٍ عِظَالٍ^(٣) ، وَكَرَّ الرَّجَالُ ، فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى يَدْخُلَ عَلَيْهَا رَجُلٌ ، وَهُوَ يَقُولُ : خَامِرِي أُمَّ عَامِرٍ ، فَيَرْبِطُ يَدَيْهَا وَرِجْلَيْهَا ، ثُمَّ يَجُرُّهَا إِلَى خَارِجِ الْجُبْحَرِ .

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْبَهَاءِ زُهَيْرٍ :

يَا هَذِهِ لَا تَقْلُطِي وَاللَّهِ مَا لِي فِيكَ خَاطِرُ^(٤)

(١) المبدائي ١ : ٢٣٩

(٢) المبدائي ١ : ٢٣٨

(٣) الجراد العظال : الذي ركب بعضه نفضاً كثرة .

(٤) ديوانه ٧٤

خدموك بالقول المحسا ل فصَحْ أَنَّكَ أُمَّ عَامِرٍ

وذكرت هذا إلى بيئتين نظمتهما في معنى اقتضته الحال ، وهما :

وغسانية علقها ظبيية ومذ غدت ضمماً سلمتها من ضما ترى
فبالأنس كانت أم عمرو جميلة فما بالأسا قد أصبحت أم عامر !

٩٠ - وقوله : وإني مع المعرفة بأن الجلاء سياء ، والنقلة مثله

ومن يغترّب عن قومه لم يزل يرى

مصارع مظلوم مجرّاً ومسحباً
وتدفن منه الصالحات وإن يسأ

يكن ما أساء النار في رأس كبكبا

الجلاء : الخروج من البلد والوطن .

والسياء والسبي والإساءة كله بمعنى الأسر ، تقول منه : سبيت العدو
حبساً ، وسبياً ، واستبأ . والنقلة : الانتقال من مكان إلى مكان . والمثلة
التكميل ، مثل بالقميل جدّعه .

وكبكب : اسم جبل عال ، وقد صرّفه امرؤ القيس في قوله :

فريقان منهم جازع بطن نخلة وآخر منهم قاطع نجد كبكب

وقوله : الجلاء سياء ، أخرجه مخرج المثل .

وأما قوله : النقلة مثله ، فليس هو من أمثال العرب ، وإنما هو من أمثال

المولدين .

وإسلاء من الأمور الشاقة التي لا تُقبل عليها النفوس ولا تتجرع
مرّ مذاقها ، وقد قرنه الله بالقتل في قوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ
اقتلوا أنفسهم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلاّ قليل منهم ﴾ (٣) : وقوله
تعالى : ﴿ كَتَبْنَا ﴾ أى أو جئنا وفرضنا . كما أمر بنى إسرائيل من قبل
بقتل أنفسهم وبخروجهم من ديارهم . وهذه الآية نزلت في ثابت بن قيس
ابن شماس ؛ لأنه كان قد سمع يهودياً يقول للمقداد : قاتل الله هؤلاء ، يزعمون
أنه نبي ، ويتهمون به في الحكم بينهم ، والله لقد أذنبنا مرة في حياة موسى ،
فدعانا إلى التوبة ، فقال : ﴿ اقتلوا أنفسكم ﴾ ، فبلغ قتلانا سبعين ألفاً في طاعة
ربنا حتى رضى عنا . وقال اليهودي ذلك لما رأى الأنصارى قد سخط من
حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال شماس عند ذلك : والله لو أمرنى
محمد أن أقتل نفسى لفعلت .

ولما نزلت هذه الآية قال عمر وعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود
وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم القليل : والله لو أمرنا
بذلك لفعلنا ، فالحمد لله الذى عافانا ؛ فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال : « إن من أمتى رجالا الإيمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسى » .
وما أحسن قول القاضى الفاضل رحمه الله تعالى : الخروج من الديار
مقرون بالقتل في كتاب الله سبحانه وتعالى ، وإذا كان الناس كما قال الشاعر
نفوس الديار ، فخرجهم منها قتلها ، وانتقال ولايتهم عنها عز لها .
وأما المثل الأوّل المولّد وهو قوله : النُّقْلة مُنْلة ، فقد قلت أنا : النوى
توى ، الأوّل بالنون ، والثانى بالتاء ثمانية الحروف وهو الهلاك ، والغربة
كربة ، والشتات ممات ، والافتراق احتراق .

ومن كلام الحكماء : الغريب كالفرس الذى زایل أرضه ، وفقد شربه ،

ما من غريب وإن أبدى تجلده إلا سيذكر عند الغربة الوطن
وهذان البيتان الأذان أوردتهما ابن زيدون ، من شعر عروة بن الورد ،
وبعضهم ينسبهما إلى الأعشى ، والغربة عندهم في نظير الفقر .
قال شاعر باهلة ^(١) :

سأعيل نص العيس حتى يكفني غنى المال يوماً أو غنى الخدنان
فلموت خير من حياة يرى لها على الحر بالافلال وسم هوان ^(٢)
متى يتكلم يبلغ حر كلامه وإن لم يقل قالوا عديم بيمان
كان الغنى في أهله بُورك الغنى
بغير لسان ، ناطق بلسان
وقلت أنا مضمنا :

تمتع من الأوطان بالظلم بالذرى
فلم يلق رفيقاً من تجافى رفيقه
ولا تنأ عن أرض ألفت ربوعها فمن يغترب يحسب عدواً صديقه

٩١ - وقوله : عارفٌ بأنَّ الأدبَ الوطنُ لا يخشى فراقه ،
والخليط لا يتوقع زيارته .

الخليط : المخلط ، كالتدويم والمندم ، والجليلس والمجالس ، وهو واحد
وجمع ، وقد يجمع على خلطاء وخلط . والزَّيَال : مصدرُ زاياله مُزايلةٌ وزِيالاً
إذا فارقه .

(١) الكامل للمبرد ١ : ٣١٥

(٢) الكامل : « مس هوان » .

وقوله : « عارفٌ » ، خبر « إنَّ » في قوله : « وإني مع المعرفة بأنَّ الجلاء سياء »
وما بدمه إلى آخر البيتين . وقوله : « بأنَّ الأدب » إنَّ وأسمها .
وقوله : « الوطن لا يخشى فراقه » ، هذه الجملة من المبتدأ والخبر في موضع
الخبر ؛ لـ « إنَّ » في قوله : « بأنَّ الأدب » كأنه قال : الأدب ألا يخشى فراق الوطن ؛
وهذا كثير في كلامهم .

* * *

٩٢ — وقوله : والنَّسِيب لا يُجَنِّي ، والجمالُ لا يخفى .

النَّسِيب : ذو النَّسَب . وفي المَثَل : القريبُ من تقربُ لا مَنْ تَنَسَّبَ ،
أى ادَّعَى أَنَّهُ نَسِيبُكَ . هذه الجملة كلها معطوفة على قوله : الوطنُ
لا يُخَشَى فِرَاقُهُ .

وقال المفيرة بن حَبْنَاء :

ليسَ المزيُّ بِمَن تُنْفِىَ نَحَارُهُ
ولا الكَرِيمُ بَمَن يُجَنِّى وَيُحْتَمَرُّ

* * *

٩٣ — وقوله : ثُمَّ مَا قِرَانُ السَّعْدِ لِلْكَوَاكِبِ أَبْهَى أَثَرًا ، ولا
أَسْنَى خَطَرًا ، مِنْ أَقْتِرَانِ غِنَى النَّفْسِ بِهِ ، وَأَنْتِظَامِهَا نَسَقًا مَعَهُ .

أَقْتَرَنَ الشَّيْءَ بِغَيْرِهِ وَقَارَنَتْهُ قِرَانًا : صَاحَبَتْهُ ، وَمِنْهُ قِرَانُ الْكَوَاكِبِ ،
وَالْقِرَانُ أَنْ تَجْمَعَ بَيْنَ ثَمَرَتَيْنِ فِي الْأَكْلِ .
أَبْهَى ، أَفْضَلُ مِنَ الْبَهَاءِ ، وَهُوَ الْحُسْنُ . وَالسَّعَادُ ، مَحْدُودُ الرَّفْعَةِ . وَالشَّرَفُ .

الخطَر : رَجُلٌ خَطِيرٌ ، أَيْ لَهُ قَدَرٌ وَخَطَرٌ ، وَقَدْ خَطَرَ ، بَضْمُ الطَّاءِ .
وَالنَّسَقُ مِنَ السَّكَّامِ : مَا جَاءَ عَنْ نِظَامٍ وَاحِدٍ . وَتَفَرَّقَ نَسَقٌ ؛ إِذَا كَانَتْ
الْأَسْدَانُ مُسْتَعْوِيَةً .

وَأَمَّا قَوْلُ ابْنِ زَيْدُونَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : « ثُمَّ مَا قِرَانُ السَّمَدِ لِلْكُوكَبِ
أَبْهَى أَمَّا » فَأُخِذَ مِنْ قَوْلِ أَبِي الْقَمَحِ الْبُسْتِيِّ :
وَأَتَمُّ الْأَشْيَاءِ نُورًا وَحُسْنًا بَكَرَ شُكْرٍ زُفَّتْ إِلَى صُهِرٍ بَرٍّ
مَا قِرَانُ السَّمَدَيْنِ فِي الْجَوِّ أَبْهَى مَنظَرًا مِنْ قِرَانِ بَرٍّ وَشُكْرٍ

٩٤ — وَقَوْلُهُ : فَإِنَّ الْحَازِزَ لَهُمَا ، الضَّارِبَ بِسَهْمٍ فِيهِمَا ، وَقَلِيلٌ
مَا هُمْ .

الْحَازِزُ : اسْمُ فَاعِلٍ ، مَنْ حَازَ بِحَوْزٍ حَوْزًا وَحِيَازَةً ، وَكُلٌّ مِنْ فَمٍّ شَيْئًا
إِلَى نَفْسِهِ فَقَدْ حَازَهُ .
الضَّارِبُ وَالضَّرِيبُ : الَّذِي يَضْرِبُ بِالْقِدَاحِ الَّتِي يَقْسِمُ بِهَا ، وَهُوَ الْمُوَكَّلُ بِهَا .

٩٥ — وَقَوْلُهُ : أَيْنَمَا تَوَجَّهَ وَرَدَ مَنَهْلَ بَرٍّ ، وَحَطَّ فِي جَنَابِ
قَبُولِ .

وَرَدَ مَنَهْلَ بَرٍّ ، أَيْ آتَى عَيْنَ إِحْسَانٍ وَخَيْرٍ ؛ لِأَنَّ اللَّيْثَ ضِدَّ الْمُفْزَقِ .
وَحَطَّ فِي جَنَابِ قَبُولِ ، أَيْ نَزَلَ فِي نَاحِيَةٍ مِنْ يُقِيلُ عَلَيْهِ ، وَلَا يُدِيرُ عَنْهُ ،
وَقَدْ قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ :

إِذَا صَدِيقٌ نَكِرْتُ جَانِبَهُ لَمْ تُعَيِّنِي فِي فِرَاقِهِ الْحِيلُ^(١)
فِي سَمَةِ الْخَلَاقِينَ مُضْطَرَبٌ وَفِي بِلَادٍ مِنْ أُخْتِهَا بَدَلُ
وَقَالَ عَمْرُو بْنُ أَوْسٍ :

شَرْقٌ وَغَرْبٌ تَجِدُ مِنْ غَادِرٍ بَدَلًا
فَالْأَرْضُ مِنْ تَرْبَةٍ وَالنَّاسُ مِنْ رَجُلٍ

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ شَرَفِ الْقَيَّرَوَانِيِّ :

وَصَيَّرَ الْأَرْضَ دَارًا وَالْوَرَى رَجُلًا
حَتَّى تَرَى مَقِيلًا فِي النَّاسِ مَقْبُولًا

وَمِنْ هَذِهِ الْمَادَّةِ قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ الطَّائِيّ :

وَمَا رُبِعُ الْقَطِيعَةِ لِي بِرَبْعٍ وَلَا نَادِي الْأَذَى مَنِيَّ بِنَادِي^(٢)

وَقَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمَقْدِسِيِّ :

يَا وَاقِعًا بَيْنَ الْفَرَاتِ وَدِجْلَةٍ عَطْشَانٌ يَطْلُبُ شَرْبَةً مِنْ مَاءٍ
إِنَّ الْبِلَادَ كَثِيرَةً أَنْهَارُهَا وَسَعَابُهَا وَغَزِيرَةُ الْأَنْوَاءِ
مَا اخْتَلَتِ الدُّنْيَاءُ وَلَا عُدِمَ الْمَدَى فِيهَا وَلَا ضَاقَتْ عَلَى الْعُلَمَاءِ
أَرْضٌ بِأَرْضٍ وَالَّذِي خَلَقَ الْوَرَى قَدْ قَسَمَ الْأَرْزَاقَ فِي الْأَحْيَاءِ

وَقَالَ الشَّرِيفُ الرَّضَوِيُّ :

مَالِي لَا أَرْغَبُ عَنْ مَنْزِلِ يُكْثِرُ فِيهِ الدَّهْرُ حُسَادِي^(٣)

(١) ديوانه ٣ : ٢١١ ، ٢١٢ .

(٢) ديوانه ٨٠ .

(٣) ديوانه ٢٢٩ ، وروايته :

مَالِي لَا أَرْغَبُ عَنْ بَلَدٍ تَرُغِبُ فِي كَثَرَةِ حُسَادِي

مَا الرِّزْقُ فِي الْكَرْخِ مَقِيمٌ وَلَا طَوْقُ الْعُلَا فِي جِيدٍ بَعْدَادٍ
قَالَ أَيْضًا :

أَبْعَادُ مَالِي فِيكَ نَهْائَةٌ شَارِبٍ مِنْ الْعَيْشِ الْآ وَالْخَطُوبِ مِرَاجُهَا^(١)
وَقَالَ ابْنُ سِنَاءِ الْمَلَكِ :

لَيْمَ لَا أَهْلًا — بَيْنُ كِبَارِهِمْ وَصِغَارِهِمْ تِيهًا وَكِبَرًا
مَا النَّيْلُ مِنْ مَاءِ الْحَيَاةِ وَلَا جَمِيعُ الْأَرْضِ مِصْرًا
كُلَّ هَذَا مَسْتَمَدٌّ مِنْ قَوْلِ ابْنِ أَخِي أَبِي دُلْفٍ الْعِجَلِيِّ ، وَهُوَ :

دَعَيْتَنِي أَجُوبُ الْأَرْضَ فِي طَلَبِ الْغَنَى
فَمَا الْكَرْخُ بِالْدُّنْيَا ، وَلَا النَّاسُ قَائِمٌ
* * *

٩٦ — وقوله :

وَضُوحِكَ قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ ، وَأُعْطِيَ حِكْمَ الصَّبِيِّ عَلَى أَهْلِهِ .
وَقِيلَ لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا فَبِذَا مَبِيتٌ صَالِحٌ وَمَقِيلٌ
ضُوحِكَ قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ ، إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِ عَمْرِو بْنِ الْأَثَمِ الْمِنْقَرِيِّ .
وَالَّذِي أَعْرِفُهُ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ أَنَّهُ :

فَقُلْتُ لَهُ : أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا فَبِذَا مَبِيتٌ صَالِحٌ وَصَدِيقٌ^(٢)
وَقَوْلُهُ : « وَضُوحِكَ قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ » مِنْ قَوْلِ عَمْرِو بْنِ الْأَثَمِ — وَقِيلَ

(٢) الذي في مفضليته ٢٣

(١) ديوانه : ١٨٢

فَقُلْتُ لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا فَبِذَا صَبُوحٌ رَاهِنٌ وَصَدِيقٌ

لحاتم الطائي :

أضاحك ضيف قبل إنزال رحله
ويخصب عهدي والزمان جديب
وما لخصب للأضياف أن تكثر القرى
ولكنما وجه الكريم خصيب
كانوا يمدون تلقى الأضياف بالبشر وتهلل الوجه وإظهار السرور به
من كمال مروءتهم ، ولهذا قال :
بشاشة وجه المرء خير من القرى
فكيف إذا أهدى القرى وهو ضاحك !

وقال الفرزي :

يا بنت من يقرى الضيوف تبسمي
إن التبسم من قرى الأضياف

وقال أبو تمام الطائي :

فطلق مع المنايا إن البش
مر في أكثر الأمور بشير^(١)
إنما البشر روضة فإذا كا
ن ببدل فروضة وغدير

وقال أبو الأسود :

إذا ما أتاه السائلون توقدت
عليه مصابيح الطلاقة والبشر

وقال أبو تمام الطائي :

يعطى عطاء المحسن الخليل الندي
عفواً ويعتذر اعتذار المذنب^(٢)

ومرّحَب بالزّائرين وبِشرُهُ يُفَنِّيك عن أهلٍ لديه ومَرَّحَبٍ
وقال أيضا :

إذا أُمّة العافونَ أَلْفَوْا حِيَاضَهُ وِلَاءَ وَأَلْفَوْا رَوْضَهُ غَيْرَ مُجْدِبٍ ^(١)
إذا قال أهلاً مَرَّحِباً نَبَّهْتُ لَهُمْ مِيَاهُ النَّدى من تحتِ أَهْلٍ ومَرَّحِبٍ
وقد صَيَّغْتُ أنا صدرَ ذلك البيتِ في المجون ، قلت :

وجارية تُلهي النديم إذا علا عليها بطول الدهر في حالٍ فعليه
تقول كذا لي عادة مستمرة أضاحك ضيفي قبل أنزال رحله
وقوله : « وأعطى حُكْمَ الصَّبِيِّ على أهله » ، كانت العرب تقول : نزلنا
على فلان ، فجعل لنا حُكْمَ الصَّبِيِّ على أهله .

وقال ابن القبطرية في رُقعة كتبها :

يحق لي أن أذهب شَطَطاً ، وأنكلم مَنبَسِطاً ، وأبين غرضي كله ومذهبي ،
وأتحكم على مكارمك تحكم الصَّبِيِّ ، وأبلغ بك كلَّ أملٍ وأرب ، وأملأ
دُلُوى من جاهك إلى عَقْدِ الكَرَب ^(٢) .

وكان أبو سُفْيَانٍ إذا نزل به جار قال له : يا هذا إنك قد اخترتني
جاراً ؛ واخترت دارِي دَاراً ، فحفاية يدك على مَنْ دُونك ، وإن جَنَّتْ عليك
يدفا حُكْمَ الصَّبِيِّ على أهله .

قل الشاعر :

ولا تحكّما حُكْمَ الصَّبِيِّ فإنه كثيرٌ على ظُهر الصديقِ مجاهله

(٢) الكرب : الجبل الذي شد على الدلو .

(١) ديوانه ٢٤ .

وقال أبو تمام الطائي :

ظِلَّ عَمَاءُ يَحِبُّ زَائِرَهُ حَبَّ الْكَبِيرِ الصَّغِيرِ مِنْ وَلَدِهِ ^(١)
إِذَا أَنَاخُوا بِمِثَابِهِ أَخَذُوا حَقَّهُمْ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ

وقال أبو فراس :

وَنَقْتَدِي الْكُومَ أَشْتَاتًا مَرُوعَةً لَا نَأْمَنُ الدَّهْرَ إِلَّا مِنْ أَعَادِنَا ^(٢)
وَيَصْبِحُ الضَّيْفُ أَوْلَانَا بِمَغْزِلِنَا نَرْضَى بِذَلِكَ وَيُمِضِي حُكْمَهُ فِينَا

وقال شاعرُ الحماسة :

نَزَلْتُ عَلَى آلِ الْمُهَلَّبِ شَاتِيًا غَرِيبًا عَنِ الْأَوْطَانِ فِي زَمَنِ الْمَحِلِّ ^(٣)
فَمَا زَالَ بِي إِحْسَانُهُمْ وَجَمِيلُهُمْ وَإِلْطَافُهُمْ حَتَّى حَسَبْتُهُمْ أَهْلِي

أَخَذَهُ الْقَاضِي الرَّشِيدُ بْنُ الزَّيْرِ فَقَالَ :

فَلَمَّا نَزَلْنَا فِي ظِلَالِ بُيُوتِهِمْ أُمِنَّا وَنَلْنَا الْخِصْبَ فِي زَمَنِ مَحِلِّ
وَلَوْلَا يَزِيدُ إِحْسَانُهُمْ وَجَمِيلُهُمْ عَلَى الْبَرِّ مِنْ أَهْلِي حَسَبْتُهُمْ أَهْلِي

وَأَنشَدَنِي لِنَفْسِهِ إِجَازَةً الشَّيْخُ صَفِيُّ الدِّينِ الْحَلِّي :

وَكَيْفَ بِعَادِيٍّ مِنْ مَقَانِ الْإِفْتِهَا وَأَفْنَيْتُ عُمَرِي بَيْنَهَا وَشَبَابِيَا
وَقَضَيْتُ فِيهَا الْأَرْبَعِينَ مُجَاوِرًا مُلُوكَ الْبَرَايَا وَالْبُحُورِ الطَّوَامِيَا
أَصِيفُ وَأَشْتُو بَيْنَهُمْ فَكَأَنَّنِي نَزَلْتُ عَلَى آلِ الْمُهَلَّبِ شَاتِيَا

(١) ديوانه ٩٢ (٢) ديوانه ٣٩٥ .

(٣) ليكثير بن الأخنس ، وها في ديوان الحماسة - بشرح المرزوق ٣٠٣ .

٩٧ - وقوله : غيرَ أَنَّ الوطنَ محبوبٌ ، والمنشأ مألوفٌ .

أخذَ الآنَ في نقضِ ماقرَّرَ من أَنَّهُ الأدبُ ، ألاَّ يخشى من فراقِ الوطنِ ، وما عُطِفَ عليه من تلكَ الجُمْلِ ، فقال : غيرَ أَنَّ الوطنَ محبوبٌ ، لما طُبِعَتِ النفسُ عليه . وقد جاء في الحديث : « حبُّ الوطنِ من الإيمان » .

وتأوَّلَه بعضُ المارفينَ بأنَّ قال : المراد بذلك حُبُّ النفسِ وَطَنِها الأوَّلِ وعالمِها القديمِ من الإيمان ، فأخرجه بذلك عن المعنى المتعارفِ به ، وما يُفهم من ظاهره .

وقال بعضُ الأدباء : كان الناسَ يتشوقون إلى أوطانهم ، ولا يفهمون العلةَ في ذلك إلى أن أوضحها ابنُ الرُّومِيِّ في قصيدته لسليمانَ بن عبدِ الله ابنِ طاهرٍ يستعديه على رجلٍ من التجَّارِ ، يُعرفُ بأينَ أبي كاملٍ ، أجبره على بيعِ دارِهِ ، وأغتنصبه بعضُ حُدودِها ، فقال :

ولي وطنٌ آليتُ ألاَّ أبيعَهُ	والأأرى غيري له الدهرَ مالِكاً
عهدتُ به شرخَ الشبابِ وبعمةً	كنعمة قومٍ أصبحوا في ظلالِكا
وحبَّبَ أوطانَ الرِّجالِ إليهمُ	ماربُ قضاها الشبابُ هُنالِكا
إذا ذكروا أوطانهمُ ذكَّرتهمُ	عهودَ الصِّبا فيها فحنُّوا لذلِكا

وقال أيضاً يتشوق إلى بغداد :

بلدٌ صَحِبْتُ به الشَّيْبَةَ والصَّبَا	ولبستُ ثوبَ العيشِ وهو جَدِيدُ
فإذا تَمَثَّلَ في الضميرِ رأيتُهُ	وعليه أغصانُ الشَّبابِ تَمِيدُ

وقال رجاءُ بنُ هارونَ المَكِّيُّ :

أحنَّ إلى وادي الأراكِ صِباةً	بمهدِ الصِّبا فيه وتذكاري أوَّلِي
-------------------------------	-----------------------------------

كَأَنَّ نَسِيمَ الرِّيحِ فِي جَنَابَاتِهِ نَسِيمُ حَمِيمٍ أَوْ لِقَاءِ مُؤَمِّلٍ

وقال أبو سرح: نَسِيمُ أَبُو دُفٍ قَوْلُ الْقَائِلِ :

لَا يَمْنَعَنَّكَ خَفَضُ الْعَيْشِ فِي دَعَةٍ نَزُوعِ نَفْسٍ إِلَى أَهْلِ وَأَوْطَانِ

تَلْقَى بِكُلِّ بِلَادٍ إِنْ حَلَّتْ بِهَا أَهْلًا بِأَهْلٍ وَحِيرَانًا بِحِيرَانِ

فقال: هذا الْأَمُّ يَتِ قَالَتِ الْعَرَبُ، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى قَوْلِهِ رَعَابُهُ، وَشِدَّةُ قَسَاوَتِهِ، وَحَنِينُ الرَّجُلِ إِلَى وَطَنِهِ إِحْدَى مَنَاقِبِهِ الَّتِي يَمْتَدُّ بِهَا، وَهَذَا مِنَ الْأَدَلَّةِ عَلَى كَرَمِ الطَّيْنَةِ، وَوُفُورِ الْعَقْلِ.

قَالَتِ الْحُكَمَاءُ: حَنِينُ الرَّجُلِ إِلَى وَطَنِهِ مِنْ عِلَامَاتِ رُشْدِهِ.

وقال بُزْرُجُمَهْرُ: مِنْ عِلَامَاتِ الْعَائِلِ بِرُّهُ بِإِخْوَانِهِ، وَحَنِينُهُ إِلَى أَوْطَانِهِ، وَمُدَارَاتُهُ لِأَهْلِ زَمَانِهِ.

وقال أبو هلال العسكري:

إِذَا أَنَا لَا أَشْتَاقُ أَرْضَ عَشِيرَتِي فَلَيْسَ مَكَانِي فِي الْفُتَى بِمَكِينِ
مِنَ الْعَقْلِ أَنْ أَشْتَاقُ أَوَّلَ مَنْزِلٍ غَنِيْتُ بِخَفَضٍ فِي ذَرَاهُ وَلَبَنِ
وَرَوْضٍ وَعَاهُ بِالْأَصَائِلِ نَاطِرِي وَعُصْنٍ ثَنَاهُ بِالْفِدَاكِ يَمِينِي
وَإِنِّي لَا أَسْتَسِي الْمَهْوَدَ إِذَا أَتَتْ بَنَاتُ النَّوَى دُونَ أَخْلِيطُودُونِي
إِذَا أَنَا لَمْ أَرَعْ الْمَهْوَدَ عَلَى النَّوَى فَلَسْتُ بِمَأْمُونٍ وَلَا بِأَمِينِ

٩٨ - وقوله: وَاللَّيِّبُ يُحِنُّ إِلَى وَطَنِهِ، حَنِينَ النَّجِيبِ إِلَى

عَطْنِهِ.

اللييب، فَمِيلٌ مِنَ اللَّبِّ، وَهُوَ الْعَقْلُ، وَأَوَّلُ الْأَلْيَابِ: أَصْحَابُ الْعُقُولِ.

والْحَنِينُ : الشَّوْقُ وَتَوَقُّانِ النَّفْسِ ، تَقُولُ : حَنَّ يَحْنُ حَنِينًا فَهُوَ حَانٌّ .
والْحَنِينُ : تَرْجِيعُ النَّافَةِ صَوْتِهَا إِثْرًا وَإِدْهَا .

وَالْوَطَنُ : مَحَلُّ الْإِنْسَانِ ، وَأَوْطَنْتُ الْأَرْضَ وَوَصَّيْتُهَا تَوْطِينًا ، وَأَسْتَوْطَنْتُهَا ؛
إِذَا اتَّخَذْتُهَا وَطَنًا .

وَالنَّجِيبُ : الْوَاحِدُ مِنَ الْإِبِلِ ، وَالْجَمْعُ النُّجُبُ وَالنَّجَائِبُ . وَالنَّجِيبُ
مِنَ الْإِبِلِ ، هُوَ الْفَخْلُ الْكَرِيمُ .

وَالْمَطْنُ وَالْمَعْظَنُ وَاحِدُ الْأَعْظَانِ وَالْمَعَاظِنِ ، وَهِيَ مَبَارِكُ الْإِبِلِ حَوْلَ الْمَاءِ
لِتَشْرَبَ عَلَلًا بَعْدَ نَهْلٍ ، فَإِذَا رَوَيْتَ رُدَّتْ إِلَى الْمَرْعَى . وَفِي اللَّثْلِ : لَوْلَا
حُبُّ أَوْطَانٍ نَخِرَ الْوَطَنُ السَّوَاءُ .

وَفِيهِ أَيْضًا : مَيْلُكَ إِلَى مَوْلِدِكَ ، مِنْ كَرَمٍ تَحْمِيدِكَ .

وَيَقَالُ : إِنَّهُ لَيْسَ فِي الْحَيَوَانِ الطَّائِرِ أَشَدَّ وِفَاءً مِنَ الْفَاخِئَةِ ؛ فَإِنَّهَا إِذَا مَاتَتْ
إِلْفَهَا ؛ لَا تَزَالُ تَنْدُبُهُ ، وَلَا تَأْلَفُ غَيْرَهُ حَتَّى تَمُوتَ . وَمَا أَرْقَى قَوْلَ مُرَّارِ بْنِ
هَبَّاشٍ الطَّائِيَّ :

سَقَى اللَّهُ أَطْلَالَآ بِأَخْبِيَةِ الْحَيِّ وَإِنْ كُنَّ قَدْ أَبْدَيْنَ لِلنَّاسِ مَا بَيَا

مَنَازِلَ لَوْ مَرَّتْ بِهِنَ جُزْأَتِي

فَقَالَ صَدَائِي : حَامِلًا أَنْزَلَا بَيَا

٩٩ - وقوله : والكریم لا یجفو أرضاً فیها قوا بله ، ولا
ینسی بلداً فیها مراضته ، قال الأول :

أحبُّ بلادِ الله ما بینَ منجٍ إلىَّ وسلمی أن یصوبَ سحابُها
بلادُ بها عَقَّ الشَّبابُ تماثی وأول أرضٍ مسَّ جِلدی تراها
وهذان البیتان یُسبَّهان قول الآخر :

ذکرتُ بلادی فاستهلت مدامی لِشوقی إلى عهد الصِّبا للتَّقادیم
حنَّتُ إلى أرضٍ بها أخضر شاربی وقطَّع عَنی قبل حلَّ التَّمام
وقال ابن میادة :

ألا لیت شِعْری هل أبیتَ لیلَةَ بحرَّة لیلی حیثُ رَبَّتْنی أهلی
بلادُ بها نیطتُ علی تماثی وقطَّعن عَقلی حین أدركنی عَقلی
وقال محمد بن غالب الرُّصافی :

بلادی التي ریشَتْ قویدَمتی بها فُرِیخاً وآوَتْنی قرارَها وَکُرا
قیادی لَین المَیْس فی رَوَاقِ الصِّبا إلى الله أن أنسی اغتراری بها غِرا
لِیسناً بها ثوبَ الشَّباب لِباسها ولكنَّ عَرینا من حلاه ولم یَعرا
وهذان البیتان اللذان أوردهما ابنُ زَیدون رحمه الله تعالى لهما أول ، وهو :
ألم تعلمی یادارَ ملجاء أننی إذا أخضبتُ أو کان خضباً جنابُها

وقوله : « والکریم لا یجفو أرضاً فیها قوا بله » . فی الأمثال المَضروبة :
لا تجفُ أرضاً بها قوا بلک ، ولا تنسُ بلداً فیها قباثلک .

وقال ابن عُمین :

ولو أننی خُیرت فی هذه الدُّنْیا لَمَّا اخترتُ غیرَ قومی وداری

وقوله : « وَلَا يَنْسَى بِلَدًا فِيهَا مَرَّاضُهُ » الرِّضَاعُ لَهُ حَقٌّ وَذِمَّةٌ تَجِبُ رِعَايَتُهَا . لَمَّا قَدِمَ زُهَيْرُ بْنُ صُرَدٍ الْجُشَمِيُّ السَّفْدِيُّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حَنْينَ وَهُوَ بِالْجِعْرَانَةِ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّمَا سُدِّيتُ مِنَّا عَمَاتُكَ وَخَالَاتُكَ وَحَوَاضَتُكَ اللَّاتِي كَفَلْتَنَاكَ ، وَلَوْ أَنَا مَلَحْنَا ^(١) لِلْحَارِثِ ابْنِ أَبِي شَمِيرٍ أَوْ لِلنُّعْمَانِ بْنِ الْمُذَرِّ ، ثُمَّ نَزَلَ مِنَّا أَحَدُهُمَا بِمِثْلِ مَا نَزَلَتْ بِهِ ، رَجَوْنَا فَضْلَهُ وَعَائِدَتَهُ ، وَأَنْتَ خَيْرُ الْمَكْفُولِينَ ، ثُمَّ أُنْشِدَ :

أَمُنُّ عَلَىمَا — رَسُولَ اللَّهِ — فِي كَرَمِ

فِيَانِكَ لَرَّ نَرْجُوهُ وَنَنْتَظِرُ ^(٢)

أَمُنُّ عَلَى بَيْضَةٍ قَدْ عَافَهَا قَدَرٌ مُشَّتَتْ شَمْلُهَا فِي زَهْرٍهَا غَيْرُ
إِذَا أَنْتَ طِفْلٌ لَمْ كُنْتَ تَرْضُهَا إِذْ فُوكَ تَمْلُؤُهَا مِنْ مَخْضِهَا الدَّرَرُ
لَا تَجْمَلُنَا كَمَنْ شَاكَتْ نَعَامَتُهُ وَأُسْتَبَقَ مِنَّا فَإِنَّا مَمَشَرُ زُهْرٍ
فَالْبَيْسِ الْمَفْوَمِ قَدْ كُنْتَ تَرْضُهَا مِنْ أَمَّهَانِكَ ، إِنْ الْمَفْوَمُ مُشْتَهَرُ
فِي آيَاتٍ أَكْثَرَ مِنْ هَذِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا كَانَ لِي
وَلِيِّي عَبْدٍ يُطَلَّبُ فَهُوَ لَكُمْ » ، وَقَالَتْ قُرَيْشٌ : مَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ .
وَقَالَتْ الْأَنْصَارُ : مَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ .
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ ابْنِ سَنَاءِ الْمَلِكِ :

وَكَمْ حَنٌّ صَبْرِي خَشِيَةً لِمَتَائِي وَكَمْ مَسَّ جِلْدِي مَسَكَةً ، لَا تَرَاهُ
وَفِي غَرْبِ ذِيكَ الْعُذِيبِ وَبَارِقِ وَمَا ذَاكَ إِلَّا ثَقْرُهُ وَرِضَابُهُ

❖ ❖ ❖

(١) ملحنا : أرضعنا .

(٢) عيون الأثر ١ : ١٩٦ .

١٠٠ - وقوله : هذا إلى مُغَالَاةٍ بِقَدِّ جَوَارِكٍ ، وَمُنَافَسَةٍ
لِلْخُلَاطَةِ مِنْ قُرْبِكَ .

المُغَالَاةُ ، مُنَافَاةٌ مِنَ الْفُلُوْ . وَالْمُنَافَسَةُ ، مُنَافَاةٌ مِنَ الْمُنَافَسَةِ .

كَانَ عِنْدَ الْعَرَبِ فِي رِعَايَةِ الْجَوَارِ مَا هُوَ أَعْجَبُ الْمَجَبِّ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ
الْإِنْسَانَ إِذَا لَسَّ طَنْبٌ يَنْتَهِي طَنْبٌ يَبْتَئِ أَخْرَ لَزِمَهُ حُرْمَةُ الْجَوَارِ وَالذِّمَّةُ ،
وَإِذَا عُلِقَ لَهُ دَلْوٌ بَدَلُوْ أَخْرَ فِي بئرٍ لَزِمَهُ حُرْمَةُ الْجَوَارِ وَالذِّمَّةُ ، وَإِلَى هَاتَيْنِ
الْفَضِيلَتَيْنِ أَشَارَ أَبُو تَمَّامٍ يُخَاطِبُ ابْنَ الزُّبَايَاتِ :

لِي حُرْمَةٌ بِكَ لَوْلَا مَا رَعَيْتَ وَمَا أَوْجَبْتَ مِنْ عَقْبَاهَا خِلَتُهَا تَجِبُ (١)
بَلَى لَقَدْ سَلَفَتْ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ لِلْحَقِّ لَيْسَ كَعَقْبَى نَصْرَةٌ عَجَبُ
إِنْ تَعَلَّقَ الدَّلْوُ بِالدَّلْوِ الْفَرِيبةُ أَوْ
بِلَا مِسْ طَنْبُ السُّتَحْمِدِ الطَّنْبُ

وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الْفَرَزْدِيُّ :

مَا بَعْتُ فَيْكَ أَنْ تُلْقَ حَتَّى زُرُّهُمْ فَعَلْتُ أَنْتَ فَوْقَهُمْ مَتِينًا
وَمَخَافَتِي أَلَّا يَكُونَ لِرَغْبَتِي أَنْزِلُ فَا بَقَى ، لَا هُنَاكَ وَلَا هُنَا
لَا تَرْمَنِي رَمَى الْقَلَامَةِ وَأَرْمِ بِي فِي مَطْلَبِ رَمَى الْجَارِ إِلَى مِثْقَالِ
إِنِّي أَهْوِذُ بِمَا حَوَيْتَ مِنَ الدَّلَا مِنْ أَنْ يَجْرُبَ فِي رَأْيِكَ مَا بَقَى

١٠١- وقوله : وأعتقادي أَنَّ الطَّمْعَ في غَيْرِكَ طَمَعٌ ، وَالغِنَى مِنْ سِوَاكَ هَنَاءٌ .

الطَّمْعُ بتحريك الباء : الدَّنَسُ . والعناء بالمد : التَّعبُ ، وفي المثل : ربَّ طَمَعٍ يُدْنِي إِلَى طَمَعٍ ، قال الشاعر :
لا خَيْرَ في طَمَعٍ يُدْنِي إِلَى طَمَعٍ وَغِنًى مِنْ قَوَامِ الْقَيْشِ تَكْفِينِي (١)
الغِنَى : القوت ، وأصلها الفأرة ، سَمِيَتْ بذلك لِأَنَّهَا قُوَّتُ السَّنُورِ ، وَهِيَ بِالْفَيْنِ الْمُعْجَمَةِ والعناء . ويجوز أن تكون بالعين المهملة ، وهو تصحيف حَسَنٌ وَأَلْتَقَى بِالْبَيْتِ ، لِأَنَّ الْغِنَى وَالْعُقَافَةَ بِالضَّمِّ فِيهِمَا : بَقِيَّةُ اللَّبَنِ فِي الضَّرْعِ .
قال الأعشى :

ماتمادي عنه النهار ولا يمـ ججوه إِلَّا عُقَافَةٌ أَوْ فُوقُ (٢)

وقوله : «واعتقادي أَنَّ الطَّمْعَ في غَيْرِكَ طَمَعٌ» . هذا يُمَدُّ بِمَضٍ أَرْبَابِ التَّبْدِيعِ مِنَ الْجِنَاسِ الْمُطْمَعِ ، وَهُوَ مَتَى فَرَّغَ مِنْ رُكْنِهِ الْأَوَّلِ وَابْتَدَأَ بِالثَّانِي أَطْمَعُ السَّامِعَ أَنَّهُ مُوَافِقٌ لِحُرُوفِ الْأَوَّلِ ، فَإِذَا كَمَلَ الرُّكْنُ الثَّانِي خَالَفَ الْأَوَّلَ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ ﴾ (٣) ، وَكَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ائْتَلَيْلُ مَعْقُودَ بَنَوَاصِيهَا ائْتَلَيْرُ » .

وَهَذَا النَّوعُ مِنْ أَعْلَى هَذَا الْجِنَاسِ . وَدُونَهُ أَنْ يُخَالَفَ الرُّكْنُ الثَّانِي الْأَوَّلَ بِحَرْفٍ فِي وَسْطِهِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ

(١) البَيْتُ فِي اللِّسَانِ (غَف) مِنْ غَيْرِ نِسْبَةٍ .

(٢) دِيوانه ٧١١ . تَمَادَى : تَبَاعَدَ . تَجَجَّوه : تَوَخَّ . رَضَاعَتُهُ . الْفِرَاقُ : مَا بَيْنَ الْحَلِيقَتَيْنِ

مِنَ الْوَلَدِ . (٣) سُورَةُ النِّسَاءِ ٨٣ .

لَشَدِيدٍ^(١) . وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَأْمُرُونَ عَنْهُ ﴾^(٢) .

وقوله : « الطَّمَعُ فِي غَيْرِهِ طَبَعٌ » من هذا القسم .

ومن مادة قول ابن زيدون قول الأول :

وَأَيُّ وَتَرْكِي الْأَكْرَمِ نَ وَقَدْ حَيَّ بِكُنِّي زَنْدًا شَعَا
كَتَارِكَةٍ بَيْنَهَا بِالْعَرَا وَمُنَاحِقَةٍ بَيْنَ أُخْرَى جَا
وَقَالَ ابْنُ حَيَّوَس :

وَهَا أَنَا ثَاوٍ فِي جَنَابِكَ لَمْ أَمِلْ إِلَى أَمَلٍ يُنْحَى وَلَا مَنَّةٍ تُنْذَى^(٣)
يَعَافُ وَرُودَ الطَّرِيقِ مَنْ وَجَدَ الْحَيَا
وَيَأْنِي الرِّضَا بِالرَّشْحِ مِنْ جَاوِرِ الْعِدَا؟^(٤)

وقال أبو هلال المسكري :

كَأَنِّي إِذَا أَمْسَكْتُ مِفْكَ بُعْرُوةٍ أَخَذْتُ بِأَهْدَابِ الْغُيُومِ السَّوَاكِبِ
وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمَتْنَبِيُّ :

وَلَمْ أَرْجُ إِلَّا أَهْلَ ذَاكَ وَمَنْ يَرُدُّ
مَوَاطِرَ مِنْ غَيْرِ السَّحَابِ يَظْلَمُ^(٥)

* * *

(١) سورة العاديات ٧ ، ٨ . (٢) سورة الأنعام ٢٦ .

(٣) ديوانه ١٥٠ (٤) والطرق : الماء الذي خوضته الإبل ، والحيا : المطر .

والرشيح : تحاب الماء . والعِد : الماء الجاري الذي له مادة لا تنقطع .

(٥) ديوانه ٤ : ١٣٩ .

١٠٢ - وقوله: كل الصيد في جوف الفراء

الفراء حمار الوحش ، وأصل المثل أن ثلاثة نفر خرجوا متصيدين فاصطاد أحدهم أرنباً ، والآخر طيئاً ، والثالث حمار وحش ، فاستبشر صاحب الأرنب وصاحب الطيئ بما نالاً ، وتطاولا^(١) عليه ، فقال الثالث : « كل الصيد في جوف الفراء » ، أي هذا الذي رزقت وظفرت به يشتمل على ما عندك ، وذلك أنه ليس مما يصيده [الناس] ^(٢) أعظم من حمار الوحش . وقد تألف النبي صلى الله عليه وسلم أباسفيان بهذا القول حين استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فصحبته قليلاً ، ثم أذن له ، فلما دخل قال : « كدت تأذن لحجارة الجلمتين » . قال أبو عبيدة : الصواب « الجلمتين » وهما جانيب الوادي ، فقال عليه السلام : « يا أباسفيان ، أنت كاقيل ؛ كل الصيد في جوف الفراء » ، يتألفه على الإسلام . وقال أبو عباس : معناه إذا حببتك ففسد كل محبوب ؛ يضرب لمن يفضل على أقرانه .^(٣)

وقال العميد أبو بكر علي بن الحسين القهستاني :

أنا ما قبضت^(٤) عبودتي لك عد عن غيبي ، فكل الصيد في جوف الفراء
وقال صاحب شرف الدين بن عثيمين :

نسخت خلافتي الكريمة ما أتى

في الكتب عن كسرى الملوك وفيه هرا^(٥)

لا تسمعن حديث ملك يهـ

يرأوي ، فكل الصيد في جوف الفراء

(١) تكلمة من ط

(٢) ط : « قبضت » .

(١) م ، ط : وتطاولا .

(٣) الميداني ٢ : ١٣٦ .

(٥) ديوان ٦ .

وقال أبو إسحاق الفزري :

لا تسأن سيوى السعاده ^{الاول} سيبا ، فكل الصيد في جوف الفراء
وقال ابن المعلم :

طوى الورى شعري عني وانثني يقول كل الصيد في جوف الفراء
وقال أحمد بن حسن المتصوف الدؤيني :

لو كان ظلم الشيب ظلما يتيق رجوت لأمدوى الوزير الأكبيرا
لاني اكتفيت من الورى بلفائه إذ كان كل الصيد في جوف الفراء

وقال أبو الحسين الجزار يمدح كمال الدين بن القديم :

وطالما حدثت نفسي بالغنى منك وما كان حديثا يفتري
ولست أختار كريما بعدها عنك ؛ وكل الصيد في جوف الفراء

وذكرت هنا ما أنشدني لنفسه الشيخ صفى الدين الحلى رحمه الله في
حليح لابس شمل فروة .

بصروا بفرؤك فازدروك لحالة أضاعى هام معروف حنينك منكرا
كل أدار الطرف عنك محاولا صيدا ، وكل الصيد في جوف الفراء

وكنت أنشدته لبعض الفاي فألكره ، وقال : الفراء حار الوحش
— بفتح الفاء — وكلام الصفى لا يصح معه التورية إلا بكسر الفاء ؛ فقلت :
الفراء مفتوح الفاء ، مقصور مهموز — هو الحار الوحش ، ويجمع على
فراء ممدود ، مكسور الفاء ، كجبل وجبال .

قال الشاعر ^(١)

(١) البيت لآل بك بن زغبة ، وبقية :

* بِضَرْبِ كَاذَانَ الْفِرَاءِ فَضُولُهُ *

* * *

١٠٣ - وقوله : والبَدَل منك أعور ، والعِوضُ كفاء .

وإذا نظرتُ إلى أميرى زادنى

صَنًّا به نظرى إلى الأَمــــراء

بَدَلُ أعور، أصلُ هذا التَّمَثُّلِ أنْ يَزِيدَ بنَ المَهَلَّبِ لَمَّا صُرِفَ عن خُرَاسَانَ بِمُتَيْبَةَ بنِ مُسْلِمِ البَاهَلِيِّ - وَكَانَ شَحِيحًا وَشَيْعًا أَعُورَ - قَالَ النَّاسُ : هَذَا بَدَلُ أَعُورَ ، فَصَارَ مَثَلًا لِكُلِّ مَنْ لَا يُرْتَضَى بِهِ بَدَلًا مِنَ الذَّاهِبِ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ :

كَانَتْ خُرَاسَانُ أَرْضًا إِذْ يَزِيدُ بِهَا

وَكُلُّ بَابٍ مِنْ اخْتِيارِ مَقْشُوحٍ (٧)

حَقِّ أَتَانَا أَبُو حَفْصٍ بِأَمْرِهِ

كَأَنَّا وَجْهَهُ بِاتِّخْلٍ مَنضُوحٍ

وَالْإِفَاءُ : الشَّيْءُ الْخَسِيسُ ، يُقَالُ : فَلَانٌ رَضِيَ مِنَ الْوَفَاءِ بِالْإِفَاءِ ، أَيْ عَنْ حَقِّهِ الْوَافِرِ بِالْقَلِيلِ الْخَفِيرِ .

وَمِنْ مَقَامَاتِ الْحَرِيرَى : أَرْضَى مِنَ الْوَفَاءِ بِالْإِفَاءِ وَأَقْبَعَ مِنَ الْجَزَاءِ

* وَطَعْنَ كِيَايزَاغَ الْخَاضِ تَبُورُهَا *

(٧) الشَّمْرُ وَالتَّمَثُّلُ فِي الْمِيدَانِ ١ : ٩٠ .

بأقل الأجزاء ، ولا أنظلم حين أظلم ، ولا أضم ولو لدغني الأرقم ^(١) .
والأصل في هذا قولهم في المثل : أعطاني القاء ، يضرب لمن يبخسك
حقك ، ويظلمك فيه .

وقال أبو الطيب :

وما لاقني ————— بمدكم
ولا اعتصت من ربّ نعاي ربّ ^(٢)
ومن ركب الثور بمد الجوا
د أنك ————— أطلاقه والمب ^(٣)

وقال ابن حيوس :

وما المرء إلا من يرضن بنفسه إباء ولا يرضى من المرء بالقاء
ومن لا يعيف الطير إن منحت له وإن خالط الماء امتنان تعيفا
يبوء بخسر بائع المرء بالمعنى وأخسر منه مشترى الدر بالوفا
وهذا البيت الذي أورده ابن زيدون رحمه الله تعالى ، هو لمدى بن
الرفاع ، ويعدّه

بل ما رأيت جبال أرض تستوى
فما غشيت ولا نجوم سماء ^(٤)

(٢) المقامة الرابعة ص ٣٤ . والأرقم : الثبان .

(١) ديوانه ١ : ٩٨ . وما لاقني ، أى ما أمكنى .

(٢) الثيب من الثور : ما قلبي تحت حنك .

(٣) ديوانه ٣٩٢ .

(٤) الثمر والشمراء ٦٠٣ ، والذي بعده هناك :

تسمو الميون إليه حين يروته كالبدري فرج بهمة الظلماء
والأصل ينبت فرعه مقائلا والكف ليس بفاتها بسواء

كَالْقِيمِ مِنْهُ وَابِلٌ مُتَقَاتِلٌ بِمُتَقَاتِلِهِ (١)
 عَدَقٌ وَآخِرٌ لَا يَجُودُ بِمَاءٍ (٢)
 وَالْحَرُّ يُورِثُ مَجْدَهُ أَبْنَاءَهُ (٣)
 وَيَمُوتُ آخِرُهُ وَهُوَ فِي الْأَحْيَاءِ
 * * *

١٠٤ — وقوله: وفي كلِّ شجرٍ نارٌ، واستمجد المَرْخُ والعَفَارُ
 استمجد استفعل، من الجحد.

والمَرْخُ، بالراء الساكنة والخاء المعجمة: شجر مريع الوري. والعَفَارُ
 بالعين المهملة والفاء وبعدة الألف راء: ضربٌ من الشجر كثير النار.
 والمَرْخُ الزَّئِدَةُ، والعَفَارُ هو الزَّئِدُ الأعلى، وإذا حُكَّ الأعلى بالأسفل خرج
 منها النار، قال السكيت:

إذا المَرْخُ لم يُورِ تَحَتَّ العَفَا رَضَنٌ بِقَدَحٍ فَلَمْ يُعْقِبِ (٤)
 وقال أبو زيد: ليس في الشجر كله أوردى ناراً من المَرْخِ، وربما
 كان المَرْخُ متجمّعا ملتفاً، وهبَّت الرِّيحُ فاحتكَّتْ ببعضه ببعض، فأوردى النار
 واحترق كله، ولم يُر ذلك في سائر الشجر.
 قال الأعشى:

زِنَادُكَ خَيْرُ زِنَادِ الْمَلَوِ كَخَالِطِ فِيهِنَّ مَرْخٌ عَفَارًا (٥)

والقوم أشباهُ وبين حلومهم بَوْنٌ، كَذَاكَ تَفَاضُلُ الْأَشْيَاءِ

- (١) في الشعر والشعراء: «والبرق منه وابل».
 (٢) في الشعر والشعراء: «جود وآخراً ما يبض بماء».
 (٣) الشعر والشعراء: «المرء».
 (٤) الاسان — مرخ، من غير نسبة.
 (٥) ديوانه ٥٣

ولو بَتَّ تَقْدَحَ فِي ظُلْمَةٍ حَصَاةً بِنِعْمٍ لَأَوْزَيْتَ نَارًا
ومعنى «استمتعِد المَرْخَ والعنار» ، أن كلَّ شجرٍ أخذ منه عُودان وحُكَّما ،
خَرَجَ منهما نارٌ ، ولكن تَقَرَّدَ بالمجد في هذا الشَّانِ للمَرْخِ والعنار . وقال
أبو القاسم على بن جلاب :

ولا تَحْسَبَنَّ كُلَّ عُودٍ يَرِي لك ما أنتَ مُورٍ من القَدَحِ نارًا
فما كلُّ وَحْشٍ يَرِي ضَيْقَ مَآ ولا كلُّ عُودٍ يُسَمَّى عَفَارًا

• • •

١٠٥ — وقوله : فما هذه البراءة ممن يتولاك ، والميلُ سَمْنُ
لا يميلُ عنك !

البراءة : مَصْدَرٌ مِنْ بَرَى مِنَ الدِّينِ وَالنَّبِيِّ ، يَبْرَأُ بَرَاءَةً .
ويتولاك ؛ فعلٌ مضارعٌ من تولاّه ، أى صار ولىّه ، والميلُ ضدُّ المدول .
وما أحسنَ قولَ على بن أحمد الجوهري :

وَأَقْسَمَ لَوْ رَوَيْتَ سَيْفَكَ مِنْ دِي لَأَوْرَقَ بِالْوُدِّ الصَّرِيحِ وَأَثْمَرَا
فَكَمْ مُدْبِرٍ بِالْوُدِّ تَلْقَاهُ مُقِيلًا وَكَمْ مُقِيلٍ بِالْوُدِّ تَلْقَاهُ مُدْبِرًا
وما أحسنَ قولَ السراجِ الرَّاقِ :

ومَهْفَهِ عَنِّي يَمِيلُ وَلَمْ يَمِيلْ يَوْمًا إِلَى ، فَصَحْتُ مِنْ أَلَمِ الْجَلْوَى :
لَمْ لَا تَمِيلُ إِلَيَّ يَا غُصْنَ النَّقَا فَأَجَابَ : كَيْفَ وَأَنْتِ مِنْ جِهَةِ اللَّهِوَى !
وقال آخر :

أَقُولُ لَهُ : عَلَامَ تَنْيِهِ عُجْبًا عَلَى ضَعْفِي وَلِي قَلْبٌ سَقِيمٌ ؟
فَقَالَ : تَقُولُ عَنِّي : فِيَّ مَيْلٌ فَقُلْتُ لَهُ : كَذَا تَقُلُ النَّاسُ

وقلتُ أنا في هذا المعنى ، وهو من قديم نظمى ^(١) :

كَلَامُ الْعِدا رِيحٌ إِذَا مَا سَمِعْتُهُ أَقُولُ : وَكَمَا تَمَعَ الرِّيحَ أَغْصَانُ

وقريبٌ من هذه المادّة قولِي أيضا :

أَقُولُ يَا غُصْنُ ، هَلَّا مِلْتُ نَحْوَ قَتِي فُؤَادُهُ طَارَ حَتَّى لَيْسَ يَأْلَقُهُ

فَقَالَ : مَنْ قَالَ قَدِّي مِثْلَ غُصْنٍ نَقَا قَلْتُ النَّسِيمَ الَّذِي مَازَالَ يَعْطِفُهُ

وقلتُ أيضا :

لَمَّا تَدَنَّنِي ثَمَلًا قَلْتُ لَا تَمِلْ فَبِهَذَا الثَّمِيلُ مَقْبُولُ

وَأَنْتَ تَدْرِي أَنَّ قَوْلَ الصَّبَا فِي حَرَكَاتِ الْغُصْنِ مَقْبُولُ

وقلتُ أيضا :

قَالَ لِي لَا تَفْهَمْ بِمَيْلِ قَوَامِي إِنْ تَدَنَّنِي وَاسْتَرْهَ خَوْفَ الْغُيُومِ

قَلْتُ قُلْ لِلصَّبَا الَّتِي قَدْ أَشَاعَتْ عَنْكَ هَذَا الْحَدِيثَ بَيْنَ الْغُصُونِ

١٠٦ - وقوله : وهلاّ كان هواك فيمن هواهُ فيك ، ورضاك

لَمَنْ رَضَاهُ لَكَ !

هلاّ كلمةٌ تحضيض . والهوى : مَيْلُ النَّفْسِ إِلَى الشَّيْءِ إِذَا كَانَ مَقْصُورًا .

والهواء ، ممدود : الرِّيحُ الَّتِي تَمُوجُ فِي الْبَحْرِ . وما أحسن قول أبي إسحاق :

إِذَا جَاسَتْ الرِّيحُ الْبَلِيلُ دِيَارَكُمْ وَصَحَتْ فُسُحُ الْمَازِحِ الْبَرَحَاءِ

فَكُلَّ هَوَاءٍ يَسْتَنْبِرُ الْجَوَى هَوًى وَكُلُّ هَوًى يَشْفِي النَّفْسَ هَوَاءَ

ومن السعادة والتوفيق أن يكون هوى الإنسان فيمن هواه فيه ، ورضاه

لَمَنْ رَضَاهُ لَهُ ، ومن الشقاوة والحِرمان عكس القضية .

(١) ط : ه من شعري القديم .

وقال الحجاج يوماً لرجل من الخوارج : والله إنني لأبغضكم ؛ فقال :
أدخل الله أشدنا بُغضنا لصاحبه الجنة . وقال :

لا تظلموا أن تهينونا ونكرمكم وأن تكف الأذى عنكم وتؤذونا
كلُّ له ربة في بُغض صاحبه بِنعمة الله تَقْلِبُكم وتَقْلُونَا
وقال الشريف الرضي :

يا قلبُ ليك حين لم تدع الهوى علفت مثل هواك من يهواك^(١)
لا بل شجيت بمن بيت مسلما خال الضلوع ولا يحسن شجاكا
يا ليت شئت بالاسى أعدائهم أولا ، فليت فراغهم أعداكا
أهوى وذلاً في الهوى وطاعة أبداً ، تمالي الله ما أشقاكا !

وقال شرف الدين شيخ الشيوخ بحماسة رحمه الله :

ومفرم قبح سلوانه حساء تهواه ويهواها
عاقبها مرتين نفا نقرها يميني فحلته وحلاها

قلت : الأول من الخلاوة ، أى ريقها حلوة ، والثاني من الخلى ، أى ومعه
عقيق أو مرجان أو ياقوت أحمر .

وقال أبو التتاهية :

الره ما لم تزره لك مُكرِمٌ فإذا أزدريت له تهون عليه
وكا يكون لذيك من عاشرته فكذلك فارض بأن تكون لديه

• • •

١٠٧ - وقوله :

يا من يعز علينا أن تفارقهم وجداننا كل شيء بعدكم عدم

هذا البيت من قصيدة^(١) لأبي الطيب أو لها :

واحرَّ قلباهُ من قلبه شومٌ ومن بحسني وحالي عنده سقمٌ
وكان سيفُ الدولة بنُ حمدانَ إذا تأخرت عنه مدائحُ أبي الطيب ،
شقَّ ذلك عليه وأقلَّته ، وأكثرَ معاتبته إذا حضر ، وتقدَّم إلى من يحضرته
بالتعريض بالمرءه ، وبخاطبته بما لا يحسن ، فكبر ذلك على أبي الطيب ،
وآلمة غاية الإيلام ، فأشده هذه القصيدة بحضرة من المرء والمجتم ،
وكان سبب الوحشة بينهما وفساد الحال . وبعد البيت الذي أورده
ابن زَيْدُون :

ما كان أخلقنا منكم بتكرمة لو أنَّ أمركم من أمرنا أممٌ
إن كان مرركم ما قال حاسدنا فما مجرح إذا أرضاكم ألمٌ
ومنها قوله :

يا أعدلَ الناسِ إلَّا في مُعاملتي

فيك الخصام وأنت الخصم والحكمُ
أعيذها نظراتٍ منك صادقة

أن تحسب الشَّعمَ فيمن شحمه ورَمَ
وما انتفاعُ أخِي الدنيا بساخره

إذا استوتت عنده الأنوارُ والظلمُ
ولم أورد هذه الأبيات إلَّا لأنها يليقُ بهذه الرسالة أن تُدرج في أمثالها ،
وتتخرط في سلكها .

وما أحسنُ ما أنشدَنيهِ لنفسهِ إجازةُ الشيخِ العلامةِ شهابِ الدِّينِ
أبو النَّشاءِ محمودِ صاحبِ ديوانِ الإنشاءِ بالشَّامِ :

قلِّ للَّذينَ رَجَونا والأُمُورُ لها
حُكْمٌ بَأَنّا سَنَحَقُّ أن نَرافِقَهُمُ

أَوْحَشْتُمونا وَعَزَّ الصَّابِرُ بِمَدِّكُمْ
يا مَنْ يَقَرُّ عَلَينا أن نُفارقَهُمُ !

* * *

١٠٨ - وقوله : أعيدك ونفسي أن أشم خلباً ، أو أمتطر
جهاًما .

شام البرق ، إذا رآ إلى سحابته أين تمطر .
والحلب : البرق الذي لا غيث معه كأنه خادع .
والجهاًم : السحاب الذي لاماء فيه .

وقد بشار بن بُردٍ على خالد بن برمك وهو بفارس ، فدحاه ، فوعده
ومطاه ، فوقف على طريقه يوماً وأخذ بلجام بقلته ، وأنشد في الحال :
أطلت علينا منك يوماً سحابةً أضاءت لنا برقاً ، وأبطلت رشاشها
فلا غوثها يُجلى فيميش طامعٌ ولا غيثها يهوى فيروى عطاشها
وقال المفيرة بن حبياء :

أراني إذا استمطرتُ منك سحابةً لثمطرتني عادت عجاجاً وصافياً
وأذائتُ دلوِي في دلاء كثيرةٍ فأبْنِ ملاء غير دلوِي كاهياً
وقال عمرو بن ميمون يكره :

لا تُهني بعد إكرامك لي فشديد عادةً مقتزعة
لا يَكُنْ برقك برقاً خلباً إن خير البرق ما القيث معه
وما أحسن قول الحسين بن الفضل : وقد تقدّم :

أنا في ذمة السحاب وأظمي ! إن هذا لوصية في السحاب (١)

وقال شَرْفُ الدِّينِ بنِ عَمِينَ :

يَا كَعْبَةَ الْفَضْلِ الَّتِي نَادَيْتُهُ بِالْحُجِّ أَفَدَمَنِي إِلَيْهَا مُحَرِّمًا
مَا كَانَ بَرَقُكَ خَلْبًا إِذْ شِئْتُهُ فَعَلَامَ بَيْتٍ وَقَدْ هَمَيْتُ أَشْكُو الظَّنَّ

وقال أَبُو الطَّائِبِ :

أَنْتَ الْحَبِيبُ وَلَسَكُنِّي أَعُوذُ بِهِ مِنْ أَنْ أَكُونَ مُحِبًّا غَيْرَ مُحَبَّوبٍ (١)

وقال ابنُ الْمَلَمِ رحمه الله :

وَلَقَدْ دَعَوْتُ فَسَكُنَ مُحِبًّا إِنِّي بِكَ عَائِدٌ مِنْ خَيْبَةِ الرَّدُودِ

وقال السَّراجُ الْوَرَّاقُ - وَمِنْ خُطَّةٍ نَقَلْتُ :

مَضَى النَّاسُ الَّذِينَ عَاهَدْتُ قَدَمًا وَقَدَمًا قِيلَ إِنَّ الدَّهْرَ قَلَبَ
فَلَا يَخْلُقُكَ بِشْرٌ مِنْ وَجْهِ فَكَمْ بَرَقَ بَرَقُكَ وَهُوَ خَلَبَ

وقال ابنُ خَيْثَمٍ :

رَأَمُوا الْمَوَدَّاتِ مِنْ أَعْدَى عَدَائِهِمْ وَذَلِكَ رَأَى إِلَى غَيْرِ الصَّوَابِ صَبَاً (٢)
وَفَارَقُوا عَارِضًا عَمَّتْ مَوَاطِرُهُ وَيَعْمُوا لَمَعَ بَرَقِي طَالَمَا كَذَبَا
كَطَارِدٍ إِبْلَهَ وَالْأَرْضُ مُحْصَبَةٌ يَبْغِي سِيَاخًا يَرْجَى الْفَيْتَ وَالْمُسْبَا

١٠٩ - وقوله : وأكرم غير مكرم ، وأشكوشكوى الجريح
إلى العقبان والرحم .

هذا عجز بيت لأبي الطيّب ، وصدره :

* ولا تشك إلى خلق فتشمتهم *

وهذا من قصيدته ^(١) التي أولها :

حَتَّامُ نَحْنُ نَسَارَى النَّجْمِ فِي الظُّلَمِ وَمَا سُرَاءُ عَلَى سَائٍ وَلَا قَدَمِ

قال أبو الطيّب هذه القصيدة عند قدومه من بغداد إلى الكوفة ،
ويذكر مسيره من مصر إلى العراق . وقبل البيت الذي أورد عجزه
ابن زيدون :

هَوْنٌ عَلَى مَنْظَرٍ مَاشَى مَنْظَرُهُ فَإِنَّمَا يَمَقَّطُ الْعَيْنَ كَالْحُلَمِ

وبعد :

وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ لِلنَّاسِ تَسْتَرْهُ وَلَا يَغُرَّكَ مِنْهُمْ تَفَرُّ مُبْتَسِمِ

غاض الوقاء فما تلقاه في أحدي وأعوز الصدق في الأخبار والقسم

وقوله : « وأكرم غير مكرم » هو مأخوذ من قول زهير بن أبي سلمى :

وَمَنْ يَمْتَرِبْ يَخْشِبْ عَدُوًّا صَدِيقَهُ وَمَنْ لَا يَكْرُمُ نَفْسَهُ لَا يُكْرَمِ

وهذا البيت من قصيدته المأمة ^(٢) ، وأولها :

أَمِنْ أُمَّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ بِحُومَانَةِ الدَّرَاجِ فَلَمْ تَمَلِّمْ

وفي هذه القصيدة أبيات حكم ، وهي :

ومن لم يُصانع في أمورٍ كثيرةٍ يُضرر من أنيابٍ ويوطأ بِمَنَسَمِ
ومن يك ذا فضلٍ فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويذمم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه يقره ومن لا يتق الشتم يُشتم
ومن لم لا يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ، ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن هاب أسباب الماكيا يفلته ولو رام أسباب السماء بسلم
ومن يفض أطراف الزجاج فإنه يطيع العوالي ركبت كل لهزم
ومن يوف لا يذمم ومن يفض قلبه إلى مطمئن البر لا يتجمجم

ومن يقترب بحسب عدوا صديقه البيت ، وبعده :

ومماتكن عند أمرى من خليفة وإن خالما تخفى على الناس تعلم
ومن لا يزك يستعمل الناس نفسه ولم يفتها يوماً من الدهر يُسأم

هذا الذى ظهر لى من قول ابن زيدون ، ويحتمل أنه أراد : كدتم
غير مكدم . الكدم : الغص ، والمكدم موضع الغص ؛ يضرب لمن يطلب
شيئاً في غير مطلبه .

١١٠ - وقوله : فما أبست بك إلا لتدر ، وحررت لك

الحوار إلا لتحن

الإبساس عند الحلب أن تقول للناقة الحلوب : «يس يس» وهو صوت
الرأعى يسكن به الناقة عند الحلب . وفاقه بسوس ، إذا كانت لا تدر
على الإبساس .

وقال أبو عبيدة: بَصَّتْ الإِبِلُ وَأَبْسَنْتُ ، كُتْنَان . وفي المثل :
 الإِبْسَاسُ قِبَلَ الإِبْسَاسِ . الإِبْسَاسُ مِنَ الْإِنْسِ وَهُوَ خِدُّ الْوَحْشَةِ ، وَالْإِبْسَاسُ
 الرِّفْقُ بِالْفَأَقَةِ عِنْدَ الْحَلْبِ ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ : بَسْ بَسْ ؛ قَالَ الشَّاعِرُ :
 وَلَقَدْ رَفَقْتُ فَمَا حَظِيَتْ بِطَائِلٍ لَا يَنْفَعُ الْإِبْسَاسُ بِالْإِبْسَاسِ
 تَدِرْ ، فَعَلَّ مُضَارِعٌ ، مِنْ دَرِّ اللَّبَنِ يُدِرْ .

والحوار : وَلَدَ الْفَأَقَةُ ، وَفِي الْمَثَلِ «حَرَكْ لَهَا حُورَاهَا تَحْنُ» ^(١) ، وَلَا يَزَالُ
 الْحُورُ حُورًا حَتَّى يَفْصَلَ عَنْ أُمِّهِ ، فَهُوَ فَصِيلٌ . وَهَذَا الْمَثَلُ قَالَهُ عَمْرُو بْنُ
 الْعَاصِ لِمَا وَبَّهَ حِينَ أَرَادَ أَنْ يَسْتَبْصِرَ بِأَهْلِ الشَّامِ . وَمَعْنَى الْمَثَلِ : ذَكَرَهُ
 بَعْضُ أَشْجَانِهِ يَهْجِيهَا ، وَقَالَ الْخَطِيبَةُ :

لَقَدْ مَرَّ بِكُمْ لَوْ أَنَّ دِرَّكُمْ يَوْمًا يَجِيءُ لَهَا مَسْحِي وَإِسَامِي ^(٢)
 لَمَا بَدَا لِي مِنْكُمْ عَيْبٌ أَنْفِسِكُمْ وَلَمْ يَكُنْ لِجِرَاحِي مِنْكُمْ آسِ
 أَرَمْتُ يَأْسًا مَرِيحًا مِنْ نَوَالِكُمْ وَلَنْ تَرَى طَارِدًا لِلْحُرِّ كَالْهَاسِ
 وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ أَبِي الْقَتَّاعِ الْبُسْتِي :

قَالَتْ وَقَدْ رَأَوْتُهَا عَنْ قِبَلِي تَشْفِي بِهَا قُلُوبًا كَثِيرًا مُقَرَّمَا
 قَدَّمَ يَدًا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُدْنِي يَدًا وَمِثْرَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ تُدْنِي قَدَمَا

(١) المبدائي ١: ١٩١

(٢) ديوانه ٥٢

١١١ - وقوله : وما نَبِّهْتُكَ إِلَّا لَأَنَامَ ، وما سَرَيْتُكَ إِلَّا
لأَحد السَّرَى إِلَيْكَ .

هذا فيه إشارة إلى المثل السائر ، وهو : « نَبَّهَ لَهَا عُمَرَأُ ثُمَّ نَمَ » .

وقال بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ في أبي عمرو العلاء :

إِذَا أَيْقَظْتِكَ حُرُوبُ الصِّدَا فَنَبَّهَ لَهَا عُمَرَأُ ثُمَّ نَمَ
فَتَى لَا يَنْبَغُ عَلَى غِرَّةٍ وَلَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا بِدَمٍ

وقال شَرَفُ الدِّينِ مُسْتَوْفَى إِرْبِيلَ :

إِذَا أَيْقَظْتِكَ صِعَابُ الْأُمُورِ فَنَبَّهَ عَلَيَّهَا لَهَا عُمَرَأُ
وَنَادَى بِهِ مُسْتَعْبِهَا يُجَبِّكَ فَتَى عَزَمَهُ كَالْيَمَانِ الذِّكْرُ

وما أَحْسَنَ قَوْلَ ابْنِ قَلَّاسٍ :

وَوَزِيرٌ تَمَلَّكَ غَدَاً وَزَرَأُ لَهَا وَسِوَاهُ وَزَرَأُ
يَقْظَانُ إِنْ نَهَبْتَهُ عُمَرَأُ ، أَوْ اسْتَنْجَذْتَ عُمَرَأُ

وَنَقَلْتُ مِنْ خَطِّ السَّرَّاجِ الْوَرَّاقِ :

سُيُوفٌ لَهَا نَاطِرٌ نَامَ عَنْ حَدِيدِي وَأَيْقَظِي اللَّأْلَمَ
كَانَ ابْنُ بُرْدٍ لَهُ قَائِلٌ فَنَبَّهَ لَهَا عُمَرَأُ ثُمَّ نَمَ

وقال ابن قَلَّاسٍ أَيْضاً :

وَإِخْدَمٌ بِتَقْبِيلِ الْبِساطِ لِمَنْ بَاتَ الزَّمَانُ لَهُ مِنَ الْخِدْمِ
وَاعْرَضَ عَلَيْهِ حَالُ خَادِمِهِ سَرّاً وَنَبَّهَهُ لَهَا وَنَمَ

وَعَكَّسَهُ فَقَالَ :

فَمَا اسْتَجَارَتْ بِمَمْرٍ وَحَالٍ مَظْلَمَةٍ بَلْ حِينَ جَاءَتْكَ سَقَى صَادَقَتْ عُمَرَأُ

وما أَحْسَنَ قَوْلَ مُجِيرِ الدِّينِ بْنِ تَمِيمٍ :

يَاطْلُبَا حَاجَةً قَدْ عَزَّ مَطْلَبُهَا وَفَعَلَهَا فِي مَهَادِي نَجْعِهَا عَسِيرُ
نَبَّهَ عَلَيْهَا أَبَا بَكْرٍ فَقَدْ قُضِيَتْ وَمَا عَلَيْكَ إِذَا لَمْ يَنْقُصِهِ عُمُورُ

وقول ابن شمس الخليفة يمدح العزيز عثمان :

صَبَرْتُ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ وَلَمْ أَزَلْ عَلَيْهِ أَخَا صَبْرٍ وَمِثْلِي مَنْ صَبَرَ
وَنَبَّهْتُ عَمَانًا لَدَفْعِ خَطُوبِهِ وَأَعْرَضْتُ عَنْ قَالَ نَبَّهَ لَهَا عُمَرُ
وقال أبو الطَّيِّب :

لَا أُسْتَرْ بِدُكِّ مَآفِيكَ مِنْ كَرَمٍ أَنَا الَّذِي نَامَ مَذْنَبُهُ يُقْظَانَا^(١)
فَإِنَّ مِثْلَكَ بَاهِيَتُ السِّكْرَامَ بِهِ وَرَدَّ سَخَطِي عَلَى الْإَيَّامِ رِضْوَانَا
وكتب الرشيد الفاروق إلى صاحب بهاء الدين :

وَقَائِلٍ قَالَ لِي نَبَّهَ لَهَا عُمَرَا فَقُلْتُ : إِنَّ عَلِيًّا قَدْ تَذَبَّهَ لِي
مَالِي إِذَا كُنْتُ مُحْتَاجًا إِلَى عُمَرٍ فِي حَاجَةٍ فَلَيْسَ حَسْبِي أَنْبِيَاءُهُ عَلَى
وقال الشاطعان صلاح الدين بن يوسف بن أبوت بخطه ، من إملاء
القاضي الفاضل عليه ، كتابا إلى أخيه لللك المادل أبي بكر :

عَظِيمَةٌ قِيلَ لِي نَبَّهَ لَهَا عُمَرَا فَقُلْتُ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ تَذَبَّهَ لِي
زَمَانُنَا عُمَرَى الْفَتْحِ لَا سِيمَا وَالَّذِينَ مِنْ سَيِّفِهِ قَدْ هَزَّ سَيْفَ عَلِيٍّ
وقال الخفاحي :

سَلَّاتُ مِنْهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ مَرَهَقَةٌ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ تَقْنَاهَا وَتَدَخَّرُ^(٢)
يَقْظَانُ مَا عَلِقَتْ بِالنَّوْمِ مَقْلَتُهُ وَلَا تَذَبَّهَ فِي حَرْبِ الْمَدَا عُمَرُ

(١) ديوانه ٤ : ٢٣٠ . (٢) ديوانه ٤٥ .

وقال شيخُ الشيوخ :

لولا تلافى الطيفِ أن يَسِرَا سَلَّتْ من جَفْنِي غَرَارَ السَّكْرَى
لَكُنْتِي أُمُتٌ من زَوْرَةٍ تَجْفِيْفَ أَجْفَانِي إِنْ زَوَّرَا
لولا سُرى طَيْفِكُمْ لم أَكُنْ أَحَدٌ من قَبْلِ الصُّبْحِ السُّرَى

وَأَشَدَّنِي لِنَفْسِهِ إِجَازَةً شَيْخُنَا الإِمَامُ شَهَابُ الدِّينِ أَبُو النُّنَاءِ مُحَمَّدٌ :
وَلَقَدْ حَدَّثَ بُيَا بَدِ صُبْحِ السُّرَى فَقَدَا وَرَاءَ الشَّوْقِ وَهُوَ إِمَامٌ
وَحَلَّتْ عَنْ أَنْضَاءِ عَزَمِي عِنْدَهُ فَظَهَرَ رَهْنٌ عَلَى الرِّجَالِ حَرَامٌ

وقوله : « وما سَرَبْتُ لَكَ لِأَحْمَدِ السُّرَى لَدَيْكَ » .

هذا أَثَلُ أَصْلُهُ من قول خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لَمَّا بَعَثَ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَهُوَ بِالْإِمَامَةِ أَنْ سَرَّ إِلَى الْعِرَاقِ فَأَرَادَ سُتُوكَ الْمَفَازَةَ . فَقَالَ لَهُ رَافِعُ
الطَّائِي : قَدْ سَدَّ كُنُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، هِيَ خَمْسٌ لِلْإِبِلِ الْوَارِدَةِ ، وَلَا أَطْنُكَ تَقْدِيرُ عَلَيْهَا
إِلَّا أَنْ تَحْمِلَ مِنَ الْمَاءِ . فَأَشْتَرَى مَائَةَ شَارِفٍ فَقَطَّطَهَا ، ثُمَّ سَقَاهَا الْمَاءَ حَتَّى رَوَيْتَ ،
ثُمَّ كَبَتَهَا وَكَسَمَ أَفْوَاهَهَا ، ثُمَّ سَلَكَ الْمَفَازَةَ ، حَتَّى إِذَا مَضَى يَوْمَانِ وَخَافَ
الْقَطْشَ عَلَى النَّاسِ وَالْحَيْلِ نَحَرَ الْإِبِلَ ، وَأَسْتَخْرَجَ الْمَاءَ مِمَّا فِي بَطُونِهَا فَشَرَبُوا ،
وَمَضَى . فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الرَّابِعَةِ قَالَ رَافِعٌ : انْظُرُوا هَلْ تَرَوْا سِدْرًا عَظَامًا ، فَإِنْ
رَأَيْتُمُوهَا وَإِلَّا فَهُوَ الْمَلَاكُ ، فَتَنْظُرُ النَّاسُ ، فَرَأَوْا السِّدْرَ ، فَأَخْبَرُوهُ ، فَكَبَّرَ
وَكَبَّرَ النَّاسُ ، ثُمَّ هَجَمُوا عَلَى الْمَاءِ ، فَقَالَ خَالِدٌ :

لِلَّهِ دَرٌّ رَافِعٌ أَنِّي أَهْتَدَيْ فَوَزَّ من قُرَاقِرٍ إِلَى سُورَى
خِمْسًا إِذَا سَارَ بِهِ الْجُنَيْشُ بَكِي مَا سَارَهَا من قَبْلِهِ إِنْ سَبَرَى
عِنْدَ الْعَمْبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى وَتَنْجَلِي عَنْهُمْ غِيَابَاتُ السَّكْرَى

وقال ابن قلاؤس :

حَدَّثَ الشَّرِيَّ مِنْ كَرَمٍ وَجَهَ صَبَاحَهُ مِنْ بَعْدِ ذِمِّ غَدُوِّهِ وَرَوَّاحِهِ
وَرَأَى النِّجَاحَ مُؤَمَّلًا الْخَفْتَهُ مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ فَيْكَ ظَلَّ جَبَّاحِهِ
وَمَا أَحْسَنَ مَا اسْتَعْمَلَ الْقَاضِيَ الْفَاضِلُ هَذَا الْكَلِمَةَ :

رَكِبْنَا رِياحًا مِنْ كَرَامٍ خَيْلِهِ نَوْمٌ سَحَابًا مِنْ سَمَاءِ سَمَاحِهِ
فَقُلْ لِلْيَالِ الْخَطْبُ : طُولِي أَوْ أَقْصَرِي
فَاتَا عَلَى طُولِ الشَّرِيَّ مِنْ صَبَاحِهِ

وقال ابن قلاؤس :

وَالِ أَحْمَدٍ حَدَّثَ الشَّرِيَّ حِينَ طَارَحَتْ الصَّبَا وَالشَّوَالَا
أَبَتْ أَلَمَالُ مِنْهُ رَاحَةً تُبْفِضُ الرِّيثَ وَتَهْوِي الْعَجَلَا
وَخَالَفَ الْفَاسَ ابْنَ سَنَاءِ الْمَلِكِ فَقَالَ :

أَنْتُ نَارٌ أَخَذَ لَا نَارَ الْفَرَى

وَحَدَّثَ صُبْحَ الْفَقْرِ لَا صُبْحَ الشَّرِيَّ

* * *

١١٢ - وقوله : وَإِنَّكَ مَتَى سَنَيْتَ عَقْدَ أَمْرِي تَيْسُرُ ، وَمَتَى

أَعَذَرْتَ فِي فَكِّ أَسْرِي لَمْ تَتَعَذَّرْ .

سَنَيْتَ بِمَعْنَى سَهَّلْتَ ، وَأَعَذَرْتَ بِمَعْنَى بَالَفْتَ فِي طَلَبِ الْعُذْرِ . لَمْ تَتَعَذَّرْ :

لَمْ يَكُنْ فِيهِ عُذْرٌ ، أَيْ لَا صُومُوبَةٌ .

وَأَصْلُ قَوْلِهِ : « سَنَيْتَ عَقْدَ أَمْرٍ » قَوْلُ بَشَّارِ بْنِ بُرْدٍ :

فَبِاللَّهِ إِنْ عَزَّ مَا تَبَيَّنَنِي وَقُلْ إِذَا اللَّهُ سَنَى عَقْدَ أَمْرٍ تَيْسُرَا

على أن هذا العجز وقع في كلام معاوية رضى الله عنه ، أعنى قوله :
 « إذا الله سنى عقد أمر تيسر » . وأخذه محمد بن شرف الدين
 للقيرواني فقال :

لا يؤيسنك من أمر تصعبه فالله قد يعقب التصعب تسهلاً
 كان أمير المؤمنين المأمون سنى الرأى في الحسين ^(١) انخلع لنادمته لحمد
 الخلع ، واختصاصه به ، فأخذت لذلك حاله ، وكان بينه وبين عمرو بن مسعدة
 حال ، فكتب الحسين إلى عمرو ^(٢) :

أنت طوذي من بين هذى الهضاب

وشبابي من دون كل شهاب
 أنت ركني وساعدي وحياتي واساني وأنت ظفري ونابي
 أنراي أنسى حقوق أياي لك وروحي من بعضها ونيابي
 أين عطف القريب في بلد العز بد جوداً على ذوى الآداب !
 أين أخلاقك الطريفة حالت عنك ، أم أين رقة الكتاب
 أنا في ذمة السحاب وأطى إن هذا لوصمة في السحاب
 حرمة سقفا السماء ودار حولة الأرض مرة الأرباب
 أنا فيها عبد الزمان ولو شد ت لكان الزمان عبد ركابي
 وقال عمارة اليماني :

أنت الزمان فمن ترفعه يقل ومن تخفض من القاس لم يرفع له علم
 ومن تفاقلت عنه فهو مطرح ومن نظرت إليه فهو مخشع
 وقال ابن المعلم :

فما ضاق صدر بات يرجوك قلبه

ولا راع من أضحيت بغيته الدهر

(١) ط : « الحسن » تحريف ، وهو الحسين بن الضحاك المعروف بالخلع .

(٢) ديوانه ٢٧ .

وقال راويه المتأني :

وفي راحتَيْكَ الْهَدَى وَالرَّدى وَكَلَمَاهَا وَوعُ مُخْتَارِهَا
وَأَفْضِيَّةُ اللَّهِ مَحْتَمُومَةٌ وَأَنْتَ مِنْفَعٌ أَفْـدَارُهَا

وبالغ أبو الملاء إذ قال :

ولو أَنَّ الرِّيحَ تَهَبُ غَرْبًا وَقَلَّتْ لَهَا هَلَا هَبَّتْ شَمَالًا^(١)
وَأَقْسَمَ لَوْ غَضِبْتَ عَلَى نَبِيرٍ لِأَزْمَعَ عَنْ مَحَلَّتِهِ أُنْتِقَالًا
وَأَنْتَ لَوْ تَمَلَّقْتَ الرِّزَايَا بِنَعْلِكَ مَاقِطُ مَنْ لَهَا قِبَالًا
وَمُرٌّ بِفِرَاقِ شَيْمَتِهَا الْإِيَالِي تُجَنِّبُكَ إِلَى إِرَادَتِكَ أُمْتِنَالًا
وبالغ أيضا في وصف ممدوحه فقال :

لَشَرَفَتْ الْمَعَانِي وَالْقَوَانِي بِكَفْظِكَ وَالْأَخْلَةَ وَالْخَلِيلَا^(٢)
إِذَا الْمَنُوكُ فَهَتْ بِهِ انْتِصَارًا لَهُ مِنْ غَيْرِهِ فَضَلَ الطَّوِيلَا

قلتُ : لأنَّ الْمَنُوكَ أَفْضَرُ الشَّجَرِ ، وَالطَّوِيلُ أَطْوَلُهُ ، إِذَا الْمَنُوكُ
إِذَا سَلِمَ مِنَ الزَّحَافِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ حَرْفًا ، لِأَنَّهُ مُرَكَّبٌ مِنْ « مُسْتَفْعِلِينَ
مُسْتَفْعِلِينَ » مَرَّتَيْنِ ، قَالَ :

* يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدَعٌ *

فَإِذَا لَحِقَهُ الْخَبَلُ ، وَهُوَ أَجْتَمَعَ الْخَلْبَنُ وَالطَّلَقُ كَانَ عَلَى عَشْرَةِ
أَحْرُفٍ ، كَقَوْلِهِ :

* أَغْضَبُوا فَرَحَلُوا *

وَأَمَّا الطَّوِيلُ فَإِذَا سَلِمَ مِنَ الزَّحَافِ ، وَكَانَ مَصْرُوعًا وَلَا عِلَّةَ ، كَانَتْ

حروفه ثمانية وأربعين ، لأنه مركب من أربعة أجزاء خماسية ، وهي : فقول
أربع مرّات ، وأربعة أجزاء سباعية ، وهي مفاعيلن أربع مرّات ، كقول
أمرى القيس بن حجر :

فَمَا تَبَكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ
يَسْقُطِ الْأَوَى بَيْنَ الْأَخُولِ فَحَوَّلَ (١)

* * *

١١٣ - وقوله : وَعَلِمْتُكَ مُحِيطٌ بِأَنَّ الْمَعْرُوفَ عَمْرُؤُ النَّعْمَةِ ،
وَالشَّافِعَةَ زَكَاةُ الْمُرُوءَةِ .

المعروفُ ضدُّ المنكر ، وهو اسمٌ جامعٌ لكلِّ خير .

ومن كلام الحكمة : يَنْذُلُ الْجَاهُ أَحَدُ الْمَالَيْنِ ، وَشَفَاعَةُ الْإِنْسَانِ أَفْضَلُ
زَكَاةِ الْإِنْسَانِ . وَيَنْذُلُ الْجَاهُ رِفْدَ الْمُسْتَغْنَيْنِ ، وَالشَّفِيعُ جَنَاحُ الطَّالِبِ ،
وَالشَّافِعَةُ أَمْرٌ مَدْدُوبٌ إِلَيْهِ ، نَظَقَ الْقُرْآنُ بِذَلِكَ ، وَجَاءَتْ عَلَيْهِ السُّنَّةُ ،
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ
شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا ﴾ (٢) .

وعن أبي موسى الأشعري قال : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَتَاهُ
طَالِبٌ حَاجِدٌ أَقْبَلَ عَلَى جُاسَائِهِ ، فَقَالَ : « اشْفَعُوا تُوجَرُوا وَيَقْضَى اللَّهُ عَلَى
إِنْسَانٍ نَبِيٍّ مَا أَحَبَّ » ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَفِي رَوَايَةٍ : « مَا شَاءَ » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قصة بُرَيْرَةَ وزوجها ، قال : قال
لها النبي صلى الله عليه وسلم : لو راجعتيه ! فقالت : يا رسول الله ، تأمرني ؟
قال : إنما أشفع ، قالت : لاحتاجة لي فيه .

وفي هذه الآية الكريمة سؤال ، وهو : ما الحكمة في قوله : « في
الشفاعة الحسنه نصيب » وفي الشفاعة السيئة كيف منها » فالجواب : أن
النصيب الحظ ، والكيف مشتق من قولك : كفلت البعير إذا رددت على
صنائه كساء ، وركبت عليه ، فأنت تستعمل جانباً من ظهره لأنك تحبى
صنم البعير بالكساء الذي وضعته عليه من الآفة دون باقي ظهره ، ويحبى
الراكب بدنه بذلك ، ومنه قيل للضامن : كفيل ؛ لأنه يعتمد عليه ، فكأن
الكفيل ذخيره أتى يعتمد عليها ، فجاء الكفيل في الشفاعة السيئة بهذا
اللفظ ؛ لأن الشافع قد أذخر ما يعتمد عليه في يوم القيامة . وهذا الكلام قد
خرج مخرج التهم ، كقوله تعالى : ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ^(١) .

والمقصود أن الشفاعة الحسنه لا شافع منها نصيب ، وشفاعة السيئة عقابها
عظيم ، ووزرها كبير ، فهي مغلظة الأمر بخلاف غيرها .

وقوله : المعروف ثمرة النعمة ؛ يشير إلى قول الخفاجي رحمه الله :

فَدَى لِمَنْ لَا يَزَالُ نَائِلُهُ تَخَلَّفَ جُودًا سَحَابُ الدِّيمِ ^(٢)

يَمْنَحُ حَتَّى تَدُومَ زِمَّتُهُ إِنَّ الْعَطَايَا تَمَامُ النِّعَمِ

وأما الشفاعة فحكى أن عبد الله بن خازجة أمتدح عبد الملك بن مروان

فأعطاه عشرة آلاف درهم ، وعشرة تخوت من الثياب وعشر قلائص
من الإبل ، وأقطعته ألف جريب ، وقال له : امض إلى زيد الكاتب يكتب
لك بها ، وأجرى له على ثلاثين عائلاً ، فأتى زيداً فقال : ائني غداً ، فتردد إليه ،
وكتب له شعراً ، فما أفادته شيئاً ، فأتى سفيان بن الأبرد الكلابي ، فكلّمه
سفيان ، فأبطأ عليه ، فماد إلى سفيان وقال له :

إذا بدأت أبا يحيى فأنت لها ولا تكن حين هاب الناس هيباً
واشفع فإنك أنف لم تكن ذنباً فإن من شفعا الناس أذنباً

فأتى سفيان إلى زيد الكاتب ، ولم يفارقه حتى قضى شغله . وقضية
الفرزدق والنّوار أمر أنه حين قال :

أما بدوه فلم تقبل شفاعتهم وشفعت بنت منظور بن زبانا^(١)
إس الشفيع الذي يأتيك مؤثراً مثل الشفيع الذي يأتيك عرياناً
مشهورة فلا فائدة في ذكرها .

وقال قيس :

ونبت ليلى أرسلت بشقاعة إلى ، قهلاً نفس ليلى شفيعها^(٢)
أأكرم من ليلى على فتبتني به الجاه ، أم كنت أمراً لا أطيعها
وقال شرف الدين بن عدي :

ومن عجب الأشياء أن شفاعةي لا بلج عسال التذني مهذب
ترجى لمن في وجهه ألف شافع خلائقي معسول النفايا مطاوع

يروم شفيماً من سواه جهالة
وقال ابن القيسراني رحمه الله تعالى :

ومستشفع بي إلى من يحبه
فكنت شفيماً له في الهوى
وما أظرف قول دِعْبِل الخزاعي :

جئنا به يشفع في حاجة
وما أظرف قول القائل :

خرجوا ليستقوا وقد نشأت
حتى إذا اصطفوا لأغوتهم
كشيف السحاب إجابة لهم
وقال القاضي أبو علي القنوجي :

خرجنا لندستقي بهمن دُعائه
فلما بدا يدعو تكشفت السما
ومن رسالة للاعجاز عما أتى فيها بالحكمة قوله : فكن شفيماً إلى أذنك
حتى تسمعها ، وشفيع أذنك إلى قلبك حتى يضمها ، وشفيع قلبك إلى نفسك
حتى تفعل بها .

حكى بعضهم قال : جئت يوماً ، فقلت : أذهب إلى صديق فلان ، فأنفذي
عنده ، فلما أتيت إلى داره وجدت أخته ، فقلت له : أين أبوك ؟ فقال :
أعطيني كسيرة حتى أقول لك أين هو ؟
وعلى ذكر الشفاعة ، فما أحسن قول الأرجاني يمدح للأسترشد بالله العباسي :

أَبْنِي شَفِيعَ الْقَطْرِ صَنَوِ أَيْ شَفِيعِ ح. الحشر لازِم عماد السُّود (١)
 مِنْ أَهْلِ بَيْتِ شَفَاعَتَيْنِ أَعَدَّتَا لِلْيَوْمِ وَاحِدَةً ، وَأُخْرَى لِلْفَدَى
 وَالنَّاسُ يَسْتَحْسِنُونَ قَوْلَ الْقَائِلِ :

وَإِذَا الْمَلِيحُ أَتَى بِذَنْبٍ وَاحِدٍ جَاءَتْ مُحَاسِنُهُ بِأَلْفِ شَفِيعٍ
 وَهَذَا إِذَا أُعْتَبِرَ وَجَدَ دَمًا ؛ لِأَنَّ مَلِيحًا يَأْتِي بِذَنْبٍ وَاحِدٍ وَيَحْتَاجُ فِي
 الْقَفْرِ عَنْ ذَلِكَ الذَّنْبِ إِلَى أَلْفِ شَفِيعٍ ، لَيْسَ بِمَدِيحٍ طَائِلٍ ، وَالْمَدْحُ الْوَاقِي أَنْ
 يَكُونَ الْمَلِيحُ إِذَا جَاءَ بِأَلْفِ ذَنْبٍ جَاءَ شَافِعٌ وَاحِدٌ مِنْ حَسَنِهِ ، فَمَحَا تِلْكَ
 الذُّنُوبَ الْمُتَعَدِّدَةَ ، وَالْأَصْلُ فِي هَذَا كَلَامُ الْقَائِلِ :
 مُسْتَقْبَلُ بِالَّذِي يَهْوَى وَإِنْ كَثُرَتْ مِنْهُ الذُّنُوبُ وَمَعْدُورٌ بِمَا صَنَعَا

فِي وَجْهِهِ شَافِعٌ يَمْحُو إِسَاءَتَهُ إِلَى الْقُلُوبِ وَجِيهٌ حَيْثُمَا شَفَعَا
 وَأَبُو فِرَاسٍ بْنُ خُذَّامٍ كَانَ أَحَدَ قَوْمٍ وَأَعْرَفَ بِالْفَزْلِ ، فَقَالَ :

أَسَاءَ فَرَادَتُهُ الْإِسَاءَةَ حُظُوءَةً حَبِيبٌ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ ، حَبِيبٌ (١)
 تَمَدَّدَ عَلَى الْوَاسِيَاتِ ذُنُوبَهُ وَمَنْ أَبْنَى لِلْوَجْهِ الْمَلِيحِ ذُنُوبًا !

وَقَالَ ابْنُ الْحَجَّاجِ :

وَكَلَّمَا رُمْتُ أَنْ أَقَابِلَهُ عَلَى تَمَادِيهِ تِمَهَا فِي تَعَدِّيهِ
 جَاءَتْ عَلَى غَفْلَةٍ مُحَاسِنُهُ تُلَازِمُنِي الصَّفْحَ عَنْ مَسَاوِيهِ

وَقَالَ عَتِيقُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْوَرَّاقِ التَّمِيمِيُّ الْمَقْرِنِيُّ :

كَلَّمَا أَذْنَبْتُ أَبْدَى وَجْهَهُ حُجَّةً قَهْوَةً مَلَى بِالْحُجَجِ
 كَيْفَ لَا يُفْرِطُ فِي إِجْرَامِهِ مَنْ مَتَى مَا شَاءَ مِنَ الذَّنْبِ خَرَجَ

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي قَنِينٍ :

أَشْكُو إِلَيْهِ عَصِيَّةَ جَنُونِهِ فَيَقُولُ مَتَى بِأَيْسَرِ الْخَطْبِ
 وَإِذَا فَظَرْتُ إِلَى مُحَاسِنِهِ أَخْرَجَتْهُ عُظْلًا مِنَ الذَّنْبِ

وقال أبو تمام :

عَفْتُ مُحَاسِنُهُ عِنْدِي إِسَاءَتَهُ

حَتَّى لَقَدْ حَسَنْتُ عِنْدِي مَسَاوِيَهُ (١)

وقال آخر :

لِي حَيْبٌ كَالطَّيِّبِ غَيْرٌ وَلَكِنْ بِمَذَابِي فِي الْحُبِّ مَا أَغْرَاهُ
وَإِذَا كَرَّرَ الذَّنُوبَ فَيَكْفِيهِ اعْتِذَاراً عَمَّا جَنَى ، أَنْ أَرَاهُ
وقال ابن المعتز :

وَمُسْتَبْصِرٌ فِي الْمُنْذَرِ مُسْتَعْجِلٌ الْقَلْبِ

بَعِيدٌ مِنَ الْمُتَعَبِ قَرِيبٌ مِنَ الرَّجْرِ (١)

له شافعٌ في القلب مع كل زلة وليس محتاج الذنوب إلى المنذر
ولما وقع ابن عمار في قبضة العميد بن عباد ، وقد سجن بشقورة ، كتب
أبن عمار إلى المأمون بن المعيد يسأله الشفاعة فيه عند أبيه بقصيدة أولها :

هَلَا سَأَلْتَ شَفَاعَةَ الْمَأْمُونِ أَوْ قَلْتَ مَا فِي نَفْسِهِ يَكْفِينِي

مَا ضَرَّ لَوْ تَبَيَّنَتْهُ بِحُجَّتِي يَسْرِي النَّسِيمُ بِهَا عَلَى دَارَيْنِ

مَالِي أَنْبَى نَاطِرًا لَمْ يَمُتْ عَنْ حَظِّيهِ مِنْ دُنْيَا وَلَا مِنْ دِينِ

بِيَدِي مِنَ الْمَأْمُونِ أَوْثَقُ عَصْمَةٍ لَوْ كَانَ أَمْرِي فِي يَدِ الْمَأْمُونِ

أَمْرِي إِلَى مَوْلَى إِلَيْهِ أَمْرُهُ وَكَفَاكَ مِنْ فَوْقِ كِفَاكَ وَدُونِ

حَيْثُ أَسْتَوَى الْخُصْمَانِ وَالْمَتَمَيَّا

عِزُّ الْقَنِيِّ بِذِلَّةِ الْمُسْكِينِ

ومنها :

ومنها يا فتى جرد لها عناية فارس
 بطل على حرب الولي أمين
 متقدم من جده بسكينة
 مستظهر من لفظ بكين
 وأقرن شفاعتك السكرية عنده
 بتواضع من عزه أو هون
 في سكتة من هيبه وسكينة
 ونصيحة من رحمة وحسين

* * *

١١٤ - وقوله : وَفَضِّلَ الْجَاهُ تَعَوُّدُ بِهِ صَدَقَهُ .

وَإِذَا امْرَأُ أَهْدَى إِلَيْكَ صَنِيمَةً

مِنْ جَاهِهِ فَكَأَنَّمَا مِنْ مَالِهِ

الفضل هنا : ما يزيد من قدر الحاجة .

والجاء : القدر والمنزلة وما يكون به الإنسان وجيها . وتعود به :

تعطف وتنعم .

وما أحسن قول سراج الدين عمر بن محمد الوراق المصري ، نقلته من خطه :

مَرَضْتُ .. لِلَّهِ قَوْمٌ مَا فِيهِمْ مَن جَفَانِي
 عَادُوا وَعَادُوا وَعَادُوا عَلَى اخْتِلَافِ أَلْمَانِي

الأول من عيادة المريض ، والثاني من العود ، وهو الرجوع ، والثالث

من مادة هذا القول .

وفي الأدعية المأثورة : اللَّهُمَّ عُدْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلِكَ .

قال أبو عبد الله بن حمدون النديم : لقد رأيتُ الملوك في مقاصيرها
 ومجامع حفلها ، فما رأيتُ أغزر أدبا من الوراق ، خرج علينا ذات يوم وهو
 يقول : لعمري لقد عرض عرضه من عرضه ، لِقَوْلِ الْخَزَاعِيِّ - يعني دعبلا :

خَلِيٍّ مَاذَا أُرْتَجَى مِنْ هَـ — وَى أَمْرِي

طَوَى الْكَشْحَ عَنِ الْيَوْمِ وَهُوَ مَكِينٌ^(١)

وَإِنَّ أَمْرًا قَدْ ضَنَّ عَنِّي يَمْنُطُ — ق

يَسُدُّ بِهِ مِنْ خُلَّتِي لَضْفِينُ

فَانْبَرَى أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دَوَادٍ بِسَأَلِهِ — كَأَنَّمَا أَنْشِطَ مِنْ عِقَالٍ — فِي رَجُلٍ
مِنْ أَهْلِ الْبَيْمَةِ ، وَأَطْنَبَ وَأَسْهَبَ ، وَذَهَبَ بِهِ الْقَوْلُ كُلُّ مَذْهَبَ ، فَقَالَ
الْوَائِقُ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، لَقَدْ أَكْثَرْتَ فِي غَيْرِ كَثِيرٍ وَلَا طَائِبَ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّهُ صَدِيقِي :

وَأَهْوَنُ مَا يُعْصِي الصَّدِيقُ صَدِيقَهُ مِنْ الْهَيْئِ الْمَوْجُودِ أَنْ يَتَكَلَّمَ

فَقَالَ : وَمَا قَدَّرَ الْبَيْمِيُّ أَنْ يَكُونَ صَدِيقَكَ ! وَإِنَّمَا أَحْسَبُهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ عَرْضِ
مَعَارِفِكَ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّهُ شَهَرَنِي بِالْأَسْتِشْفَاعِ إِلَيْكَ ، وَجَعَلَنِي
بِمِرْأَى وَمَسْمَعٍ مِنَ الرَّدِّ وَالْإِصْفَاءِ ، فَإِنْ لَمْ أَقُمْ لَهُ فِي هَذَا الْمَقَامِ كُنْتُ كَمَا قَالَ
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ... وَأَنْشَدَ الْبَيْهَقِيُّ . فَقَالَ الْوَائِقُ : بِاللَّهِ يَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، إِلَّا
مَا عَجَبَاتٍ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ حَاجَتَهُ لَيْسَ مِنْ هُجْنَةِ الْمُطَّلِ كَمَا سَلِمَ مِنْ هُجْنَةِ الرَّدِّ !
قُلْتُ : وَابْنُ أَبِي دَوَادٍ الْقَاضِي لَهُ مَقَامَاتٌ مَشْهُورَةٌ مَعْرُوفَةٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ
بِأَيَّامِ النَّاسِ وَتَرَا جِهَهُمْ ، قَامَهَا عِنْدَ الْمُتَقَصِّمِ وَالْوَائِقِ ، فِي غَيْرِ وَاحِدٍ ، مِنْهَا خِلَاصُ
أَبِي دُلْفِ الْعِجْلِيِّ مِنَ الْأَفْشِينَ وَقَدْ قَدَّمَهُ لَضَرْبِ الْمُتَّقِ ، وَمِنْهَا : أَنَّهُ لَمَّا وَقَعَ
الْحَرِيقُ بِالْكَرْخِ اسْتَطَلَقَ لَهُمْ مِنَ الْخَلِيفَةِ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ .

وَقَوْلُ ابْنِ زَيْدُونَ :

وَإِذَا أَمْرُؤُا أَسَدَىٰ إِلَيْكَ صَنِيمَةً مِنْ جَاهِدٍ فَسَكُنْهَا مِنْ مَالِهِ ^(١)
 هَذَا الْبَيْتُ مِنْ جُمْلَةِ آيَاتِ كَتَبَ بِهَا أَبُو نَمَامٍ الطَّائِيُّ لِإِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي
 رَبِيعٍ كَانَتْ أَبِي دُلْفَ ، أَوْلَاهَا :

إِنَّ الْأَمِيرَ بَلَاكَ فِي أَحْوَالِهِ فَرَآكَ أَنْزَعَهُمْ غَدَاةَ نِضَالِهِ

وَقَدْ عَكَسَ الْبَيْتَ الَّذِي أَوَّلَهُ : « وَإِذَا أَمْرُؤُا » فَقَالَ أَيْضًا :
 وَإِنْ أَمْرَأً ضَدَّتْ يَدَاهُ عَلَى أَمْرِي بِذَيْلٍ غَيَّ مِنْ غَيْرِهِ لَبْخِيلٍ

* * *

١١٥ - وَقَوْلُهُ : لَعَلِّي أَنْ أُلْقِيَ عَصَائِي بِذِرَاكِ ، وَيَسْتَقَرُّ
 النَّوَى فِي ظِلِّكَ .

الَّذِي بِالْفَتْحِ : كَمَا اسْتَمَرَّتْ بِهِ ، يُقَالُ : أَنَا فِي ظِلِّ فُلَانٍ وَذِرَاهُ ، أَيْ
 فِي كَنَفِهِ وَسِتْرِهِ وَدِفْئِهِ .

وَالنَّوَى : الْوَجْهُ الَّذِي يَقْصِدُهُ الْمَسَافِرُ ، وَيَنْوِي بِهِ مِنْ قُرْبٍ أَوْ بُعْدٍ ، وَهِيَ
 مُؤَنَّثَةٌ ، تَقُولُ : اسْتَقَرَّتْ بِهِ النَّوَى ، وَقَدْ حَلَّ فِي هَاتَيْنِ السَّجْمَتَيْنِ قَوْلُ الْمَعْرِ بْنِ
 أَوْسٍ بْنِ حَمَارٍ الْبَارِقِيِّ ، حَلِيفِ بْنِ نُمَيْرٍ :

فَأَلَقْتُ عَصَاهَا وَأَسْتَمَرَّتْ بِهَا النَّوَى

كَأَنَّ قُرْ عَيْنَنَا بِالْإِيَابِ الْمُسَافِرِ ^(٢)

وَقَبْلَ هَذَا الْبَيْتِ :

وَحَلَّتْ سُلَيْمَى فِي هِضَابٍ وَأَيْكَةٍ فَلَيْسَ عَلَيْهَا يَوْمَ ذَلِكَ قَادِرُ

وَالْقَرَبَ تَسْكُنِي عَنِ الْأُسْتِقْرَارِ وَالسَّكُونِ بِإِلْقَاءِ الْعَصَا ، لَأَنَّ الْمُسَافِرَ
إِذَا أَلْقَى عَصَاهُ عَنْ كَتِفِهِ ، فَقَدْ قَرَّرَ قَرَارَهُ ، وَسَكَتَ حَرَكَتَهُ ، وَلِهَذَا قَالَ
أَبُو تَمَّامٍ الطَّائِي :

كَرِيمٌ إِذَا أَلْقَى عَصَاهُ نَحِيًّا

بِأَرْضٍ فَقَدْ أَلْقَى بِهَا رَحْلَهُ الْبَجْدُ (١)

وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : مَا يُقَرِّعُنِي مَا أُوتِيتُ مِنْ أَمْرِ الْخِلَافَةِ حَتَّى
أَشْتَرِيَ سَلَامَةً جَارِيَةً مُصْعَبُ بْنُ سُهَيْلِ الزَّهْرِيِّ ، وَحَبَابَةٌ جَارِيَةٌ الْلاحِقِ
الْمَكِّيَّةِ ، فَاشْتَرَيْتَآ لَهُ ، فَلَمَّا اجْتَمَعَتَا عِنْدَهُ قَالَ : الْآنَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

فَالَقْتُ عَصَاهَا وَأُسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى . . الْبَيْت .

نَمْ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ : مَنْ شَاءَ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا فَلْيَلْقَ .

وَيُحْكِي أَنَّهُ لَمَّا بُويعَ لِأَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ قَامَ خَطِيبًا ، فَسَقَطَ الْقُضَيْبُ مِنْ
يَدِهِ ، فَتَطَيَّرَ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَأَخَذَ الْقُضَيْبَ وَمَسَحَهُ ، وَدَفَعَهُ
إِلَيْهِ ، وَأَنْشَدَ :

* فَالَقْتُ عَصَاهَا وَأُسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى . . . *

وَقِيلَ : إِنَّ قُتَيْبَةَ بْنَ مَسْلَمٍ خَطَبَ عَلَى الْمِنْبَرِ فِي خُرَاسَانَ أَوَّلَ قُدُومِهِ إِلَيْهَا
وَالْيَا ، فَسَقَطَتِ الْعَصَا مِنْ يَدِهِ فَتَطَيَّرَ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَامَ بَعْضُ الْأَعْرَابِ فَمَسَحَهَا
وَنَاقَلَهُ إِبَائَهَا ، وَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، لَيْسَ كَمَا ظَنَّ الْمَدُودُ وَسَاءَ الصَّدِيقُ ، وَلَكِنَّهُ
كَأَنَّ الشَّاعِرَ :

فَأَلَقَتْ عَصَاهَا وَأَسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى . . . الْبَيْت .
فُسِّرَى عَنْهُ مَا وَجَدَهُ ، وَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسَةِ آلَافٍ دِرْهَم .

وَمِثْلُ هَذَا مَا حَدَّثَنِي أَنَّ طَاهَرَ بْنَ الْحُسَيْنِ لَمَّا خَرَجَ لِقِتَالِ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى
ابْنِ مَاهَانَ ، وَفِي كُمَّه دَرَاهِمُ يُفَرَّقُهَا عَلَى الضُّعَفَاءِ ، فَسَهَا أَنَهَا فِي كُمَّه ، فَأَسْبَلَ
كُمَّه ، فَتَبَدَّدَتِ الدَّرَاهِمُ ، فَتَطَيَّرَ مِنْ ذَلِكَ ، فَأَنْشَدَ شَاعِرٌ كَانَ مَعَهُ :

هَذَا تَفَرَّقَ جَمْعُهُمْ لَا غَيْرَهُ وَذَهَابَهَا مِنْهُ ذَهَابُ الْبَهْمِ
شَيْءٌ يَكُونُ الْبَهْمُ نِصْفَ حُرُوفِهِ لَا خَيْرَ فِي إِسْكَانِهِ فِي الْكُمِ
وَدَخَلَ أَبُو الشَّيْمَقِ عَلَى خَالِدِ بْنِ مَرْزِدِ الشَّيْبَانِيِّ ، وَقَدْ قَلَّده الْمَأْمُونُ
الْمَوْصِلَ ، فَلَمَّا دَخَلَهَا انْدَقَ مِنْهُ اللَّوَاءُ فِي بَعْضِ أَبْوَابِهَا ، فَتَطَيَّرَ خَالِدٌ مِنْ ذَلِكَ
فَقَالَ أَبُو الشَّيْمَقِ :

مَا كَانَ مُنْدَقَ اللَّوَاءِ لِطَيْرَةٍ تَخْشَى وَلَا سُوءَ يَكُونُ مُجْجَلًا
لَسَكَنَ هَذَا الرُّمَحَ أَضْعَفَ مَتْنِهِ صَخَرِ الْوَلَايَةِ فَاسْتَقْلَ الْمَوْصِلَا
فُسِّرَى عَنْهُ مَا كَانَ وَجَدَهُ .

وَكَتَبَ صَاحِبُ الْبَرِيدِ بِذَلِكَ إِلَى الْمَأْمُونِ فَزَادَهُ دِيَارَ رَيْبِهِ ، فَأَعْطَى خَالِدَ
أَبَا الشَّيْمَقِ عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَم .

وَقَالَ خَطِيرُ الدَّوْلَةِ الْحُسَيْنِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْكَاتِبُ :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَقُولَنَّ مَرَّةً وَقَدْ سَكَنْتُ نَمَّا أَجِنُ الضَّمَاثُ
وَمَا بِي إِلَى بَابِ الْحَجَبِ حَاجَةً وَلَا لِي عَمَّا يَعْفِظُ الْمَرْضَى زَاجِرُ
فَأَلَقْتُ عَصَاهَا وَأَسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْمًا بِالْإِيَابِ الْمُسَافِرُ

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْبَاخِرَزِيِّ فِي ضِدِّ ذَلِكَ :

حَمَلُ الْمَهْصَا لِلْمُبْتَلَى بِالشَّيْبِ عُنْ ——— وَأَنْ الْبَلَى

وَصِفَ الْمُسَافِرُ أَنَّهُ أَلْقَى الْعَصَا كَيْ يَنْزِلَا
فَعَلَى الْقِيَاسِ سَبِيلُ مَنْ حَمَلَ الْعَصَا أَنْ يَرْحَلَا

وقال شيخ الشيوخ عبد العزيز الأنصاري :

تَرَامَتْ بِهَا آمَالُهَا كُلُّ مُرْتَمَى طَوَى مِنْ بَسِيطَاتِ الْمَالِكِ مَا طَوَى
وَأَفْضَى بِهَا الْمَسْرَى إِلَى عَتَبَاتِهِ فَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى

وقال شرف الدين بن عنين :

وَلَمَّا اسْتَقَرَّتْ فِي ذَرَاهِ بِنَى النَّوَى
وَأَلْقَتْ عَصَاهَا بَيْنَ مُزْدَحَمِ الْوَفْدِ
تَنْصَلُ دَهْرِي وَأَسْتَرَاخَتْ مِنَ الْوَجَى (١)
قَلَوِي وَنَامَتْ مُقَلَّتِي وَعَلَا جَدِّي

وقال عمارة اليماني :

إِنَّ الْكَفَالَةَ وَالْوَزَارَةَ لَمْ تَزَلْ يُؤَيِّ إِلَيْكَ بِفِعْلِهَا وَيُشَارُ
كَانَتْ مُسَافَرَةً إِلَيْكَ وَتَبْعُدُ أَخْطَارُ مَا لَمْ تُرَكَّبِ الْأَخْطَارُ
حَتَّى إِذَا نَزَلْتُ عَلَيْكَ وَشَاهَدْتُ مَلِكًا يَرِينُ الْمُلُوكَ مِنْهُ حَوَارُ
أَلْقَتْ عَصَاهَا فِي ذَرَاهُ وَهَرَبَتْ عَنْهَا الشُّرُوجُ وَخُطَّتِ الْأَكْوَارُ

وقال ابن صردر :

عَلَى رِسْلِكُمْ فِي الْهَجْرِ إِنَّا عِصَابَةٌ
إِذَا ظَفَرَتْ بِالْحَبِّ عَفَّ ضَمِيرُهَا
سِوَا عَلَى الْمُشْتَقِ وَالْهَجْرِ حَظُّهُ أَلْقَتْ عَصَاهَا أَوْ أَجَدَّ بُكُورُهَا

(١) م : « النوى » .

(٢) ط : « يرى » تحريف .

وقال أيضا:

أَقَتَ فِي نَمَاءٍ مَطْمَئِنَةٍ تَحْكُمُ الْفَوَادَ فِي إِطْرَافِهِ
أَلَقَتْ عَصَاهَا وَأَرْتَمَتْ رِكَابَهَا فِي سُرَرِ الْوَادِي وَفِي شِمَائِلِهِ
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْقَائِلِ :

إِذَا لَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ عِنْدَ قَدُومِهِ مَحْيَاكَ مِثْلَ الْبَذْرِ وَالْبَدْرِ سَاقِرُ
فَأَقْسَمْتُ مَا أَلَقْتُ عَصَاهَا يَدُ النَّوَى
وَلَا قَرَّ عَيْنًا بِالْإِيَابِ الْمُسَافِرُ

حَدَّثَ أَبُو الْحَلَمِ عَوْفُ بْنُ الْحَلَمِ قَالَ : كَانَتْ لِي وَفَادَةٌ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
طَاهِرٍ إِلَى خِرَاسَانَ ، فَصَادَفْتُهُ يَرِيدُ الْحَجَّ ، فَمَادَلْتُهُ فِي الْعَمَارِيَةِ مِنْ مَرَوْ إِلَى
الرَّيِّ ، فَلَمَّا قَارَبْنَا الرَّيَّ ، سَمِعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ وَرَشَانًا ^(١) فِي بَمِضِ الْأَغْصَانِ
يَبْصِيحُ ، فَأَنْشَدَ يَقُولُ مِثْمَلًا :

أَلَا يَا حَمَامَ الْأَيْكِ إِلَيْكَ حَاضِرٌ وَغُصْنُكَ مَيَّادٌ فَنَيْمٌ تَنْوُحُ ^(٢) !
أَفِيقِي لَا تَنْخُ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ فَإِنِّي بَكَيتُ زَمَانًا وَالْفَوَادُ صَحِيحُ
وَلَوْعًا فَشَطَّتْ غُرْبَةً دَارُ زَيْدٍ فَهَا أَنَا أَبْكِ وَالْفَوَادُ جَرِيحُ

ثُمَّ قَالَ : يَا عَوْفُ ، أَجِزْ هَذَا ؛ فَقُلْتُ فِي الْحَالِ :

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ غُرْبَةً وَزَوْحُ أَمَّا لِلنَّوَى مِنْ وَنْيَةٍ فَتَرْيُحُ
لَقَدْ طَلَعَ الْبَيْنُ الْمُسْتُرُ كَانِي فَهَلْ أَرَيْنَ الْبَيْنَ وَهُوَ طَلِيحُ
وَأَرَقَنِي بِالرَّيِّ نَوْحُ حَمَامَةٍ
فَنُخْتُ وَذُو الشَّجْوِ الْقَدِيمِ يَنْوُحُ

(١) الورشان : طائر أصفر من الحمام ، وهو المعروف بساق حر .

(٢) أمال الغال ١ : ١٣٣ .

على أنها ناحت ولم تذر دَمَّة
 ونُحْتُ وأَسْرَابُ الدُّمُوعِ سُفُوحُ
 وناحت وفرخاها بحيثُ تراها
 ومن دون أفرأخي مَهَامِهِ فِيحُ
 عَسَى جُودُ عَبْدِ اللَّهِ أَنْ يُعْقِبَ النَّوَى
 فَيُلْقِي عَصَا التَّسْيِيرِ وَهِيَ طَرِيحُ
 فَإِنَّ الْفَتَى يُدْنِي الْفَتَى مِنْ صَدِيقِهِ
 وَعُدْمُ الْفَتَى بِالْمُقْتَرِينَ نَزُوحُ

قال : فأخرج رأسه من الأُمَارِيَّة ، وقال للسائق : أَلْتِيَ الزَّيْمَامُ ، فألقاه .
 فَوَقَّفَ وَوَقَّفَ الْحَاجَّ ، ثُمَّ دَعَا صَاحِبَ بَيْتِ الْمَالِ فَقَالَ لَهُ : كَمْ يَضُمُّ مُلْكُنَا ؟
 فَقَالَ : سِتِّينَ أَلْفَ دِينَارٍ . قَالَ ادْفَعْهَا إِلَى عَوْفٍ . ثُمَّ قَالَ : يَا عَوْفُ ، لَقَدْ أَلْقَيْتَ
 عَصَا تَطَوُّافِكَ فَأَرْجِعْ مِنْ حَيْثُ جِئْتَ . قَالَ : فَأَقْبَلَ حَاصَّةً عَبْدُ اللَّهِ يَلُومُونَهُ
 وَيَقُولُونَ : أَتُجِيزُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ شَاعِرًا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَكَانِ بِسِتِّينَ أَلْفَ دِينَارٍ ،
 وَلَا تَمْلِكُ سِوَاهَا ! فَقَالَ : إِلَيْكُمْ عَنِّي ، فَإِنِّي اسْتَحْيَيْتُ مِنَ الْكَرَمِ أَنْ يَسِيرَ
 بِي جَمَلِي ، وَعَوْفٌ يَقُولُ : « عَسَى جُودُ عَبْدِ اللَّهِ » ، وَفِي مُلْكِي شَيْءٌ لَا يَنْفَرِدُ
 بِهِ . وَرَجَعَ عَوْفٌ إِلَى وَطَنِهِ ، فَسُئِلَ عَنْ حَالِهِ ، فَقَالَ : رَجَعْتُ مِنْ عَمْدٍ عَبْدُ اللَّهِ
 بِالْفَنَى وَالرَّاحَةِ مِنَ النَّوَى ^(١) .

قال الإمامُ فخر الدين الرازي في كتاب « مَنَاقِبِ الشَّافِعِيِّ » رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُ : رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّائِبِيُّ ، عَنْ الرَّبِيعِ ، قَالَ : كَانَ الشَّافِعِيُّ جَالِسًا
 يَوْمًا بَيْنَ يَدَيِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَيْهِ فَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ه
 إِنِّي رَجُلٌ أَيْمِعُ الْقُمْرِيَّ . وَإِنِّي بَمَتٍ يَوْمًا قُمْرِيًّا ، فَبِمَدِّ زَمَانٍ أَتَانِي صَاحِبُ

الْقَمَرِيَّ ، فَقَالَ : إِنَّ قَمَرِيَّكَ هَذَا لَا يَصِيحُ ؛ فَتَشَاجَرْنَا فَفُخِّلْتُ بِالطَّلَاقِ أَنَّ
 قَمَرِيَّ مَا يَهْدُ مِنْ الصَّبَاحِ . فَقَالَ مَالِكُ : طَلَّقْتَ أَمْرَأَتَكَ . فَقَامَ الرَّجُلُ حَزِينًا .
 فَتَنَامَ الشَّافِعِيُّ إِلَيْهِ - وَهُوَ يَوْمُئِذٍ ابْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَنَةً - وَقَالَ السَّائِلُ : أَصِيحُ
 قَمَرِيَّكَ أَكْثَرَ أَمْ سُكُوتُهُ ؟ فَقَالَ السَّائِلُ : بَلْ صِيَاحُهُ ، قَالَ الشَّافِعِيُّ : امْضِ ،
 فَإِنَّ زَوْجَتَكَ مَا طَلَّقَتْ . ثُمَّ رَجَعَ الشَّافِعِيُّ إِلَى الْحَلْقَةِ ، فَمَادَ السَّائِلُ إِلَى مَالِكِ
 وَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، تَفَكَّرْتُ فِي وَاقِعِي لِنَسْتَحِقَّ الثَّوَابَ ! فَقَالَ مَالِكُ :
 الْجَوَابُ مَا تَقْدُم . قَالَ : فَإِنَّ عِنْدَكَ مِنْ قَالَ : إِنَّ الطَّلَاقَ غَيْرُ وَاقِعٍ . فَقَالَ
 مَالِكُ : مَنْ هُوَ ؟ قَالَ السَّائِلُ : هُوَ هَذَا الْغُلَامُ - وَأَوْحَى إِلَى الشَّافِعِيِّ - فَغَضِبَ
 مَالِكُ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : مَنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا الْجَوَابُ ؟ فَقَالَ الشَّافِعِيُّ : إِنِّي سَأَلْتُهُ :
 أَصِيَاحُهُ أَكْثَرَ أَمْ سُكُوتُهُ ؟ فَقَالَ : إِنَّ صِيَاحَهُ أَكْثَرُ ، فَقَالَ مَالِكُ : وَهَذَا الدَّلِيلُ
 أَفْوَاحٌ ، وَأَيُّ تَأْثِيرٍ لِكَثْرَةِ صِيَاحِهِ وَقَلَّةِ سُكُوتِهِ فِي هَذَا الْبَابِ ! فَقَالَ الشَّافِعِيُّ :
 إِنَّكَ حَدَّثْتَنِي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ
 فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ ، أَنَّهَا أَنْتِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ،
 إِنَّ أَبَا جَهْمٍ وَمَعَاوِيَةَ خَطَبَانِي ، فَبَيَّيْتُ مَا أَنْزَلَ نَزْجٌ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
 «أَمَّا مَعَاوِيَةُ فَضُوءُ لَوْكٍ ، وَأَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلَا يَضَعُ الْقَصَاصَ عَنْ عَائِشَةَ» ، وَقَدْ عَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ أَبَا جَهْمٍ كَانَ يَأْكُلُ وَيَنَامُ وَيَسْتَرْجِحُ . فَعَلِمْنَا أَنَّهُ
 عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرَادَ بِقَوْلِهِ : «لَا يَضَعُ الْقَصَاصَ عَنْ عَائِشَةَ» ، عَلَى تَفْسِيرٍ أَنَّهُ الْأَغْلَبُ
 مِنْ أَحْوَالِهِ ذَلِكَ . فَلَمَّا سَمِعَ مَالِكٌ تَمْجِيبَ مِنَ الشَّافِعِيِّ ، وَلَمْ يَقْدَحْ فِي
 قَوْلِهِ الْبَيِّنَةِ .

١١٦ - وقوله : وأستأنف التأدب بأدبك ، والاحتمال
على مذهبك .

استأنف : استغفل ، من الاستئناف ، وهو الأبداء . والتأدب : تقبل ،
من الأدب ، والأدب أدبُ النفس وأدبُ الدرس ، فالأدب انصاف النفس
بكل خلق جميل ، وقد أدب الرجل بضم الدال فهو أديب ، وأدبته
فتأدب .

وقال ابن المترى : الأدب صورة العقل ، فحسن عقلك كيف شئت .

وقال أبو المتاهية :

ولم أرَ فضلاً ثمَّ إلاَّ بشيمةٍ ولم أرَ عقلاً ثمَّ إلاَّ على أدبٍ

وقوله : « وأستأنف التأدب بأدبك » ، يعني أتوب عما كنت مُرتكبته
من الطريق الأولى ، فأرجع عنها ، وأخذ الآن بأدبك ، وأسألك طريقك ،
وأخذوا حذوك . وما أحسن قول الأول :

إن تُنهي فيهامةٍ وطني أو تُنجدي يكن الهوى نجدُ

وقول الآخر :

فإن قدعي نجداً ندته ومن به وإن نسكني نجداً فيأعبدا نجدُ

وقول يزيد بن معاوية :

فإن تسلمي نسلم وإن تلتصري يحطُّ رجالٌ بين أعينهم صلبنا

وقال ابن اللهم :

أتخيمون على الحجاز فيفتدي أم عائدون إلى الحمى فنمود

نَهَى لِأَجْلِكُمُ الْحَجِيجَ وَمَا بَيْنَا لَوْلَا كُمْ نُسُكٌ وَلَا تَزْهَيْدٌ
وَيَشَوْقُنَا أَرْجُ الْحِجَازِ وَذِكْرُهُ الدَّاءُ فِي وَمَرْتَبِعِ الْحِجَازِ بَعِيدٌ
وقوله : « والأحتمال على مذهبك » . يعني : ألزِمَ نَفْسِي بِاتِّبَاعِكَ ،
وَالْأَخْذَ بِمَذْهَبِكَ تَقْلِيدًا ، وَلَا أَنْظُرُ فِي تَعْلِيلِ مَا تَأْتِيهِ وَمَا تَذَرُهُ .

وما أحسن قول الأول :

فَلَوْ قُلْتُ طَأً فِي الْفَارِ أَعْلَمُ أَنَّهُ رِضَا لَكَ أَوْ مَدَنٍ لِنَامِنٍ وَصَالِكٍ ^(١)
لَقَدْ مَتُّ رِجْلِي نَحْوَهَا وَوِطِئْتُهَا هَدَى مِنْكَ لِي أَوْضَلَةٌ مِنْ ضَلَالِكَ
لئن ساءَ لِي أَنْ نِلْتَنِي بِمَسَاءَةٍ لَقَدْ سَرَّ لِي أَنَّي خَطَرْتُ بِبَالِكَ

والتقليد : هو قبول قول الأمر أو المنهي أو المؤدب من غير طلب تعليل
للحكم ولا حجة ، والتقليد في الفروع دون الأصول .

وزهد الأصحاب إلى أنه لا يجوز للعالم تقليد العالم البتة ، وجوزَه أحدُ
رضي الله عنه وإسحاق بن راهويه وسفيان الثوري مطلقا ، ومنهم من
فصل فقال : يجوز لمن تبع الصحابة رضي الله عنهم تقليد الصحابة دون
غيرهم ، وبه قال شمس الدين محمد بن يوسف الجزري ^(٢) ، وهو القول القديم
للشافعي رضي الله عنه .

وقال محمد بن الحسن : يجوز تقليد العالم للأعلم . وقيل : يجوز أن يقلد
غيره فيما يخصه دون ما يُنفق به ، وقيل : يجوز فيما يخصه إذا كان بحيث
لو اشتغل بالنظرات المقصود .

* * *

(١) ديوان الحماسة ٢ : ١٠٧ .

(٢) ط : « الحريري » تحريف .

١١٧ - وقوله: فَلَا أَوْجِدُ للحاسد مجال لحظة، ولأَدْعَ للقادح
مساغَ لفظة.

الحاسدُ: الذي يتمنى زوال النعمة عن المحسود، والحسد أول ذنب عصى
الله به في الأرض وفي السماء؛ لأن إبليس آمنه الله حسد آدم عليه السلام عندما
أمر بالسجود له، وكذلك قابيل بن آدم عليه السلام حسد أخاه هابيل على
زواجه بأخته توهمته؛ لأنها كانت أحسن من توهمة هابيل، فلما قربا
قربانا أكلت النار قربان هابيل، ولم تأكل قربان قابيل. فحسده،
فتأكد حسده له فقتله. وفي المثل: ما خلا جسد من حسد.

والمجال: اسم مصدر جال يجول جولانا، إذا طاف في البلد، وأصله
من الحركة.

واللحظ: مصدر لحظ إذا نظر.

والقادح: الذي يقطع في عرض غيره.

والمساغ: اسم مصدر يساغ يسوغ الشراب إذا سهل مدخله
في الخلق. ومعناه: إذا اتصفت بهذه الأحوال لا يجد الحاسد مدار لحظة،
ولا الطاعن في عرض ما يسوغ من لفظة كما قال الأمير تميم بن الميز:

بلغت بي الحال الذي كنت أرتجى علاها خالي غبطة ومرو^(١)

وكيف أخاف الحاسدين وبنقيتهم وأنت عليهم لي يد وأمير

كان أبو الحسين الجزار يصحب قاضي القضاة عبد الوهاب ابن بنت
الأعز، فظفر له شخص من حساده وأعدائه بورقة بخطه يدعو فيها شخصا
إلى مجلس أنس، ووصف المجلس؛ فأخذ ذلك الشخص تلك الورقة ووضعها

(١) ديوانه ١٤٤، وروايته: «بلغت بي الحال».

في القائمة الأولى من كتاب صحاح الجوهري ، من نسخة كانت عنده في ثمانى مجلدات ، وأعطى الكتاب الدّلال ، وقال : اعرضه على قاضى القضاة . فأحضر الدّلال الكتاب إلى قاضى القضاة ، فلما أخذ المجلد الأوّل وجد تلك الورقة فيه ، فعرف خطأ الجزار ، فأخذ الورقة وقرأها^(١) ؛ وقال للدّلال : ردّ الكتاب إلى صاحبه ، فإنه ما يبيحه . ولما حضر الجزار إلى قاضى القضاة ناوله الورقة ، فنهّم القصد^(٢) ، وقال : يا مولانا ، لا إله إلا الله ، هذا خطى منذ ثلاثين سنة من أيام الصّبا . ثمّ إنّ الجزار أراد أن يعرف ما عند القاضى ، وهل تأثر بتلك الورقة ، فقال له بعد أيام في أثناء حكايته : إن شخّصا كان يصحب قاضى القضاة عماد الدّين بن السكّرى ، فرقت له شهادة على شخّص ، فسأبه ذلك الشخّص إلى القاضى ، وادّعى عليه أنه استأجره من مدّة كذا وكذا اليه منى له في عرسه بكذا وكذا ، وقبض الأجرة ولم يُمنّ ، وانفصّات الخصومة ، ثمّ وقعت الدّعوى على المدّعى المذكور ، وشهد ذلك الشّاهد . فقال قاضى القضاة تاج الدين : ما صنّع ابن السكّرى ؟ فقال : ما قبل شهادته . فقال : ما أنصف صاحبه ؛ فلم الجزار أن ابن بنت الأعزّ ما تأثر لتلك الورقة .

* * *

١١٨ — وقوله : والله مُبَسِّرٌ لِمَنْ إطلائى بهذه الطّلبة ، وإشكائى من هذه الشكوى .

إطلائى ، تقول : أطلّبه إطلائاً ، أى أسفه ، وأطلّبه : أحوجه ، وهو من الأضداد ، والمراد هنا الأوّل ، وهو الإسماف ، والطّلبة ، بكسر اللام : ما طلبته من شيء .

(١) ط : « فقرأ الورقة وأخذها » .

(٢) ط : « المقصود » .

وإشكائي ، تقول : إذا أعقبته من شكايته وأزَلَّته عما يشكوه ، وأشكيتَه
 إن فعلتَ به ما يشكوه ، وهو من الأضداد ، والمراد هنا الأول ، وما أحسنَ
 قولَ ابنِ الزُّومِي :

تُشْكِي المَحِبَّ وَتَشْكُو وَهِيَ ظَالِمَةٌ
 كَالْقَوْسِ تُصَيِّ الرَّمَايَا وَهِيَ مِرْنَانُ

وقلتُ أنا في ذلك :

تُشْكِي المَحِبَّ وَتَشْكُو فَالْقَلْبُ لَا يَطْمَئِنُّ
 كَالْقَوْسِ تُصَيِّ الرَّمَايَا وَبِهِ هَذَا تَنْ

* * *

١١٩ — وقوله : بصنيعةٍ تُصَيِّبُ مِنْهَا مَكَانَ المَصْنَعِ ، أو تستودِعها
 أحسنَ مُسْتَوْدِعٍ .

للصَّيِّعَةِ : المَرُوفِ والإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ .

والمَصْنَعُ : المَصْدَرُ ، تقول : صَنَعْتُ إِلَيْهِ صَدِيقًا وَمَصْنَعًا . قال أبو عبيسٍ
 رضى الله عنهما : لَا يُزْهَدُ نَفْسٌ فِي المَرُوفِ كَفَرٌ مَنْ كَفَرَهُ ، فَإِنَّهُ بِشُكْرِكَ
 عَلَيْهِ مَنْ لَمْ تَصْطَفِمْهُ إِلَيْهِ .

وسمعَ عبدُ الله بنُ جعفر قولَ الشاعر :

إِنَّ الصَّيِّعَةَ لَا تَكُونُ صَنِيْعَةً حَتَّى تُصَيِّبَ بِهَا طَرِيقَ المَصْنَعِ .

فقال : هذا رجلٌ يريدُ أن يُبْخَلَ النَّاسُ ، أمطارُ المَرُوفِ مطرا ، فإنَّ
 صادفَ مَوْضِعًا فهو الَّذِي قصدتَ ، وإلَّا كُنْتَ أَحَقَّ بِهِ .

وجاء في كلام عبد الله بن المعتز : المروف كُنْزٌ ، فانظر من تُودعه !
وقال الشاعر :

لا تَصْنَعِ المروفَ في ساقطٍ فذاك صُنْعٌ ساقطٌ ضائعٌ
واصْنَعْهُ في حرٍّ كريمٍ يكن عُرْفُكَ مسكا وعُرفه ضائعٌ

وقال صالح بن عبد القدوس :

متى تُسَدِّ معروفًا إلى غيرِ أهله رُزئت ولم تظْفَرْ بأجرٍ ولا تحمدِ
وقال أيضًا :

لا تَجِدْ بالعطاء في غيرِ حقٍّ ليس في منع غير ذى الحقِّ بُخلٌ
إنما الجود أن تجودَ على من هو للجود منك والبذلِ أهلٌ

قال الحجاج لابن الفريّة : ما أضيع الأشياء ؟ قال : مطر جَوْدٍ في أرضٍ
مسيخة لا يَجِفُّ ثراها ، ولا يَبُتُّ مرعاها ، وسراجٌ يوقدُ في الشمسِ ، وجاريةٌ
حسنة تزفُّ إلى عِدِّينِ أمي ، وصنيعةٌ تُهدى إلى من لا يشكرها .

وقالت الحكماء : أصلُ كلِّ عداوة اصطفاة المروف إلى اللئام ، وقالوا :
المروف إلى اللئيم أضيع من الرسم على بساط الماء ، والخطّ على بساط الهواء .
وقالوا : زوال الدولة باصطفاة السفلة .

أورد الشيخ أمير الدين أبو الفناثم ، مسلم بن محمود الشيزريّ في كتابه «القاصمة
للفئة الغاشمة» ، قال : حدثني الشيخ الشريف يونس بن يحيى البغداديّ المباسيّ
قراءة عليه ، قال : أخبرنا عمر بن شاهين ، حدثنا أحمد بن محمد الباخرزيّ ، حدثنا
عليّ بن حرب الطائنيّ ، حدثنا جعفر بن الفزر المابدي بمهروان ، قال : كنتُ
عند سُفَيان الثوريّ ، فالتفت إلى شيخٍ فقال : حدِّثِ القومَ بمحدثِ الحية ،

فقال : حدثني عبد الجبار بن جهم بن عبد الله أنه خرج إلى مقصده ، فتمثلت بين يديه حية ، فقالت : أجرني أبارك الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، فقال : وميم أجبرك ؟ فقالت : من عدو قد رهقني ، يريد أن يقطعي إربا إربا . قال : ومن أنت ؟ قالت : من أهل لا إله إلا الله . قال : وابن أخيك ^(١) ؟ قالت : في جوفك ^(٢) . إن كنت تريد المعروف ^(٣) . قال : ففتح فاه وقال : ها ، فدخلت جوفه ، فإذا رجل معه صمصامة ، فقال : يا جهم ، أين الحية ؟ قال : ما أرى شيئا ، قال : سبحان الله ! قال : نعم ، سبحان الله ما أرى شيئا ، فذهب الرجل ، فأطاعت الحية رأسها وقالت : يا جهم ، أنتجس الرجل ؟ فقال لها : قد ذهب ، قالت : فأختر إحدى خصلتين : أن أنكت في قلبك نكتة ، أو أفرث كبدك فتلقها من أسفل قطما قطما ! قال : والله ما كافأتني ، قالت : حيث ^(٤) تصنع المعروف عند من لا يستحقه . قال : فأملاني حتى أتى سفح هذا الجبل ، فأمدت نفسي ، فبينما هو يمشي إذ هو بفتى حسن الوجه طيب الرائحة ، حسن الثياب ، فقال : يا شيخ ، مالي أراك مسترسلا للموت ، آيسا من الحياة ؟ قال : من عدو في جوفي يريد هلاكى . فأستخرج شيئا من كبدك فذقه إياه وقال : كل هذا ، ففعل ، فأصابه مفس شديد ، ثم ناوله أخرى فأكلها ، فرمى بالحية من أسفل قطما قطما . فقال : من أنت ؟ برحك الله ؟ فما أعظم منة على منك ! قال : أنا المعروف ، إن أهل السماء لما رأوا غدر الحية بك اضطربوا ، كل يسأل ربه أن يفيئك ، فقال الله عز وجل : يا معروف أدرك عبي ، فإبى أراد بما صنع .

وخرج قوم للصيد ، فطردوا ضيما حتى ألجئوها إلى خباء أعرابي ، فأجارها ، وجعل يطعمها ، فبينما هو نائم إذ وثبت عليه ، فبقرت بطنه ،

(٢) ط : « بطنك » .

(١) الإرب : العضو .

(٣) ط : « إن كنت من أهل المعروف » . (٤) م : « حين » .

وجاء ابن عمه يطلبه ، فإذا هو بغيره ، فتعجبها حتى قتلتها ، وقال :

وَمَنْ يَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ
مُبْلَقِ الَّذِي لاقى مُجِيرُ أُمِّ عَامِرٍ
أَعَدَّ لَهَا لَمَّا اسْتَجَارَتْ بِدَيْتِهِ أَحَابِيبَ الْهَانِ الْفَاحِ الدَّرَارِ
وَأُسْمَتَهَا حَتَّى إِذَا مَا تَمَكَّنَتْ فَرَّتْهُ بَأْنِيَابِ لَهَا وَأُظْافِرِ
فَقُلِ لِلذَّوِي الْمَعْرُوفِ : هَذَا جَزَاءُ مَنْ
يَجُودُ بِمَعْرُوفٍ عَلَى غَيْرِ شَاكِرٍ

وحكى الأحمشي أن أعرابياً رَجَى جِرْوَ ذَنْبٍ ، وجعل يُفَذِّيه بِلَبَنٍ
شاقٍ له حتى كبر ، فخرج منها للرعى كمادته ، فحركته الطباع الدنيئة ،
والنفس الدنيئة على أفراس الشاة ، فلما رأى الأعرابي الشاة قريسة
الذئب ، أنشد :

عَفَرَتْ شُوبِيَّتِي وَفَجَعَتْ قَوْيَ بِشَاتِيمُ ، وَأَنْتَ لَهَا رَيْبُ
خُذَيْتَ بَدْرَهَا وَنَشَأَتْ مَعَهَا فَمِنْ أُنْبَاكَ أَنْ أَبَاكَ ذَيْبُ
إِذَا كَانَ الطَّبَاعُ طِبَاعَ سُوءٍ فَلَا أَدَبَ يُفِيدُ وَلَا أَدِيبُ
وقال أبو تمام الطائي :

شَرُّ الْأَوَائِلِ وَالْأَوَاخِرِ ذِمَّةٌ لَمْ تَصْطَفَعْ ، وَصَنِيعَةٌ لَمْ تُشْكَرْ (١)

أغار مالك بن حنيفة الحمقي على بني القين ، فاستاق لهم إبلا ، فأطلقوا
الأعنة ليطلقوها منه ، فلم يقدرُوا عليه ، ولا وصلوا إليه ، ثم إنه ذكر يداً

كانت لبعضهم عنده ، فخلّى عما كان في يده وولى منصرفاً . فنادوه وقالوا :
 إنَّ أمامك مفازة ، ولا ماء معك ، وقد فعلت جيلاً فأَنْزِلْ ولك الدِّمَامُ والجِباءُ ،
 فلما نَزَلَ وأُطْمَأَنَّ وَسَكَنَ ، أخذته سِنَّةٌ فَنَسِمَ ، فَوَثَبُوا عليه وقتلوه .
 وما أَحْسَنَ قولَ عُمارةَ اليمانيِّ يَخاطِبُ السلطانَ صلاحَ الدينَ :

فيا رَاصِلَ الأرزاقِ كيفَ تَرَكتَنِي أمدُّ إلى زَندِ العلا كَفَّ أَفْطَحَ
 وأَقسِمَ لو قاتَ لياكِلكَ للدُّجَى أَعِدْ غارِبَ الجُوزاءِ قالَ لها أَطْلَعِي
 فيا زارعَ الإحسانِ في كُلِّ تُربةٍ ظَفِرتَ بِتَرَبٍ يَنْبِتُ الشُّكْرَ فَأَزْرِعْ
 قلتُ : ما زرعَ عندهُ إلَّا أَنَّهُ صلبه ، وجعلَ له في الجُولا في الترابِ تُربةٌ ،
 لجنابِةٍ نَقِمَها عليه من مَيَّله إلى أهلِ القصر ، ونَقَلها عنه الهُمزة في ذلك القصر ،
 وعند الله تَجَمُّعُ الخُصومِ !

وقال ابنُ القَيْسَمَرانيِّ :

قد حَسُنَ الصُّنْعُ إلَّا فاصْطَنِعْ وأَمَكَنَّ الدُّرُّ إلَّا فَاتَّقِ
 ومَرَّ إحسانُكَ بي رائِقاً مرَّ الصَّبَا بالمُصَنِّ المورِقِ

وقال رشيدُ الدينِ الفارقيُّ :

وأعجَبُ ما حَدَّثْتُ وَصَفْتُكَ للعلا ومِثْلِي في أَيَّامِ مِثْلِكَ ضائعُ
 لئن أَمْطَرْتَنِي من سَحَابِكَ مُرْنَةً حَكَمْتُ لَكَ أَرْضِي كيفَ تَرَى كَوَالِصَنايِعُ

وقال شاعرٌ قديمٌ :

لَعَمْرُكَ ما المَعروفُ في غيرِ أهلهِ وفي أهلهِ إلَّا كِبْضُ الودائعِ
 فستودَعُ ضاعَ الَّذي كانَ عندهُ ومُسْتودَعُ ما عندهُ غيرُ ضائعِ
 وما الناسُ في شُكْرِ المُنْذِيةِ عندهمُ وفي كُفْرِها إلَّا كِبْضُ المزارِعِ
 فمَزْرَعَةٌ طابَتْ فأَضْمَتْ نَبْطُها ومَزْرَعَةٌ أَكْدَتْ على كُلِّ زارِعِ

١٢٠ - وقوله : حَسْبَا أَنْتَ خَلِيقٌ لَهُ ، وَأَنَا مِنْكَ حَرَّى بِهِ .
حَسْبَا ، أى قَدَّرَ مَا أَنْتَ خَلِيقٌ لَهُ ، تقول : فلانٌ خَلِيقٌ لكذا ، أى
جَدِيرٌ بِهِ ، وقد خَلَقَ لكذا بضم اللام .

وحرى به ، أى جَدِيرٌ بِهِ وَخَلِيقٌ ؛ وحرى يُنَنَّى وَلَا يُجْمَع .
وَأَنْشَدَ الْكِسَائِيُّ :

وَمَنْ حَرَّى إِلَّا يُذِيبُكَ نَفْرَةً وَأَنْتَ حَرٌّ بِالْفَارِحِينَ تُثِيبُ^(١)
فَإِذَا قُلْتَ : هُوَ حَرٌّ ، بِكسر الراء وحرى ثَنَيْتَ وَجَمَعْتَ ، قُلْتَ : هَا
حَرِيَّانِ ، وَهُمُ حَرِيُّونَ وَأَحْرِيَاءُ ، وَهِيَ حَرِيَّةٌ ، وَهَنْ حَرِيَّاتٌ وَحَرَايَا ،
وَمِنْهُ أَشْيَقُ التَّحَرَّى فِي الْأُمُورِ . وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ أَبِي إِسْحَاقَ الْفَرِّى .

إِذَا جَادَتِ الشُّجْبُ السَّبَاحَ بِطَبْعِهَا فَأَجْدَرُ مَخْصُوصٍ مِنْ الْحَدَائِقِ ؟

* * *

١٢١ - وقوله : وَذَلِكَ بِيَدِهِ ، وَهَبْنِ عَلَيْهِ .

أى بِيَدِهِ هَذَا الَّذِى سَأَلَهُ ؛ وَقَصْدُهُ فِيهِ ، أَمْرُهُ رَاجِعٌ إِلَيْهِ ، وَهُوَ
فِي حَالِهِ بِصَرْفِهِ كَيْفَ أَرَادَ عَلَى مَا يَخْتَارُ كَمَا يَكُونُ الشَّيْءُ بِيَدِهِ ، وَهَذَا كُنَايَةٌ عَنْ
الْقُدْرَةِ وَالْإِسْتِیْلَاءِ ، وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ
النِّقْمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾^(٢) . وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ بِيَمِينِهِ ﴾
لَطِيفَةٌ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ « فِي يَمِينِهِ » حَتَّى يَنْفِي الظَّارِفِيَّةَ الَّتِى هِيَ مِنْ لَوَازِمِ الْأَجْسَامِ .
وَكُلَّ هَذِهِ الْمُبَارَاةِ كُنَايَةٌ عَنِ الْقُدْرَةِ النَّامَةِ ، وَالْإِسْتِیْلَاءِ الْكَامِلِ ، فَتَبَارَكَ
اللَّهُ الْعَظِيمُ ! . وَهَذَا النَّوعُ بِسْمِيهِ أَرْبَابُ الْبَدِيعِ التَّمْثِيلِ .

وقول الرَّمَّاحِ بن مَيَّادَة :

أَلَمْ تَكُنْ فِي يُمْنَى يَدَيْكَ جَعَلْتَنِي فَلَا تَجْعَلْنِي بَعِيدًا عَنْكَ فِي شِمَالِكَا

أراد أن يقول : ألم أكن قريبا منك ؛ فلا تجعلني بعيدا عنك ، فمدل عن هذا اللفظ الخاص إلى لفظ أعم ؛ وهو التمثيل ، لما فيه من الزيادة في المعنى مما تعطيه كلفظا اليمين والشمال من القُرب والبُعد ومن الأوصاف التي لا يحصل إلا بذكرها ؛ لأن اليمين أشد قوة من الشمال ؛ وأقرب إلى ربها ، لأنه بها يأخذ ويُعطى ويبطش ؛ ويعمل الصنائع ، وبها يتمدد ، وهي عنده مُكرّمة على الشمال . فهذه الأفعال الشريفة ، وتلك للأعمال الخسيسة ، ولهذا كانت يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم لأكله وشرابه ووضوئه وتعمّله ، وشماله لأستنجائه وإماطة الأذى عنه .

قال الزَّخَشَرِيُّ في كشافه : فإن قلت : لم أخبرت الصَّلَاة في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ أَمْرٌ عَلَيْهِ ﴾ ^(١) ، وقدّمت في قوله تعالى : ﴿ هُوَ عَلَى هَيْنٍ ﴾ ^(٢) ؟ قلت : هناك قصد الاختصاص ، وهو محزّه . فقيل : هو على هَيْن ، وإن كان متصفاً عندكم أن يولد بين هِم ^(٢) وعافر ؛ وأما هنا فلا معنى للاختصاص . كيف والأمر مبني على ما يعقلون من أن الإعادة أسهل من الابتداء ، فلو قدّمت الصَّلَاة لتغيّر المعنى ^(٣) .

وقال المنخّل :

ولكنه هَيْنٌ كَيْنٌ كَمَا لِيَةِ الرُّمَحِ عَرْدٌ نَسَاهُ

والهَيْنُ فِعْلٌ مِنَ التَّهَوَّنِ ، وهو السَّكِينَةُ ، وهَانَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ ، أَي خَفَّ . وَهُوَ تَهَّ اللَّهُ عَلَيْهِ ، أَي سَهَّلَهُ وَخَفَّفَهُ .

(٢) الهم : الشيخ الفاني .

(١) سورة الروم آية ٢٧ .

(٣) الكشف ٣ : ٢٧٥ .

وفي هَيْنَ أُنْتَانِ : هَيْنَ وَهَيْنَ بِشَدِيدِ الْيَاءِ وَتَخْفِيفِهَا ، مِثْلُ لَيْنٍ وَكَيْنٍ ، وَمَيِّتٍ وَمَيِّتٍ ، وفي الحديث : «الْمُؤْنُ هَيْنٌ كَيْنٌ» ، بِتَخْفِيفِ الْيَاءِ فِيهِمَا ، قَالَ الشَّاعِرُ :

هَيْنُونَ لَيْئُونَ أَبْسَارُ ذُووِ بَسَرٍ أَرْبَابُ مَكْرُمَةٍ أَبْنَاءُ إِبْسَارِ

وفي هذا المَثَلُ : «هَيْنَ لَيْنٍ وَأُودَتِ الْعَيْنُ» ، يُقَالُ : إِنَّ هَذَا المَثَلَ سَارٌ مِنْ قَوْلِهِ دُعَاةٌ ، وَذَلِكَ أَنَّ صَوَاحِبَهَا حَسَدْنَهَا عَلَى أَنْسَاعِ بِهَا جُدُدَ جَعَلَتْ تَنْطُ إِذَا رَكِبَتْ ، فَقُلْنَ : لَهَا : وَيَحْكُ بِالدُّعَاةِ ! إِنَّ أَنْسَاعَكَ تَنْطُ ، وَإِذَا سَمِعَ الرِّجَالُ ذَلِكَ قَالُوا : هَذَا حُرَاطُ دُعَاةٍ ، فَلَوْ أَنَّكَ دَهَنْتَهَا فَهِيَ أَلَيْنُ لَهَا ، وَيَذْهَبُ عَنْكَ هَذَا الَّذِي تَخَافِينَ عَارَهُ ؟ قَالَتْ : إِنِّي فَاعِلَةٌ ذَلِكَ ، فَلَمَّا نَزَلَتْ حَمَلَتْ النِّسَاءُ السَّمْنَ لَهَا فِي الْأَفْدَاحِ ، فَلَمَّا صَارَ السَّمْنُ بِيَدِهَا أَخَذَتْ نِسْعًا مِنْ أَنْسَاعِهَا ، فَقَطَّرَتْ بَعْضَ عَلَى نَوَاحِيهِ مِنَ السَّمْنِ ، فَاسْوَدَّ وَلَانَ ، فَعَمِدَ ذَلِكَ قَالَتْ : دُعَاةُ هَيْنَ لَيْنٍ وَأُودَتِ الْعَيْنُ « تَعْنِي حُسْنَ النِّسَمِ ، فَصَارَ مِثْلًا .

• • •

١٢٢ - وَقَوْلُهُ : وَلَمَّا تَوَالَّتْ غُرُّ هَذَا النَّثْرِ ، وَاتَّسَقَتْ دُرُّهُ .

تَوَالَّتْ ، مِنَ التَّوَالَاةِ ، وَهِيَ هِيَ التَّابِئَةُ . وَالْفَرْزُ جَمْعُ غُرَّةٍ ، وَهِيَ أَوَّلُ كُلِّ شَيْءٍ وَأَكْرَمُهُ . وَاتَّسَقَتْ ، مَعْنَاهَا انْتَقَضَتْ . وَالْدَّرَرُ : جَمْعُ دُرَّةٍ ، وَجَوَابُ «لَمَّا» يَأْتِي فِيهَا بِمَدٍّ ، وَهُوَ قَوْلُهُ : «عَارِضُهُ النَّظْمُ» .

١٢٣ — وقوله : فهِزَّ عَطْفَ غُلَوَائِهِ ، وَجَرَ ذَيْلَ خَيْلَانِهِ .

الغُلَوَاءُ والغُلَوَان : سُرْعَةُ الشَّبابِ وَأَوَّلُهُ ، عَنْ أَبِي زَيْدٍ .

وَالْخَيْلَاءُ : السِّكِّيرُ وَالتَّيْبَةُ ، يُقَالُ مِنْهُ : اخْتَالَ ، فَهُوَ ذُو خَيْلَاءٍ وَذُو خَالٍ وَذُو خَيْلَةٍ . وَالْمَادَّةُ جَرَتْ بِأَنَّ النَّاسَ لَا يَصِفُ رِسَالَتَهُ بِحُسْنٍ ، وَلَا يُبْنِي عَلَيْهَا ، بِخِلَافِ الشَّاعِرِ ، فَإِنَّ لَهُ أَنْ يُقَرِّظَ قَصِيدَتَهُ ، وَيُبْنِي عَلَى فَصَاحَةِ الْفَاضِلِهَا ، وَبِلَاغَةِ مَعَانِيهَا ، وَيُنَبِّهَ عَلَى مُحَاسِنِهَا ، وَهَذَا أَمْرٌ قَدْ أُسْتَفَاضَ بَيْنَ الْأُدَبَاءِ أَمْرُهُ ، وَتَقَرَّرَ عِنْدَ الْبُلَغَاءِ ذِكْرُهُ . فَقُلَّ أَنْ يَرَى شَاعِرٌ نَظْمَ قَصِيدَةٍ مَطْوَلَةٍ إِلَّا وَخَمَهَا بِالنَّمَاءِ عَلَى مُحَاسِنِهَا .

وَأَبُو الطَّيِّبِ حَامِلُ هَذِهِ الرَّأْيَةِ ، وَأَبُو تَمَّامٍ قَبْلَهُ ، قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ :

أَنَا صَخْرَةُ الْوَادِي إِذَا مَا زُوِّجَتْ وَإِذَا نَطَقْتُ فَإِنِّي الْجَوْزَاهُ (١)
وَإِذَا خَفِيتُ عَلَى النَّبِيِّ فَمَازِرٌ إِلَّا تَرَانِي مُقَلَّةٌ عَمِيَاءُ
وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

مَنْ كُلَّ بَيْتٍ يَكَاذُ اللَّيْتُ يَفْهَمُهُ حُسْنًا وَيَعْبُدُهُ الْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ
وَقَالَ ابْنُ الْقَيْسِرَانِي :

فَدُونُكُمْ لَوْ أَدْرَكْتُهَا أُمِّيَّةٌ لِحَاكِي جَرِيرٍ دُونَهَا وَالْمَرْزُوقُ
يُنَاقِضُهَا مَنْ لَا يَسْكَادُ تَجَمُّبُهُ
وَقَدْ زَارَ الصَّرْغَامُ وَالْعَزِيرُ بَنِيهِ
وَقَالَ عُمَارَةُ الْيَمَنِي :

قَوَافٍ هِيَ الشُّمْرَى سُمُّوا وَإِنَّمَا يَلْقَاهَا بِالشَّعْرِ مَنْ لَيْسَ بِشُعْرٍ

مَلَكْتُ عَلَيْهَا خُزُونًا كَبِيرَهَا وفيها على قومٍ سِوَاكَ تَكْبُرُ
تُرْفٌ وَلَكِنَّ الصُّدُورَ خُدُورَهَا وتُنَحِّلُ أَلْبَابَ الرِّجَالِ وَتُتَمَرُّ

١٢٤ - قوله : عَارَضَهَا النَّظْمُ مُبَاهِيًا ، بل كَايِدَهُ مُدَاهِيًا .

عَارِضٌ : فاعِلٌ من المَعَارِضَةِ ، ومُبَاهِيًا : اسْمُ فاعِلٍ من المُبَاهَاةِ ، وهى المُفَاخَرَةُ .
وكَايِدٌ ، فاعِلٌ من المُكَايِدَةِ ، والمَكِيدُ : المَكْرُ والخُدَيْعَةُ ، وربما سُمِّيَ
الحَرْبُ كَيْدًا .

يريدُ بهذا السَّكْلَامَ أَنَّ النَّثْرَ إِذَا تَقَدَّمَ فَلَا بَأْسَ الْمُتَكَلِّمُ أَنْ يُلْحِقَهُ بِشَيْءٍ
من النَّظْمِ ، لأنَّ النُّفُوسَ تَرْتَاحُ إِلَى ذَلِكَ ؛ وَلأنَّ البَلَاغَةَ دَائِرَةٌ بَيْنَ هَذَيْنِ
النُّوعَيْنِ ، وهما النَّظْمُ والنَّثْرُ . وقد ذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ النَّثْرَ أَشْرَفُ من النَّظْمِ ،
قَالُوا : ومن الدَّلِيلِ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ السَّكَّتَابَ وَالمُتَرَسِّلِينَ أَقَلَّ من الشُّعْرَاءِ ؛ لِأنَّهُ
يَكُونُ فِي كُلِّ زَمَانٍ جِهَاتٌ من الشُّعْرَاءِ ، وَلعلَّ ذَلِكَ الزَّمَانُ لَا يَكُونُ فِيهِ
كَاتِبٌ مُفْلِقٌ يُدَوِّنُ كَلَامَهُ وَيُخَلِّدُ . ومن الدَّلِيلِ أَيْضًا عَلَى شَرَفِ النَّثْرِ كَوْنُ
الْقُرْآنِ غَيْرَ مَنْظُومٍ .

قلت : وَلأنَّ الشُّعْرَ يُرَوِّجُهُ الْوَزْنُ الَّذِي هُوَ مُلَاسِمٌ لِلطَّنْجِ ، والنَّثْرُ إِنَّمَا لَمْ
يَكُنْ فِي الذَّرْوَةِ الْعُلْيَا من البَلَاغَةِ ، لَا تَقْبَلُهُ النُّفُوسُ ، وَتَمُجُّهُ الْأَسْمَاعُ .
ومن عَجِيبِ الدَّهَاءِ أَنْ قَوْمًا قَدَّمُوا خَصْمًا لَهُمْ إِلَى الْحَاكِمِ ، فَقَالُوا : لِفَاعِلِيهِ
مَالٌ ، فَقَالَ : صَدَّقُوا أَيُّهَا الْحَاكِمُ ، سَأَلْتُهُمُ الْمَهْلَةَ إِلَى أَنْ أَبِيعَ مَالِي مِنْ عَقَارٍ
وَرَقِيقٍ ، وَإِبِلٍ وَشَاءَ ، فَقَالُوا : كَذَبَ أَعَزَّكَ اللَّهُ ، وَإِنَّمَا يَدُاهُمَا بِذَلِكَ ،
فَقَالَ : أَيُّهَا الْحَاكِمُ ، قَدْ شَهِدُوا لِي ^(١) بِالْإِعْسَارِ . فَخَلَّى الْحَاكِمُ سَبِيلَهُ .

وَمَا قُلْتُ أَنَا :

تَدَاهَى عَذُولِي فِي الْفَرَامِ وَلَمْ تَكُنْ مَقَاصِدُهُ تَخْفَى عَلَى عَاشِقٍ مِثْلِي
أَحَبَّ وَلَمَّا غَارَ مِنِّي وَخَافَ أَنْ أَفَانِحَهُ فِيهِ تَسَابِقُ بِالْعَذْلِ

* * *

١٢٥ - وقوله : وحينَ أَشْفَقَ مِنْ أَنْ يَعْطِفَكَ أَسْتَعْطَافُهُ ، وَيَمِيلَ
بِنَفْسِكَ إِنْطَافُهُ .

أَشْفَقَ : بِمَعْنَى حَذَرَ . عَطَفَكَ يَعْطِفُكَ ، أَيِ ثَنَّاكَ إِلَيْهِ أَسْتَعْطَافُهُ ، اسْتِغْفَالُ
مِنِ الْعُتْظِفِ . وَالْإِنْطَافُ ، مُصْدَرُ الْإِطْفَافِ بِكَذَا ، أَيِ بَرَرَهُ وَأَتَحَفَهُ ، وَهَذَا الَّذِي
سَلَكَهُ ابْنُ زَيْدُونَ فِي هَذَا الْمَسْكَانِ نَوْعٌ مِنْ سِحْرِ الْبَلَاغَةِ وَزَخْرَفِهَا ، وَهُوَ الَّذِي
يُسَمِّيهِ أَرَبَابُ الْبَدِيعِ الْإِسْجَالَ بَعْدَ الْمُفَاظَةِ ؛ لِأَنَّهُ غَالِطُهُ ابْنُ جَهْوَرٍ بِمَا خَدَعَهُ مِنْ
كَلَامِهِ الْمَقْدَّمِ ، ثُمَّ أَسْجَلَ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ هَذَا النَّثْرَ الَّذِي قَدَّمْتَهُ عَطْفَكَ ، وَأَمَالَ
بِالْطَّافَةِ نَفْسَكَ ، فَأَشْفَقَ النَّظْمُ مِنْ ذَلِكَ ، وَغَارَ مِنْهُ فَأَرَادَ أَنْ يُسَاهِمَهُ ، وَيَكُونَ لَهُ
نَصِيبٌ . وَقَدْ جَاءَ مِنْ هَذَا النُّوعِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ رَبَّنَا وَادْخُلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ
الَّتِي وَعَدْتَهُمْ ﴾ ^(١) ، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

جَاءَ الشَّتَاءُ وَمَا عِنْدِي لِقَرَّتِهِ إِلَّا أُرْتِمَادِي وَتَصْفِيقِي بِأَسْنَانِي
فَإِنْ هَلَكْتُ فَمَوْلَانَا يَكْفُنُنِي
هَبْنِي هَلَكْتُ فَهَبْ لِي بَعْضَ أَكْفَانِي

وَقَدْ تَأْتَى الْمُفَاظَةُ بِلَا إِسْجَالٍ كَقَوْلِ أَبِي نُوَّاسٍ :
أَسْأَلُ الْقَادِمِينَ مِنْ حَكَمَانِ كَيْفَ خَلَقْتُمْ أَبَا عُمَانَ ^(٢)

فيقولون لى جَنَانٌ كَمَا سَرَّكَ فى نَفْسِهَا ، فَسَلَّ عَنْ جَنَانٍ
 مَا لَهُمْ لَا يُبَارِكُ اللَّهُ فِيهِمْ كَيْفَ لَمْ يُعْنِ عِنْدَهُمْ كَيْمَانِي !
 هذه جنان كان يهواها أبو نُوَاس ، وما صدق فى حُبِّ أَحَدٍ مَن كَانَ
 يتعشقه غيرها . وأبو عثمانَ الَّذِي ذَكَرَهُ فى شعره هو أخو مولى جنان .
 وما أَحَلَّى قولَ القائل :

بِاللَّهِ يَا صَاحِبَ الْوَجْهِ الَّذِي اجْتَمَعَتْ فِيهِ الْحَاسِنُ فَاسْتَوَلَى عَلَى الْبَهْجِ
 خُذْنِي خَدِينًا وَإِنْ لَمْ تَرْضَ بِي صَلَفًا
 فَأَرْفَعُ بِي الْعَيْنَ عَنْ ذَا الْمُنْطَرِ الْبَهْجِ

١٢٦ - وقوله : فاستحسن العائدة منه ، واعتدَّ بالفائدة له .

استحسن : استفعل من الحُسْن . والعائدة ، تقول : فلان ذو عائدة ،
 أى ذو عفو وتغافل ، واعتدَّتْ بالفائدة له ، معناه : عددتُ الفائدة له .

وهذا الكلام آخره مخرَجُ التوكيد لاسْتَعْطَافِ ابْنِ جَهْوَور ، ومثيل نفسه
 إلى هذا النظم وقبوله له ، وأنه صادف من قلبه مَوْضِعًا ، فكانَ هذا الأمر
 صار وانفصل حُكْمُهُ ، وهذا من باب من قولك : غفرَ اللهُ له وَرَحِمَهُ اللهُ ،
 وهذا إنما هو فى الأصل دُعَاء ، والدُّعَاء طلب ، وَالطَّلَبُ استدعاء أمرٍ لم يكن
 بعد ، ولكن مخرَجُهُ مخرَجُ أمرٍ قد صار وَمَضَى ووقع ، وَثُوقًا بِرَحْمَةِ اللهِ ،
 وَضَمًّا فى جُودِهِ . وما أَحْسَنَ مَا أَنَّى بهذه الألفاظ فى حقِّ النظم ، وأنه الَّذِي
 يُبْلِغُهُ المقصود لا النثر ، وإن كان قد جاء فى هذا النثر بما هو السَّحَرُ الخلال ،
 وأُلْغِىةً أَنَّى لا تحيد لها عن الأفعال ، ولكن هذا كله من التصرف فى

فنون البلاغة ، وقوة المارضة ، فهو يخالطه من هاهنا ويخذه من هنا ،
ويكايده من هنا ، حتى يظفر منه بمراده .

وفي المثل « تأنف أبي غزوان » ، وهو كناية القط : لأنك ترى القط
الذى يكون عندك في البيت - ولا أعني به الأجنبي - كيف يقف حذاءك
ويخضع لك ويتمرغ على يدك ، وي طرح نفسه على ما يقرب منه من جسدك ،
وتارة ينظر إليك ، وتارة يصيح ، ولا يزال بك حتى تعامه إمارحة له ،
أو ضجراً منه .

* * *

١٢٧ - وقوله : فما زال يستكيد الذهن العليل ، والخطار
الكيل .

يستكيد : يستعمل من الكد ، وهو الشدة في العمل . والذهن : العظمة
والحفظ .

والعليل : فعيل من الالة . والخطار ، خطر الشيء ببالى يخطر - بضم الطاء -
خطوراً ، وأخطره الله ببالى . والكيل : فعيل من الكلال ، كل السيف
إذا لم يقطع ، وكلت الريح إذا قوت بعد الهبوب ، والطرف إذا ضعف نظره ،
أو اللسان إذا حصل له العي ، يكل كلاً وكلالة وكيلة وكلولا ؛ كل ذلك
مصدر « كل » .

ثم إن ابن زيدون أخذ بعد تلك المباراة الأولى يصف ما عاناه من
الشدة ، وكابده من الماء في نظم القصيدة التي سوف يوردها بعد انقضاء
كلامه ، كالذى يريد أن يستميل الخاطب إلى ما يورده ، أو كالذى يشوق من
له غرام في مرام ، ويهده بأنه لو حصل لك ، لكنت ترى عجباً ، وتظفر بأمنية

بديعة ، فيحصل حينئذ للمخاطب استمداد تام ، ويتكيف لورود ذلك
ولسماعه بكيفية قابلة ، وأعضاء مشتاقة . وما أحسن قول أبي تمام :

تغايّر الشمر فيه إذ سهرت له
حتى ظننت قوافيه ستقتل^(١)

١٢٨ - وقوله : حتى زف إليك منه عروساً مجلوة في أثوابها ،
منصوصة مجلّيا وملايها .

جلاه : فمومجلو ، وجلّت العروس جلا ، وجلوة وأجلّيتها بمعنى . منصوصة ،
مفعولة من النص ، وهو الرفع ، ومنه منصّة العروس . والحلي : ما تزان به
العروس من القلائد والشنوف والأسوار وغير ذلك .

والملاب : الزعفران ، ومن أسمائه الجادى والريهان والحصى^(٢) . وقد ادعى
ابن زيدون أنه قد زف إليه عروساً من نظمه ، وهى القصيدة الميمية في أثوابها ،
وحليها وملابها . أراد بالثياب ألفاظها لأنه تحير لها ألفاظاً فصيحة عذبة
التركيب ، غريبة من الألفاظ الغريبة الحوشية التى يذبو عنها السمع ، وأراد
بالحلي الماعى التى قصدها ، فإنها بليغة كأنها أنواع الجوهر التى يضمها الحلي .
وأراد بالملاب ما فيها من الثناء ؛ لأن الثناء يوصف بالطيب على ما هو مشهور
فى العرف .

وقد جرت عادة الشعراء أن يسمّوا مدائحهم عروساً بديعة الحسن ، وأن
سوّقها إلى تمدوحهم زفاف ، وأن مهرها الإقبال على شاعرها ، وهو أشهر
من أن يستشهد له بشيء . قال ابن الساعاتى رحمه الله تعالى :

(١) ديوانه ٢٢٧ . (٢) الجادى . الزعفران ، وكذلك الريهان والحصى .

تَجَلَّى فَتَطْرِبُ قَبْلَ أَنْ يُحْدَى بِهَا
وَتَرَا وَلَمْ تَدْرِ الشَّقَاةُ الْمُشْكِرَا
رُعْبُوبَةٌ حَسُنْتَ كَوَجْهِكَ مَفْطَرَا
مَجْلُوءَةٌ طَابَتْ كَأَصْلِكَ مَخْبِرَا
فَاسْتَجَلَّهَا وَأَسْتَحْجَلَّهَا مَسْفَرَا
فِكْرًا نَمَاهَا صَائِفًا وَمَصُورَا
وقال أيضا:

حَتَّى تَزِفَ بَنَاتُ الْحَمْدِ غَادِيَةً
عَلَى رِجَالِ الْمَالِ ثُمَّ تَنْصَرِفُ
يُمِدُّهَا الْفَضْلُ مِنْ إِحْسَانِهِ جُلَا
وَهِيَ الشُّذُورُ الَّتِي تَأْتِيكَ وَالشُّنْفُ

وقال أيضا:

وَقَافِيَةٌ مَقْبُورَةٌ الْحَقُّ حُزْنُهَا
فَوْقِيَّتُهَا حَقًّا وَآهِنُهَا الْفَيْبَا
عَرُوسُ حَصَانِ النَّحْرِ ، فَكِرَى وَلِيَّتُهَا
سَهَرْتُ لَهَا وَهْنًا فَمَا وَجَدْتُ وَهْنًا

وقال الأرجاني:

وَإِنِّي لِأَرْضَاكَ لِلْمَدْحِ كُفْرًا
كَرِيمًا وَأَرْضَى بِنِعْمَتِكَ مَهْرًا^(١)
فَدُؤُنْكَ فَاجْتَلِ بِالسَّمْعِ مِنْكَ
أَزُفَ إِلَيْكَ ابْنَةُ الْفِسْكَرِ بَكْرًا
وقال ابنُ المعلم:

أَيُّهَا الْمَوْلَى اسْتَمِعْ شِعْرَ الَّذِي
حَدَّثَ الْمَشْرِقُ عَنْهُ مَفْرَبَةً

جئت أهدي منه بكرأ سُمِّيت بك إذ منك حلاها المذهب
وقال سبط ابن التعاويذي :

زَفَقْتُ إِلَيْكَ عُرُوسَ الثَّمَا عِذْرَاءَ مِنْ حُسْنِهَا فِي نِطَاقِ^(١)
وَصُفْتُ لَهَا حَلِيَّةً مِنْ عُلَاكَ عَلَى مَفْرِقِ الدَّهْرِ ذَاتِ انْتِلاقِ
ومنها من يدعى أن قصيدته « بُرْدٌ مُحَبَّرٌ » ، قال ابن بابك :

أَنْصِتْ لِشَارِدَةٍ تُصَفِّي لَزْنَهَا فَصُحِّحِ الْحَمَامَ إِذَا غَنَى بِهَا الْحَادِي
مَمْسُوقَةَ اللَّفْظِ تُسَجِّلِي بِدَائِمِهَا كَأَنَّ الْفَاطِمَا تَحْبِيرُ أُبْرَادِ

ومنها من يقول : « إِنَّهُ عَقْدُ جَوْهَرٍ » ، قال ابن قلاؤس :
نَظَّمْتُ لَكَ الدَّرَّةَ الَّتِي مِنْ فَرِيدِهِ فَرَائِدُ أَبْكَارِ الدَّرَارِي الْقَوَائِمِ
غَرَائِبُ خُصَّتْ بِالرَّغَائِبِ فَأَنْدَمْتُ

وَكَمْ غُرِرَ فِي أَوْجِهِ وَمَبَاسِمِ

وقال أبو تمام :

إِذَا انْشَدْتَ فِي الْقَوْمِ ظَلْتَ كَأَنَّكَ

مُسِرَّةٌ كَبِيرٌ أَوْ تَدَاخَلَهَا عُجْبُ^(٢)
مُفْصَلَةٌ بِاللَّوَاوِ الْمُنْتَقَى لَهَا مِنَ الشَّعْرِ إِلَّا أَنَّهُ اللَّوَاوُ الرُّطْبُ

ومنها من يقول : « رَوْضُ مُزْهَرٍ » ، قال ابن بابك :

وَأَسْجِلِ الْفَاطِمَا كَانَ سَمِيحًا

وإليك صَوْبٌ مَدَامَحٌ لَوْ أَنَّهَا مَلَأَ كُفَّجٌ بِهِ الرَّجِيقُ السَّلْسَلُ

وقال ابن قلاؤس :

إِلَيْكَ أَتَى رِكَابُ الشَّعْرِ يَطْوِي فَمِجَمَاتِ الْحُرُونِ مَعَ الشُّهُولِ

كَرَّهَرُ الرُّوْضِ قَدْ حُرَّتْ عَلَيْهِ ذُبُولُ غِلَاثِلِ السَّرِيحِ الْبَلِيلِ

ومنه من يقول: «سَحَرُ يُؤْتَرُ»، قال سبط ابن التعاويذي:

قَوَافٍ تَسَحَّرُ الْأَبَابَ حَتَّى يُخَالَ بِهَا فُتُورٌ وَاحِرُورٌ^(١)
تَظَالُ لَدَى بُيُوتِكُمْ وَتُمِى بِهَا وَلَهَا طَوَافٌ وَاعْيَارُ

وقال ابن الساعاتي:

مَلَكَتْ أَعْنَاقَ الْقَرِيضِ مِلْكٌ إِذْ عَانٍ فَلَمْ أَعْمِدْ لَهُ إِلَّا أَنْفَقُ
يَصْدَعُ بِالسَّحَرِ الْحَلَالِ فِسْكَرَتِي وَتَارَةً يَسْمَحُ بِالذَّرِّ الْمَسْقُ

ومنه من يقول «نَسِيمٌ فِي الرِّيَاضِ يَخْطُرُ»، قال ابن القيسراني:

وَذَاتَ مَعَانٍ قَطَعَتْ أَبْبَ الْحَيَا إِلَيْكَ فَجَاءَتْ وَهِيَ تَلْمَبُ بِاللَّبِّ
تَهَزُّ عَمِيدَ الْقَوْمِ حَتَّى كَانَتْ
نَسِيمُ الصَّبَا أَفْضَى إِلَى الْغُصْنِ الرَّطْبِ

وقال ابن الساعاتي:

سِيَارَةُ الْأَمْثَالِ لَسْتُ بِوَاجِدٍ كَفَوْا سِوَاكَ لِئَلِمَا وَعَدِيلَا
حَضْرِيَّةُ الْفَنَاحَاتِ ضَائِعٌ رَدْعِيهَا^(٢) عَمَّ الْبَسِيطَةُ عَرْضَهَا وَالطُّوَلَا
فَكَأَنَّمَا نَفْسُ الْقَبُولِ أَمَدَهَا نَشْرُ الْخُزَامِيِّ لَذَّةً وَقَبُولَا

ومنه من يقول: «خَرُّ أَسْكَرٍ»، قال ابن قلاقس:

جَاءَتْكَ كَالْتَرَفِ الشَّائِلِ وَاعِدَاً بِوَصَالِهِ مُتَخَفِرَاً مِنْ صَدِّهِ
ذَابَ الْبَدِيعُ بِهَا فَسَلَسَلُ الْفُطْمَا رَاغَا تَوْمَنَ شَارِبَاً مِنْ حَدِّهِ

وقال الأرجاني :

خُذْهَا سُلَاقَةً فِكْرٌ قَدْ هَزَزْتُهَا

أَعْطَاكَ خَزَقٌ بِسُكَّاسِ الْحَمْدِ نَشْوَانٍ^(١)

رَاحاً يُشْفِئُهَا الرَّأْيُ بِأَكُوسِهَا يُشْرِينَ مِنْ دُونِ أَفْوَاهِ بَازَانٍ

ومنها من يقول : « حَمَامُ غَرْد » . قال ابن قلاؤس :

جَاءَتْكَ كَالْأَوْرَاقِ بَاتَتْ فِي النَّدَى

خُضْرًا وَكَالْأَوْرَاقِ نَاحَتْ هُمُفًا

مِنْ كُلِّ قَافِيَةٍ تَحِطُّ قِنَاعُهَا فَتَرُدُّ وَجْهَ « قَفَا » وَقَائِلُهَا قَفَا^(٢)

وقال ابن الرقاق :

وَأَيْسَكُهَا مِنْ وَاضِحَاتِ قِلَانِي

مِدْحًا يَرِنُ بِهَا الْحَمَامُ وَيَهْرَجُ^(٣)

كَعِطَائِمِ الْبُسْمَانِ أَيْنَعُ زَهْرُهَا أَوْ كَالْمَذَارِي الْبَيْضِ إِذْ تَتَهَرَّجُ

ومنها من يقول : « مِسْكٌ أَذْفَرُ » ، قال ابن المعلم :

نَقَّحَهَا شَاعِرٌ وَلِيٌّ لَدَرَّ إِحْسَانِيكُمْ رَضِيْعُ

يَنْتَرُ مِنْهَا بِكُلِّ نَادٍ لَهَا نَشْرُهَا يَضُوعُ

وقال ابن الساعاتي :

قَمَدَتْ حَوْلَكَ الْقَوَائِي وَلَا يَنْزُ فَكَ فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا سَيَّارَا

كَلَمَا كَتَمُوهُ نَمَّ شَدَاهُ فَهُوَ كَالْمِسْكِ تَفْجَعُ وَانْدِشَارَا

ومنها من يقول : « ثَوْبٌ أَفَقَ بِالْكِرَاكِ مَدَثَرُ » ، قال الخفاجي :

(١) ديوانه ٤٠١ ، والخرق من الفتيان : الظريف في سباحة .

(٢) يشير إلى معلقة امرئ القيس التي أولها : « قفانك » . (٣) ديوانه ١٢٠ .

لك الخير ما جهد القوافي ببالغ مداك ، وإن بذّ الرياح حَسِيرُهَا^(١)
ولو نُظِمَتْ فيك النجومُ مَدَامُحًا

لَقَصَرَ عَنْ حَدِّ الثَّمَاءِ مَسِيرُهَا

وقال أبو الملاء المَعَرِّي :

وَلَقَدْ نَدَغَصَبْتُ اللَّيْلَ أَحْسَنَ شُئْبِهِ وَنَظَّمْتُهَا عَقْدًا لِأَحْسَنِ لَابِسِ^(٢)
وَأَفْدَتَهَا الْقِدْحَ الْمُعْلَى فَائْضًا يَجْرِي وَلَمْ أَقْنَعْ لَهَا بِالنَّافِسِ

ومنها من يقول : « حُسَامٌ حَقِيلٌ مُجَوَّهَرٌ » . قال ابن الساعاتي :

فَأَفْتَرَعَهَا غَيْدَاءَ جَيْدَاءِ كَالْمَاءِ شُوقٌ يَجْزُلُو عَلَى الْمُحِبِّ دَلَالَهُ
كَهَفِيحِ الْمُنْدِيِّ حُسْنًا وَلَيْفًا وَكَخَدْبِهِ قُوَّةٌ وَجَزَالَهُ
وقال الأَرَجَانِي :

وَاسْمَعْ جَمِيلَ ثَنَاءٍ مِنْ خُلُوصِ هَوَايَ عَلَى لِسَانِ جَنَانِي فِيكَ يَلْقِيهِ
أَلَا فَقَدْ حَسَامًا مِنْ تَصَادُفِهِ مِنْهَا ، وَطَوَّقَ حَسَامًا مِنْ تَعَادِيهِ

ومنها من يقول : « لَيْثٌ يَزَارُ » ؛ قال ابن الساعاتي :

مَدْبِغٌ حَكِي زَأْرُ الْأَسْوَدِ جَزَالَهُ وَرَاءَ نَسِيبِ كَالْفَزَالِ يُفَازَلُ
فَمَا نَقَشَهُ إِلَّا سَوَادُ عَجَاجِيٍّ وَمَا شَكَلَهَا إِلَّا قَنَّا وَمُنَاصِلُ

وقد جمع سبط ابن التماوي بذى غالب هذه الدعاوى وأدعاها القصيدة ، فقال :

سَامِلًا فِيهِ أَقَاصِي الْبِلَادِ ثَنَاءً مَتَى سَارَتِ الشَّمْسُ سَارًا^(١)

(١) ديوانه ٤٨ .

(٢) سقط الزند ٤١٢ ، والقدح المعلى من القداح : ما كان له سبعة أنصباء ، والنافس له خمسة .

وَأَبْقَى عَلَى مَفْرَقِ الدَّهْرِ مِنْهُ تَاجًا وَفِي مِفْصَمِيهِ سِوَارًا
 قُصَافٍ كَانَ عَلَى السَّامَةِ بَيْنَ أَدِيرُجَيْنِ تَمُورًا لَا عُقَارًا
 تَصَوَّعَ طَيِّبًا كَأَنَّ الثَّنَاءَ شَبَّ بِهَا مُنْدَرِجًا وَغَارًا
 وَتَقَرَّرَ عَنْ مَدَامٍ كَالرَّيَا ضِ ضَا حَكَ نَوَارُهَا الْجَلَنَارَا
 حَسَنَ فَإِنْ كُنْتُ أَرْسَلْتُهُنَّ عُشُونًا فَإِنَّ الْمَهَانِي عَذَارَى

* * *

قوله بعد تمام القصيدة (٢) :

١٢٩ - هَا كَمَا أَعَزَّكَ اللَّهُ ، يَسْطُهَا الْأَمَلُ ، وَيَقْبِضُهَا الْحَجَلُ .

يسطها الأمل ، أى يمدّها ويطوّنها حسن الظنّ بك . وَيَقْبِضُهَا الْحَجَلُ ،
 أى يجمعها ويضمها التقصير ، وكأنّها تقدّم رجلاً من الأمل ، وتؤخّر أخرى من
 الحجل وقد طابق بين البسط والقبض وبين الأمل والحجل ، لأنّ الأمل يبعث
 والحجل يكفّ . وقد جرت العادة في مثل هذا بين الأدباء ، أنه يُتَمَعُّ التَّنَزُّ
 بالنظم ، لأنّ النظم له موقع في السَّمْعِ تَلَقُّذُهُ ، وللتَّنَفُّسِ به ابتهاج لمناسبة بين الطبع
 والوزن ، قال أبو تمام :

فَكَيْفَ وَلَمْ يَزَلْ لِلشَّعْرِ مَا لَا يَرِفُ عَلَيْهِ رَيَّحَانُ الْقُلُوبِ

ثم إنهم يقدّرون مع ذلك . وقد اعتمد هذا جماعة من الأدباء ، منهم أبو عبد الله
 الحسين بن علي بن محمد المعروف بابن قَمّ المنيّ في رسالته المشهورة التي كتبها إلى
 أبي حمير سبأ بن أبي السمود أحد الصّالحين ، فقال في آخر رسالته المذكورة :
 وقد أصعب عبْدُهُ هذه الأسطر شمرّاً يَهْتَمُّ فِيهِ عَنْ وَاجِبِ الْحَدِّ ، وَإِنْ بُنِيتْ قَافِيَتُهُ

على الله ، وما يمد نفسه إلى كهدى جلد السيفتى الأثر^(١) ، إلى الديباج الأحمر .
أين در الحباب ، من ثور الأحاب ، وأين الشراب من السراب !

١٣٠ - وقونه لها ذنب التقصير ، وحرمة الإخلاص ، فبذنباً
حرمة ، واشفع نعمة بنعمة .

الحرمة : ما لا يحل انتهاكه ، وكذلك الحرمة . والإخلاص : أن يكون
الضمير لا يخاطبه شك فيما يعتقده . واشفع ، أى أتمتع النعمة بالعملة حتى يكون
ذلك شفعا ، أى زوجاً . وقال عمارة اليمفى :

خذ القفو واشفع هن قصور قصائدى
فإنك عن ذنب المقرين صافح
وسامح وخذ بمض الذى تستحقه فن عادة أن الكريم يسامح
وما أحسن ما أنشدنيه لنفسه إجازة صفى الدين الحلى :

فانتهجى بكر قصيد لا صداق لها
سوى القبول وود غير مكفور
على أبى الطيب الكوفى مفخرها إذ لم أضغ مسكها فى مثل كافور
رقت لعرب عن رقى لمجدكم حيا ، وطالت لتمحو ذنب تقصير
وقال ابن العلم :

ما كان فى التقصير إلا مذنباً شعري وقد جاء إليك تائباً
قوله : « واشفع نعمة بنعمة » من قول أبى تمام :

(١) السبى من أسماء النمر ، والأثر ما فيه نكت مبداء وأخرى بيضاء .

وَتَقْمُولِ الْجُدْوَى بِجَدْوَى وَإِنَّمَا
يُرْوَقُكَ بَيْتُ الشَّمْرِ حِينَ بُصِرْعُ (١)

وقال ابن حيوس :

وَلَطَّالًا أَغْنَيْتَ غَيْرَ مِشَارِكٍ عَنْ صُوبٍ غَادِيَةٍ بِصُوبٍ بَنَانٍ
وَقَلَّمْتَ غَرْبَ كَتِيمَةٍ بِطَلِيمَةٍ وَشَفَعْتَ بِكَرٍّ صَنِيعَةً بِمَوَانٍ

١٣١ - وفوله : لَيْتَ أَتَى لَكَ الْإِحْسَانُ مِنْ جِهَاتِهِ ، وَتَسَلَّكَ إِلَى
الْفَضْلِ مِنْ طُرُقَاتِهِ

التأني : والتأميؤ ، وتأتى له ، أى ترفق وأتاه من وجهه . وقال الفراء : يقال :
فلان يتأتى ، أى جاء يتمرّض لمروفيك ، والإحسان مصدر « أحسن » ، وهو
ضدّ الإساءة . وجهات : جمع جهة ، وهى الناحية والقصد . والسلوك . الذّهاب
والمرور . والفضل : اسم يعمّ كل خير ، وهو ضدّ النقص . والطرقات : جمع
طريقة ، وهى المذهب .

[فصل في نقد المؤلف لرسالة ابن زيدون]

فيما ظهر لي من الانتقاد على ابن زيدون رحمه الله تعالى ، وإن كان من الفضل بالحل الأعلى ، ومن الأدب بالنور الأجل ، فإنه لا بد من السكينة للجواد والمهفة لمن عرض عقله على السواد ، فالعضمة لا تشتط إلا بالمرسل ، ومن عرض نحره للموالى فلا بد أن يُيسل^(١) ، وفوق كل ذي علم عليم .

١ - من ذلك قوله : « الذي ودادي له » ، أتى بهذه فذة لأخت لها ، ولو قال بعدها : « وسدادي » لكان قد آخى بين الكلام ؛ كما قال بعد ذلك : « واعتدادي به ، واعتدادي عليه » .

٢ - ومن ذلك قوله : « وأنفع الحيا ما وافق جدبا ، والله الشراب ما أصاب غليلا » ، كان يحسن به ويليق بهذا الموضع لو أنشد :
لولا أطراد الصيد لم تك لذة فتطارد لي بالوصال قليلا
ومن ذلك قوله : « ولا أخلو من أن أكون بريئا فأين عدلك ، أو مسيئا فأين فضلك » كان يحسن بهذا الموضع ويليق به لو قال بعد ذلك :
هيني ظلوما نلت به بمساءة
قصاصا فأين الأخذ يا عز بالفضل !

٣ - ومن ذلك قوله : « حفا نيك قد بانخ السيل الزبي » كان يحسن بهذا الموضع ويليق به أن لو زاده : « وجاوز الحزام الطبيين » ، الطبي لدوات الحافر والسباع كالضرع لغيرها .

(١) البسل : الهلاك .

وهكذا كتب عثمان بن عفان إلى علي بن أبي طالب وهو محصور في الدار :
« أَمَا بَعْدَ ، فَقَدْ بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبْيَ ، وَجَاوَزَ الْحَرَامُ الطَّبِيعِينَ » . وقد تقدّم
ذلك عند ذكر عثمان رضى الله عنه .

٤ - ومن ذلك قوله : « وَتَأَوَّلْتُ فِي بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ » ، لم ينقل أحد من
علماء السير أن أحداً ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم في العقبة الأولى
والثانية ولا الثالثة من الأنصار - رضى الله عنهم - نكث ببعثه أو تأوّل
فيها ؛ فيأرّده هذه القرينة مع ما تقدمها من الوقائع المشهورة غير لائق .

٥ - ومن ذلك قوله : « وَتَخَلَّفْتُ عَنِ صَلَاةِ الْعَصْرِ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ » ،
هذه وإن كان قد وقع فيها جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم ؛ فإن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم ينقل أحدٌ من أرباب السير فيما علمته أنه غاب
على أحدٍ ممن تخلف عن الصلاة في بني قُرَيْظَةَ تأخيرهُ . فإنه فيهم من
صلى العصر في وقتها في بني قُرَيْظَةَ ، ومنهم من تأخر عنها . ولما ورد قضى صلاة
العصر في بني قُرَيْظَةَ ، وما أنكر على أحدٍ منهم صلى الله عليه وسلم فعله ؛ وما يليق
بالبلغ أن يورد هذه الواقعة مع ما أورده من تخلف إبليس عن السجود لآدم ،
ومن فعل ابن نوح ، ومن قول فرعون : (يَا هَآكُمَا ابْنِ صَرْحًا) ،
من عقر ناقة صالح ، ممّا ذكره وعدّه من تلك الإساءات ، وأورده من
تلك الذنوب .

٦ - ومن ذلك قوله : « وَزَعَمْتُ أَنَّ إِمَارَةَ أَبِي بَكْرٍ كَانَتْ فَلَئَةً » ،
فإن مثل هذه العبارة لا تورد في الجفائيات ولا الخطايا ؛ لاسيما وهي من قول عمر
ابن الخطاب رضى الله عنه على ما تقدم بيانه . والذين تعلقوا بهذه العبارة
وعذّوها هفوة ، إنما تمسكوا بما فسره الخطابي في كتاب غريب الحديث ؛
وليس ذلك بظاهر ، وابن زيدون رحمه الله تعالى تمسك بما فسره أبو عبيد .

٧ - ومن ذلك قوله : « وَكَتَبْتُ إِلَى عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ : أَنْ يَجْمَعَ بِالْحُسَيْنِ » ،

فإنه عني بالكتاب عبيد الله بن زياد وعني بهمر بن سعد ، ابن أبي وقاص ، وهو الذي تولى محاربة الحسين . وعبيد الله بن زياد إنما كتب بذلك إلى الحر بن يزيد التيمي - وكان قد أرسله في ألف فارس - ليأتي الحسين قبل إرساله عمر بن سعد . فلقية الحر ، ومنعه من التوجه إلى الكوفة وإلى الشام ، وحال بينه وبين الرجوع ، وجرى بينهما الصلح - على ما هو مذكور في كتب التواريخ - على أن ينزل الحسين رضي الله عنه حيث انتهى إليه الحر وعسكره ، ويكتب الحر عبيد الله . فكان جواب عبيد الله إليه : أن جمعهم بالحسين وأصحابه حتى تأتي عمر بن سعد ، وأنزلهم على غير ماء .

٨ - ومن ذلك قوله : « فكيف ولا ذنب إلا نعمة أهداها كاشج ، ونبا جاء به فاسق » ؛ كان يليق بهذه الموطن أن يزيد فيه : « وفرة اختلقها حاسد » ، ليحسن بعد ذلك قوله : « وهم الهمازون الشاميون بنعيم » .

٩ - ومن ذلك قوله : وما ظنك بقوم ، الصدق محمود إلا منهم .

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب^(١)

ليس هذا البيت بعد هذه السجعات بمتمكّن في إirاده ، ولا ثابت في وضعه ، وكان الأليق بهذه السجعات لو أورد قول أبي الطيب :

وإن كان ذنبي كل ذنب فإنه
محا الذنب كل المخور من جاء تائباً^(٢)

لكان حسناً وافياً بالقصود .

(١) لامية ، ديوانه ١٢

(٢) ديوانه ١ : ١٧

١٠ — ومن ذلك قوله : « والله ما غششتك بمد النصيحة ... » ، إلى قوله : « وعهد أخذه حسن الظنّ عليك » ، هنا بمد فراغه من هذه الجملة التي عطفها على الجملة التي أقسم عليها ، يحسن إيراد قول الشاعر :

* حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبة .. *

البيت

١١ — ومن ذلك قوله : « فعمّ عبث الجفاء بأذمتي » ، كذا وجدته بخط الشيخ الإمام الأديب الكامل عليّ بن ظافر رحمه الله تعالى في اختصاره نفائس الذخيرة ، والظاهر أن ابن زيدون رحمه الله تعالى إنما قال : « فقيم^(١) » أو « علام » .

١٢ — ومن ذلك قوله : « وما لك لم تمنع مني قبل أن أفترس » ، وتذكرني ولما أمزق ، أم كيف لا تنضرم جوانح الأكفاء حسداً لي على الخصوص بك » ؛ هكذا نقلته من خط ابن ظافر رحمه الله تعالى ، وما لدخول هذه الجمل المصدرة بأمر مناسبة على هذه الجمل المصدرة بحرف الاستفهام ؛ لأنه لا يجوز أن تقول : مالك لم تقم ، ولم تركب ، أم كيف لا تكون قاعداً ؟ وهذه « أم » إنما يعطف بها على الاستفهام بالهمزة ، فتقول : أقت أم قدمت ، والظاهر أن ابن زيدون رحمه الله تعالى قال : « وكيف لا » ؛ والله أعلم .

١٣ — ومن ذلك قوله : « عارف بأن الأدب الوطن لا يخشى فراقه » ، والخليط لا يتوقع زياله » ، كذا وجدته بخط ابن ظافر رحمه الله تعالى ، وهو غير مستقيم ولا متفق ، لأن كل أحد يخشى فراق وطنه . والظاهر أن ابن زيدون رحمه الله تعالى قال : « عارف أن الوطن يحتب فراقه والخليط يخشى زياله » ، وإنما صحف « يحتب » ، ؛ « يخشى » وزادها « لا » ، لأنه قال

فيا بعد : « غير أن الوطن محبوب والمنشأ معروف ، واليبس يحن إلى وطنه » .

١٤ — ومن ذلك قوله : « والكريم لا يجفو أرضاً بها قبائله ، ولا ينسى بلداً فيها مراضمه » لو قال بعد هذا : « ولا يرفض ممهداً قضى الشباب فيها مآربه » .

١٥ — ومن ذلك قوله : « إن الطمع في غيرك طبع ، والفناء من سواك عناء » ، لو قال بعد ذلك : « والطمأنينة إلى غيرك غرور ، والنقمة بخلافك خذلان » لكان فيه زيادة حسن .

فصل

[رسالة محي الدين بن عبد الظاهر]

وإذ قد وصل بي العمل إلى هنا ، وفرغتُ من الكلام على الرسالة
الزيدونية ، فلا بأسَ بإيراد الرسالة التي أنشأها الإمام الفاضل الكاتب القاضي
محيي الدين بن عبد الله بن عبد الظاهر^(١) ، أحد أسيان الإنشاء ، لا بل إمام من
ترسل وتوصل إلى المقاصد الغريبة ، بحسن ما خاطب ، ولطف ما توسل . وهي
رسالة كتب بها رحمه الله تعالى إلى الأمير ناصر الدين حسن بن شاور الكنتاني
القميضي المعروف بابن النقيب^(٢) رحمه الله تعالى ، في معنى شخص تنقصه بسبب
التواضع في الجلوس ، وهو ينسب إلى الرفض ، هذا فيما حذو ابن زيدون رحمه
الله تعالى في هذه الرسالة في سنة ثلاث وخمسين وستمائة . وقد نقلت ذلك من
خطه رحمه الله تعالى :

بلغني - أعزك الله ، ولا برحت رحيب فناء الفخر ، قشيب ملبس العمر ،
يانع عمر الشكر ، مُفعم حياض البر - أن فلاناً غصّ مني كل غصّ الجنى ،
وأنه عبث بي عبث الأيام بالمي ، وأنه ردّني إلى أرذل العمر في الأطراح ،
وغلق في وجهه تنجّحي أبواب النجاح ، وزعم أن إناء أُناني^(٣) غير مُفعم ، وبفاء
مجدى غير مُحكم ، وجواد إجادتي غير مُلجَم ، وأن ميلاد مجدى حديث ،
وسبب سقدي رثيث^(٤) ، وأن جوارح إجادتي جريحة ، وقرائح ارتجالي قريحة ،

(١) هو عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان عبي الدين القاضي الأديب المؤرخ ، من أهل
مصر مولداً ووفاته ، توفي سنة ٦٩٢ . فوات الوفيات ١ : ٢١٢ .
(٢) هو الحسن بن شاور بن طرخان ، شاعر من أفاضل مصر ، وصاحب كتاب منازل
الأحباب . توفي سنة ٦٧٨ . فوات الوفيات ١ : ١١٨ .
(٣) في ط : إمائي . (٤) السبب : الحبل ، والرثيث ، أي البالي .

وَأَنَّ صَدُورَ الْجَالِسِ تُتَفَكَّرُ إِقْدَامُ أَفْدَامِي ، وَبَطُونُ الطَّرُوسِ لَا تَتَفَحُّ بَوَاطِئُ أَقْلَامِي ، وَأَنِّي لَا أَعْدُ فِي جَمَلَةِ الْكِتَابِ ، وَإِذَا دَخَلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ لِلتَّكْرِيمِ لَا أَدْخُلُ مَعَهُمْ فِي بَابٍ .

وَإِذَا أَتَيْتَ مَذْمُومِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلٌ^(١)

وَقَدْ بَنَيْتُ مَقَالَةَ هَذَا الْقَائِلِ عَلَى أُمُورٍ ، وَحَمَائِهَا عَلَى اِحْتِمَالَاتٍ ؛ غَرَّهُ فِي جَهْمِهَا الْجَهْلُ ، كَمَا غَرَّهُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ . وَالَّذِي أَقُولُهُ لَهُ مَخَاطِبًا ، وَأُوحِيهِ إِلَيْهِ بِجَاوِبًا :

إِنْ كَانَ اسْتِرْسَالُكَ أَيْهَا الْعَائِبُ عَيْبًا ؛ فَمَا كُلُّ الْأَفْعَالِ تَتَعَبَّتْ بِهَا الْأَنَامِلُ ، وَلَا كُلُّ الْمُرَاعَى تُنْصَبُ بِهَا الْحَبَائِلُ ، وَلَا كُلُّ زَخَارٍ يُخَاضُ ، وَلَا كُلُّ جَنَاحٍ يُهَاضُ ، وَلَا كُلُّ جَامِحٍ يُرَاضُ ، وَلَا كُلُّ سَابِقَةٍ تُفَاضُ ، وَلَا كُلُّ نَسْرِ وَاقِعٍ ، وَلَا كُلُّ نَبَرٍ رَاجِعٍ^(٢) ، وَلَا كُلُّ السُّمُومِ يَدْخُلُ فِي دِرْيَاقٍ ، وَلَا كُلُّ مَطْوِقٍ يَجْذَبُ بِالْأَطْوَاقِ .

فَإِنْ كَانَ مَاقِلَتُهُ حُدُكًا ؛ فَإِنَّ مِنَ الْأَحْلَامِ مَا يَرُوعُ ، أَوْ وَهْمًا فَإِنَّ مِنَ الْأَوْهَامِ مَا يُخَامِرُ الضُّلُوعَ ، أَوْ جَهْلًا فَإِنَّ الْمَدْلَ الرُّطْبَ لَا يَضُرُّهُ كَوْنُهُ حَطْبًا فِي مَوْطِنِهِ ، وَالتَّبَرُّ لَا يَضِيرُهُ كَوْنُهُ ثَرَابًا فِي مَعْدِنِهِ . وَلَا يَضُرُّ الزَّيَّادَ الْوَارِيَّ قَدْحُ الْقَادِحِ ، كَمَا أَنَّهُ لَا يَضِيرُ النَّجْمَ السَّارِيَ نَبِيحُ النَّابِاحِ ، وَلَا عَلَى إِذَا قُلْتَ مَلَامًا ، وَقُلْتَ أَنَا سَلَامًا ، وَالْفَخْرُ فِي أَنْ أَحْلُمُ إِذَا قُلْتَ اهْتِضَامًا ، لَا فِي أَنْ تَقُولَ كُلُّ مَا حَلَمْتَ مِنْمَا ؛ كَمَا أَنَّكَ مَا فِي يَدِكَ أَنْ تُحْدِثَ لِي ضَرًّا ، وَفِي يَدِي أَنْ أُوسِمَكَ صَبْرًا ، وَفِي قُدْرَتِي أَنَّكَ تَسْتَفْضِينِي فَلَا أَعْصِبُ ، وَفِي قُدْرَتِكَ أَنِّي أَسْتَرْضِيكَ وَلَا تَرْضَى . وَعِنْدَكَ أَلْبُكَ تَأْكُلُ لِحْيَ مَيِّتًا ، وَعِنْدِي أَنِّي لَا أَسْتَحِلُّ أَنْ آكُلَ

(١) للفتني ، ديوانه ٣ : ٢٦٠ .

(٢) لأن السكواك في زعمهم ، بعضها له رجوع ، وبعضها لا رجوع له بل يستمر .

لك لقمة ولا زيتاً ، ويمجيبك أنك تحفر لي بئراً وتقع فيها ، ولا يمجيبني أنى أقم فيك .

أنزله قلبي عن مجازاة مثله متى كانت الآساد مثل الثعالب !
وأعود إلى محاققة النفس ، فتأبى إلا إظهار اللبس ، فأقول :
هل أنت يافلان إلا متخرس بزور ، وآيس من الخير كما ينس الكفار
من أصحاب القبور ، وآمن من العواقب والله عاقبة الأمور ! وما مبالاى بك
إلا مبالاة الديك بالبط ، والشمة بالقط ، وزماح الخط بأقلام الخط ، ومتى
خافت الرجوع من الوعود ، أم متى أحجمت الأسود عن القرود ، أم متى جرعت
البهار من التيار ، أم متى صارت النار كالأنوار . أم متى فرغت بنات نعش من
بابني سمير^(١) ، أم متى صفرت بنو الزيان في عين أبي كبير ، أم متى جبن
الفرزدق من جرير ، أم متى شبت النعماني^(٢) بالنعام ، أم متى خاف هرما مصر
من الأيام وهي التي يخاف منها^(٣) على الأيام ! وهل تبالى الدرة المضيئة إذا قيل
لها : اليتيمة ! أم هل تهاب الأعين النجل إذا قيل لها : السقيمة ! أم هل تحل
اليتيمة بالخصور إذا قيل لها : المضيئة !

وما مبالاى بما نقوله إلا مبالاة آدم بعدم سجود إبليس ، ولا صرر منك
إلا ضرر الصرح المررد من قوارير بوطء بلقيس . أم هل أبالى بك إلا مبالاة
البازي بالحمام والليث بالتفاف الخيس ، ومتى كانت همدان تفخر على كلب^(٤)
أو تحذر منها الكديد ، أم متى خاف الأسد من أبي زييد ! وهل بالت
قريش بمأليب أبي سفيان ، أم هل فزعت مازن يوماً من استباحة ذهل بن
شيبان ، وبحمد الله ما أحوج الزمان إلى زياد ، ولا ألبأ إلى تلقيه بوجه مكفهر
كان عليه أرزاق العباد .

ولست - لحاك الله - من بني صريم الذين تلتفتهم التهامم والنجود ،

(١) ابن سمير : هما الليل والنهار .

(٢) النعماني : النسيم .

(٣) الأصم : « عليها » .

(٤) في الأصل : « كلب » .

ولامن بنى عمرو الذين ليبتوتهم سُمْتُ صعب الصمود ، ولا فيك مافي أبي قابوس
من حزم ونائل ، ولا لديك ما لدى مَنْ إذا قال لم يترك مقالا لقائل .

وكان الواجب عليك أن تُمسك إمساك ابن المذل عن مُلاحاة المرص
ببنهمان ، وأن تألف من فضيحة جَهْلِكَ الفظيعة أنفة جبلة بن الأيهم ما بين
غسان . وما كان أشفلك عن ذكرى بذكرك ، وأحقك بأن تُجھل في خويصة
نفسك جواد فكريك ، وأولاك بأن تدخل في رحمة الله بعرفانك لقدرك .

وَلَوْ أَنِّي بَلَيْتُ بِهَا شِمِّي خُسُولَتُهُ بِنُو عَبْدِ الْمَدَانِ^(١)

لَمَانَ عَلَى مَا أَلْتِي ، وَلَكِنْ تَمَاَلَوْا فَانظُرُوا عَنِ ابْتِلَانِي

وتالك لقد استنفقت من مثلي مفوتها ، وآثرت من ذمي مُرفقا ، وهزرت
من قلبي منقفا ، وأصلت من كل مرهقا .

مَتَى سَأَلْتُ بِغَدَادٍ عَنِّي وَأَهْلَهَا فَإِنِّي عَنْ أَهْلِ الْقَوَاصِمِ سَائِلٌ
وَلَئِنْ عِمَّتْ مِنِّي يَابُن لَيْخَمٍ هَجَاءٌ ، فَإِنِّي لَأَرْجُو أَنَّهُ سَيُعِثُّ بِكَ دَاءً .

لَقَدْ هَرَمْتُ عَامِرَ بَوْمٍ لَقَمَ حُسَامًا إِذَا ذَاقَ الْقُرْبِيَّةَ صَمَامًا

وها نحن ننظر فعل الله فيك بما تفعل بنفسك ، ونحسب لك عثارك في
غلك من أمسك ، ونترقب بك الدوائر تربصك بنفسك .

وَمَنْ يَتَرَبَّصْ صَوْلَةَ الدَّهْرِ يَلْقَاهُ

وَشَيْكَا ، وَهَلْ تَوْحَى الْأَسَاوِدَ بِالْوَلَعِ !

وكيف لا يدخل عليك الاعتلال ، وأنت وأخوك وأبوك وفوك وكل
معتل وذو مال ! .

(١) لدجيل الخزاعي ، ديوانه ٣ .

وليس الفنى إلا غنى زين الفنى عشيّة يقرى أو غداة يُذيلُ
وأماما توهت من حُلولى في أخريات المجالس ، وكونى في ذلك غير مناقس
ولا منافس ، فلا عيب على السفن إذا ختم الأنايب ، ولا حُلولى القافية في
آخر البيت من الأعاجيب .

والبدر أحسن ماترا . ه العين في ذيل الأفق
ولا حطّ منزلة الحمد له إذا أنى بها في آخر الكتاب من كتب ، ولا شأن
سورة الإخلاص إذا تقدمها في المصاحف سورة أبى طه .

ولو لم يعلّ إلا ذو محلّ تعالى الجيش وانحطّ القتام
ولا تُماب الشمس إذا كان لها دون فلك زحلّ مقام ، ولا يوم غروبة إذا
جاء سادساً للأيام ، ولا الألف إذا جاء بعد الواحد في العدد ، ولا الزهرة إذا
كان يبتها الثور كما لا فخر للشمس إذا كان يبتها الأسد .

من كان فوق محلّ الشمس موضعه فليس يرّعه شيء ولا يَضَعُ
والبيت بأهله ، والفئد بفصله ، والثوب بلبسه ، والجواد بفارسه ،
والقوسُ براميه ، والصهوة براقبها ، ومن أسافل البحور تترقى الدارارى إلى
أعلى النحور .

وقد يُنمى كبير من صغير وينبت من نوى القشب اللبان
وأئن تأخرت الواو في « عمرو » في الهجاء ، فلطالما كانت صدر الكلام في
الابتداء ، ولئن جاءت الهمزة آخر الممدود من الأسماء ، فكثيراً ما جاءت أو لا
في الاستفهام والإغراء ، وقد ورد التصغير للتعظيم ، ونطق القرآن بالتهكم بلفظ
« النكريم » .

على أن السعد بحمد الله لا يقوقف على الجلوس في أوائل المجالس ولا الحُلولى

منها في الأواخر ؛ ولا يحضّ المرتفع ويخصّ المتضع فقد غلظت السبابة
والوسطى وحليت دونهما الخناصر ، ولا حسن الثوب إلا بسجافه ، ولا رقم
المعلم في برود إلا في أطرافه .

إذا أنت أعطيت السعادة لم تُبَلِّ

ولو نظرت شذراً إليك القبايل^(١)

تفتك على أكتاف أبطالها القنا وهابتك في أغمارهن المناصل^(٢)

ولقد لامست مني شيهما ، ومارست ضيفما ، وجالست أرقما ، وزاحمت
جندلا ، وهاويت أجدلا .

ياسالكما بين الأسفة والقنا إني أشمُّ عليك رائحة الدم

وها أنا قد وجدت مكان القول ذاسمة ، والسيِّف أقطع ما يكون إذا
هزّ ، والجواد أسرع ما يكون إذا زوّ . وإنّ مع اليوم غداً ، ولو ترك القطا
لهدا ، وعداوة الشعراء بئس المقتنى !

ومن تفلّق به نعمة الأفاعي يمش - إن فاته أجل - عليلا

وإن قلت : إنك لا يضرك هذا الإرهاج ، ولا يثرك هذا الإزعاج ،
ولا تبالي به إلا بمبالاة الزّجاج بالزّجاج ، ولا تأنف منه إلا أنفة الحجّاج
بالحجّاج .

فإنّ بنى النّويرة أدركتهم مذمتهم بعبد أبي سراج

وأعود فأقول : ما أظنك وقعت مني على الخبير ، ولا أنت في الفحص
عن حالي في قبيل ولا دبير ، ولا علمت أن جدّي سعد وجدّي سميد ، ولا

(١) لأن الملاء المرى ، سقط الزند ٥٤٩ .

(٢) تفتك ، أى انتك .

أني بحمد الله للأمان وكيف لا ووالدي الرشيد ، ولا أن لي إباء بضع لي فوق
البدر مهاداً ، وشيماً تجعل الجوزاء تحت يدي وساداً .

وقد سار ذكرى في البلاد فمن لهم

بإخفاء شمس نورها مكامل^(١)

ولماني وإن كنت الأخير زمانه لآتي بما لم تستطع الأوائل

وتالله إن يوحى ينافس في الأمس ، وقوى يفخرون بي كافتخر عصام بالنفس .

إننا ذوو النسب القصير فظولنا أعياناً على الكبراء والأشراف

والراح إن قيل ابنة العنب اكتفت

بأب عن الأسماء والأوصاف

ولا أعلم أيها المتدقق لي ذنباً يستدعي هذا الإسهاب ، ولا بيني وبينك

خطوباً فيما فهمت به من الخطاب . اللهم إني لا أعتقد اعتقادك المفضل ، ولا

أرى رأيك المؤول ، ولا أقول عبد الله بن سبأ في اعتقاده ، ولا أبا الخطاب

الأسدي في اجتهاده ، ولا أوافق هشام بن مسلم الجواليقي على مراده ،

ولا أنشدك :

الآن الأئمة من قریش

على والأئمة من بنيہ

فسبط سبط إيمان وبر

وسبط لا يذوق الموت حتى

ولا أنشدك قول السيد الخيري :

ألا قل للرضي قد تك نفسي

أضر بمشرك والوك مننا

أطلت بذلك الجبل المقام

وسموك الخليفة والإماما

أو أنك تمتد أنى من شيمة أبى كامل ، أو أننى انفتحت أنا وابن ملجم
على تلك القوائل ، أو أننى من الظالمين بنار الدار إذا جدّ الوهل ، أو أننى
كنت مع بنى ضبّة في يوم الجمل ، أو أننى تأولت في قتل همار بن ياسر ذلك
التأويل السقيم ، أو أننى كنت من جملة من رفع المصاحف لطلب التحكيم ،
أو استعيرت عقل أبى موسى الأشعرى بالمشاورة ، أو خدعته بخلق الرجّارين
في المشاورة ، أو اتيت عبد الله بن وهب الراسبي في جمعه ، أو ناظرت
عبد الله بن عباس لما حضر لمناظرته على صفه ، أو ساعدت معاوية بن
حديج على قتله ، أو أشرت على معاوية بإفناذ بسر بن أرطاة إلى المدينة حين
لا عهد لما بمثله ، أم ترانى أنشدت يوم قتل الإمام ، عليه السلام :

ففلق هاماً من رجال أعزة علفنا وهم كانوا أعتق وأظلموا^(١)

أم ترانى ألقى الله بعمل سنان بن أنس ، أم قد أقدمت لإقدامه حين ضربه
حتى ألقاه عن الفرس ؛ حاش لله ! ما أنا من هذا القبيل ، ولا سالك هذا
السبيل . وعلى تقدير أننى أتيت بأكثر من هذه الذنوب ، وأن قافل توبى
لا يثوب ، أليس لى نفس لا تصبر على ضيّم ، وشمس إبائى لا يسترها غيّم ،
وبياض خلق ولا بياض خلق سحيم ! آمنت كاتب الدرجات باتفاق
الاسمين ، لما ظهر الفرق في كتاب النبي صلى الله عليه وسلم بين العبيدين ، أو
باختلاف المنزلقين ، لما غلبت بيمنة الشمس على القمر وبينهما لازهرة وعطارد
بعد فلكين

وإذا خفيت على الفبي فقاذر ألا ترانى مقلّة عمية^(٢)

أنا صخرة الوادى إذا ما زوحت

وإذا نطقت فإننى الجـوزاء

(١) الحصين بن الحمام المرى ، الشعر والشعراء ٦٣٠ .

(٢) لأبى الطيب المتنبي ، ديوانه ١ : ١٥ ، ١٦ .

وقد آن أن أحبس العنان ، وأغمد حدتي السيف واللسان ، وأشدّ بأعناق
 للني غير هذه وأضرب صفحتها ، وأنشيء على رأى العامرية صلحا ، وأعدل
 من نار القرى إلى نار القرى ، وأسرى لأحمد الشرى ، وأستروح من مثالبه
 لأستريح ، وأودعها ولا أودعها ، وأجتم لها ولا أجم منها^(٢) ، وأهب جئن
 الدواة غفوة ، وأغفر لحد القلم نبوة . ومن يكون المولى مهمين فرائده ،
 وجوهرى قلانده ، ومثقف صماده ، ومقوى زنده ومورى زانده ، والحامى
 عنه بسيفه وقلمه ، والمرشح له من ديمه ، فلا يبالي بتقصيص العارى ، ولا يتأسف
 على ثلب البارى :

على نحت القواني من مقاطعها وما على لهم أن تفهم البقر
 ولا يضرّ الورد الخضل ، استيقاض من به داء الجمل^(١) ؛ كما أنه لا يضرّ
 القمر المنير ، استهزاء الضرير .

ويكفينى - أطل الله بقاءك - فى الدعاء عليه تأمينك ، وفى حفظ مساوئ
 تلقينك ، وفى الاعتداء عليه تجهيزك ، وفى التكاثر عليه تعزيزك . وها أنا أستعين
 وأستعير ، وأستميل وأستعير .

والقوافى كما علمت قوافٍ إثر من حاد عن طريق الصواب
 وسأذهمه منها بما لا قبل له بها ، وأجلب عليه بخيل ورجل ولا قدرة
 له بجلبها ، وإن كان عرضه لا يصلح للهجو ، ولا يساوى ثوب ثلبيه أجرة
 الرفو . فقد يجرب السيف فى خف البعير ، ويستحل نكاح المرأة البرئة بالعبد
 الصغير . وتصفى الفضة الخلاص بانرصاص ، وتفصل عقود الجوهر بالسحاب ،
 وتساغ اللقمة الحللة بمحرم الشراب . ومن لم يجد ماء طهوراً تيمماً .

* * *

فأدام الله لك النعمة لإدامة لا ينقصها اختزال ، وحرسها عليك حراسة
 لا تنتهي إلى زوال ، خذها أجلك الله ، قد أشأتها سُحباً ثقالاً لك منها عذب
 الشراب ، ولفيرك عذاب السراب ، وأوريتها ناراً لك منها الإنارة ولفيرك
 الإحراق ، وأجريتها بحاراً لك منها الإرواء ولفيرك الإغراق . وأدرتها شمولاً
 لك منها الذسوة ولفيرك الخمار ، وطبعتها نصولاً لك ما ضمت عليه الأنامل
 منها ولنحز غيرك الفرار ؛ وها قد أتتكم لم يكشف غيرك لها نقابا ، ووفدت
 عليكم لم تطرق لغيرك بابا ؛ فأرّخ عليها ستر معروفك الذي سترت به قدما على
 عواري . وقد حسدها القربض على سيقها إلى ناديك ، وغبطها على حلولها
 بواديك ، فتماق بأذيالها مستشفعا ، ونظر خلال سطورها متطلما ، وها هو
 قد خيم بأبياته في ذراك ، وترجأت قوافيه بين يدي عداك . . .

العلا في ارتشاف درّ العلوم - والخلى في اشاح درّ العلوم -
 والفناهى في كل فعل حميد - ما التباهى بكلّ خيل حميم -
 والسميد الشقى من جمع ال - مال لتفريق خالته وخديم -
 والنفى الفقير من لانهاء - لتقييد مواسيا وعديم -
 والمظيم المقدار كل سرى - يُترجى في كل خطب عظيم -
 والكريم الآباء من يسأل النضال فيأتى بكلّ فعل كريم -
 والنتى من يكون في كل حال - ليس بالصعب ، لا ولا بالزيم -
 ليس عندي الذميم في الخلق إلا

من أنى خلقه بفعل ذميم -
 فمقيم الرياح يُكره بالطبم ويلتد دائما بالنسيم -
 واتفاق الأسماء ليس بمجد - ما سليم فيما يرى كسليم -
 واتسام الإنسان بالشكر أولى - من رسوم في جلده ووسوم -

إنما يظهر التفاوت في الفِئَل ، وليست ولودة كقيم
 ومضاء الفرار في السيف أمسى سبباً في زيادة التفخيم
 واللا آلى لولا الملاؤ أو فيها لم تُقارَن بكل وجه وسيم
 إن حسن الشئ يعلى من المر ويفلى وخيم أمر وخيم
 وبفيض كأنه الموت إلا في اقتراب من القصور الرحيم
 غرض مني مالا يفيض وأمسى من عناني يثنى أشد شكيم
 وإن كان في النعيم بمال فهو بالبخل في سواء الجحيم
 ولكم تاه من غناه فقلنا ليس ذا القية علة التعظيم
 إن يكن بأخطام يشرف شيء لم تعظم شمائر التعظيم
 أيها السائل عن السيف فيه هو كم عاث مرة في أدبي
 هو ذو البخل والبذاة واللؤ م ، وسوء الجوار والتجسيم
 ولمرى إن الحليم إذا ما سيم خسفاً تراه غير حليم
 حاضر الغيب حين يرجم بالغيث سبب تراه يهدو إكل عليم
 لا تسألني عنه فما هو خاف كيف يخفى شيطانه من رجيم
 وكذا ليس في الأنام بخاف من أياديه مسليات الموم
 سيّد من كِفَانَةٍ هو منها خير سهم مسدد التضميم
 زانني مدحه ، ولولا تمساه لم أقلد بكل نظم
 حسن الإسم والفعال كروض

فاق حسن المرأى وحسن الشميم
 فلم جدى منه أمد خصب وأضدّي منه أشد خصيم
 ولكم قلت معلنا في معاليه بشجوه مرجع التريم
 خذ قريضا أداره كرم الو د سلافا يرضى بيت الكروم

هو في الإمتزاج مالا ، وتحرر
ولئن جاء فيه هجئو فلان
فلعمري له الهجاء نسيب
واسم نفسه وللغير منه
إن زهر النجوم منها رجوم
رب وصل أذاك من بعد هجر
فهب الصفح لا عذمتك مولى
والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

في اقتسام التحليل والتحرر
بعد مدح لكم فخير ملوم
والنسيب الجدير بالتقديم
اسمه ، رب أرقم من رقيم
ووجوم والاهتدا بالنجوم
وصباح من بعد ليل بهيم
ذا بفان هام وبر عميم

فهرس الموضوعات*

صفحة

٣ - ٥	صدر الكتاب ترجمة ابن زيدون:
١٠ - ٦	رسالته إلى أبي بكر بن مسلم لا اختفى
١٣ - ١٠	أخواره مع ولادة بنت المستنكى
١٤ - ١٣	الكلام على قصيدته النونية ومعارضة المؤلف لها
٢١ - ١٥	ذكر بعض غرر شعره
٢١	تاريخ مولده ووفاته
٢٩ - ٢٢	ذكر رسالته كلها
	السيد والمولى ، وهل يجوز إطلاق هذين اللفظين
٣٥ - ٣١	على المولى سبحانه ؟
٣٦ - ٣٥	رأى الخليلي والسهيلي في معنى لفظ السيد
٤٨	قصة إسماعيل بن المنصور الخليفة الفاطمي وطبيعته
٥٠	حكاية فتك القاهرة بالله بمؤنس المظفر
	بيان كيف سمّ الشاعخ اليماني إدريس بن عبد الله
٥١ - ٥٠	أبا الأدراسة
٥١	قصة التركي الذي قتل المتوكل
٥٢	مقتل أفريدون التركي بدمشق
٥٣ - ٥٢	مقتل السلطان ألبا أرسلان على يد يوسف الخوارزمي
٥٣	مقتل الملك الأحمدمهرام شاه على يد غلامه
	مقتل الملك الأشرف خليل بن قلاوون على يد مملوكه
٥٣	الأمير سيف الدين بغداد

* وهى الموضوعات التى ذكرت استطراداً فى الكتاب .

- ٥٣ تمسك سيف الدين فوش للأمير تمكز
- ٥٤ حكاية الذكي عبد الرحمن بن وهب القومى مع الملك المظفر صاحب حماه
- ٥٧ ، ٥٦ شرح المثل السائر : « سد ابن بيض الطريق »
- ٦١ ، ٦٠ صبر أم سليم ، امرأة أبي طلحة الأنصارية
- إيراد بعض أبيات من قصيدة أبي ذؤيب العينية ، وخبر معاوية لما حضرته
- الوفاة مع الحسن رضى الله عنهما
- ٦٢ ، ٦١ قصيدة لابن الرومى فى الصبر مع ذكر ما يناسبها من الأبيات
- ٦٥ ، ٦٣ شرح قصة المثل : « اليوم خروغنا أمر » .
- ٨٤ ، ٨٣ ذكر خبر عفو النبي صلى الله عليه وسلم عن أهل مكة بعد الفتح
- ٩٠ ذكر أشد شيء تأذى به النبي صلى الله عليه وسلم بعد يوم أحد
- ٩١ ، ٩٠ حكاية المأمون مع غلامه وقت وضوئه وعفوه عنه
- ٩١ حكاية أخرى للمأمون مع غلام له تركى
- ٩٢ قصيدة لابن عمار يستعطف بها المعتمد بن عمار
- ٩٤ حديث أبي هريرة الشاعر المصرى مع الأمير تكين
- ٩٥ ، ٩٤ حكاية محمد بن أزدشير مع الحسن بن منصور الوزير
- ٩٦ حكاية للحجاج مع عبد الملك بن مروان
- ٩٧ ، ٩٦ قصة العباس بن مرداس مع النبي صلى الله عليه وسلم
- ٩٨ حصة التقسيم (وهو نوع من أنواع البديع) وأمثله له
- ١٠٠ ، ٩٩ حكاية رجل من الأعراب مع بعض الكرماء
- حكاية الوزير سليمان بن وهب مع والى مصر محمد بن خالد الصريفي
- ١٠١ ، ١٠٠ وتدخل فى باب العفو

- شرح المثل : « بلغ السهيل الزبي » ، وخبر على بن أبي طالب حين سئل
عن ثلاثة قتلهم الأسد ١٠٨ ، ١٠٧
- شرح المثل : « حسبك من شر سماعة » ١٠٩
- ذكر المناظرة التي وقعت بين إبليس والملائكة ١١١ - ١١٣
- الأسئلة التي سأهاها أبو القاسم الجنيدى لإبليس ، واستطراد بذكر
كلام ينسب لإبليس ١١٤
- آيات لأبي نواس في هجاء إبليس ، واستطراد بذكر بعض الأشعار
في هذا المعنى ١١٧ ، ١١٦
- قصة نوح عليه السلام وإبنه حين الطوفان ١١٩ ، ١١٨
- قصة فرعون والصرح ١٢٠ ، ١١٩
- قصة موسى عليه السلام والمجمل والسامري ١٢٢ - ١٢٠
- بنو إسرائيل واعتداؤهم في يوم السبت ١٢٤ - ١٢٥
- قصة صالح عليه السلام وثمود وعقر الناقة ١٢٩ - ١٢٥
- ذكر خبر طالوت وقومه وإبتلائهم بالنهر ١٣٠ - ١٢٩
- قصة أصحاب الفيل وأبرهة ١٣٤ - ١٣١
- قريش وبدو هاشم والصحيفة ١٤٠ - ١٣٥
- المقياب الثلاث ١٤٣ - ١٤٠
- يوم بدر ١٥٥ - ١٤٤
- يوم أحد ١٦٣ - ١٥٥
- يوم بني قريظة ١٦٥ - ١٦٥
- حديث الإفك وبراءة عائشة ١٧٤ - ١٧٥
- إنارة أسامة بن زيد وأئمة بعض كبار الصحابة من ذلك ١٧٨ - ١٧٤

- ١٧٨ - ١٨٥ بيعة أبي بكر وما دار حولها من الكلام
- ١٨٧ - ١٨٥ خالد بن الوليد وأبو شجرة السلمي
- ١٨٧ - ١٨٩ مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه وما قيل في رثائه
- ١٨٩ - ١٩٥ مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وما قيل في رثائه
- ١٩٥ - ٢٠٣ مقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وما قيل في رثائه
- ٢٠٣ - ٢٠٨ مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه وما قيل في رثائه
- ٢٠٨ - ٢١٣ وقعة الحرة
- ٢١٣ - ٢١٩ قصة رجم الكعبة ومقتل عبد الله بن الزبير ثم صلوه
- ٢١٨ - ٢١٩ رسالة أبي بكر بن القبطرية إلى أبي الحسين بن سراج
- ٢١٩ من رسالة لابن شهيد
- ٢٢١ - ٢٢٢ قصيدة للسراج الوراق بدم غلامه
- قصيدة القاضي الخلاجي مع المأمون بسبب الأبيات التي أولها :
- ٢٢٦ - ٢٢٧ « برئت من الإسلام . . . »
- حكايات لبعض السعاة بالنميمة وأجوبة الأمراء لهم وإيراد بعض
- ٢٢٢ - ٢٢٩ الأشعار الدافعة لهذا الشأن
- ٢٣٩ - ٢٤٠ ذكر أبيات الفائمة التي ورد فيها : « حلفت فلم أترك . . . »
- ٢٤٠ أنواع المذهب الكلامي ومثله منه
- ٢٤١ سخط الرشيد على حميد الطوسي ثم عفو عنه
- ٢٤١ - ٢٤٢ حكاية أبي الحسين الجزار مع ابن بقمور
- ٢٤٣ - ٢٤٤ حكاية محمد بن المنقي مع الحاجاج
- ٢٤٧ قصة إبراهيم بن المهدي وما جرى بمقتله
- ٢٤٧ - ٢٤٨ انحراف المتوكل على العلويين وخبر هدمه قبر الحسين بن علي

- انحراف عبد الله بن المتمر على العلويين وذكر شعره
 ٢٤٨ - ٢٤٩ في هذا الشأن ، ومعارضة صفى الدين الحلى وابن مسكدة له
 ٢٤٩ - ٢٥٠ مساجلة شعرية بين الملك الأفضل والملك الناصر
 حكايات وقعت لجميقران الوسوس وهول وسليمان
 ٢٥١ - ٢٥٢ بن زبر في النسيم
 ٢٥٢ ذكر ما فعله علي بن محمد الجزري عند معاوية
 ٢٥٩ - ٢٦١ حكاية حبيب بن المطلب مع زياد الأعجم
 حكاية محمد بن ناجية الرصافي مع الأسود بن قنانت حين
 ٢٦١ - ٢٦٢ استجار به
 ٢٦٣ حادثة بن مرة بحير الجراد
 ٢٦٣ ثور بن شحمة بحير الطائر
 ٢٦٣ ، ٢٦٤ استجارة الأمير قراستقر ومن معه بيت مهمل بن عيسى
 عفو الحجاج الثقفي عن بعض الأسرى من أصحاب عبد الرحمن
 ٢٦٣ ، ٢٦٤ ابن محمد بن الأشعث
 حكاية الفضل بن يحيى مع بعض من انتسب إليه بالجوار
 ٢٦٥ ومثابة الاسم
 حديث الرجل الذي جاء يشكو أباه إلى النبي صلى الله عليه وسلم
 ٢٦٦ وذكر الأبيات التي قيلت في هذا الشأن
 ٢٧٣ المفلجون من الشعراء
 ٢٧٤ شرح المثل : « لو غير ذات سوار لطمعتني » وذكر قائله
 ٢٧٦ حكاية المجير الصولي مع نافع بن عاقمة السكناني
 ٢٧٧ حكاية الأمير قراستقر مع الملك الأشرف

- ٢٨٩ الكفاة في الزواج واختلاف الأئمة فيها
- ٢٨١ من رسائل القاضي الفاضل
- ٢٩٦، ٢٩٥ خبر يوم حليلة بين الحارث بن جبلة والمندر بن ماء السماء
- ٣٠١ من رسالة لأبي حفص بن برد
- ٣٠١ من رسالة المؤلف إلى ابن سيد الناس
- سؤال بهلول لرجل عن قول الشاعر: وإذا نبأ بك منزل فتجول ..
- ٣١٠، ٣٠٩ وجوابه عليه ، وذكريات ممن بن أوس في هذا المعنى
- حكاية المأمون وسلم الخامر بسبب بيت أبي المقاهية : تعالى الله
- ٣١٥ ياسلم بن عمرو ..
- ٣١٦، ٣١٥ حكاية يثبي الأسود الأولى مع عميد الله بن زياد
- شرح المثل : « الطمع الكاذب يذوق الرقبة » ، وذكريات أول من قاله ٣١٦
- شرح المثل : « أغرم الله بآء في الماء » واستطرد بشرح بعض
- ٣١٧ الأمثلة الواردة على وزن « أفعل »
- ٣١٨ شرح المثل السائر : « خامري أم عامر »
- تفسير الآية من قوله تعالى : « ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا
- ٣٢٠ أنفسهم ... » وسبب نزولها
- ٣٢٩ أبيات ابن الرومي في الحنين إلى الوطن
- كلام أبي داف حينما سمع قول القائل : « لا يمنعك خفض الميش
- في دعة ... » البيتين ، واستطرد بذكر بعض الأشعار
- ٣٣٠ في حب الوطن
- قصة زهير بن صرم السعدي حينما وفد على النبي صلى الله عليه
- ٣٣٣ وسلم في قومه
- شرح المثل : « كل الصيد في جوف الفرا » وأول من قاله
- ٣٣٧ والسبب الذي قيل فيه

أول من قال : « عند الصباح يحمد القوم السرى » ٣٥٤

ذكر أبيات كتب بها الحسين بن الصحاك إلى عمرو بن مسعدة ٣٥٦

حكاية عبدالله بن خارجة مع يزيد الكاتب وشقيقه بسفيان

٣٥٩ ، ٣٦٠

ابن الأبرد

٣٦٠ - ٣٦٤

ذكر بعض الأبيات الواردة في الشفاعة

البيت المشهور : وألقت عصاها واستقرت بها النوى ، واستطراد

٣٦٦ - ٣٦٨

بذكر بعض الأبيات المشابهة له

وفادة عوف بن الحلم على عبدالله بن طاهر ، وما ورد في أثناء

٣٧٠ - ٣٧١

ذلك من الشعر

٣٧١ ، ٣٧٢

ذكر ما دار بين مالك بن أنس والشافعي حول مسألة فقهية

٣٧٥ ، ٣٧٦

حكاية أبي الحسين الجزار مع عبد الوهاب ، ابن بنت الأعز

نبذ من أفعال الحكماء في عاقبة اصطناع المعروف عند اللام

٣٧٨ ، ٣٧٩

واستطراد بذكر حديث الحية

قصة الضبع وغدرها بمن أجارها ، واستطراد بذكر بعض

٣٧٩ - ٣٨٢

الأشعار الواردة في هذا المعنى

مما نقله المؤلف عن الزخشمي في تفسير قوله تعالى : « وهو

٣٨٣

أهون عليه »

٣٩٠

الألفاظ اللغوية المرادفة للفظ « الزعفران »

٣٩٠ - ٣٩٦

الأوصاف المختلفة لمذائح الشعراء وإيراد الشواهد لكل وصف

٣٩٩ - ٤٠٣

فصل في نقد المؤلف لرسالة ابن زيدون

رسالة محبي الدين بن عبد الظاهر التي جرى فيها على غرار رسالة

٤٠٤ - ٤١٦

ابن زيدون

الفقار من العمامة

١ - فهرس اللغة

(ث)

ثقف : مثقفه ٦٨

(ح)

حين : الحزين ٦٥

جذب : الجذب ٨٠

جلد : أجملد ٦٠

جلس : المجلس ٣٢١

جلا : تنجلي ٧٤ الجلاء ٣١٩ ، مجلوة

٣٥١

جمد : الجماد ٤٤

جنب : الجنب ٣٢٣

جنب : الجوانح ٢٧٨

جهم : الجهم ٣٤٧

جوز : الجوزاء ٢٨٩

جاه : الجاه ٣٦٤

(ء)

أتى : يُؤتَى الحذر من مأمته ، يأتى

٣٩٨

أثر - المآثر ٢٨٩

أمن : من مأمته ٤٩

أنس : حلى إيناسك ٣٩

أنف : الاستئناف ٣٧٣

أوب : الإياب ٢٧٠

(ب)

بث : البث ٢٩١

برا : البراءة ٣٤٢

برد : برود إسعافك ٤٠

برر : البر ٣٢٣

بسط : يبسط الأمل ٣٩٦

بطأ : أبطأ الدلاء ٧٨

بلا : أبلتُ البلاء ٢٨٣

بسى : أبسى أترأ ٣٢٢ ، مباحيا ٣٨٦

خلا : لا أخلو ٩٧ .

خر : خامري أم عامر ٣١٨ .

خيل : خيلائه ٣٨٥ .

(د)

در : الدرر ٢٨٤ .

دحي : أدماها سوارها ٦٥ .

دهي : مداهيا ٣٨٩ .

(ذ)

ذبل : الذبالة ٣٠٥ .

ذري : الذري ٣٦٦ .

ذمم : الذمام ٢٥٨ .

ذهب : ضاقت مذاهي ٢٦٨ .

ذهن : الذهن العليل ٣٨٩ .

ذيع : أذعته ٢٩١ .

(ر)

ركب : المركب ٢٧٠ .

(ز)

زبي : الزبيرة ١٠٧ .

زجر : الأزديجار ٧١ .

زمع : أزمت ياسا ٢٥٢ .

(ح)

حذر : الحذر ٤٩ .

حزم : الحزم ١٧ .

حرم : الحرم ٣٩٧ .

حسد : الحاسد ٣٧٥ .

حسن : أحسن الجماد ٤٤ .

حسن : الإحسان ٣٩٨ .

حنل : أحملها ٧٨ .

حكم : حكم الصبي ٣٢٧ .

حلا : حلي إيناسك ٢٩ ، حليقتك ٢٩٩ .

حمد : استحمادي ٤٥ ، الحمد ٨٦ .

الحامد : ٢٩١ .

حي : حياتك ٤١ .

حنن : الحنين ٣٣١ .

حوز : الحائر ٣٢٣ .

حوط : حياطتك ٤٠ .

حيي : الحيا ٨٠ .

(خ)

خطر : الخطر ٣٨٩ .

خلب : الخلب ٣٤٧ .

خلص : الإخلاص ٣٩٧ .

خلط : الخليط ٣٢١ .

شيم : أشيم ٣٤٧ .

(ص)

صرح : الصَّرْح ١١٩ .

صغى : الصَّاعِغَة ٢٤٥ .

صقل : صَاقِلَه ٦٨ .

صمم : الأَصْم ٤٤ .

صنع : الصَّنِيعَة ، المَصْنَع ٣٧٧ .

صيب : المَصَاب ٥٧ .

(ض)

ضحك : ضُوحَك ٣٢٥ .

ضرب : الضَّارِب بِسَهْم ٣٢٣ .

ضرم : تَضْرِم ٢٧٨ .

ضعضع : أَنْضَعَض ٦٠ .

ضيق : ضَاقت مَذهَبي ٢٦٨ .

(ط)

طبع : الطَّبَع ٣٣٥ .

طرف : طَرف حَمايتُك ٤١ .

طرق : من طَرَقَاتِه ٣٩٨ .

طلب : إِطْلَابي ، الطَّلِبَة ٣٧٦ .

طول : التَّطاول ، التَّطَوُّل ٩٦ .

زند : زَنْد الأَمَل ٣٨ .

زهي : زَهَانِي ٢٨٢ .

زيل : زَيَالَه ٣٢١ .

(س)

سبا : سِماء ٣١٩ .

سفف : إِسْمَاقُك ٤٠ .

سعى : السَّعَاة ٢٣١ .

سلب : سَلَبْتَنِي ٣٩ ، سَلَبْتَنِي ٢٩٦ .

سمهر : السَّمْهَرِي ٦٨ .

سند : إِسْنَادِي ٤٤ .

سنا : أَسْنَى ٣٢٢ ، سَنَيْت ٣٥٥ .

سود : سَيْدِي ٣١ .

سور : سِوَارِها ٦٥ .

سوغ : مَسَاغ لَفْظَة ٣٧٥ .

(ش)

شرف : المَشْرِفِي ٦٧ .

شفع : الشَّفَاعَة ٣٥٨ ، فَاشْفَع ٣٩٧ .

شفق : أَشْفَق ٣٨٧ .

شكا : إِشْكَائِي ٣٧٧ .

شمت : شِمَاتَة الحَسَاد ٥٧ ، الشَّامِتِينَ ٦٠ .

شميم : النِّشِيم ٢٤٧ .

(ظ)

ظناً : أظنم أني . ٤٠

(ع)

عجز : استعوطى العجز ٣١٦ .
عدد : اعتمادى به ٣٦ ، اعتماد بالفائدة
٣٨٨ .

عدل : عدل لك ٩٧ .

عدا : اعتدلت في السبت ١٢٣ .

عذر : لم تذر ٣٥٥ .

عرف : المروف ٣٥٨ .

عزم : الزم ٢٨ .

عطف : بعطفك استعطافه ٣٨٧ .

عطل : عطلتني ٣٩ ، عطلا ٢٩٦ .

عطن : العطن ٣٣١ .

عطى : تعطيت ١٢٨ .

عقر : العقر ٣٤١ .

عقب : المواقب ٧٣

علل : الاليل ٣٨٩

عمد : اعتمادى عليه ٣٦

عمر : نمرك ٣٠٩

عمل : العاملة ٢٠٤

عود : المائدة ٣٨٨

عهد : العهد ٢٥٤

عيث : عاث المقوق ٢٦٤

(غ)

غرر : الغرور ٣١٦ ، غرر للنهر ٣٨٤

غش : ماغشيتك ٢٤٢ .

غصص : قد يقص ٤٥ .

غصص : غصصت ٤٩ .

غفل : الأغفال ٨٦ ، غفلاً ٢٩٦ .

غلب : الغلب ٢٧٢ .

غلال : ما أصاب غليلاً ٨٠

غلا : الغلالة ٣٣٤ ، غلوانه ٣٨٥ .

غمر : غمرة ثم تنجلي ٧٤ .

غوى : الغواة ٢٢٩ .

(ف)

فرا : جوف الفرا ٣٣٧ .

فصل : فصاته ٢٨٩ .

فضل : الفضل ٩٧ ، ٣٦٤ ، ٣٩٨ .

(ق)

قبض : يقبضها الخجل ٣٩٦ .

قبل : جناب قبول ٣٢٣ .

قدح : القادح ٣٧٥ .

قرن : قران التمدد ٣٢٢ .

ملاب : المَلَاب ٣٩٠ .

ملى : استملى الربيع ٢٩٠ .

منى : مُنِيَّة التَّمَنَّى فى أُمْنِيَّتِهِ ٤٩ .

ميل : الليل عَمَّنْ لَا يَمِيلُ عَنْكَ ٢٤٢ .

(ن)

نبا : النَّبَاةُ ٧٤ .

نحب : النَّحِيبُ ٣٣١ .

نسب : النَّسِيبُ ٣٢٢ .

نصب : نَصَبْتُ لَكَ ٢٤٦ ، النَّاصِبَةُ ٣٠٤

نصح : النَّصِيحَةُ ٢٤٢ .

نصص : مَنصُوصَةٌ ٣٩٠ .

نعم : عَهْدَ النِّعْمَةِ ٣٨ ، إِنَّمَاكَ ٣٩ .

نفس : أَنفَاسُ النُّظَرَاءِ ٢٨٠ ،

الْمُنَافَسَةُ ٢٨٢ .

نقض : نَقَضْتُ ٤٠ .

نقل : النُّقْلَةُ ٣١٩ .

نكب : النُّكْبَةُ ٧٤ .

نعم : مَنصَمًا ٢٨٦ .

نور : مَنُورًا ٢٨٦ .

نوى : النُّوَى ٢٦٦ .

(هـ)

هبل - اهْتَبَالُهُ ٨٠ .

قشع : تَقَشَّعَ ٧٥ .

قود : اقْتَادَتْ ٣٨٦ .

(ك)

كدد : اسْتَكَدَّ ٣٨٩ .

كدى : أ كَدْتُ مَطَالِي ٢٦٨

كفى : الْكَفَايَةُ ١٠٨ ، الْأَكْفَاءُ ٢٧٨ .

كل : الْإِكْلِيلُ ٦٦ ، الْكَلِيلُ ٣٨٩ .

كيد : مَكَايِدُ ٣٨٦ .

(ل)

لبب : اللَّيِّبُ ٢٣٠ .

لبس : اللَّبَاسُ ٣٩ .

لحظ : مَجَالُ لَحَظَةٍ ٣٧٥ .

لحق : أَلْصَقَهُ ٦٨ .

لطف : إِطَافَهُ ٣٨٧ .

لقأ : لَقَأَهُ ٣٣٩ .

(م)

ممت : مَوَاتَى ٢٦٤ .

مثل : الْمُثَلَّةُ ٣١٩ .

مجد : اسْتَمَجَّدَ ٣٤١ .

مرخ : الْمَرْخُ ٣٤١ .

مضى : مَاضَى حَدِّ الْعَزْمِ ٣٨ .

ملا : أَمَلُوْهُ ٧٨ .

همز: الهمازون ٢٢٥.

هون: هين ٣٨٢.

هوى: هواك ٣٤٣.

(و)

وجه: جهاته ٣٩٨.

ودد: ودادي له ٣١.

ورى - وارى زَنَدَ الأمل ١٣٨.

وسق: اتسقت دُرَره ٣٨٤.

وسل: الوسائل ٢٦٧.

وسم: وسم نَفِيتك ١٨٢.

وَسَمْتُكَ غُفْلًا ٢٩٦.

وشى: الوشى ٢٨٦.

وطىء: أستوطىء ٣١٦.

وطن: الوطن ٣٣١.

ولى: مولاي ٣٠، الموالى ٢٨٦.

يقولاك ٣٤٢، توال ٣٨٤.

(ى)

يئس - اليأس ٢٥٣.

٢ - فهرس الأمثال

صفحة	
٣١٣	أُخْرِج الطَّمْعَ مِنْ قَلْبِكَ تَحْمِلِ الْقَيْدَ مِنْ رَجُلِكَ
٢٧٠	أَرْضٌ مِنَ الْمَرْكَبِ بِالْإِطْلَاقِ
٣١٧	أَعَزُّ مِنَ الدُّبَابِ فِي الْمَاءِ
٣١٧	أَغْرَى مِنَ الْأَمَانِيِّ
٣١٧	أَغْرَى مِنَ مَرَابٍ
٣١٧	أَغْرَى مِنْ ظُلْمِي مَقْعَرٍ
١٠٨	الْتَقَى الْبِطَانُ وَالْحَقَبُ
١٠٨	الْتَقَتْ حَلَقَتَا الْبِطَانِ
٧٢	إِنْ مَعَ الْيَوْمِ غَدَا
١٠٧	إِنْ مِنَ الشَّرِّ خِيَارٌ
١٩٢٤ ١٠٧	بَلَغَ السَّيْلُ الرُّبَى
٣٨٩	تَلَطَّفَ أَبِي غَزْوَانَ
١٩٢٤ ١٠٨	جَاوَزَ الْحِزَامَ الطَّيِّبِينَ
٢٥١	حَرَّكَ لَهَا حُورَاهَا تَحْنٌ
١٠٩	حَسْبُكَ مِنْ شَرِّ سَمَاءِهِ
٣١٨	خَامِرِي خَضَاجِرٍ أَتَاكَ مَا تَحَاذِرُ
٣١٨	خَامِرِي أُمِّ عَامِرٍ
٥٦	سَبَقَ ابْنُ بَيْضِ الطَّرِيقِ
٣١٦	الطَّمْعُ الْكَاذِبُ يَدُقُّ الرِّقَبَةَ
٣١٦	الْمَجْزُ رَدِيَّةٌ

صفحة	
٨٢	عسى غدك لغيرك
٨٢	غداً غدوها إن لم يفتني عائق
٧٥	غمرات ثم تنجلي
١٠٨	قد بلغ الشظاظ الوركين
٢٧٠	قدمت من الغنيمة بالإياب
٢٣٧	كل الصيد في جوف الفرا
١٥٤	لا في المير ولا في النير
٢١٧	لا يقر نك الدباء وإن كان في الماء
٨٢	لكل صباح صبح
٨٢	لكل غد طعام
٢٧٤	لو ذات سوار لطمته
٨	المرء يمجز لا محالة
٤٨	من فسدت بطاقه كان كمن غص بالماء
٦٢	من شب إلى دب
٢٥٢	نبيه لها عراً ثم ثم
٤٨	ياماء لو بغيرك غصصت !
٨٢	يأتيك كل غد بما فيه
٨٣	اليوم خير وغداً أمر

٣- فهرسُ الأشعار

الصفحة	القائل	القافية	الصفحة	القائل	القافية
٢٤٥	ابن الرومي	الأقضاء	(٥)		
٣٦٩	ابن الخياط	القضاء	٤٢	ابن القيم	الأسواء
٢٧٤	أبو تمام	الضضاء	* * *		
٢٧٨	—	أكفاء	٧٩	المكبر الضبي	رجاء
٣٢٤	أحمد بن عبد العزيز	من ماء	٨٣	—	القضاء
	عدي بن الرقاع	الأمراء	٩٨	زهير	جلاه
٣٤٠، ٣٣٩			٢٢٤	المتنبي	ذكا
٣١٤	من أبنائه أبو روح الهروي		٣٤٣	الغزى	البرحاء
(ب)			٣٨٥	المتنبي	الجوزاء
			٤١٠	—	سواء
٩٨	محمد بن مغاز	اللباب	٤١٢	المتنبي	عمياء
٣٤	المتنبي	رب	٧٣	ابن خفاجة	بكأوه
٣٤٨	السراج الوراق	قلب	٨٥	منصور بن الحاكم	جفأوه
٣٧٣	أبو القتاتمة	أدب	٧٩، ٧٨	ابن المعتز	يكلوها
* * *			٢٧١	ابن أبي عمير	رجأوها
١٠٦	—	وأعتبا	* * *		
١٠٥	—	متابا	٤٥	—	بالماء
١٢٦	مهرث	شهابا	٤٥	—	بماء
١٣٠	الغزى	المذانب	٥٩	أبو تمام	الأعداء
٤٠١، ٢٢٠	المتنبي	تائبنا	٢٢٤	—	الندماء

٢٢١	ابن عنين	المناصب	٢٣٩	ابن زيدون	الذي
٢٣٩	النافقة	مذهب	٢٥٦	عبد الصمد بن بابك	كذبا
٢٤٢	ابن الأحنف	لمذهب	٢٩٠	ابن عنين	للسب
٢٤٥	عروة بن حزام	ديب	٣١٩	عروة	سجبا
	أحمد بن سعيد	القلب	٣٤٨	ابن حيوس	صبا
٢٥١	الطائي		٣٩٠	عبد الله بن خارجة	حيابا
٢٦٠	زياد الأعجم	المهذب	٣٧٣	يزيد بن معاوية	صلبا
٢٩٢	ابن حيوس	المضارب	٤٢	الصفدي	حيبة
٢٩٧	المقبي	وأكتب	٣٩١	ابن العلم	مصرية

٣٠٠	محمد بن أحمد الخازن	قايب	١٨	أبو بكر بن حمزة	واذهب
٣٠٢	الرسقي	النسيب	١٨	الأبيوردي	الأحلب
٣٠٦	محمد بن علي الواعظ	ذنوب	٦٣	ابن الرومي	مذهب
٣٢٦	حاتم	جليب	٦٦	ابن كلس	الناقب
٣٣٤	أبو تمام	تجب	٧٢	مجاهد	تأديب
٣٦٢	أبو فراس	حيب	٧٧	الصافي	سيذهب
٣٨٠	—	ريب	٧٨	ظافر الحداد	كذبوا
٣٨٢	—	ثيب	٧٩	أبو تمام	كتب
٣٩٢	أبو تمام	عجب		محمد بن أحمد	لانخب
٤٠٢، ٤٠١	النافقة	مذهب	٩٣	الخازن	
٤٦	—	حاجبة	١٩١	حسن	خرب
٤٦	الفرزدق	شاربه	١٠٦	المبارس بن الأحنف	حجب
٨٥	البحري	لقبه	١٧٤	الأرجاني	صلي

٢٢٤	مشروبي	الصفدي	٢٦٣	ابن سناء الملك	تراثه
٢٢٤	اجتهدي	—	٢٣	الفرزدق	عيونها
٢٤٧	الكذب	الخطوي الوراق	٨٦	إبراهيم بن العباس	تصديقها
٢٥٠	طالبي	الأفضل	٢٣٢	—	سحابها
٢٦١	المهلب	زياد الأعجم	* * *		
٢٦٩	في أميل خراب	ابن بابك	٢٧٢، ٨	امروء القيس	مقلب
٢٧٠	بالإياب	امروء القيس	١٨	ابن زيدون	ثوابي
٢٧٤	بالأجرب	عمارة البني	٤٣	ابن الوحيد	حسب
٢٧٦	أبي	عباد بن شأس	٤٣	شافع بن علي	قلة الأدب
٢٩٥	التجارب	النايفة الذبياني	٤٦	—	الشروب
٣٠٥	السحاب	الحسين بن الضحاك	٥٤	المعتصم بن حماد	صاحب
٣٢٦	الذنب	أبو تمام	٦٥	الفاضل الفاضل	الخطوب
٣٢٧	مجدب	أبو تمام	٧٦	النايفة الذبياني	بشؤبوب
٣٣٦	السواكب	أبو هلال	١٠٥	السلامي	الذنوب
٣٤١	فلم يقب	الكفيت	١٠٦	مهيبار	لم أذنبت
٣٤٧	في السحاب	الحسين بن الضحاك	١١٠	العباس بن الأحنف	الكرب
٣٤٨	محبوب	اللتبي	١١٣	—	لجنتب
٣٥٦	شهاب	الحسين بن الضحاك	١٥٣	حسان	القشيب
٣٦٢	الخطب	أحمد بن أبي قنن	١٨٩	عاتكة بنت زيد	منيب
٣٩٣	باللب	ابن التيسراني	٢٠٦	أبو الأسود	الحساب
٣٩٦	القلوب	أبو تمام	٢٢٢	الخفاجي	كاذب
٤٠٥	الذمالم	—	٢٢٣	عمر بن أبي ربيعة	المتجنب

١١٦	أبو نواس	من خلوتيه	٤٠٩	—	خطبه
١١٦	الصفدي	في خيته	١٣٠	ابن دقيق العيد	قربه
(ث)			٣٧٠	ابن حردز	إطرايه
٢٧٥	—	للغوابث	(ت)		
٢٠٨	أبو بكر بن عمار	الحوادث	٦٣	—	لأنوت
(ج)			* * *		
٥٦	بشار	الأنهج	١٣٠	أبو العلاء	تشتينا
٦٣	أبو ذؤيب	الجوج	١٨٣	علي بن سراج	البته
٣٩٤	ابن الزقاق	ويزوج	* * *		
٣٢٥	الشريف الرضي	مزاجها	٥٤	عبد الرحمن بن وهب	بلوت
* * *			٨٨	أسامة بن منتقد	بدأت
٣٠٦	في سراج أبو طالب بن زيادة		١٠١	إبراهيم السراق	بدأت
٣٨٨	—	على الموج	١٢٤	ابن الزقاق	أجبت
(ح)			٢١٥	دريد	كفيتها
			* * *		
٢٠	ابن زيدون	الوشاح	٣٩	البهاء زهير	مقت
١٥٥	أمية بن أبي الصات	ججاج	٥٤	عبد الرحمن بن وهب	دبتي
٢٩٠	حسان بن المقيمي	النصاح	٥٩	أبو تمام	باهت
* * *			٨٦	—	سمعت
٥١	الخطيب البغدادي	فرحا	١٩٥	—	لنفت
٦٧	محمد بن القاسم	الصالحا	١٩٥	—	حلت
٢٢٩	—	نصيحا	٢٦٨	—	لنفت
٢٣٨	—	صحيجا			

٣٠٣	الجلودا	ابن حيوس	٣٣٦	—	شحا
٣٣٦	تسدَى	ابن حيوس		* * *	
٣٦	الأفندة	طاهر بن الفقيه	٩٢		أوضح ابن عمار
٧٢	وصده	أبو تمام	١٩٣		ذبحوا
		* * *	٢٧٦		ولقح
٣٨	زادها	عدى بن الزفاح	٣٣٩	—	مفتوح
٦٥	يسكر	—	٣٦١		السميح
٦٩	تفرّد	الخميس	٣٧٠		قربح
٦٩	متجدد	على بن الجهم	٣٩٧		صافح
٨١	جهد	ابن حيوس		* * *	
٨٤	يد	على بن الجهم	٢٢٨	—	بنازح
٩٢	الحقود	ابن الخياط	٢٨٥		الصباح
١٣٩	أرود	أبو طالب	٣٥٥		ورواحه
٢٢٣	مُسود	ابن الساعاتي	٣٥٥		سماحه
٢٨٧	سمود	البجترى		(د)	
٢٠٦	الوليد	—	٩٥		أجد
٢٩٢	الخلد	الحادرة		* * *	
٢٩٧	يمدو	تميم	٢٠		الندى
٣١٠	يد	ابن العميد	٨٤		سرمد
٣٦٧	المجد	أبو تمام	٨٥		ماوردا
٣٢٩	جديد	ابن الرومى	٨٥		أرشد
٣٧٣	فياحبذا نجد	—	١٠٦		أبدا
٣٧٣	الموى نجد	—	١٢٤		عيدا
٣٧٣	فنعود	ابن المعلم	٢٨٢		يسوقيدا

١٩٨	من مراد عمرو بن معد يكرب	٨٦	اعتمادها الفرزدق
٢٠٢	الفؤاد عبد العزيز الأنصاري	٢٠٦	ورشادها الخفاجي
٢٠٧	لم يعد أبو الحسن الجزار	٢٢٦	لا أريدها كثير
٢٣٨	حدادي أبو تمام	* * *	
٢٦٨	الرمذ ابن عنين	٣٥	والسؤدد حسان
٢٧٧	أبي الورد الصابي	٣٦	على التمامي محمد بن غالب الرصافي
٢٨٣	ودادي أبو سعيد الرستمي	٣٩	الورود ابن الساعاتي
٢٩١	ميمادي -	٤٦	وساعدي أبو فراس
٢٩٢	لم يولد -	٤٧	البارد -
٢٩٣	شواردي الفزري	٧٩	حاسد أبو فراس
٣٢٠	حسادي الشريف الرضي	٦٢	مهزود -
٣٢٤	بنا أبو تمام	٦٥	الشذائد ناصح الدين
٣٦٢	السؤدد الأرجاني	٧٧	والعهد الصابي
٣٤٨	المردود ابن المعلم	٨١	بادي القطامي
٣٦٩	الرفد ابن عنين	٩٢	تحميد أبو تمام
٣٧٨	حد صالح بن عبد القدوس	١٠٢	مستفيد -
٣٩٢	الحادي ابن بابك	١١٠	بمدى محمد بن القاسمي
٥٨	حسدك ابن الرومي	١١٥	مساعدة ابن الشبلي
٣٠٣	لوده عمارة البيني	١١٦	الحمد ابن ثبانة الأعور
٣٠٣	برده صفي الدين الحلي	١١٦	قواد أبو نواس
٣٠٤	من رفته هبة الله بن الفضل	١١٦	جيدى الفزري
٣٢٨	من ولده أبو تمام	١٧١	البلد حسان
٣٩٣	من صدّه ابن قلايس	١٨٣	ودى صفي الدين الحلي
		١٨٥	في عهد زين الدين بن الوردى

شزرا	علي بن الجزري	٢٥٢
الدرّاء	كمال الدين بن البنية	٢٨٤
مرّا	ابن سناء الملك	٣١٧
وكبرا	ابن سناء الملك	٣٢٥
وكرّا	محمد بن غالب الرصافي	٣٣٢
وقيصرا	ابن عنين	٣٣٧
الفرا	علي بن الحسين القمستانى	٣٣٧
الفرا	ابن المعلم	٣٣٨
الفرا	الفزى	٣٣٨
منكرا	صفي الدين الحلى	٣٣٨
يفترى	أبو الحسين الجزار	٣٣٨
الأكبرا	أحمد بن حسن الدوينى	٣٣٨
مقارّا	الأعشى	٣٤١
نارّا	علي بن جالباب	٣٤٢
وأثمرا	علي بن أحمد الجوهري	٣٤٢
وزرا	ابن قلافس	٣٥٢
السكرى	عبد العزيز الأنصارى	٣٥٤
تيسرا	بشار	٣٥٥
مهرّا	الأرجاني	٣٩١
السكرّا	ابن الساعاني	٣٩١
سيارّا	ابن الساعاني	٣٩٤
سارّا	سبط ابن التماويذى	٣٩٥

لفحارّا	الخنساء	٣٢

(ذ)

قذى	يوسف بن علي	٥٠
غذى	—	٢٨٣

(ر)

السريّر	هبة الله بن الفضل	٧٦
القدّر	—	١٢٢
السفير	—	١٥٥
زار	أبو العلا	١٨٣
القمر	علاء الدين بن السكندى	١٨٩
غرّر	—	٣١٧
خاطر	البهاء بن زهير	٣١٨
لاعر	مستوفى إربيل	٣٥٢
صبر	ابن شمس الخلافة	٣٥٣

الوغرّا	الصنوبرى	٤٠
فقيرا	أبو الحسين الجزار	٦٤
فتحقرا	أبو بكر الخوارزمي	٦٥
نصرا	ابن سناء الملك	٦٩
قيصرا	—	١٥٤
أن أعرّا	أبو شجرة السلى	١٨٥
شمرا	المبارك مستوفى إربيل	٢٠٥
السكرى	ابن عنين	٢٥٠
شرّا	الصفدى	٢٥٢

٣٠٣	يعقبرُ	صفى الدين الحلى	٤٦	الفرارُ	—
٣٠٦	أعقذُرُ	—	٤٩	يحدُرُ	أبو العتاهية
٣٢٢	ويحقةُرُ	المغيرة بن حبناء	٥٠	يمطرُ	ابن الخياط الدمشقي
٣٢٦	بشيرُ	أبو تمام	٥٥	نظرُ	المؤمل
٣٣٣	وننظرُ	زهير بن صرد	٥٦	الجسورُ	سلم الخاسر
٣٥٣	واحورارُ	سبط ابن التعاويذي	٦٦	السوارُ	المتنبى
٣٥٣	عسرُ	محجر الدين بن تميم	٧٤	يجرُ	—
٣٥٣	وتدخرُ	الخفاجي	٨١	هجرُ	الأرجاني
٣٥٦	الدهرُ	ابن العلم	٨٤	ما ذخروا	ابن حجاج
٣٦٦	المسافرُ	معقر البارق	٨٤	السكرُ	محمد بن العفيف
٣٦٨	الضائرُ	الحسين بن إبراهيم	١٠٥	فتمقذُرُ	المؤمل
٣٦٩	ويشارُ	عمارة	١٠٩	البدرُ	خالد بن المهاجر
٣٧٠	سافرُ	—	١٢٨	قدارُ	عمارة
٣٧٥	سرور	تميم بن المعز	٢٠٢	عمرُ	عمارة
٣٨٥	يشمرُ	عمارة اليمنى	٢٢١	القارُ	السراج الوراق
٤١٣	البقرُ	—	٢٢٩	بدور	تميم بن المعز
٣٥٩	مقاره	—	٢٤٩	طاهرُ	الملك الناصر
٥٥	يضرها	الخفاجي	٢٦٩	تذكرُ	أبو العتاهية
٧٩	قرارها	أبو تمام	٢٧٣	تشيرُ	حماد مجرد
٣٣٩	تمورها	مالك بن زغبة	٢٩٢	البسكرُ	ابن حيوس
٣٩٥	حسيرها	الخفاجي	٢٩٩	تشهدُ	—
	* * *		٢٩٧	شمرُ	المتنبى
١١	لم تتخيرُ	ولادة			

٢١٣	—	ولا مُضَر	١٢	عطار	ابن زيدون
٢٢١	—	الخبير	١٦	بالأثر	»
٢٣١	فكري	الشهاب محمود	٤٦	اعتصاري	عدي بن زيد
٢٦٠	ألاتصاري	زياد الأعجم	٤٧	الخر	قيس بن ذريح
٢٩٢	أوسار	محمد الرصافي	٦٧	الصفار	الباخرزي
٢٩٣	دهري	أبو تمام	٦٩	الأحرار	أبو المنيع
٢٩٣	الذكر	الشريف الرضي	٧٠	القار	إبراهيم بن المدير
٣٠٢	شكري	ابن المعلم	٧٨	السحر	التهامي
٣٠٥	صدري	الصفدي	٨٠	الأعمار	—
٣١٠	بصيار	ابن الخياط الدمشقي	٨١	الحضور	أبو هلال المسكري
٣١٤	نار	الشريف الرضي	٨٥	الفر	غيلان بن خرشة
٣١٦	—	بمقدور	١٠٤	شكري	—
٣١٩	من ضمائر	الصفدي	١٠٥	أدري	مسلم
٣٢٣	صهر بر	أبو الفتح البستي	١٠٧	الأحرار	البحري
٣٢٦	والبشر	أبو الأسود	١١١	الفجار	بشار
٣٣٢	داري	ابن عتيق	١٢٠	للكفر	عمار
٣٦٣	من الهجر	ابن المعتز	١٢٧	بأخبار	بعض شعراء نمود
٣٨٠	لم تشكر	أبو تمام	١٨٤	القار	الباخرزي
٣٨٠	أم عامر	—	١٨٥	البدر علاء الدين	الكليلي
٣٨٤	—	إشار	١٩٥	من عمر	ابن عبدون
٣٩٧	مكفور	صفي الدين الحلي	٢٠٢	البشر	»
٣٠٦	بخيره	أبو الحسين الجزار	٢١١	وأشهر	يزيد بن معاوية

ماخشي ابن عبد الظاهر ٢٢٨

موحش القائم بأمر الله ٢٢٩

بميشه أبو الفضل الميكالي ٣١٥

(ص)

الحريص عدي بن زيد ٥٦

(ض)

من بعض طرفه ١٠٧

من بعض — ١٩٢

والعرض أبو نخيلة ١٠٧

(ط)

وماشطوا ابن زيدون ٩

تخطو طلائع بن رزيك ٧٨

(ع)

دع ابن زيدون ١٢

نافع الصفدي ٢٧١

ولا استمع عبيد الله بن زياد ٣١٥

جدع — ٣٥٧

* * *

مطلما عمرو بن الأبرد ٥٧

مختارها — ٣٥٧

(ز)

التحريز ابن الرومي ٢٥٧

(س)

باس ابن زيدون ١٩

تدايس الصفدي ١١٧

إيفاس أبو الفتح البستي ٣١٤

* * *

خمس الباخزري ٣١

يوس ابن قلاقس ٧٩

تدليس صردر ١١٧

بالإيفاس — ٣٥١

إيفاس الحطايئة ٣٥١

لايس أبو العلاء المعري ٣٩٥

أمسه أبو تمام ٣٠

(ش)

من وشي السراج الوراق ٢٢٩

* * *

رشاشها بشار ٣٤٧

٣٩٨	أبو تمام	يصرعُ	١٢٤	علاء الدين الوداعي	مطما
٤٠٨	—	ولا يصرعُ	١٧٢	أبو بكر الصديق	طما
١٠٩	—	سماعه	٢٠٨	أبو تمام	باقما
٣٦٠	قيس أو الجنون	شفيعُها	٣١٤	علي بن أبي طالب	قنوعًا
* * *			٣٦٢	الحاكم بن قنبر	صنما
* * *			* * *		
١٦	ابن زيدون	لم يذع	٣٤٧	عمرو بن معد يكرب	مبتدعة
٥٤	أصرم بن حميد	الخليع	٥	ابن هرمة	مرقوعُ
٨٩	—	شفيع	٦١	أبو ذؤيب	أتضمضُ
٨	محمد المنقري	بيديع	٦٨	أبو تمام	يقطمُ
٩٦	العباس بن مرداس	الأفرع	١٠٣	البحترى	أوسمُ
٢٨٩	ابن عنين	الأطاع	١٠٣	نصيب	تشفعُ
٢٩٧	أبو الحـ. بن الجزار	الترفيح	١٦٢	حسان	جميعُ
٣١٤	ابن نباته	أطاعى	٢٠٨	—	يرفعُ
٣٦٠	ابن عنين	شافع	٢٩٨	أبو تمام	تصدعُ
٣٦١	دعبل	شافع	٢٥٥	ابن قلاص	مولعُ
٣٦٢	—	شفيع	٢٩١	ابن الملم	ترصعُ
٣٧٧	—	المصنع	٣١٣	البعبث	المطامعُ
٣٨١	هارة اليمى	أقطم	٣٧٨	—	ضائعُ
٣٨١	—	الودائع	٣٨١	رشيد الدين الفارق	ضائعُ
٤٠٧	—	بالولع	٣٩٤	ابن الملم	رضيعُ

(ف)

الأضيافِ الفزى ٣٣٦

والأشرافِ — ٤١٠

في صحفهِ الفزى ٢٩٧

(ق)

لا يفارق ولادة ١١

اتفق ابن الساعاتى ٣٩٣

الأفق — ٤٠٨

* * *

راقا ابن زيدون ١٥

لقى الصفدى ٨٧

مطلقا أبو بكر الخوازمى ٢٥٣

المقه أحمد بن فارس ٥٠

* * *

تعقب ابن زيدون ١٨

أزرق ابن سناء الملك ٤٧

يشرق البهترى ٤٧

يعلق البهاء زهير ٨٧

ورق أبو شجرة السلى ١٨٧

مسترق الفزى ٢٩٩

ما عشقوا ابن الأحنف ٣٠٥

وصديق عمرو بن الأهم ٣٢٥

تصرف — ٢٠

الشرف محمد بن أزدشير ٩٥

* * *

وكفى أبو تمام ١١٠

تفويضا أبو تمام ٢٩٨

رشفا الخفاجى ٣٠٠

اللفا ابن حيوس ٣٤٠

هتفا ابن قلاقس ٣٩٤

تقاوة الباخري ٧٠

* * *

فلحف ابن زيدون ١٥

ألف المتنبي ٨٨

زخرفوا أبو سعيد الرسمى ٢٢٨

التعطف البهاء زهير ٢٣٥

وهى سلاف — ٢٤٤

فأعترف ابن منقذ ٢٨٤

ثم تنصرف ابن الساعاتى ٣٩١

مؤلفه ابن الملم ٣٠١

يألفه الصفدى ٣٤٣

٩٢	ما أركا كا مسلم بن الوليد
	حا كا عبد المطلب
١٣٢	ابن هاشم
٢٧١	امقسا كا المتنبى
٢٩٩	عطفا كا ابن حيوس
٣٠٦	كدا كا
٣٢٦	مال كا ابن الرومى
٣٤٤	يهوا كا الشريف الرضى
٣٨٣	شمال كا ابن ميادة
	* * *
٤٩	المهالك الشريف الرضى
٢٤٧	شرك صفى الدين الحلى
٣٢٦	وهو ضاحك
	* * *
١٥	منالك ابن زيدون
٢٠٧	رمالك الشريف الرضى
٣٧٤	وصالك
	(ل)
	قليل عبد الرحمن بن وهب ٥٥

٣٣٥	فواق الأعشى
٣٨٣	الحدائق الفزى
٣٨٥	والفرزدق ابن القيسرانى
٣٢١	رفيقه الصفدى
	* * *
٣٦	الخنزرق رؤبه
٤٣	الطريق محمد بن الوحيد
٥٤	الخالق ابن وهب
١١٧	من التعميق الواسطى
١٨٨	بأسوق أحد شعراء الجن
٢٧٦. ١٩٢	أمزق الممزق العبدى
٢٢٨	الحفق ابن الساعى
٢٥٨	الحديق ابن الرومى
٣٩٢	أستقى الفزى
٣٩٢	فى نطاق سبط بن التماويد
١٧٢	ورزقه أبو الحامين الجزار
٣٨١	فانتق ابن القيمرانى
٢٥١	مخلوق محمد بن الإخيمى
	(ك)
١٣٢	رحالكا عبد المطلب
	* * *

٢٥٥	الشهاب محمود	محلّة	٢١٣، ٢٠٨	ابن الزبيرى	الأسل
٢٢٧	كثير	نماها	٢١١	محمد بن أسلم	من قتل
٢٢٨	ابن النقيب	خياها	٢١٥	—	السيل
٣٠٣	ابن قلاقس	قالا	٢٦٧	الصفدى	هائل
٣٠٨	الصفدى	وفلا	٣١٥، ٣١٣	أبو الغضاهية	الرجال
٣٠٩	أن يتحوّلا أبو تمام		* * *		
٣١١	التحوّلا أبو محمد غانم		٦٢	—	الرحلا
	أن يتحوّلا ابن منير		٦٨	أبو فراس	وكملا
٣١١	الطرابلسى		٨١	كشاجم	عليلا
٣١٢	الصفدى	الأشبلا	١٨٣	—	جبالا
٣٢٤	محمد بن شرف	مقيولا	١٩٣	—	قليلا
٣٢٩	رجاء بن هارون	أولى	٢٣٦	ابن المتمرز	وطالا
٣٥٥	ابن قلاقس	الشمالا	٢٥٣	—	الحجلا
٣٥٦	محمد بن شرف	تسميلا	٢٥٥	الصفدى	تعالى
٣٥٧	أبو العلاء المعرى	الخليلا	٢٨٥	أبو تمام	أن أذلا
٣٥٧	»	شمالا	٢٨٧	أبو تمام	المبجلا
٣٦٨	أبو الشمقمق	تمجلا	٢٩٨	المتنبى	عقلا
٣٦٨	الباخرزى	البلى	٢٨٧	أبو تمام	مجهلا
٣٨٩	—	قليلا	٤٠٩	—	عليلا
			٢٧	—	منه

٢٩٢	المتنبي	أشغالُ	٢٩٣	ابن الساعاتي	وعديلا
٢٩٣	الفرزي	أقولُ	٣٠٨	الشافعي	منزلةُ
٢٩٩	الفرزي	صقيلُ	٣٥٥	ابن الساعاتي	دلالةُ
٣٠٢	ابن الملم	أقولُ	* * *		
٣١٠	معن بن أوس	مقحولُ	٣١	أبو نواس	الرسولُ
٣٢٤	المتنبي	الجميلُ	٤١	—	طويلُ
٣٢٥	—	ومقيلُ	٥٦	القطامي	والزالُ
٣٤٣	الصفدي	منقولُ	٦٨	الفرزي	الصياقلُ
٣٥٧	—	فرحوا	٧٠	ابن قزل المشد	السبلُ
٣٦٦	أبو تمام	لبخيلُ	٧٩	ابن قلافس	مطالُ
٣٧٨	صالح بن عبد القدوس	بخلُ	٨٤	معن بن أوس	منزل
٣٩٠	أبو تمام	سقةقفلُ	١٠٢	—	الفضلُ
٣٩٢	ابن بابك	السبلُ	١٠٤	إبراهيم بن المهدي	أهلُ
٣٩٥	ابن الساعاتي	ينازلُ	١٠٥	محمد بن عبد الله بن المولى	تبذلُ
٤٠٥	المتنبي	كاملُ	١٣٤	الصفدي	مخدولُ
٤٠٧	—	سائلُ	٢٢٢	أوس بن حجر	جامجلُ
٤٠٨	—	يقبلُ	٢٢٦	الخلنجي	كما قالوا
٤٠٩	أبو الملاء	القبائلُ	٢٣٥	—	فألوا
٤١٠	أبو الملاء	متكاملُ	٢٦٦	—	وتنهلُ
١١٣	—	تحلُّه	٢٦٧	ابن الخليمي	ويسهلُ
١١٣	أبو فراس	كلُّه	٢٧١	المتنبي	فعلوا
			٢٧٩	يحيى بن بقی	دلائلُ

١٠٣	الأمل	الشريف المقيملي	٢٧٥	عاجله	أبو سعيد الرستمي
١٠٣	زالي	إسحاق الموصلي	٢٩١	أسافله	أبو سعيد الرستمي
١٠٩	من المال	امروء القيس	٧٦	ذبولها	ابن الخياط الدمشقي
١١٠	في كل حال	الفضل بن محمد			* * *
١٧٣	الفوافل	حسان	١١	ولا ذنب لي	ولادة
	بمخيل	مروان بن أبي الجنوب	١٢	السراويل	ولادة
١٩٤	بفاقيل	حسان	١٦	النصل	ابن زيدون
٢٠٢	مثلي	الذهبي	٣٠	موالي	الغزي
٢٠٢	محل	—	٤٦	أصطلي	ابن سناء الملك
٢٤٣	من المذل	—	٤٦	زالال	الغزي
٢٤٩	على علي	الأفضل	٤٧	السؤال	ابن حيوس
٢٤٩	حق على	الأفضل	٥٩	ناحل	جحظة
٢٥٠	الأفضل	ابن عنين	٧٣	والإبل	المتنبي
٢٦٧	عواطل	ابن النماويذي	٦٤	مختمال	مستوفي إربل
٢٦٧	من لي	أبو سعيد الرستمي	٦٨	بالصقل	الخفاجي
٢٦٩	الحل	الغزي	٦٩	القساطل	ابن الساعاتي
٢٧٠	بالفقل	الطمراني	٧٥	الماجل	جعفر بن شمس الخلافة
٢٧	مستقل	الصفدي	٧٩	بمجل	الغزي
٢٨٤	نائل	—	٧٩	الفاصل	عمارة اليمني
٢٨٤	في حفل	أبو سعيد الرستمي	٨١	الدل	ابن الفيسراني
٢٩٤	ممل	ابن دراج القسطلي	٨٢	حال	—
			١٠١	بالفضل	—

(م)

الحشم عبد الصمد بن بابك ١١٧	٢٩٤	عمارة البني	بأسمال
منتظر بهم ابن الرومي ١٢٤	٢٩٨	ابن العلم	الحل
بالرغام أبو بكر الإسفراييني ١٨٤	٣٠٠	ابن الشبل	نقول
أن نرافقهم شهاب الدين محمود ٣٤٦	٣٠١	المتنبي	نقل
للألم السراج الوراق ٣٥٢	٣٠١	»	والإبل
ثم نم بشار ٣٥٢	٣٠٢	الغزي	الجال
يراكا أبو فرعون ٣٢٢	٣٠٥	أبو سعيد الرستمي	مثلي
تقوما ابن حيوس ٦٩	٣٠٩، ٣٠٠	عمرة	فتحول
أوما البحتري ١٠٢	٣٦٣	البستي	الرجال
سما الإمام الشافعي ١٠٤	٣٢٤	عمرو بن أوس	من رجل
أظلم الحصين المري ٢٠٥، ٤١١	٣٢٨	—	الحل
سما » ٢١٤	٣٢٨	الرشيد بن الزبير	في زمن محل
الدا » ٢١٥	٣٣٢	ابن مهادة	أهلي
مظلوما علي بن أحمد البساعي ٢٤٨	٣٥٣	الرشيد الفارقي	تنبه لي
أتمظا البحتري ٢٧١	٣٥٨	امرؤ القيس	خومل
أنجما » ٢٨٦	٣٨٧	الصفدي	مثلي
وحاما ابن شهيد ٣٠٨	٣٩٢	ابن قلاقس	السهول
أهما ابن صرد ٣٠٨	٣٣٩	—	بالفضل
	١١٥	ظافر الحداد	في تبجيله
	٣٦٦، ٣٦٤	أبو تمام	حاله
	٣٢٧	الصفدي	فعله

١٨٨	وأصوم	عمر بن الخطاب	٣٥١	مفرما	أبو الفتح السبكي
٢١١	الحليم	قيس بن زهير	٣٦٥	أن يتكلم	—
٢٢٨	فم	عمارة البيني	٤٠٧	صما	—
٢٣٠	كلام	ابن الخياط	٤١١	المقام	السيد الحيري
٣٣١	كلام	الشهاب محمود	٤٧	الملازمة	ابن الساعاتي
٢٢٦	إلى المام	صفي الدين الحلي	٤١	لظلم	—
٢٢٦	إبلا م	سيف الدين بن المشد	٤٢	قديم	—
٢٤٦	قديم	—	٤٥١٤٢	صمم	المتنبي
٢٥٣	كريم	أبو العتاهية	٦٤	يألم	تاج الدين الكلبي
٢٥٤	انصرام	ابن الخياط الدمشقي	٦٤	أرقم	تميم بن المعز
٢٨٨	مشموم	محمد بن غالب الرصافي	٦٧	الحسام	الأحوص
٢٩٨	النظام	ابن الروي	٧١	يرحم	أبو تمام
٣٩٨	ناظم	المتنبي	٧٣	صليم	علي بن الجهم
٣٠٤	مظلم	البيهقي	٧٥	وأنعم	شرف الدين
٣٤٢	سقيم	—	٧٧	نسيم	أبو العتاهية
٣٤٤	عدم	المتنبي	٧٩	الجهام	المتنبي
٣٤٥	سقم	»	٨٢	يترثم	يزيد بن معاوية
٣٥٤	إمام	شهاب الدين محمود	٨٧	عظيم	محمد بن قرطاي
٣٥٦	علم	عمارة البيني	٩٣	الشم	أبو الفرج البيقاء
٣٨٥	والقلم	أبو تمام	١٠٤	أعظم	أبو نواس
٤٠٨	القمام	—	١٠٤	مجرم	—

(ن)			٤	المتنبى	هامة
٣٧	الصندي	لم أخفه	٢٧	ابن زيدون	النسيم-
١٢	ابن زيدون	نجافينا	٧٣	أبو العلاء	محتلم-
١٣	البحترى	الحجينا	٨٣	—	لم يدم-
١٣	الصندي	تنادينا	١١٧	الحسن بن رشيق	خانم-
١٥	ابن زيدون	فأقمنا	١٩٦، ١٩٥	—	المسوم-
٣٦٠	الفرزدق	من زبانا	٢٠٢	البحترى	أعجم-
٣٧	الحريري	ولنا	٣٧٥	الفرزدق	الخصارم
٥٠	ابن سناء الملك	سجنا	٢٨٣	ابن المعلم	باسمى
٥٨	—	آخريتنا	٢٨٣	أبو نواس	على علم-
٥٩	سيف الدين الناصري	المنى	٢٩٠	أبو فراس	سموم
٧٤	السراج الوراق	تميننا	٣٣٢	—	المتقادم
٧٥	—	ينجلينا	٣٣٦	المتنبى	بظلم-
١٠٦	أبو فراس	ماعنى	٣٤٩	»	والرّخم-
١١٦	»	أجمينا	٣٥٢	ابن قلاقس	من الخدم-
١٩١	حسان	عثمانا	٣٥٩	الخفاجى	الديم
٢٠٥	عمران بن حطان	رضوانا	٣٦٨	—	الهم
٢٠١	بكر بن حماد	أركاننا	٣٩٢	ابن قلاقس	القوائم-
٢٢١، ٢١٩	المتنبى	راحينا	٤٠٩	—	الدم-
			٤١٤	ابن عبد الظاهر	الحلوم

٤٠٨	—	اللبان	٣٤٨	زيد بن المهلب	زمانا
٤٩	مستفي	أبو الحسين الجزار	٣٢١	—	الوطن
٥٣	في بدن	عبد الرحمن وهب	٣٢٨	أبو فراس	أعادينا
٧٠	الدنان	نصر بن سيار	٣٢٤	الغزي	مقيقنا
٧٣	أوبهجران	أبو تمام	٣٤٤	—	تؤذونا
٨١	—	أوبهجران	٣٥١	ابن الساعى	الغبنا
١٠٧	الحنان	امرؤ القيس	٣٥٣	المنابي	يقظانا
٢٠٧	الحسين	أحمد بن عيسى الهاشمي	٢٢٤	عمر بن الوردى	مضمونه
٢٠٧	الشنان	عمارة	٢٧٣	أبو الشمعق	لقينه
٢٠٩	—	بليان	٣١٠	—	بمحنة
٢١٧	—	لا تبيكى	* * *		
٢٣٠	من المذيان	ابن عطية	١٩	ابن زيدون	الزمن
٢٣٦	دينى	الصلاح الصفدى	٦٤	ابن سديد	ظمان
٢٦٢	يمان	أمامة بنت الجلاح	٨٧	البهاء زهير	هوان
٢٧٤	عبد المدان	دعبل	٩٣	محمد بن غالب الرصافي	إنسان
٣٠٢	عصيانى	ابن حيوس	٣٧٧، ٢٤٧	ابن الرومى	مرنان
٣٠٣	المعانى	صفى الدين الحلى	٢٤٧	الصفدى	لايطمن
٣١١	يانسان	أبو بكر الخوارزمى	٣٠٢	ابن حيوس	التمين
٣١٢	الفلان	الصفدى	٣٤٣	الصفدى	أغصان
٣١٢	القيحان	»	٣٦٥	دعبل	مكن
			٣٧٧	الصفدى	مطون

واليا	المتنبي	٢٨١	الألف المقصورة	
القوافيا	ابن قلاقس	٢١٥	ارعوى	ابن قزل ٧٤
شبابيا	صفي الدين الحلي	٣٢٨	سرى	— ٢٠٩
مايا	مرار بن هباش	٣٣١	الجوى	السراج الوراق ٣٤٢
الحاشية	دعبل	٣٣	اهتمدى	خالد بن الوليد ٣٥٤
الهاوية	—	٥٨	القرى	ابن سناء الملك ٣٥٣
المعى	امروء القيس	١٠٨	ماطوى	شيوخ الشيوخ ٣٦٩

٤ - فهرس الأعلام

أحمد بن الحسين بن علي البهبقي ٣٤	(٥)
أحمد بن حنبل ٢٧٨	إبراهيم (عليه السلام) ١٣١
أحمد بن خالد المصري ١٠٠	إبراهيم السراق (مولى المهلب) ١٠١
أحمد بن الخطيب ٢٤٨	إبراهيم بن العباس ٨٦
أحمد بن أبي دواد ٣٦٥	إبراهيم بن علي بن تميم الحصري ١١٧
أحمد بن عبد العزيز المقدسي ٣٢٤	إبراهيم بن المدبر ٧٠
أحمد بن عبد الملك بن شهيد	إبراهيم بن المهدي ٢٤٧، ١٠٤
أبو عامر ٢١٩، ٦٤	إبراهيم بن يحيى بن زيد بن علي ٢١٢
أبو أحمد العسكري (الراوي) ٢٦١	إبرهة بن الصباح أبو يكسوم ١٣١، ٢١٩، ١٣٤
أحمد بن علي بن ثابت الخطيب	إبلّيس ١١٥ - ١١٠
البنمادي ٥١	أبي بن خلف الجحى ١٦٠
أحمد بن عيسى الهاشمي ٢٠٧	ابن أبي = عبدالله بن أبي بن سلول
أحمد بن فارس ٥٠	الأبيوردي ١٨
أحمد بن أبي فنن ٣٩٢	الأثير بن بغان ٢٥
أحمد بن محمد الباخرزي ٣٧٨	أثير بن عمر والسكوني (الطبيب) ١٩٩، ١٩٨، ١
أحمد المازدي أبو العباس ١٢٤	أحمد بن جعفر (الراوي) ٢٦١
أحمد بن المعلى الدمشقي ٣٠٧	
الأحنف بن قيس ٢٣٤، ٢٣١، ٩٤	

أبو إسحاق الفزى ٣٠ ٤٤٦

6 294 6 279 6 140 6 71

FAF, FEF, FFA, FFE

أسماء بنت أبي بكر ٢١٧

أسماء بنت عمرو بن عدی ۱۴۲

۲۱۳. إسماعیل (علیہ السلام)

٢٠ إسماعيل بن المعتض

إسماعيل بن المنصور

ابن القاسم (صاحب إفريقية) ٤٨

أبو الأسود الدؤلي ٣١٥، ٢٠٦

الأُسود بن عبد الأسد ١٤٩

الأسود بن عبد يفيث ٢٢٥

٢٦١. الأسود بن قنان

الأشتر من الحارث النخعي ١٨٩

الأشرف (الملك) =

٢٧٧ خلیل بن منصور

۲۹۳ ابن الاُشعث بن قیس

أصحمة الزجاشي (ملك اليمن) ١٣١

أصم بن حميد ٥٤

الأحوص ٦٧

الأخضس بن شريق ٢٢٥، ١٤٦

إدريس بن عبد الكريم ٣٠٧

إدريس بن عبد الله بن الحسن

المولى ٢١٢٦٥١٦٥٠

الأرجاني ٦٠، ٨١، ١٧٤،

أزاد / مرد بن الحرید ۲۴۳

أسامة بن زيد ١٧٤، ١٦٨

٢٢٠ ٦ ١٧٧

أسامة بن منقذ (مؤيد الدولة) ٨٨

أبو إسحاق (الراوى) ٢١٧، ١٧٢

إسحاق بن إبراهيم الموصلي ١٠٣

٣٦٦ إسحاق بن أبي ربيع

إسحق بن سلمان الإسرائيلي

(الطبيب) ٤٨

أبو إسحاق الصافي ٧٧ ، ٢٧٧

إسحاق بن عبد الله الأندلسي ٢٠

إسحاق بن عيسى (الراوى) ۱۹۴

أنس بن مالك ٢٥٤ ، ٢٤٣
 أوس بن حجر ٢٢٢
 أم أوفى ٣٤٩
 إياس بن معاوية ١٧٧
 أيمن بن خريم ١٩٣
 أيوب (عليه السلام) ٥٨
 أبو أيوب الأنصاري ١٧٠
 أم أيوب ١٧٠

(ب)

ابن بابك = عبد الصمد

الباخرزي (صاحب الدمية)

٣١ ، ٣٧ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ١٨٤ ،

٢٥٢

البحثري ١٣ ،

١٧ ، ٥٢ ، ٨٥ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ،

١٠٦ ، ١٠٧ ، ٢٠٢ ، ٢٧١ ،

٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٣٠٤ ، ٣٠٨ ،

البخاري (صاحب الصحيح) ٢٢٥ ،

٢٤٣

أبو البختري ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٦ ، ١٥١ ،

الأصمعي ٢٧٤ ، ٢٠٤

ابن الأعرابي ٢٠٤

الأعشى (ميمون بن قيس)

٤٧ ، ٢٩٣ ، ٣٣٥ ، ٣٤١

الأعشى ٣٠٧

الأعور المجلي ٨٣

ابن الأقطس ٢٠

الأفنين ٣٩٥

الأفضل = علي بن

السلطان صلاح الدين الأيوبي

الأفضل = نور الدين علي

ابن صلاح الدين الأيوبي

الأقرع بن حابس ٨٠

ألبا أرسلان (السلطان) ٥٢

أمامة بنت الجلاح السكلاية ٢٦٢

أمروؤ القيس بن حجر ١٠٧ ، ٨٣ ،

١٠٩ ، ٢٥٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ،

٢٧٣ ، ٣٥٨ ،

أمية بن خلف الجمحي ١٤٤ ، ١٤٦

أمية بن الصلت المغربي ٥٥

أمية بن أبي الصلت () ١٥٥

أمين الدولة بن جهمير ٢٣٤

ابن غالب بن زيدون ٦ - ٢١ ،

٢٣٧ ، ٢٣٩

أبو بكر الإسفراييني ١٨٤

أبو بكر الباقلاني ١٧٣ ، ١٧٤

بكر بن حماد ١٩٨ ، ٢٠١

أبو بكر بن حمزة ١٨

أبو بكر الخوارزمي ٦٥ ، ٢١٢ ،

٢٥٣ ، ٣١١

أبو بكر بن داسة ٣٤

أبو بكر بن سعيد بن القبطرية ٢١٨ ،

٣٢٧ .

أبو بكر الصديق ١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٦٠ ،

١٦١ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٥ ،

١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ،

١٨٢ ، ١٨٣ ، ٢١٦ ، ٢٢٠ ،

٢٤٩ ، ٢٥٦ ، ٣٥٤

أبو بكر بن عمار = ابن عمار

أبو بكر بن القاسم السلمي ١٨٣

أبو بكر بن مسلم ٦

بكر بن النطاح ٥٥

البراء بن عازب ١٦١

أبو البركات = محمد بن أحمد المنقري

بريدة بن الحبيب الأسلمي ١٧٥ ،

١٧٦ .

بريرة (الصحابية) ٣٥٩

بزرجمهر ٣٣

ابن بسام (صاحب الذخيرة) ٦ ،

١٤١ ، ٢١

بسبس بن عمرو ١٤٥

بشار بن برد ٥٦ ، ١١١ ، ٢٧٣ ،

٣٤٧ ، ٣٥٢ ، ٣٥٥

بشر بن المفضل ٣٤

ابن بشكوال (صاحب الصلة) ٢١

أبو بصرة (الراوي) ٣٤

البعيث ٣٨ ، ٢٧٣

أبو بكر المعروف بالملك المادل

٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٣٥٣

أبو بكر بن أحمد بن سعيد الطائي

٢٥١ ، ٢٥٢

أبو بكر بن أحمد بن عبد الله بن أحمد

٣٩٠ ، ٣٨٥ ، ٣٨٠ ، ٣٦٧

٣٩٦ ، ٣٩٢

تميم بن المعز ٦٤ ، ٨٥ ، ٢٢٩ ،

٣٧٥ ، ٢٩٧

أبو تيممة الراوى ٣٨٧

تنكرز = سيف الدين تنكرز

التهامى ٧٨

ابن تيممة = تقي الدين

(ث)

ثابت البنائى ١١٤ ، ٢٥٤

ثور بن شحنة المنبرى (مجير الطير)

٢٦٣

(ج)

جابر بن عبد الله الأنصارى ٣٦٦

الجاحظ (عمر بن بحر) ٩٤ ، ٣٦١

جبله بن الأيهم ٤٠٧

جبير بن مطعم ١٥٨

جحظة ٥٩

جرير بن عبد الله (الراوى) ١٤٣

الجزار = أبو الحسين

بلال بن أبي بردة ٧٦

بندار = سيف الدين بندار

البهاء زهير ٣١ ، ٨٧ ، ٢٣٥ ،

٣٥٣ ، ٣١٨

بهرام شاه بن فرخشاہ ٥٣

ابن بيض ٥٦

(ت)

تاج الدين الكلبي (الأمير) ٦٤

سميط ابن التعاويذى

(محمد بن عبيد الله) ٢٦٧ ،

٣٩٣ ، ٣٩٢

تقي الدين بن تيممة ١٧٤

الأمير تسكين ٩٤

ابن التلمسانى ٢٢٣

أبو تمام (حبيب بن أوس) ٣٠ ،

٥٩ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ،

٧٩ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١١٠ ، ٢٠٨ ،

٢٢١ ، ٢٢٨ ، ٢٧٤ ، ٢٨٥ ،

٢٨٧ ، ٢٩٣ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ،

٣٠٩ ، ٣٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ،

٣٢٨ ، ٣٣٤ ، ٣٦٣ ، ٣٦٦ ،

جعفر المتوكل = المتوكل
(الخليفة)

جعفر بن سليمان ١٢٨

جعفر بن شمس الخلافة (شمس الدين)

٧٥

جعفر بن أبي طالب ١٧٧ ، ٢٠٤

جعفر بن الفرز المابند ٣٧٨

جعفر بن مخارق ٣٠٧

جعفران الموسوس ٢٥١

جمال الدين بن الحاجب ٩٨

جنان (صاحبة أبي نواس) ٣٨٨

جندب بن عبد الله ٣٠٧

أبو جهل بن هشام ١٣٦ ، ١٣٨ ،

١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٢

ابن جمهور ٣ ، ٦ ، ١٦ ، ٢١ ، ٤١

ابن الجوزي ٢٠٧

(ح)

حاتم الطائي ٢٧٤ ، ٣٢٦

حابس (أبو الأفرع بن حابس) ٩٧

الحادرة ٢٩٢

أبو الحارث ٢٢٤

الحارث بن جبلة ٢٩٥

» بن أبي شمر ٢٥٩ ، ٣٣٣

» بن الصمة ١٦٠

حارثة بن سراقه ١٥٠

حارثة بن مرة (مجير الجراد) ٢٦٣

الحاكم بأمر الله ٦٧

الحاكم بن قنبر ٣٦٢

الحباب بن المنذر بن الجموح ١٤٧ ،

١٨٠ .

حبيب (الراوى) ٢٠٩

حبيب بن المهلب بن أبي صفرة ٢٦٠

ابن حجاج (الشاعر) ٨٤ ، ٢٧٤ ، ٣٦٢

الحجاج بن يوسف الثقفي ٥٢ ، ٩٦ ،

١١٩ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ،

٢٢٠ ، ٢٤٣ ، ٢٦٥ ، ٣٤٤ ،

٣٧٨ .

حجر بن عمرو (أبو امرئ القيس)

٨٣ .

حجر بن شراحبيل ١٣١

حذيفة بن اليمان ١٥١

الحسن بن هاني = أبو نواس
 الحسين بن إبراهيم الكاتب ٣٦٨
 الحسين بن إسماعيل المصفي ٢١٣
 أبو الحسين الجزار ٤٩ ، ٦٤ ، ٦٦ ،
 ١٧٢ ، ٢٠٧ ، ٢٤١ ، ٢٨٥ ،
 ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٩٧
 الحسين بن حذان أبو المشائر ٨٨
 الحسين الخليل = الحسين بن الضحاك
 أبو الحسين بن سراج (الوزير) ٢١٨
 الحسين بن الضحاك ٣٠٥ ، ٣٤٧ ،
 ٣٥٦
 الحسين بن علي بن أبي طالب ٢٠٠ ،
 ٢٠٣ - ٢١٣ ، ٢٢٠ ، ٢٤٧ ،
 ٤٠٠ ، ٤٠١
 الحسين بن علي بن محمد المعروف
 بابن قم ٣٩٦
 الحصري = علي بن إبراهيم بن علي
 ابن تميم
 حصن بن حذيفة بن بدر ٩٧
 ابن الحصيب = بريدة
 الحصين بن الحام المري ١٤١ ، ٥٠٢ ،
 ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٤١١

الحرب بن يزيد التميمي ٤٠١
 الحريري (صاحب القامات) ٣٧ ،
 ٢٢٣
 حزام ٧
 أبو الحزم بن جمهور = ابن جمهور
 الحزين = عمرو بن عبيد
 حسان بن ثابت الأنصاري ٣٥ ،
 ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ،
 ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٩١ ،
 ١٩٤
 حسان بن الصيصي الشبلي ٢٩٠
 أبو الحسن البرمكي ٢٦١
 الحسن البصري ٣٠٤
 الحسن بن رشيق ١١٧
 حسن بن شاور ناصر الدين المعروف
 بابن النقيب ٤٠٤
 الحسن بن علي بن أبي طالب ٦١ ،
 ٦٢ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢١٢
 الحسن بن القاسم الداعي ٢١٢
 الحسن بن قحطبة ٢٤١
 الحسن بن منصور أبو غالب (الوزير)
 ٩٥ ، ٩٤

ابن حيوس أبو الفتيان ٤٧ ،
٦٩ ، ٨٠ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ،
٢٩٢ ، ٢٩٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤٨ ،
٣٩٨ .

(خ)

خارجة (أحد الخوارج الثلاثة)
٢٠٠ ، ٢٠٢ .

ابن خاقان ٦
خالد بن برمك ٣٤٧
خالد بن سفان ١٣٤
خالد بن صفوان ٧٦ ، ٨١ ، ٣١٦
خالد بن طليق (قاضي البصرة) ١٨
خالد بن يزيد الشيباني ٣٦٨
خالد بن المهاجر ١٠٩
خالد بن الوليد ١٥٧ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ،
٢٢٠ ، ٣٥٤
خالد بن يزيد بن معاوية ١٥٤ ،
١٥٥ .

الخباب (من نمود) ١٢٥
أبو خبيب = عبدالله بن الزبير
خديجة بنت خويلد ١٣٦

الخطيئة ٣٥١

الخطيري الوراق ٢٤٧

أبو حفص بن برد الكاتب ١٩ ،
٣٠١ .

الحكم بن موسى ٣٠٧

أبو الحكم بن هشام ١٣٧

حكيم بن جبلة ١٨٩

حكيم بن حزام ١٣٦ ، ١٤٦ ،
١٤٧ ، ١٤٨

حليمة بنت الحارث بن أبي شمر
(صاحبة المثل) ٢٩٤ ، ٢٩٥ ،
٢٩٦ .

الحليمي (صاحب النهاج) ٣٥

حماد بن سلمة ٢٥٤

حماد عجرد ٢٧٣

حمزة بن عبد المطلب ١٣٥ ، ١٤٩ ،
١٥٤ ، ١٥٨ ، ١٦١ - ١٦٣

حنة بنت جحش ١٧٠

حميد الطوسي ٢٤١

الحنفية (أم محمد بن الحنفية) ١٨٢

أبو دافع العجلي ٣٣٠، ٣٦٥، ٣٦٤

ابن أبي دواد ٧٩، ٢٢٧

(ذ)

الذهبي = محمد بن أحمد

ذو النون المصري ٢٤١

ذؤاب بن عمرو (بن نمود) ١٢٥

أبو ذؤيب الهذلي ٦١، ٦٣

ذو اليمينين ٥٧

(ر)

رأس الجالوت ٢٠٦

الريمع بن زياد العبسي ١٠٩

رجاء بن هارون المكي ٣٢٩

رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز

الحنبلي ٢٠٨

الرسقي = محمد بن محمد الرسقي

الرشيد = هارون

الرشيد بن الزبير القاضي ٣٢٨

الرشيد الفارق ٣٥٣، ٣٨١

الرشيد = محفوظ المراق ٥٧

الخطابي (صاحب كتاب غريب

الحديث) ٤٠٠

ابن خفاجة ٧٣

الخلنجي القاضي (عبد الله بن محمد) ٢٢٦

الخليل بن أحمد ٢٥٣

خليل بن المنصور قلاوون الملك

الأشرف ٥٣، ٢٧٧

الخنساء ٣٢

خولي بن يزيد الأصبجي ٢٠٦

ابن الخياط الدمشقي (الشاعر) ٧٤،

٧٦، ٩٢، ٢٣٠، ٢٥٤، ٢٦٩، ٣١٠

ابن الخيمي ٢٦٧

(د)

داود (عليه السلام) ١٢٢، ٢٠٦

أبو داود (صاحب السنن) ٣٤، ١٧٦

أبودجانة الأنصاري ١٥٩

ابن دراج القسطلي ٢٩٣

دعبل بن علي الخزاعي ٣٣، ٢٤٨،

٢٧٤، ٣٦٤، ٣٦٠

ابن دقيق العيد ١٣٠

طبع خطأ في هذا الرقم « دداد ».

أبورقية (تميم بن أويس الداري)

٢٤٣

الرماح بن ميادة ٣٨٣، ٢٢٢

رؤية ٤٦

روح بن زنياع ٢١٠

أبو روح = ظفر الهروي

رومان بن سرحان ١٩٠

ابن الرومي ٥٨، ٦٣، ١٢٤، ٢٩٨،

٣٧٧، ٢٢٨

الرياشي (الراوي) ٣٠٦

(ز)

الزرقان بن بدر ٢٨٣

ابن الزبير = عبد الله

الزبير (بن بكار) ٢٠٦

الزبير بن العوام ١٤٥، ١٦٠، ١٧٩،

٢٠٠، ١٨٧

ابن الرقاق الأندلسي ١٢٤، ٣٩٤

الزخشري ٣٨٣

زمنة بن الأسود بن عبد المطلب

١٤٦، ١٣٨

ابن زنجويه ١٨٢

زهير بن أمية بن المغيرة ١٣٧، ١٣٨،

زهير بن أبي سلمى ٢٩٣، ٩٨،

٣٤٩

زهير بن صرد الجشمي ٣٣٣

ابن الزيات = محمد بن عبد الملك

ابن زياد = عبيد الله بن زياد

زياد بن أبيه ٩٤

زياد الأعجم ٢٦٠، ٢٦١

زياد بن السكن ١٥٩

الزيادي (الراوي) ٩٩

زيد بن ثابت ١٧٤، ١٩١

زيد بن حارثة ١٧٦، ١٧٧

زياد الكاتب ٣٦٠

زيد بن أرقم ٢٠٤

زيد بن علي ٢١٢

ابن زيدون = أبو بكر بن أحمد بن

عبد الله بن أحمد بن غالب

زين الدين بن الورد ١٨٥، ٢٢٤

زينب بنت جحش ١٦٨

(س)

أبو الساج ٢١٢

سعيد بن يزيد ٣٤
 سيار سيف الدين (الأمير) ٢٣٥
 سلامة (الجارية) ٣٦٧
 السلمي ١٠٥
 سلم الخاسر ٥٦
 أبو سلمة ٢٧٢
 سليمان بن زبر ٢٥١
 سليمان بن وهب (الوزير) ١٠٠
 سليمان بن عبد الله بن طاهر ٢٣٩
 سليمان بن عبد الملك ٢٠٥، ١١٩
 سفيان الثوري ٣٧٨
 أبو سفيان بن حرب ١٥٤، ١٥٤،
 ١٥٥، ١٥٦، ١٦١، ٢٣٧، ٣٦٠
 سفيان بن أبي العرجاء ١٨٦
 ابن سكرة الهاشمي ٢٤٨
 سكين بن عبد المزيز ١٩٨
 السماك بن حرب (الراوى) ١٠٨
 أبو السمط = مروان بن أبي الجنوب
 أم سليم (امراة أبي طلحة
 الأنصاري) ٦٠
 السموهلي بن عادية ٢٥٩

ابن الساعاتي ٣٩، ٤٥، ٤٧، ٦٩،
 ٢٢٣، ٢٢٨، ٢٨٠، ٣٩٠،
 ٣٩١، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥
 سالم بن حامد ٥٢
 السامري ١٢٢، ١٢٢
 سدوس بن عيسى ١٨٩
 السراج الوراق ٨٣، ٢٠٨، ٢٢١،
 ٢٢٩، ٢٥٦، ٣٤٢، ٣٥٨، ٣٦٤
 أبو سرح ٢٣٠
 ابن أبي سرح ١٩٠
 ابن سعد (صاحب الطبقات) ٢٠٥
 سعد بن زيد الصعالي ١٧٥
 سعد بن عباد الأنصاري ١٨٠
 سعد بن معاذ الأنصاري ١٤٥
 سعد بن أبي وقاص ١٤٥، ١٥٩
 سعيد بن جبير ٢٠٠
 أبو سعيد الخدري ١٣٢، ١٥٩
 أبو سعيد الرستمي = محمد بن محمد
 الرستمي
 سعيد بن السماك (الراوى) ١٠٨
 سعيد بن عمرو بن ثعلب ١٧٨

ابن سقاء الملك ٤٦، ٤٧، ٤٩، ٦٩،

٣٥٥، ٣٣٣، ٣٢٥، ٣١٧، ٣٠٠

سنان بن أنس ٤١١

سنان بن أبي أنس الفخمي ٢٠٦

سهيل بن عمرو ١٤٦

السميلي (عبد الرحمن) ٣٥، ٣٤

سودان بن حمران (قاتل عثمان) ١٩٠

سوار بن كعب ١٧٨

السيد الحميري ٤١١

ابن سيد الناس = محمد بن محمد

سيف بلبان الطباخي (نائب

حلب) ٢٧٧

سيف الدين السامري ٥٩

سيف الدين بشار (الأمير) ٥٣

سيف الدين تنكرز ٥٣

سيف الدين بن المشد بن قزل = ابن قزل

سيف الدولة بن حمدان ١٢٢، ٧٣

(ش)

شأس بن نهار العبدي المعروف

بالمزق ٢٧٥، ٢٧٦

شافع بن علي، ناصر الدين ٤٣

الإمام الشافعي ١٠٤، ٣٠٨، ٣٧١،

٣٧٢

ابن شبرمة ٧٦، ٣١٣

ابن الشبل البغدادي ١١٥، ٣٠٠

أبو شجاع السلجوقي ٥٢

أبو شجرة السلي ١٨٥، ١٨٧

شديد الملك بن منقذ ٢٨٤

شرف الدين بن شيخ الشيوخ

= عبد العزيز الأنصاري

شرف الدين عنين = ابن عنين

شرف الدين المبارك = المبارك

مستوفى لإربل

الشريف الرضي ٤٩، ٢٩٣، ٣١٤،

(ص)

الصابي = أبو إسحاق

— صالح (عليه السلام) ١٢٥ —

٤٠٠، ١٢٨

٢٥٠ الصالح بن رزيك

٢٨٣ صالح بن صالح الشنتريني

٣٧٨ صالح بن عبد القدوس

٣٢ صخر (أخو الخنساء)

٣٦٩، ١١٧، ٣٠ ابن صردر

١٧٢، ١٧١، ١٦٦ صفوان بن المعطل

٢٣٦، ١٨٣، ١٣ صفى الدين الحلى

٢٤٧، ٢٤٩، ٣٠٣، ٣٢٨،

٣٣٨، ٣٩٧

٢٩٦ صفية بنت حي بن الأخطب

٣٥٣، ٣٩ صلاح الدين الأيوبي

٣٨١

٨٩ ابن صمادح

صفاجة الدوح = محمد بن العاصم

٤٠ الصنوبري (أبو بكر)

الشريف العقيلي = علي بن الحسين

العقيلي

٢٣٩

الشعبي

٥١

للشماخ بن ضرار

٢٠٤، ٢٠٣ شمر بن ذى الجوشن

٢٩٥ شمر بن عمرو الفسائي

٣٦٨، ٢٧٣ أبو الشمقمق

٣٥٣ شمس الخلافة

شمس الدين جعفر بن شمس الخلافة =

جعفر بن شمس الخلافة

شمس الدين الذهبي = محمد بن أحمد

٢٧٧ شمس الدين بن الساموس

شمس الدين محمد بن العفيف =

محمد بن العفيف

٦٩

شهاب الدين الخيمي

٢٥٥، ٢٣١ شهاب الدين محمود

٣٥٤، ٣٤٦

٣٠٧ شهریار بن شيرويه الحافظ

١٤٩، ١٤٦ شمية بن ربيعة

شيخ الشيوخ = عبد العزيز

الأنصاري

المصولي ٣٨

(ض)

ضرار بن الخطاب ١٥٤

ضمضم بن عمرو الففاري ١٤٤

(ط)

طالوت ١٢٩ ، ١٣٠ ، ٢١٩

طاهر بن الحسين ٣٦٨

طاهر بن النقيه ٣٦

طالب بن أبي طالب ١٤٦

أبو طالب بن عبد المطلب ٣٦ ، ١٣٥ ،

١٤٠ ، ١٣٩

ابن طباطبا ٨٤

الطبراني ٣٠٧

طميمة بن عدى ١٤٦

الطفراني ٢٧٠

أبو طلحة الأنصاري ٦٠ ، ٦١

طلحة بن عبيد الله ١٥٩ ، ١٦٠

طلائع بن رزيك ٧٨

أبو الطيب = القتيبي

(ظ)

ابن ظافر الأزدي = هلي بن ظافر

ظافر الحداد ٧٨ ، ١١٩

ظفر الهروي أبو روح ٣١٤

(ع)

عائكة بنت زيد بن عمرو

ابن نوفل ١٨٩

عائكة بنت عبد المطلب ١٣٧

الملك العادل = أبو بكر الأيوبي

ابن عامر ١٩٠

أبو عامر (أحمد القرشي في يوم أحد) ١٥٩

عامر الحضرمي ١٤٩

أبو عامر بن شهيد = أحمد بن

عبد الملك

عامر بن الطفيل ٣٤

أبو عامر بن عبدوس ١٠ ، ١٢٠

العائذ = عبد الله بن الزبير

ابن عائشة ٣١٣

عائشة بنت الصديق ٩٠ ، ١٣٤ ،

١٦٥ — ١٧٤ ، ٢٠٠ ، ٢٢٠

عباد (عمدوح ابن زيدون) ١٥

أبو عباد (وزير المأمون) ٩٤

١٧٧ عبد الله بن رواحة

٢١٣، ١٦٢ عبد الله بن الزيمري

عبد الله بن الزبير ٦٩، ١٨٧، ١٩١،

٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣ -

٢٢٠، ٢١٧

١٩١ عبد الله بن سلام

عبد الله بن شهاب الزهري ١٥٩

عبد الله بن طاهر ٩١، ٣٧٠، ٣٧١

عبد الله بن العباس ١٣٣، ٢١٧،

٢٢٥، ٢٥٩

عبد الله بن عبيد الله بن أبي

عبد الله بن عمر ١٨٨، ١٩١، ١٩٢،

٢١٥

عبد الله بن عمرو بن حزام ١٥٧

عبد الله بن أبي عيينه = عبد الله

بن محمد بن أبي عيينه

عبد الله بن الفضيل = عبد الله بن

حنظلة

عبد الله بن محمد الخفاجي ٥٥، ٦٨،

٢٠٦، ٢٢٢، ٣٠٠، ٣٥٣

٣٥٩، ٣٩٤

٢١ ابن عباد

٢٧٦ عباد بن شأس

ابن عباد = عبد الله

العباس بن الأحنف ١٠٦، ١١٠،

٢٤١، ٣٠٥، ٣٠٦

٣٩٧ أبو العباس السفاح

العباس بن عبد المطلب ١٤٢، ١٥١،

العباس بن علي بن أبي طالب ٢٠٤

العباس بن مرداس ٩٦

عبد الله بن أبي بن سلول ١٥٥،

١٥٧، ٢٢٠

١٢ أبو عبد الله البطليوسي

١٤٧ عبد الله بن جبير

١٥٢ عبد الله بن جدهان

٣٧٧ عبد الله بن جعفر

٢١٥ عبد الله بن الحسن

عبد الله بن الحسين بن علي ٢٠٤

٣٦٤ أبو عبد الله بن حمدون

عبد الله بن حنظلة القسيل ٢٠٩، ٢١٠،

٣٥٩ عبد الله بن خارجة

عبد الصمد بن بابك ٦٧ ، ٢٥٦ ،

٣٩٢ ، ٢٦٩

عبد العزيز الأنصاري شيخ الشيوخ

٣٧ ، ٣٤٤ ، ٣٥٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٩

عبد العزيز بن عبد الملك ٢٣٢

عبد المطلب بن هاشم ١٣١ — ١٣٣

عبد الملك بن مروان ٩٦ ، ١٩٥ ،

٢١٣ ، ٢١٦ ، ٣٥٩

عبد الوهاب ، ابن بنت الأعر ٣٧٥

ابن عبد ياليل ٩٠

ابن عبدوس = أبو عامر

ابن عبدوس ١٩٥ ، ٢٠٢

أبو عبيد البكري ٥٦

أبو عبيدة بن الجراح ١٥٩ ، ١٧٥ ،

١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١

عبيدة بن الحارث ١٤٩ ، ١٥٤

أبو عبيدة معمر بن النقي ١٠٩ ،

٣١٣ ، ٣٣٧

عقاب بن أسيد ١٧٧

أبو القتاهية ٤٩ ، ٧٧ ، ٢٥٣ ، ٢٦٩ ،

٣١٣ ، ٣١٥ ، ٣٤٤ ، ٣٧٣

عبد الله بن محمد بن أبي عبيدة ٥٧ ،

٢٧١

عبد الله بن محمد بن ورقاء الشيباني

٢٥٩

عبد الله بن مسمود ١٥٢ ، ٣٢٠

عبد الله بن مسلم بن عقيل ٢٠٤

عبد الله بن المعتز ٤٥ ، ٢٣٦ ، ٢٤٨ ،

٢٧٣ ، ٢٦٣ ، ٣٧٨

عبد الله بن وهب الراسبي ٤١١

عبد الله بن يزيد ٣٧٢

ابن عبد البر ١٧٣ ، ١٨٨ ، ١٩٠

عبد الجبار بن جهمير ٣٧٩

عبد الرحمن بن عوف ١٧٨ ، ١٨٨

عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ٢٦٤

عبد الرحمن بن مسلم بن عقيل ٢٠٤

عبد الرحمن بن الفضل (الراوي)

٢٩٥

عبد الرحمن بن ملجم ١٩٦ — ٢٠١ ،

٢٢٠

عبد الرحمن بن وهب القوصي المعروف

بالزكي ٥٣ ، ٥٤

٣٤٠، ٣٨ عدى بن الرقاع
 ١٤٥ عدى بن أبي الزغباء
 ٥٦، ٤٦ عدلى بن زيد
 ٢٤٥ عروة بن حزام
 ٢١٦ عروة بن الزبير
 ٢٢٧، ٢٢٦ عزة (صاحبة كثير)
 العزيز الخليفة الأيوبي = عمان
 أبو المشائر = الحسين بن حمدان
 ٥٢ عضد الدولة
 ٢٢٥ ابن عطية (الشاعر)
 ١٤٤ عقبه بن أبي معيط
 ٢٠٤ عقيل بن أبي طالب
 العقيلي الشريف = علي بن الحسين
 ١٥٧ عكرمة بن أبي جهل
 ١٨٥ علاء الدين الكايلي
 ١٨٩ علاء الدين الكندي
 أبو علاء المعري ٣٦، ٤٤، ٧٣،
 ١٨٣، ٢٠٨، ٣٥٧، ٤٩٥،
 ٤٠٩، ٤١٠
 علاء الدين مغلطاي = مغلطاي
 ١٢٤ علاء الدين الوداعي

٣٧٥ العتابي
 عتبة (جارية المهدي وصاحبة أبي
 ٧٧ العتاهية)
 عتبة بن ربيعة ١٣٥، ١٤٦، ١٤٨،
 ١٤٩
 ٥٥ عتبة بن أبي سفيان
 ٣٣٩ عتبة بن مسلم الباهلي
 ١٥٩ عتبة بن أبي وقاص
 ٢٢١ العتيبي
 ٣٦٢ عتيق بن محمد الوراق
 عثمان العزيز (الخليفة الأيوبي) ٢٤٩
 ٣٥٣
 عثمان بن صبيب (الراوي) ١٩٧
 عثمان بن عفان ١٥٥، ١٨٩، ١٩٥،
 ٢٤٩، ٢٢٠، ٢٠٠
 ٣٢ أبو عثمان المازني
 عثمان بن محمد بن أبي سفيان ٢٠٩
 ٩٦ المعجاج (الرازز)
 ٢٧٦ المجير السلولي
 ١٨٩ ابن عدس البلوي

علي بن سليمان الكلبي ٣٧
 أبو علي بن شاذان ٣٠٧
 علي بن صلاح الدين الأيوبي (الملك
 الأفضل) ٢٤٩، ٢٥٠
 علي بن أبي طالب ٩٧، ١٠٨، ١٤٤،
 ١٤٥، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٢،
 ١٦٤، ١٦٥، ١٨٢، ١٩٢،
 ١٩٤، ١٩٥ — ٢٠٢، ٢٢٦،
 ٢٤٩، ٢٥١، ٤٠١
 علي بن ظافر الأزدي ١٤١، ٤٠٢
 علي بن عيسى بن ماهان ٢٤٥، ٣٦٨
 علي بن قزل المشد سيف الدين =
 ابن قزل
 علي بن موسى العلوي ٢١٢
 عماد الأصفهاني (الكاظم) ٢٤٣
 عماد الدين (صاحب حماة) ٢٣
 عماد الدين بن السكري ٣٧٦
 عماد بن يامر ٢٠٠، ٣٣٠
 ابن عمار الأندلسي ٩٢، ٣٠٨، ٣٦٣
 حمارة بن يزيد بن السكن ١٥٩

ابن أخت علوية المنفي ٢٢٦
 علي (غلام ابن زيدون) ١١
 علي بن أحمد البسامي ٢٤٨
 علي بن أحمد الجزري ٢٥٢
 علي بن أحمد الجوهري ٤٣٢
 أبو علي بن البناء البغدادي ٣٠٧
 أبو علي التتوخني القاضي ٣٦١
 علي بن جلاب ٣٤٢
 علي بن الجهم ٦٩، ٧٣، ٨٤، ٢٧٣
 علي بن حرب الطائي ٣٧٨
 علي بن الحسين الباخري (صاحب
 الدمية) ٣١، ٣٧، ٦٧، ٧٠،
 ١٨٤، ٢٥٢، ٣٦٨
 علي بن الحسين العقيلي الشريف
 ١٠٣
 علي بن الحسين القيسطاني أبو بكر ٣٣٧
 أبو علي الروذباري ٣٤
 علي بن زيد الجدعاني ٢١٧
 علي زين العابدين بن الحسين ٢٠٤
 علي بن أبي مرارج ١٨٣

عمارة النبي ١٢٠، ١٢٩، ١٣٩،
 ٢٠٢، ٢٠٧، ٢٢٨، ٢٧٤،
 ٣٠٣، ٣٥٦، ٣٦٩، ٣٨١،
 ٣٨٥، ٣٩٧
 ابن عمر = عبد الله
 ابن أبي عمر العدي (الراوي) ١٧٦
 عمر بن الخطاب ٣٣، ٩٨، ١٣٥،
 ١٥١، ١٦٠، ١٦١، ١٧٥،
 ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠،
 ١٨١، ١٨٦ - ١٨٩، ٢٠٠،
 ٢١٦، ٢٢٠، ٢٢٩، ٢٩٣،
 ٣٢٠، ٤٠٠
 عمر بن أبي ربيعة ٢٢٣
 عمر بن سعد بن أبي وقاص ٢٠٣،
 ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٩، ٢٢٠، ٤٠٠،
 ٤٠١
 عمر بن شاهين ٣٧٨
 عمر بن شهيد ٣٠٨
 أبو عمر بن عبد البر = ابن عبد البر
 عمر بن عبد العزيز ٢٠٥
 عمر بن علي اللقوي ٢١٢

عمرو بن الوردى = زين الدين
 عمران بن حطان ٢٠٠
 عمرو بن الأبرد ٥٧
 عمرو بن الأهمم المنقري ٢٧٣، ٣٢٥
 عمرو بن أوس ٣٢٤
 عمرو بن الحضرمي ١٤٩
 عمرو بن سكن ٢٥٩
 عمرو بن العاص ٢٠٠، ٣٥١
 عمرو بن ود ١٤٦
 عمرو بن عبيد المعروف بالخرين ٣٤
 أبو عمرو بن العلاء ٣٥٢
 عمرو بن مسعدة ٢٥٦
 عمرو بن محمد بكرب ٣٤٧
 ابن العميد ٣١٠
 عمير بن الحمام ١٥٠
 عمير بن وهب الجمحي ١٤٨
 عنبرة المبسي ٣١٠
 عنبرة (من عمود) ١٢٦
 ابن عني ٢٢١، ٢٥٠، ٢٦٨،
 ٢٨٩، ٢٩٠، ٣٣٢، ٣٣٧، ٣٤٨،
 ٣٦٠، ٣٦٩

٣٥١، ٣٢٣
 الفتح بن خافان ٢٨٦
 أبو الفقيان = ابن حيوس
 فخر الدين الرازي ١١٢، ٩٨
 ٣٧١، ٢٨٨
 أبو فراس الحمداني ٦٨، ٥٩
 ١٠٦، ١٢٤، ٢٤٩، ٢٨٢، ٢٩٠
 ٣٦٢، ٣٢٨
 أبو الفرج البغداد ٩٣
 الفرزدق ١٨٨، ٨٦، ٤٦، ٣٣
 ٣٦٠، ٢٧٥
 فرعون (صاحب موسى) ١١٩
 ٢١٩، ١٢١
 الفضل بن الربيع ١٠٣
 الفضل بن عبد الصمد الرياشي ٣١
 الفضل بن محمد القاضي أبو بشر ١١٠
 أبو الفضل الميمكالي ٣١٥
 الفضل بن يحيى ٢٦٥
 فيروز = أبو لؤلؤة الجوسي
 (ق)
 القادر بالله (الخليفة) ٢٣٣

عوف بن الحارث ١٥٠، ١٤٩
 ٣٧١، ٣٧٠
 عرف بن محم ٣٧١، ٣٧٠
 عون بن عبد الله بن جعفر بن
 ٢٠٤ أبي طالب
 عويمر بن ساعدة ١٧٩
 عيسى بن زيد العلوي ٢١٢
 عيسى بن مريم (عليه السلام) ١٧٤
 ١٧٩
 عيسى بن موسى المباسي ٢١٢
 عيينة بن حصن ٩٦
 (غ)
 الغزي = أبو إسحاق الغزي
 ٣١١ أبو غانم محمد
 ٨٥ غيلان بن خرشة
 (ف)
 فاطمة الزهراء ٢١٢، ٢٠٦، ٢٠٥
 ٢٧٨، ٢٥١
 فاطمة بنت قيس ٢٧٢
 فتح (صاحب الحظيري الوراق) ٢٤٧
 أبو الفتح البستي ٣١٣، ٣١٤

القمامي ٥٦

ابن قلاقس ٢٥٠، ١٠٤، ٧٩

٢٨٥، ٢٩٢، ٣٠٢، ٣٠٣

٣٥٢، ٣٩٤، ٣٩٣، ٣٩٥

ابن قنعة ١٥٩

قيس بن ذريح ٣٦٠

قيس بن زهير بن جذيمة ١٠٩

قيس بن معدى كرب ٢٩٣

قيس بن أبي صعصعة بن صوحان

١٤٤

ابن القيسراني مذهب الدين ٨١

٣٦١، ٣٨١، ٣٨٥

(ك)

كثير عزة ٢٢٦، ٢٢٧

الكسائي ٢٥٣، ٣٨٢

كشاجم ٨١

كعب بن مالك الأنصاري ١٥٤

١٦٠، ١٧٧، ١٧٨

الكسائي (الراوي) ١٣٥، ٣٩٣، ٣٩٨

القاسم بن ثابت (صاحب الدلائل)

١٥٤

القاسم بن الحسن بن علي بن أبي

طالب ٢٠٤

القاضي الفاضل ٨٢، ١٠٢، ٢٤٣

٢٧٦، ٣٥٣، ٣٥٥

القاهر بالله (ال خليفة) ٥٠

القاسم بأمر الله (ال خليفة) ٢٢٩

ابن القبطرية = أبو بكر بن سعيد

قتادة بن النعمان ١٦٠، ١٧٥

قتيبة بن مسلم ٩٨، ٢١٢، ٣٦٧

ابن أبي قحافة = أبو بكر

قدار (عافر ناقة صالح) ١٢٦، ١٢٩

قراسنقر شمس الدين ٢٦٣، ٢٧٧

قرواش = أبو المبيع

ابن قزل المشد ٦٠، ٧٠، ٧٤

٢٣٦

قس بن ساعدة ١٣٤

قطام (الحرضة على قتل علي)

١٩٦، ١٩٧

المبارك (مستوفى أبريل) ٦٤ ، ٢٠٥ ،

٢٧٥ ، ٣٥٢

المبرد ٢٩٤ ، ٧٦

المتنبي ٨٨ ، ٧٣ ، ٦٦ ، ٤٢ ، ٤٤

٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٧٤ ، ٢٩٣ ،

٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٠١ ، ٣٢٣ ،

٣٣٦ ، ٣٤٠ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ،

٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٣ ، ٣٨٣ ،

٤٠١ ، ٤٠٥ ، ٤١٢ ،

المتنخل ٣٨٣

المتوكل (الخليفة) ١٨٤ ، ١٨٣ ، ٥٢ ،

٢٤٧

مجاهد (الراوى) ١٢٣

المجنون (قيس بن اللوح) ٨٦

مجير الدين بن تميم ٣٥٢

مجير الجراد = حارثة بن مرة

مجير الطير = ثور بن شحنة

محب الدين بن العجار ١١٤

محفوظ المراقى ٨٧

ابن كلس (وزير العزيز) ٦٦

كمال الدين بن العديم ٣٣٨

كمال الدين بن النبيه ٢٨٤

الكهيت ٣٤١

كفانة بن بشر التجيبي ١٨٩

(ل)

لقمان ٥٧

أبو لهب ١٣٥

أبو أوازة الجوسى (فيروز)

١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ٢٢٠ ،

(م)

مالك بن أنس ٢١٦ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ،

مالك بن خزيمة الجعفي ٣٨٠

مالك بن زغبة ٣٣٨

مالك بن سنان ١٥٩

مالك بن طوق ٧١

المامون (الخليفة العباسى) ٩١ ، ٩٢ ،

٩٤ ، ١٠٤ ، ١٧٧ ، ٢١٢ ،

٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٣١٥ ، ٣٥٦ ،

محمد بن التماساني شمس الدين ١١٠

محمد بن ثابت بن قيس بن شماس

٢١٠

محمد بن جرير الطبري ٣٧١

محمد بن جعفر أبو الفرج (الوزير)

٢٣٢

محمد بن حاطب ١٥١

محمد بن الحداد المغربي ٣٠٣

محمد بن حذيفة بن عتبة بن ربيعة

١٨٩

أبو محمد بن حزم ٢٠٠

محمد بن الحسن الشيباني ٣٧٤

محمد بن الحسن بن مقسم المطار ٣٠٧

محمد بن حنا الصاحب (تاج الدين)

٢٣١

محمد بن الحنفية ١٨٢، ٢٠٣، ٢٠٤

٢١٧، ٢٠٦

محمد بن خالد الصريفي ١٠٠

محمد الرصافي = محمد بن غالب الرصافي

محمد بن زيد العلوي ٢١٢

محمد (صلى الله عليه وسلم) ٣٤

٣٥، ٦١، ٩٧، ١٣٥، ١٣٩

١٤١ - ١٧٩، ١٩٧، ١٩٨

٢٠٤، ٢٢٠، ٢٢٥، ٢٢٦

٢٥١، ٢٥٤، ٢٦٦، ٣٠٧

٣٢٠، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٧

٣٥٨، ٣٧٢

محمد بن إبراهيم (والي نيسابور)

٢١٢

محمد بن أحمد الخازن أبو عبد الله

٩٣، ٣٠٠

محمد بن أحمد الخياط = ابن الخياط

محمد بن أحمد الذهبي أبو عبد الله

٢٠٢، ٢٠٥

محمد بن أحمد المنقري أبو البركات

٨٩

محمد بن الإخميمي نصير الدين ٢٥١

محمد بن أردشير ٩٤

محمد بن أسلم الأنصاري ٢١١

محمد بن أبي بكر الصديق ١٩٠

محمد بن سلامة الحراني ٣٠٧
محمد بن عبد الواحد القرشي (الراوي)

٢٠٤

محمد بن شرف الدين القيرواني ٣٢٤

٣٥٦

محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب

٢٠٤

محمد بن عبد الرحمن = المستكفي

محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن

المقدس ٥٩

محمد بن عبد الملك الزيات ٣٠٩

محمد بن عبد الكريم الشهرستاني

(صاحب كتاب الملل والنحل)

١١٢، ١١١

محمد بن العفيف القامساني ٨٤

محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري

٢١٠

محمد بن علي الواعظ الدوري ٣٠٦

محمد بن غالب الرصافي ٣٦، ٩٣، ٢٨٨،

٢٩٢، ٣٣٢

محمد بن القاسم (صفحة الدوح)

شاعر الحاكم ٦٧

محمد بن قرطاي الأربلي ٨٧

محمد بن قلاوون (الملك الناصر)

٤٩، ٢٣٤، ٢٤٩، ٢١٣، ٢٦٤

محمد بن قيم الجوزية ١٦٩

محمد بن كثير ٢١٧

أبو محمد بن مالك المقرئ ٨٩

محمد بن المثنى بن الأجدع الهمداني

٢٤٣، ٢٤٤

محمد بن محمد بن بن سيد الناس ١٤٣،

٣٠١

محمد بن محمد الرستمي أبو سعيد

٢٢٨، ٢٦٧، ٢٧٥، ٢٨٣،

٢٨٤، ٢٩١، ٣٠٢، ٣٠٥

محمد بن مفاذر ١٨

محمد بن ناجية الرصافي ٢٦١

محمد بن الوحيد ٤٣، ٤٤

محمد بن يحيى بن زيد ٢١٢

محمود (اسم فيل النجاشي) ١٣١

محيي الدين بن عبد الظاهر ٢٢٨،

٤٠٤

المدائني (الراوي) ٣١٥

مرجانة ابنة عبيد الله بن زياد ٢٠٥

مسلم بن محمود الشيزري ٣٧٨
 مسلم بن الوليد ٩٢، ١٠٥
 مسلمة بن عبد الملك ٢٩٩
 مصدع بن بخرج ١٢٦
 مصعب بن سميل الزهري ٣٦٧
 مصعب بن عمير بن هشام ١٤٤، ١٥٧
 ١٥٨
 مطرف بن عبدالله بن الشخير ٣٤
 المطعم بن عدى ١٣٨
 الملك المظفر (صاحب حماة) ٥٣، ٥٤
 ابن المظفر = محمد بن علي الواظ
 معاذ بن جبل ١٠٨، ١٧٧، ١٧٨
 ٢٠٠
 معاذ بن عمرو بن الجوح ١٥٢
 معاوية بن أبي سفيان ٤٦، ٦١، ٦٢
 ١٩٠، ١٩٤، ١٩٦، ٢٠٣، ٢١١
 ٢٥١، ٢٥٢، ٢٩٣
 المعتصم (ال خليفة العباسي) ٢٤٧
 المعتصم بن حماد ٥٤
 المعتضد ٢٠، ٢١، ٥٠
 المعتمد بن عباد ٢١، ٩٢، ٢٣٧
 المعتمر ١٠٨

مروان بن أبي الجنوب أبو السعوط
 ٢٧٣، ١٨٢
 مروان بن الحكم ١٩١، ٢٠٩
 ٢١٦
 مريم (عليها السلام) ١٧٤
 مزاحم بن خاقان ٢١٣
 المسترشد بالله (ال خليفة) ٣٦١
 المستظهر بالله (ال خليفة) ٢٣٤، ٣٥٥
 المستكنى بالله (ال خليفة) ١٠
 مسدد (الحدث) ٣٤
 المسدس = لقب ابن زيدون ١١
 أم مسطح (خاله أبي بكر) ١٦٧
 مسطح بن أثانة ١٦٨، ١٧٠، ١٧٢
 أبو مسهر ١٧٦
 ابن مسعود ٦٢، ٩١، ٢٢٥
 أبو مسعود الثقفي ١٣٣
 المسعودي (صاحب مروج الذهب)
 ٦٢
 المسعودي (شارح المقامات) ١٧٧
 مسلم (صاحب الصحيح) ٩١، ٢٢٥
 ٢٤٣
 مسلم بن عقبة ٢٠٩، ٢١٠

ابن المذلل ٤٠٧

المعري = أبو الملاء

معقر بن أوس البارقي ٣٦٦

ابن المعلم ٢٨٣ ، ٢٩١ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ،

٣٣٨ ، ٣٤٨ ، ٣٥١ ، ٣٥٦ ، ٣٧١ ،

٣٩٤ ، ٣٩٧

معن بن أوس المزني ٨٤ ، ٢١٠

معن بن عدي ١٧٩

معوذ بن الحارث ١٤٩

معوذ بن عفراء ١٥٢

مقاطاي علاء الدين ٢٣٤

المغيرة بن حبناء ٢٢٢ ، ٣٤٧

المغيرة بن شعبة ١٨٧ ، ١٨٨

المفضل (الراوي) ٢٩٥

ابن مقبل ٨٥

المقتدر (الخليفة) ٥٠

المقداد بن عمرو ١٤٥

ابن المقدسي = محمد بن عبد الرحمن

المكبر الضبي ٧٩

ابن ماجم = عبد الرحمن

ابن مليكة ٢١٦

المزق العبدي = شاس

منبه بن الحجاج ١٤٦

المقتصر (الخليفة) ٢٤٨

منحا (الصائغ)

المنذر بن ماء السماء ٢٩٤ ، ٢٩٥ ،

٢٩٦

المنصور (الخليفة) ٩٩

منصور بن الحاكم الهروي

٨٥

منصور بن عكرمة (كاتب صحيفة)

١٣٨

منظور بن زبان ٣٦٠

ابن منير الطرابلسي ٣١١

أبو المنيع قرواش ٦٩

مجمع (مولى عمر بن الخطاب)

١٥٠

المهدي (الخليفة) ٧٧ ، ١٠٣ ، ١٧٧ ،

٢٣٥

مهذب الدين القيسرائي = ابن

القيسرائي

مهرش بن غنمة ١٢٥

المهلب بن أبي صفرة ٢٦٠ ،

٢٦٢

الناصر = محمد بن قلاوون
 ناصر الدين بن المقدسى = محمد بن
 عبد الرحمن
 نافع بن علقمة الكفماي ٢٧٦
 نائلة بنت الفراقصة ١٩٠
 ابن نباتة الأعور الموصلي ١١٦
 ابن نباتة السعدي ٣١٤
 نبيه بن الحجاج ١٤٦
 النجاشي ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٤
 نجم الدين بن صلاح الدين ٤٧
 أبو نخيلة (الراجز) ٢٩٩
 نصر بن سيار الهرمزي ٧٠
 نصر بن قلاقس = ابن قلاقس
 النضر بن الحارث ١٤٦
 نضلة بن هاشم بن عبد مناف
 ١٣٧
 النعمان بن بشير ١٩٤
 النعمان بن المنذر ١٠٧ ،
 ٣٣٣
 ابن النقيب = ناصر لدين بن النقيب
 النوار (زوج الفرزدق) ٣٦٠

مهنأ بن عيسى ٢٦٣ ، ٢٦٤
 ميمار الديلمي ٧٢ ، ١٠٦
 مؤرج السدوسي ١٠٨
 موسى (عليه السلام) ١١٩ ، ١٢٠ -
 ١٢٢
 أبو موسى الأشعري ٣٥٨ ، ٤١١
 موسى بن جعفر بن أبي طالب ٢١٢
 موسى بن ظفر = السامري
 الموفق الحكيم المعروف بالورل ٢٠٨
 المؤمل بن أميل الحاربي ٥٥ ،
 ١٠٥
 مؤنس المظفر (أمير الجيش في عهد
 المقتدر) ٥٠
 المؤيد = محمد بن أحمد المنقري .
 ابن ميادة = الرماح
 (ن)
 المنافة الديلمي ٧٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ،
 ٢٩٥
 ناصح الدين القاضي ٦٥
 ناصر الدين بن النقيب ٢٢٨ ، ٤٠٤

أبو نواس ٣٩ ، ٤٨ ، ١٠٤ ، ١١٥ ،

١١٦ ، ٢٥٤ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ،

نوح (عليه السلام) ١١٨

نور الدين الأفضل = علي بن

صلاح الدين .

نوفل بن خوليد ١٤٦

نيار بن عياض الأنصاري ١٩٠

(هـ)

هارون الرشيد ٩٢ ، ٢١٢ ، ٢٤٥ ،

٢٤٦

هامان ١١٩ ، ١٢٠ ، ٤٠٠

أم هانئ بنت عبد المطلب ١٣٤

هبة الله بن الفضل (الطبيب) ٧٦ ،

٣٠٤

هرم بن سفيان المري ٢٩٣

أبو هريرة (الضحاجي) ١٧٧ ، ١٩١٠

أبو هريرة (الشاعر المصري) ٩٤

ابن هشام (صاحب السيرة) ١٤٥

هشام بن عمار ٣٠٧

هشام بن عمرو بن الحارث بن حبيب

١٣٧

هشام بن الكلبي (الراوي) ١٠٩

أبو هلال العسكري ٨١ ، ٢٦١ ،

٣٣٠ ، ٣٣٩

أبو الهيثم (الراوي) ٢٩٦

أبو الهيثم بن التيهان ١٤٢

(و)

الوائقي (الخليفة) ٢٠٧ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ،

٢٤٧ ، ٣٦٥

ابن الوحيد = محمد بن الوحيد

أبو الورد البغدادي ٢٧٧

وردان بن مجالد ١٩٦

ابن الوردی = زين الدين

ولادة بنت المستكفي ١٠ ، ١١ ، ١٢ ،

١٥

الوليد بن عبد الملك ١٥٤ ، ١٥٥

الوليد بن عقبة ١٤٩

الوليد بن المغيرة ٢٢٥

(ي)

ياقوت الحموي ١٩٥

يحيى بن أكثم ١٧٧

يعقوب بن السكيت ٢٤٨
 يعقوب بن الليث ٢١٢
 ابن يعقوب ٢٤١
 أبو يكسوم = أبرهة
 يوسف بن تاشفين ٢١
 يوسف الخوارزمي ٥٢ ، ٥٣
 يوسف بن علي ٥٠
 يونس بن حبيب ٢٧٣
 يونس بن يحيى البغدادي ٢٧٨
 يونس بن يزيد بن الزهري (الراوي) ١٨١

يحيى بن يحيى ٢٨٩
 يحيى بن زيد بن الحسن بن علي ٢١٢
 يحيى بن عبد الله المولى ٢١٢
 يحيى بن عمر الزبيدي ٢١٣
 يزيد حوراء ٧٧
 يزيد بن أبي سفيان ٢٢٠
 يزيد بن عبد الملك ٣٩٧
 يزيد بن معاوية ٨٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ،
 ٢٠٩ ، ٢٧٣
 يزيد بن المهلب ٢٤٨ ، ٢٧٨ ، ٣٣٩

(ا)

بنو أبان بن درام ٢٠٦

الأدارسة ٥١

بنو أسد ٧٦ ، ٨٣

بنو إسرائيل ١٢١ ، ١٢٢ ، ٢١٩

أشعر ٢١١

بنو أمية ١٧٧ ، ٢١٠ ، ٢٣٢

الأنصار ١٤١ ، ١٤٥ ، ١٤٩ ، ٢٦٢

١٦٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٩٢ ، ٤٠٠

الأوس ١٥٣

(ب)

آل أبي بكر ١٦٩

(ت)

تنوخ ٢٠٨ ، ٣٧٠

(ث)

ثمود ١٢٥ - ١٤٨ ، ٢١١ ، ٢١٩

(ج)

بنو جمور ١٧

(ح)

بنو حزم ١٩٠

حمير ٢٠٦ ، ٢١٢

بنو حنيفة ١٨٥ ، ٢٧٦ ، ٢٩٥

(خ)

الخزرج ١٤١ ، ١٤٣

الخوارج ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٣٤٤

(ر)

ربيعة ٣٦٨

الروافض ٢٠٠ ، ٢٥١

الروم ١٢٤ ، ١٧٤

(ز)

بنو زهرة ١٤٦ ، ١٥٤

(س)

آل ساسان ٢١٢

بنو ساعدة ١٥١

السكون ٢١٢

عك ٢١١

العلويون = الطالبيون

بنو عمرو بن عوف ١٥٧

عنزة ٢٧٤

(ف)

الفرنج ٤٩

(ق)

قريش ١٣١، ١٣٥ - ١٤٤، ١٣٩ -

١٤٧، ١٥١، ١٥٥، ١٥٧، ١٦٠،

١٦١، ١٨٤، ٢٠٩، ٢١٣، ٢١٩،

٣٣٣

بنو قريظة ١٦٤، ١٦٥، ٢٢٠،

٤٠٠

بنو القين ٣٨٠

(ك)

بنو كعب ٦٦، ١٣٥

كعب ٢١٢، ٢٦١

كفانة ١٣١، ١٥٦، ١٩١

كندة ٢٥١

(ل)

لؤي بن كعب ١٣٥

بنو سلامة ١٥٠، ١٥٤

بنو سليم ١٨٦

(ش)

بنو شمعى ١٠٧

بنو شيبه ٢١٥

بنو شيبان ٢٥٩، ٢٦١

الشيمه ٢١٢

(ض)

بنو ضبة ٤١١

(ط)

الطالبون ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩

الطوائف ٦

طي ٩٩، ٢٠٠

(ع)

عاد ١٢٥، ٢١١

بنو عامر ٣٤

بنو عبد المدان ٤٠٧

بنو عبد الدار ١٥٧

بنو عبد المطلب ١٣٥، ٣٣٣

بنو عبد مناف ٢١٩

بنو عدى بن النجار ١٥٠

(م)

بنو مازن بن النجار ١٤٤ ، ١٤٢

بنو المصطلق ١٦٥

المنزلة ٣٢

(ن)

بنو نهبان ٤٠٧

بنو النجار ١٦٣

النصارى ١٧٣

النصيرية ٢٠٠

بنو نمير ٣٦٦

(هـ)

بنو هاشم ١٢٥ ، ١٣٦ ، ١٥١ ،

٢١٩

(و)

اليمانية ٢٥١ ، ٣٦٥

٢٠٦ ، ١٤١

بركة الحبش ٩٤	(د)
البصرة ١٨٩ ، ١٧٧ ، ٢٢٢ ، ١٨	أبني ١٧٧ ، ١٧٦
بطن عارم ٢١٧	أحد ١٥٥ - ١٦٣ ، ٢٢٠
بطليك ٥٣	الأخشيان ٩١
بغداد ١٧٧ ، ٢٢٦ ، ٢٣٢ ، ٣٤٩	ألبيرة ٢١٠ ، ٢١
البيصم ١٩٣	الأردن ٢١٥ ، ١٢٩
البلقاء ١٧٧	أسود (اسم جبل) ١٤٠
البيت الحرام ٢١٣ ، ٢١٧	إشيلية ٢١٠ ، ١١٠ ، ٦
البيت المقدس ٢٢٩	أفريقية ٤٨
(ت)	الأهواز ٢٣٢
تهامة ١٥٦	الأندلس ٢١٢ ، ٦
(ث)	أيلة ١٢٢
الثنية ٢١٦ ، ٢١٣	(ب)
(ج)	باجري ١٢١
الجرف ١٧٥	باخرز ٢٥٢
الجمراة ١٧٥	بلر ١٦٧ ، ١٥٦ ، ١٥٥ ، ١٤٥ ، ١٦٧ ، ١٧٩
	ترك الغماد ١٤٥

(ح)

الحبشة ١٥٨

الحجاز ١٢٥، ١٤٤، ٢٠٩، ٢١١،

٢١٢، ٢١٣

الحجر الأسود ٢١٤

الحجر ٢١٧

الحجون ١٣٨، ١٣٩

حراء ١٥٣

الحرة ٢٠٨، ٢٠٩، ٣١٠، ٢١١،

٢٢٠

الحرم المكي ١٣١ الحرم النبوي ٦٦،

١٣١ حاب ٢٥٧

حاة ١٣، ٥٣، ٥٤، ٣٤٤

حصص ١٩٤، ٢١٥، ٢٥٢

حنين ١٥١، ٣٢٣

حومانة الدراج ٣٤٩

الحيرة ٥٥

(خ)

خراسان ٩١، ٢١٣، ٢٦٠، ٣٣٩،

٣٦٧، ٣٧٠

الخيف ٢١٧

(د)

دار بني حزم الأنصاري ١٩٠

دار صفية بنت حي بن الأخطيب

٢١٦ دمشق ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٢٦،

٢٣٢، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٧٧

(ذ)

ذفران ١٤٥

(ر)

الري ٣٧٠

(ز)

الزهراء ١٥

الزيتية ٥٩

(س)

سامرا ٢١٢

سرف ١٦١

السقيفة ٢١٢

(غ)

الغرب ٥١

غمدان ١٩٥

(ف)

فارس ٣٤٧

فنج ٢١٢

الفرات ٢٠٦

فلسطين ١٢٩ ، ١٧٦

(ق)

القاهرة ٢٣٤

جبل / أبي قبيس ٢١٣

قرطبة ٦ ، ٢١

قرن الثمالب ٩٠

قليب بدر ١٥٢

القيروان ٤٨

(ك)

كربلاء ٢٠٧

الكرخ ٣٦١

الكعبة ١٣١ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ،

٢١٩

الكفاسة ٢١٢

سكة المطارين بالبصرة ٣٢

سوق على بدمشق ٢٥١

(ش)

الشام ٩٩ ، ١٢٥ ، ١٣٢ ، ١٤٤ ،

٢١٣ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٤ ،

٣٤٦ ، ٣٥١

شعب قریش ١٥٢ ، ٢٢٠

(ص)

الصفراء ١٤٥

جبل / الصفا ٢١٥

صنماء ١٣١ ، ١٣٣

(ط)

الطائف ١٥٥

طبرستان ٢١٢

(ع)

المدارية ٥٩

المراق ٢٠٧ ، ٢١٣ ، ٣٤٩ ، ٣٥٤ ،

عسقلان ١٧٧

المقبة ١٤١ - ١٤٣ - ٤٠٠

المنصورة ٤٨	الكوفة ١٨٩ ، ١٩٤ ، ١٩٩ ، ٢٠٣ ،
مضى ٢٦٧	٢١٣ ، ٢٥١ ، ٣٤٩ .
الموصل ٣٦٨	(م)
(ن)	المنظم ٣٤٩
النهر وان ١٩٥	مدائن كسرى ٦٧
نيسابور ٢١٢	المدينة ١٤٦ ، ١٥٦ ، ١٦٧ ، ١٧٦ ،
(هـ)	١٧٨ ، ١٨٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٥ ، ٢١٠ ،
الهند ٢٥٠	٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ،
(و)	مرو ٣٧٠
وادي الحجارة ١٢٦	مسجد رسول الله ١٧٦
وادي القري ١٢٥ ، ٢١٠	مصر ٩٤ ، ١٢٠ ، ١٨٩ ، ٢١٣ ،
(ي)	٢١٤ ، ٢٦١ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٣٤٩
بنى = أبى	المرقة ٢٥٨
يترب ١٤٥	مكة ٩٠ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ،
الين ٨٣ ، ١٣١ ، ١٧٨ ، ٢١٣	١٤١ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٥٥ ، ١٦٠ ،
	١٧٧ ، ١٨٩ ، ٢٠٣ ، ٢١٠ ، ٢١٣ ،

٧ - فهرس الكتب *

- أدب الكاتب للصولي ٣٨
 الاستيعاب لابن عبد البر ١٩٠
 الأسماء والصفات للبيهقي ٣٤
 الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ٢٩٠
 الدلائل لقاسم بن ثابت ١٥٤
 دمية القصر للباخرزي ١٨٤ ، ٢٥٢
 الذخيرة لابن بسام ٦ ، ٢١ ، ١٤١
 سيرة ابن سيد الناس ١٤٣
 سيرة ابن هشام ١٤٥
 صحاح الجوهري ٣٧٦
 طبقات ابن سعد ٢٠٥
 غريب الحديث للخطابي ٤٠٠
 الفردوس الأعلى لشهر بار بن شيرويه الحافظ ٣٠٧
 فصل المقال لأبي حميد العسكري ٥٦
 فضائل أبي بكر لابن زنجويه ١٨٢
 القاسمة للفئة الفاشمة ٣٧١
 قلائد المقيان للفتح بن خاقان ٦
 الكشف لازخشي ٣٨
 مروج الذهب للمحمودي ٦٢
 معجم البلدان لياقوت ١٩٩
 مناقب الشافعي لفخر الدين الرازي ٣٧١
 نفائس الذخيرة لابن ظافر ١٤١

- أدب الكتاب للصولي (المطبعة السلفية ١٣٤١ هـ)
الاستيعاب لابن عبد البر (مطبعة نهضة مصر ١٣٨٠ هـ)
الإعجاز والإيجاز للشمالي (المطبعة العمومية ١٨٧١ م)
الأعلام للزركلي (الطبعة الثانية)
الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (مطبعة التقدم سنة ١٣٣٣ هـ ، ودار الكتب)
أملى القالي (مطبعة دار الكتب ١٣٤٤ هـ)
أملى المرتضى (عيسى الحلبي ١٤٩٠ م)
إنباه الرواة على أنباه النجاة للقفطي (طبعة دار الكتب)
البداية والنهاية لابن كثير (مطبعة السعادة ١٩٣٣ م)
بديع القرآن لابن أبي الإصم (طبعة مكتبة نهضة مصر)
البسامة ، وهي شرح قصيدة ابن عبدون (مطبعة السعادة ١٣٤٠ هـ)
البيان والتبيين للجاحظ (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٧ م)
تاريخ الطبري (دار المعارف بمصر)
تفسير الطبري (دار المعارف بمصر)
تقريب التهذيب (مكتبة القاهرة ١٩٦٠ م)
التمثيل والمحاضرة للشمالي (مطبعة عيسى الحلبي ١٩٦١ م)
حسن المحاضرة للسيوطي (مطبعة عيسى الحلبي ١٩٦٨ م)
حماسة ابن الشجري (حيدر آباد ١٣٤٥)

- ديوان الخفاجي (مخطوطة دار الكتب رقم ٥١٠٠ - أدب. مطبعة بيروت ١٣٠٩ هـ)
- خاص الخصاص للشعالي (مطبعة السمادة ١٣٢٦ هـ)
- خزانة الأدب للبغدادي (بولاق ١٢٩٩ هـ)
- ابن خلدون (المطبعة الميمنية ١٣١٠ هـ)
- دمية القصر للباخرزي (المطبعة العلمية بحلب سنة ١٩٣٠ م)
- ديوان الأرجاني (بيروت ١٣٠٧ هـ)
- ديوان أبي الأسود الدؤلي - ضمن مجموعة نفائس المخطوطات (بغداد ١٩٦٤ م)
- ديوان الإمام الشافعي (المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٦٦ م)
- ديوان امرئ القيس (دار المعارف ١٩٥٨ م)
- ديوان أمية ابن أبي الصلت (بيروت ١٩٣٤ م)
- ديوان أوس بن حجر (بيروت ١٩٦٠ م)
- ديوان البحترى (مطبعة هندية ١٩١١ م)
- ديوان البهاء زهير (القاهرة ١٢٩٧ هـ)
- ديوان أبي تمام (بيروت ١٣٣٣ هـ)
- ديوان تميم بن المعز (مطبعة دار الكتب)
- ديوان التهامي (دمشق ١٩٦٤ م)
- ديوان حسان بن ثابت (المطبعة الرحمانية ١٩٣٩ م)
- ديوان الحسين بن الضحّاك (دار الثقافة ببيروت ١٩٦٠ م)
- ديوان الحماة بشرح القبريزي (مطبعة حجازي ١٩٢٨ م)
- ديوان الحماة بشرح المرزوقي (لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٢ م)
- ديوان ابن حيوس (مطبعة المجمع العلمي بدمشق)

- ديوان الخنساء (المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٨٩٦ م)
- ديوان ابن الخياط الدمشقيّ (طبعة دمشق)
- ديوان ابن درّاج القسطليّ (دمشق ١٩٦١ م)
- ديوان دعبل الخزاعيّ (بيروت ١٩٦٣)
- ديوان سبط ابن التماويذّي (مطبعة المقتطف ١٩٠٣)
- ديوان ابن الزقاق الأندلسيّ (دار الثقافة ببيروت ١٩٦٤ م)
- ديوان زهير بن أبي سلمى (مطبعة دار الكتب ١٣٦٣ هـ)
- ديوان ابن زيدون (مطبعة الرسالة ١٩٥٧ م)
- ديوان الشريف الرضيّ (بيروت ١٣٠٧ هـ)
- ديوان الشريف العقيليّ (مطبعة عيسى الحلبي بمصر سنة)
- ديوان أبي طالب (طنطا ١٩٥١ م)
- ديوان طرفه بن العبد (الأنجلو بمصر ١٩٥٨ م)
- ديوان المباس بن الأحنف (دار الكتب ١٩٥٤ م)
- ديوان علي بن الجهم (دمشق ١٩٤٩ م)
- ديوان عمر بن أبي ربيعة (مطبعة السعادة ١٣٧١ هـ)
- ديوان ابن عفيف (دمشق ١٣٦٥ هـ)
- ديوان الفري - مخطوطة دار الكتب رقم ٨٨ - أدب
- ديوان أبي فراس الحمداني (المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٩٥٤ م)
- ديوان الفرزدق (مطبعة الصاوي ١٩٥٤ م)
- ديوان لبيد (الكويت ١٩٦٤)

- ديوان المتنبي (مطبعة الحلبي ١٩٣٦ م)
- ديوان مجنون ليلى (دار مصر للطباعة)
- ديوان مسلم بن الوليد (دار المعارف ١٩٥٧ م)
- ديوان ابن المعتز (مطبعة المحروسة ١٨٩١ م)
- ديوان معن بن أوس (مطبعة النهضة ١٩٢٧ م)
- ديوان ابن مقبل (مطبعة دمشق ١٩٦٢ م)
- ديوان مهيار (مطبعة دار الكتب)
- ديوان النابغة الذبياني (ضمن خمسة دواوين من شعراء الجاهلية - ١٢٩٣ م)
- ديوان أبي نواس (العمومية ١٨٩٨ م)
- ديوان الهذليين (مطبعة دار الكتب)
- الذخيرة لابن بسام (مطبعة لجنة التأليف والترجمة بمصر ١٩٣٩ م)
- شرح العميون لشرح رسالة ابن زيدون لابن نباتة (مطبعة المدني ١٩٦٤ م)
- سقط الزند (مطبعة دار الكتب)
- السلوك في دول الملوك (مطبعة لجنة التأليف والترجمة بمصر)
- سيرة ابن هشام (مطبعة لجنة التأليف والترجمة بمصر ١٩٣٩ م)
- شرح نهج البلاغة (مطبعة عيسى الحلبي بمصر)
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا (مطبعة دار الكتب)
- صحيح مسلم (مطبعة عيسى الحلبي)
- طبقات الشعراء لابن سلام (دار المعارف بمصر)
- المبرر للذهبي (طبع الكويت)

- العقد لابن عبد ربه (لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٧٠ هـ)
العقد الثمين في الشعراء الستة الجاهلين (لندن ١٨٧٠ م)
عيون الأثر لابن سيد الناس (القدس ١٣٥٦ هـ)
فصل المقال (الخرطوم ١٩٥٨ م)
القاموس المحيط للفيروز آبادي (المطبعة الحسنية ١٣٣٠ هـ)
الكامل للبرد (مطبعة نهضة مصر ١٩٥٦ م)
الكشاف للزخشري (المطبعة البهية ١٣٤٣ هـ)
كشف الظنون لحاجي خليفة (الآستانه ١٩٤١ م)
الآلئ على أمانى القالى لأبي عبيد البكري (لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٤)
لزوم ما لا يلزم لأبي العلاء (مطبعة الجالية ١٩١٥ م)
لسان العرب لابن منظور (بولاق سنة ١٣٠٠ هـ)
مجمع الأمثال للميداني (مطبعة الاستقامة ١٩٥٢)
مختارات البارودي (مطبعة الجريدة ١٣٢٧ هـ)
مروج الذهب للمسعودي (مطبعة الاستقامة ١٩٤٨ م)
مصارع المشاق (مطبعة الجوائب ١٣٠١ هـ)
معاهد الفقهيين للعباسي مطبعة السعادة (١٩٤٩)
معجم الأدباء لياقوت (دار المأمون بمصر ١٩٣٦)
معجم البلدان (مطبعة السعادة ١٩٣٦ م)
معجم الشعراء للعرزباني (مطبعة عيسى الحلبي)
المفصليات (دار المعارف سنة ١٩٥٢)
مقامات الحريري (مطبعة الحسينية ١٣٢٦ هـ)

الملل والنحل للشهرستند (مكتبة الأنجلو ١٩٥٦ م).

المؤتلف والمختلف للآمدى (مطبعة عيسى الحلبي)

الميداني = مجمع الأمثال

الوافى بالوفيات (نشرة جمعية المستشرقين الالمانية)

النهاية لابن الأثير (مطبعة عيسى الحلبي بمصر)

نهاية الأرب للنويرى (مطبعة دار الكتب)

استدراك وتعليق

صفحة	سطر	
٢٦	٢١، ٢٠	تكتب العبارة هكذا: « وما نتهنك إلا لأنام ، وما سريت لك إلا لأحد الثرى لديك ، وإذك متى سنيت عقد أمرى تيسر » ، وانظر الشرح صفحة ٣٥٢ ، ٣٥٥ .
٣٨	١	سقطت الواو من أول الفقرة الثالثة ، والصواب إثباتها للمطف .
٥٢	١٨	صواب الاسم : « ألبا أرسلان محمد بن جعفر المدعو عضد الدولة أبو شجاع السلجوقي » ، وعليه يمدل ما ورد في فهرس الأعلام ص ٤٦٨ هكذا : « أبو شجاع السلجوقي = ألبا أرسلان » .
٢٠٥	١٧، ١٦	العبارة في الأصل هكذا : « لما قتل قالت مرجانة ابنة عبيد الله بن زياد: خبيث قتل بنت رسول الله ، لا يرى الجنة أبداً » .
٣٠٥	٢	البيت للحسين بن الضحاك ، وورد منسوباً إليه مع أبيات أخرى في صفحة ٣٤٧ .
٣٢		وقع سقط بعد آخر كلمة في آخر سطر من هذه الصفحة ؛ وهو : « فهو ذاو لايشمر ، وذابل لا ينفضر ، كالوحش الثأنى عن وطنه ، فهو فريسة كل سبع ، ورمية كل رام » ، قال الشاعر :

لقرب الدار في الإفتار خير من العيش الموسع في اقتراب

وقال أبو الفتح البستي :

لا يعدم المرء كينًا يسكن به

وضمة بين أهليه وأصحابه

ومن نأى عنهم قات مهـاجـه

كاليث يحقر لما غاب عن غايه

وقال الأول

كذافي الأصل : « أحمد بن التصوف الدومي » ولم أعتد

إلى معرفته .